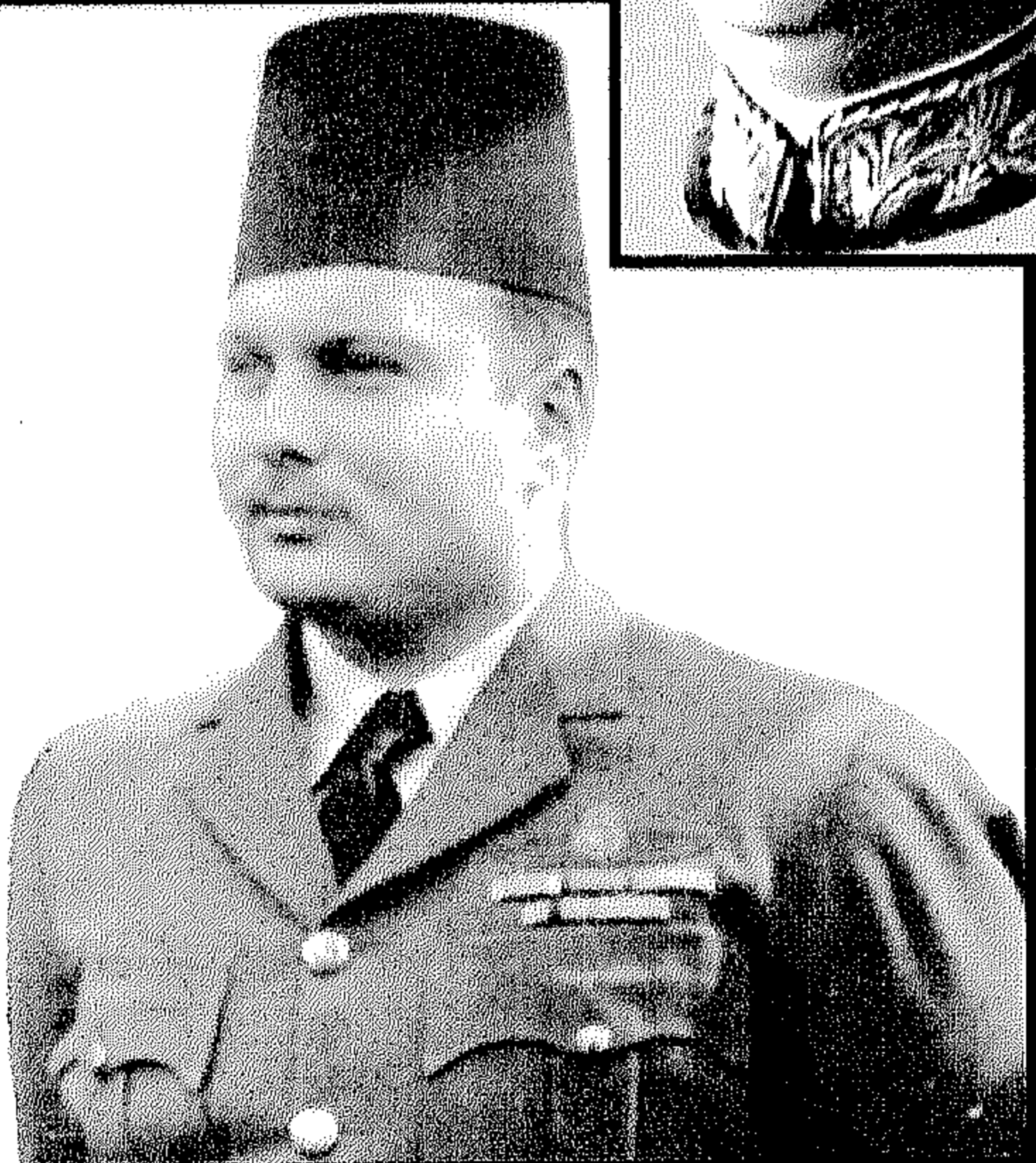
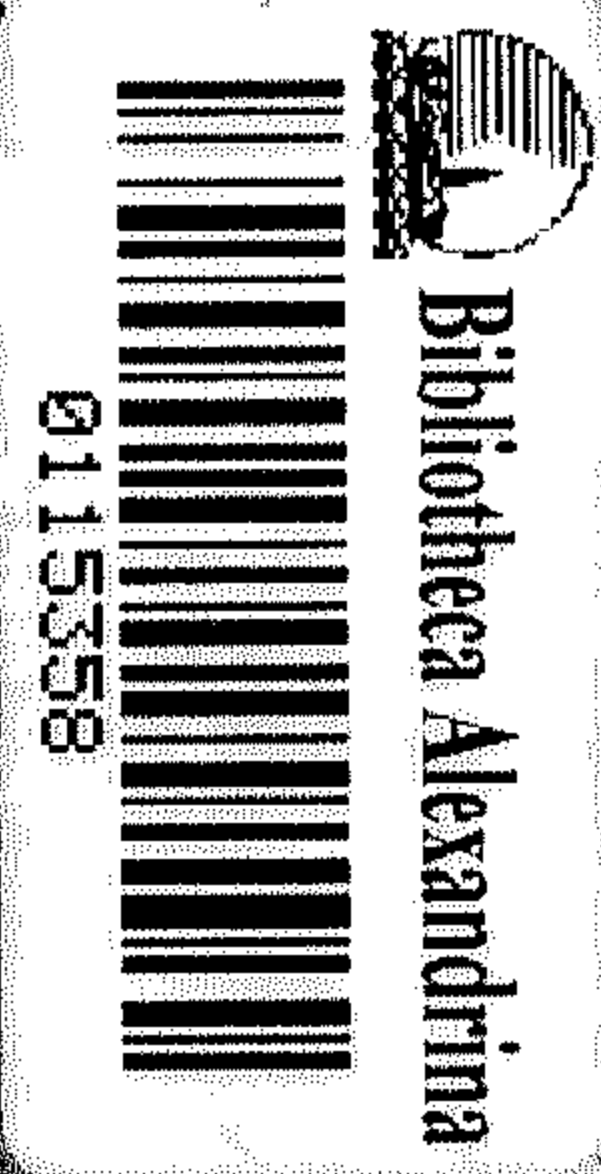
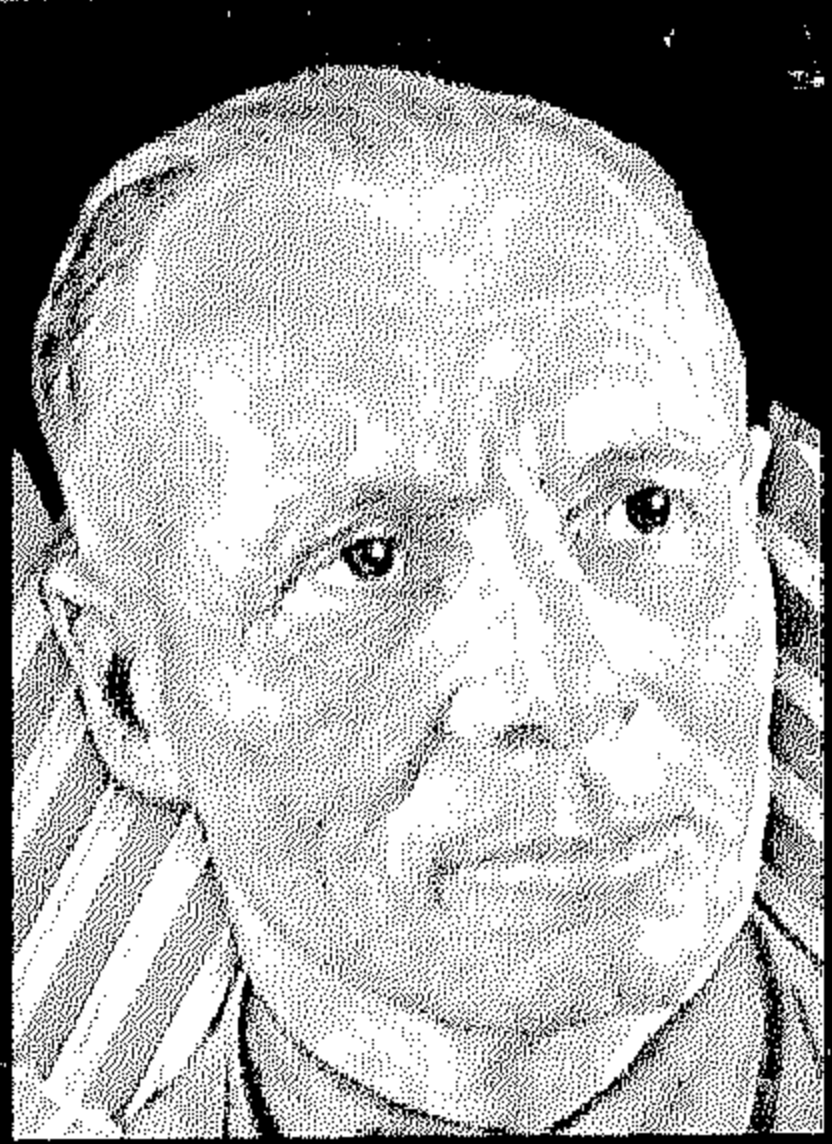


د. عبد العظيم رمضان تطور الحركة الوطنية في مصر



الجزء الرابع - «مع كشافات»

١٩٣٩.١٩٤٥

الطبعة الثانية



مكتبة مصر
العامية للكتاب

عبد العظيم محمد رمضان

تطور الحركة الوطنية

في مصر

٩٦٢. ٥٤

٣٣٣

٣٣٣

الجزء الرابع

الهيئة العامة لكتبة الإسكندرية
رقم التصنيف ٩٦٢. ٥٤ ٣٣٣
رقم التسجيل ٣٦٤٤٦

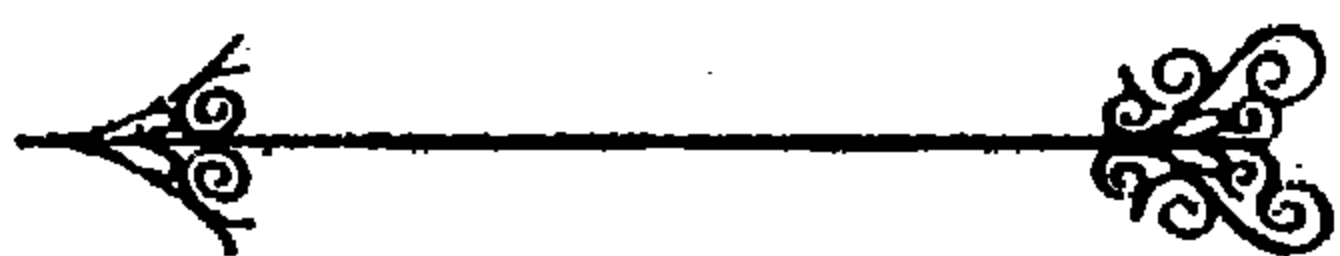


الهيئة المصرية العامة للكتاب

١٩٩٩

من سنة ١٩٣٧ - إلى سنة ١٩٤٨

الفصل الرابع



مَصْرِ فِي الْحَرْبِ الْعَالَمِيَّةِ الثَّانِيَةِ

- ١ - مصر بين الحرب والحياد (سبتمبر ١٩٣٩ - سبتمبر ١٩٤٠)
 - (أ) مصر بين الحرب الهجومية والحرب الدفاعية
 - (ب) مذكرة الوفد المصري في اول ابريل ١٩٤٠
 - (ج) التبليغ البريطاني في ١٩ يونية ١٩٤٠
 - (د) هل طلب الانجليز تشكيل وزارة وفدية في ١٩ يونية ١٩٤٠
 - (هـ) مصر بين الحرب الدفاعية والحياد : الجدل حول تجنيب مصر ويلات الحرب
- ٢ - حادث ٤ فبراير ١٩٤٢
 - (أ) المقاومة السرية اثناء الحرب
 - (ب) تطورات الموقف الداخلي
 - (ج) الى الامام يا روميل
 - (هـ) حادث ٤ فبراير ١٩٤٢
- ٣ - الحكم الدستوري ، مصر في مفترق الطرق
 - (أ) الوفد في الحكم
 - (ب) العلمين : مصر بين شقي الرحى :
الهجوم الالمانى المظفر (٢٦ مايو - ٣٠ يونية ١٩٤٢)
الانجليز والانسحاب من مصر
سياسة المحور تجاه مصر
 - (ج) انسلاخ مكرم عبيد من الوفد
الكتاب الاسود
 - (د) حكومة الوفد بين مؤامرات القصر ومؤامرات الانجليز
(حواشي الفصل الرابع)

١ - مصر بين الحرب والحياة

سبتمبر ١٩٣٩ - سبتمبر ١٩٤٠

(١) مصر بين الحرب الهجومية والحرب الدفاعية

وضع القوات البريطانية في مصر عند قيام الحرب

كانت القوات البريطانية عندما اندلع لهيب الحرب العالمية الثانية في يوم ٣ سبتمبر ١٩٣٩ ، لا تزال تعسكر في مواقعها السابقة التي كانت فيها قبل المعاهدة : في العباسية ، وقصر النيل ، والحلمية ، والقلعة ، ومصطفى باشا ، ومصر الجديدة ، وحلوان ، وأبي قير وغيرها من المعسكرات والمراكز الحيوية في القاهرة والاسكندرية وما حولها (١) .

وكانت المعاهدة في الحقيقة قد قررت انتقال هذه القوات الى ثكنات تبنيتها الحكومة المصرية في المناطق التي حددتها المعاهدة في منطقة القنال على نفقتها ، مع مساهمة الحكومة البريطانية في التكاليف بنسبة الربع . وكان قد قدر لاتمام هذه الأعمال ما لا يزيد على ثلاث سنوات ، الا فيما يختص بالقوات المرابطة في الاسكندرية ، التي قدر أن تنتقل بعد ثماني سنوات ، ريثما ينتهي اتمام باقي الثكنات وتحسين الطرق المحددة (٢) .

على أن الجدل ثار في مصر حول ضخامة تكاليف انشاء هذه الثكنات ، وخصوصا بعد أن ارتفعت من خمسة ملايين من الجنيهات وقت ابرام المعاهدة ، الى اثني عشر مليونا من الجنيهات في عهد حكومة محمد محمود باشا - وهو مبلغ تنوء به ميزانية لم تكن تتجاوز حينذاك ٣٥ مليونا من الجنيهات . لهذا ارتفعت بعض الصيحات تنادي بإعادة

التفاوض مع بريطانيا حول هذه النفقات ، كما ارتفعت صيحات أخرى تنادي بعدم اقامة هذه الشكنات اطلاقا - وكان المطلب الأخير تنادي به مصر الفتاة . على ان هذه الصيحات كانت تلقي هجوما شديدا من الوفد ، الذي كان يندد بعدم بناء الشكنات الى ذلك الحين ، ويرى أن ذلك انما يعطل أهم نقطة في المعاهدة ، وهي الجلاء التدريجي للقوات البريطانية من مدن القطر الى منطقة القناة .

وقد رأى محمد محمود باشا لحل هذه المشكلة أن يفاوض الحكومة البريطانية في تعديل النص الخاص بالشكنات في المعاهدة ، فطار لذلك الى لندن حيث عقد ما عرف باسم « اتفاقية الشكنات » التي وقعها هو بالنيابة عن الحكومة المصرية ، ووقعها اللورد هاليفاكس عن الحكومة البريطانية ، والتي قضت بأن تدفع بريطانيا نصف التكاليف بدلا من ربعها ، وقدرت قيمة هذه التكاليف بنحو اثني عشر مليونا من الجنيهات . بيد أن هذه الاتفاقية تعرضت لنقد شديد من الوفد الذي رأى أن محمد محمود باشا قد زاد بهذه الاتفاقية التكاليف التي كان ينبغي على مصر أن تدفعها بمقتضى المعاهدة . كيف ؟ لقد رد الوفد على ذلك فقال إنه كان مفهوما أيام المفاوضات أن على مصر أن تدفع ثلاثة ملايين وثلاثة ارباع المليون من الجنيهات ، ولكنها بناء على الاتفاقية الجديدة سوف تدفع ستة ملايين من الجنيهات أو أكثر حسبما تبلغ نصف التكاليف . وقد رأى الوفد أنه كان من الواجب على محمد محمود باشا أن يتمسك بأن تدفع مصر التكاليف التي كان مفهوما أن تدفعها وقت المعاهدة ، خصوصا أن الشكنات انما تبني للجنود الانجليز ، ولأن المفاوضات المصري رفض - وقت المفاوضات - ان يدفع قيمة بناء الشكنات وحده لضخامة المبلغ ، ولما فيه من الارهاق ، فشاركت الحكومة البريطانية بنسبة الربع ، فكيف تدفع مصر أكثر مما رفضته قبلا ؟ ومن الغريب أن هذا أيضا كان رأي السعديين شركاء محمد محمود باشا ، الذين اتخذوا به قرارا في

يونية ١٩٣٨ ، أي قبل ان يتفاوض محمد محمود باشا مع الحكومة البريطانية ، ومع ذلك جاءت الاتفاقية تكلف مصر بهذه النفقات الباهظة في بناء الثكنات (٣) .

ومما لا شك فيه ان بريطانيا كان يهمها لحد بعيد ألا تتمكن مصر اطلاقا من بناء الثكنات ، حتى تبقي جنودها منتشرة في جميع أرجاء البلاد . وقد اتضح ذلك من موقفها في مفاوضات ١٩٣٦ ، فقد أصرت - كما قالت جريدة المصري - على أن تبقى القوات البريطانية على ما كانت عليه ، فرفض الجانب المصري ، وطالت المفاوضات لهذا السبب شهرين، وهددت بالقطع، ثم انتهت بقبول انسحاب الجنود البريطانيين الى منطقة القنال (٤) . فلما دخل محمد محمود باشا في المفاوضات حول تعديل النص الخاص بالثكنات ، قبلت انجلترا التعديل بالشكل الذي يجعل من الصعب على الحكومة المصرية أن تقوم ببناء هذه الثكنات الا بتضحيات جسيمة . ثم، عندما نشبت الأزمة العالمية بسبب استيلاء المانيا على تشيكوسلوفاكيا في مارس ١٩٣٩، طلب الجانب البريطاني من حكومة محمد محمود باشا العدول مؤقتا عن انشاء الثكنات قرب السويس، بحجة ان وجود القوات البريطانية في مكان واحد، بأسرهم وأولادهم ، في حالة بناء الثكنات، فيه كل الخطر على هذه القوات ، اذ يصبح من السهل أن تكون هدفا للغارات الجوية في أي وقت . وقد ذكرت جريدة المقطم أن الحكومة المصرية اقتنعت بوجهة النظر البريطانية ، وأن حجة الحكومة المصرية في العدول ، هو أنه سيوفر على الدولة أموالا وفيرة كان مقررا صرفها لهذه الغاية ! وقد رجبت جريدة مصر الفتاة بهذا النبأ الذي نقلته عن المقطم وقالت انها كانت أول من نادى بعدم بناء الثكنات منذ اللحظة الأولى ، على أساس أنه من « العار والمذلة أن تبني مصر من أموالها ومن دماء الفلاح ثكنات للجيش البريطانية المحتلة ، فتجعل الاحتلال الذي قاومه المصريون ستين سنة امرا مشروعا » ، كما قالت الجريدة

ان بناء هذه الشكنات لينتقل اليها الجيش الانجليزي بعد ثماني سنوات،
يعتبر عبثا ، « لأن جهادنا القومي يجب أن يتجه الى اجلاء الانجليز عن
القطر المصري قبل انقضاء هذه الثماني سنوات » (٥) .

وعلى كل حال ، فقد ترتب على عدم بناء الشكنات، بقاء القوات
البريطانية - كما ذكرنا - مرابطة في جميع أنحاء البلاد عند قيام الحرب،
مما ترتب عليه بدوره عدة آثار هامة : أولاها ، أن شعور المصريين بوطأة
الاحتلال البريطاني لم يخف بعد المعاهدة عما كان عليه قبل المعاهدة ، لأن
المشهد الذي تعودوا عليه من انتشار هذه القوات في كل مكان لم يتغير .
ثانيا - ان القوات البريطانية ظلت في المركز الذي تستطيع أن تتحرك منه
بسهولة وسرعة لتتدخل في الشؤون المصرية الداخلية عند الحاجة - كما
حدث اثناء الحرب - أو لضرب التحركات الوطنية الجماهيرية - كما
حدث بعد الحرب . ثالثا - التضحيات الجسيمة في الأرواح والممتلكات
التي نتجت عن الغارات الجوية الالمانية وتحملتها مصر دون مبرر أثناء
الحرب بسبب تغفل القوات البريطانية في جميع الأحياء الوطنية .

معاهدة ١٩٣٦ في دور التطبيق

كان الحكم في مصر عند قيام الحرب في يد القصر ، وفي يد علي
ماهر باشا بالذات الذي كان يتولى حينها رئاسة الحكومة . وكانت
العلاقات بين علي ماهر باشا والسفير البريطاني قد تحولت الى علاقة مودة
وتقارب ، بعد أن استعان به في الضغط على فاروق لطرده البنداري باشا
من القصر . وكان قد استطاع أثناء وجوده في لندن لحضور مؤتمر
المائدة المستديرة أن يزيل ما علق بأذهان السياسة البريطانيين من شكوك
نحوه ، وأن يزيل ما قد ينشأ من اعتراض من جانبهم على توليه الحكم
بالذات . ولم يكذب يؤلف وزارته في ١٨ اغسطس ١٩٣٩ حتى اضطرت

الحالة الدولية بعد أسبوع واحد ، ثم أعلنت الحرب بعد أسبوع آخر ،
فبدا كأنما كان تأليف الوزارة و إعلان الحرب على ميعاد .
ومنذ يوم ٢٤ اغسطس ، أخطرت السلطات البريطانية علي ماهر باشا
رسميا بقيام « حالة دولية مفاجئة يخشى خطرها » بالمعنى الوارد في المادة
٧ من المعاهدة ، وطلبت اليه تنفيذ الالتزامات الواقعة على مصر (٦) .
وبناء على ذلك شرع علي ماهر منذ اليوم التالي في اتخاذ الاجراءات
الادارية واصدار التشريعات اللازمة . وفي يوم ٢٥ اغسطس أصدر
المرسومين رقمي ٩٥ ، ٩٦ لسنة ١٩٣٩ ، وأولهما خاص بالتدابير
الاستثنائية التي تتخذ لتأمين سلامة البلاد ، والثاني خاص باحصاء المئون
اللازمة لرجال الجيش والسكان المدنيين (٦م) . وفي ٢٧ اغسطس أصدر
المرسوم رقم ٩٧ لسنة ١٩٣٩ ، بحماية الأسرار العسكرية (٧) . وفي ٢٩
أغسطس أصدر المرسوم رقم ٩٩ لسنة ١٩٣٩ بإنشاء نظام لتفتيش السفن
بميناء الاسكندرية لحماية الميناء (٨) . وفي يوم ٣١ اغسطس اصدر
مرسوما بقانون بإنشاء القوات المراقبة من المجندين الذين يزيدون على
حاجة الجيش العامل ، ولم تنقض مدة التزامهم بالخدمة العسكرية ، وجعل
مهمة هذه القوات في زمن الحرب القيام بحراسة المرافق العامة وأداء
الخدمات العسكرية المختلفة وراء ميدان القتال (٩) . وفي نفس الوقت
دعا فريقا من الضباط الاحتياطيين الى الانضمام لفرق الجيش العامل (١٠) .
كان السير مايلز لامبسون عندما تدهورت الحالة الدولية في زيارة
لوطنه انجلترا ، فعاد مسرعا الى مصر في يوم أول سبتمبر ١٩٣٩ ، اليوم
الذي هاجمت فيه ألمانيا النازية بولندا . وفي مساء هذا اليوم زار ، وفي
رفقته المستر بيزلي ، المستشار القانوني للسلطات البريطانية ، علي ماهر
باشا ، وطلبا منه اعلان الأحكام العرفية . وقد استجاب علي ماهر باشا
على الفور ، فأصدر في نفس اليوم مرسوما بفرض الأحكام العرفية على
البلاد ، وعين نفسه حاكما عسكريا (١١) . وفي ٣ سبتمبر أعلنت انجلترا

أنها في حالة حرب مع ألمانيا ، فأعلن علي ماهر باشا في نفس اليوم قطع علاقات مصر السياسية مع ألمانيا ، وأصدر بوصفه حاكما عسكريا قرارا بمنع التعامل التجاري مع رعايا ألمانيا ، وقام علي الفور باعتقال الرعايا الألمان تمهيدا لابعادهم الى بلادهم ، ووضع الممتلكات الألمانية تحت الحراسة . كذلك وضع علي ماهر باشا الموانئ المصرية تحت رقابة السلطات البحرية البريطانية ، وفرض الرقابة على البريد والتلغرافات والتليفونات والصحف بالاشتراك مع السلطات البريطانية (١٢) .

الجدال في البرلمان حول اعلان الأحكام العرفية

بهذه الاجراءات والتدابير التي اتخذها علي ماهر باشا ، وخاصة قطع العلاقات السياسية مع ألمانيا ، أصبح وضع مصر الدولي في مركز وسط بين الحرب والحياد (١٣) . ولقد أثار اصداره مرسوم اعلان الأحكام العرفية ، خصوصا بعد المرسومين الخاصين بالتدابير الاستثنائية وحماية الأسرار العسكرية ، دهشة المراقبين السياسيين ، لأن انجلترا نفسها لم تعلن الأحكام العرفية في بلادها أو في مستعمراتها (١٤) ، فكان علي ماهر باشا قد تجاوز ببعض الاجراءات ما اتخذته الدول المحاربة نفسها في بلادها من اجراءات .

وفي الحق اننا لا نجد دليلا على مدى تعاون علي ماهر باشا مع السلطات البريطانية في ذلك الحين أقوى من موقفه من الأحكام العرفية . ذلك أن المادة ٥٥ من الدستور كانت تنص على وجوب عرض اعلان الأحكام العرفية على البرلمان فورا ليقرر استمرار الأحكام العرفية أو الغاءها ، فاذا وقع ذلك الاعلان في غير دور الانعقاد ، وجب دعوة البرلمان للاجتماع على وجه السرعة لاتخاذ القرار . ولقد كان البرلمان عند نشوب الحرب في غير دور الانعقاد ، فكان من الواجب دعوته على

وجه السرعة ، ولكن علي ماهر باشا تباطأ ، فلم يجتمع البرلمان لمناقشة المرسوم الا بعد شهر كامل ، أي في يوم ٢ اكتوبر ١٩٣٩ . وفي الوقت نفسه فان مرسوم دعوة البرلمان للانعقاد غير العادي الذي أصدره علي ماهر باشا قد جاء بحيث فرق بين اعلان مرسوم الأحكام العرفية والمراسيم الأخرى التي صدرت بعد فض الدورة العادية ، فاستعمل في حالة الأحكام العرفية كلمة «ابلاغ» ، وفي حالة المراسيم الأخرى كلمة «عرض» ، في حين أن المادة ٤٥ من الدستور كانت تقضي «بعرض» اعلان الأحكام العرفية على البرلمان لا «ابلاغه» .

ولقد كان غرض علي ماهر باشا من هذه التفرقة، أن يسلب من البرلمان حقه في أن يقرر استمرار الاحكام العرفية أو الغاءها . وقد أعلن ذلك صراحة عبد الحميد بدوي باشا الذي بين أن مرسوم اعلان الأحكام العرفية قد صدر « تنفيذاً لقانون المعاهدة » ، ولم يصدر تنفيذاً لقانون نظام الأحكام العرفية رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ الذي صدر تنفيذاً للمادة ٤٥ من الدستور . وقد أوضح أنه في الحالة الثانية يتعلق المرسوم بحالة ذاتية لمصر تنشئها الحكومة بمحض ارادتها ، أما في الحالة الاولى ، فان اعلان المرسوم يتعلق بحالة ذاتية لدولة أخرى يراد قضاء حاجتها بهذا النظام . « فالأحكام العرفية التي تعلن تطبيقاً لقانون المعاهدة، تقوم وتسقط بقدر ما يتعلق بها شرط الطلب أو العدول من جانب الحكومة الانجليزية بصفتها تنفيذاً للمعاهدة ، وليس بقدر اصدار قرار بالاستمرار أو الالغاء من البرلمان » . وانه لذلك فقد أريد استظهار الفرق بين «العرض» الذي مفهومه قرار باستمرار الأحكام العرفية أو بالغائها ، وبين «عرض» أمر الأحكام العرفية باعتباره تنفيذاً لمعاهدة « لا يسع الحكومة الا تنفيذها » (١٥) .

كانت الغالبية في مجلس الشيوخ لحزب الوفد . وبطبيعة الحال لم تمر هذه المسألة بسهولة ، فقد أعلن رئيس مجلس الشيوخ أنه تلقى

اقتراحا بتأليف لجنة خاصة للنظر في المرسوم الخاص بالأحكام العرفية وتقديم تقرير عنه الى المجلس ، على أن تؤلف اللجنة من أربعة من الوفديين، وواحد من السعديين ، وواحد من الدستوريين ، وثلاثة من المستقلين ، وأسندت رئاسة اللجنة لعبد الفتاح يحيى باشا . وقد وافق المجلس على الاقتراح .

وقد أخذت اللجنة في دراسة موضوع الأحكام العرفية ، وانتهت «بالاجماع» الى أن الدستور صريح في أن اعلان الأحكام العرفية ، سواء أكان تنفيذا للقانون رقم ١٥ لسنة ١٩٢٣ أم لقانون المعاهدة ، « لا بد من عرضه على البرلمان لاصدار رأي قاطع، إما باستمرار الاحكام العرفية، وإما بالغائها » . وازاء هذا الاجماع، لم يجد علي ماهر باشا بدا من الازعان، فأعلن أن «الموضوع المطروح ، هو عرض مرسوم الأحكام العرفية ليقرر المجلس استمراره أو عدم استمراره » .

عند ذلك أخذت اللجنة تتوافر على بحث الموضوع ، فاستفسرت أولا من الحكومة عن الكيفية التي طلب بها اعلان الأحكام العرفية ، وحدود الطلب . وقد أجاب عبد الحميد بدوي باشا بأن الطلب « جاء من السفارة البريطانية بطريقة رسمية كتابة تطلب فيه من الحكومة المصرية ، بصفة المعونة المنصوص عليها في المادة السابعة من المعاهدة ، اعلان الأحكام العرفية وتنفيذها مباشرة بصورة الرقابة على المطبوعات والصحف، وبصورة ايجاد نظام لتفتيش السفن » (١٦) . عندئذ رأى بعض أعضاء اللجنة أنه نظرا لأن الأمن والنظام مستبان في البلاد، فإن اعلان الأحكام العرفية يجب أن يقتصر على « التدابير التي تقتضيها حماية المصالح العسكرية » . ولكن علي ماهر باشا رفض هذا الرأي بحجة أنه كان يود من صميم قلبه ان يجيب هذا الطلب ، « غير أن تنفيذ الأحكام العرفية يستدعي السرعة ولا يمكن تجزئة الاجراءات العسكرية عن غيرها حفظا

لسلامة الجيش وسرعة تموينه وما يتعلق بهذا من اجراءات كثيرة متنوعة » (١٧) •

بناء على ذلك تداولت اللجنة في أمر الأحكام العرفية ، ثم انقسمت قسمين : القسم الأول ، ويتكون من أغلبية اللجنة ، وقد رأى عدم الموافقة على استمرارها ، أما القسم الثاني ، فقد رأى استمرارها بشروط • وقد شرح الفريق الاول رأيه على النحو الآتي : فقد بين أن المرسوم قد خول الحاكم العسكري سلطات متنوعة ، لا يستطيع العقل أن يحدد مداها مهما أوتي من قوة التصوير ، وهي سلطات شاملة للمسائل التشريعية والادارية ، وحتى بعض الأمور القضائية ، في حين أن ظروف طلب اعلان الأحكام العرفية وأسباب هذا الطلب لا تبرر أن تكون هذه الأحكام بهذا النطاق الواسع المدى ، خصوصا أن الامن والنظام مستتبان في البلاد ولم يقع فيها أي اضطراب داخلي • ثم قال : « ان مصر التي أظهر شعبها في كل الظروف والمناسبات أنه يدين دائما بمبادئ الحرية والديموقراطية ، لتأبى أن تجعل مصائر أمورها ، أمة وافرادا ، في يد أسبغ عليها مثل هذا السلطان ، وان من الخير ألف مرة للقضية المشتركة التي تحالفت مصر وانجلترا في الدفاع عنها ، أن تدافع عنها هذه البلاد وهي حرة طليقة ، من أن تدافع عنها وأمورها تحت امرة سلطان مطلق • على أن البلاد فوق ذلك لا تطمئن اطلاقا أن يجعل تنفيذ الأحكام العرفية في يد ليست موضع الرضاء عنها » • ثم قال تقرير الأغلبية ان الأحكام العرفية أمر خطير ، ويكفي تصور ما عاتته البلاد في الحرب الماضية من جرائمها للوقوف على ما قد يصيب المصالح العامة والخاصة من الضرر من جرائمها اذا ما أسيء استعمالها (١٨) •

أما رأي الأقلية ، فقد استند الى أن القيود والشروط التي شرعت لاعلان الأحكام العرفية قد توفرت عند الاعلان ، ولا تزال متوفرة • فقد اشتبكت بريطانيا في حرب مع دولة أخرى ، وهي لا تزال مشتبكة في

هذه الحرب ، « ولهذه الدولة الأخرى في مصر رعايا ، ولها فيها مصالح » ، فهل مستطاع تحت ظل الأحكام العادية ان تقوم مصر بالوفاء بعهدا الذي قررته المادة السابعة من المعاهدة ؟ فان كل ذلك مستطاعا ، وجب ألا تكون الأحكام العرفية ، أما اذا لم يكن ذلك مستطاعا ، وجب ان تكون الاحكام العرفية ، على ألا تتجاوز الغاية الموجودة من اعلانها ، وهي تسهيل السبل لقيام مصر بتعهداتها التي قطعتها لانجلترا ، ولكنها ترى ان توجه نظر الحكومة الى الأمور الآتية :

١ - العمل على حصر تطبيق هذه الاحكام جهد الطاقة عند الضرورات العسكرية التي تقتضيها سلامة البلاد ، وتقضي بها المعاهدة .
٢ - الرجوع الى البرلمان في الشؤون الخطيرة ، مراعاة لخرج الموقف .

٣ - تخفيف الرقابة على الصحف بحيث تقتصر على الأنباء التي يترتب على نشرها اضرار بسلامة البلاد وبالقوات المصرية وبالقوات الحليفة والصديقة (١٩) .

وازاء هذا الموقف من جانب اللجنة بقسميها ، كان على علي ماهر باشا أن ينتهج أحد سبيلين : اما ان يدعن لما يقرره المجلس في شأن الأحكام العرفية ، أيا كان هذا القرار ، ولا تثريب عليه من جانب الانجليز ، نظرا لانه لم يكن صاحب حزب في البرلمان يستند اليه ، كما لم تكن له أغلبية في المجلسين . واما ان يخوض معركة حامية في المجلس لحمله على الموافقة على استمرار الأحكام العرفية لصالح انجلترا . على أن علي ماهر باشا أثر الطريق الثاني ، فدافع دفاعا بليغا عن بقاء الاحكام العرفية ، حتى استطاع ان يحصل على موافقة المجلس على استمرارها ، بأغلبية ٦٨ صوتا ضد ٥٩ . وقد أعلن عبد الفتاح يحيى باشا ، رئيس اللجنة ، رأيه في المجلس بأن استمرار الاحكام العرفية واجب ، وفاء للعهد ، وان لا غضاضة

على الحكومة ان تنزل على ارادة المجلس بالرجوع اليه في كل ما ليس له مساس بالمسائل العسكرية البحتة .

الحكومة المصرية بين الحرب الهجومية والحرب الدفاعية

كانت المسألة الثانية التي أثارت الجدل ، هي مسألة اعلان الحرب على ألمانيا . فقد طلبت السلطات البريطانية من حكومة علي ماهر باشا اعلان الحرب على ألمانيا بعد دخولها الحرب في ٣ سبتمبر ١٩٣٩ (رغم ما أنكرته في ٢٠ يونية ١٩٤٠) (٢٠) . وقد أكد علي ماهر باشا هذه الحقيقة في حديثه للصحفيين بعد استقالته بناء على تبليغ ١٩ يونيو ١٩٤٠ ، فقد صرح بأن الحكومة البريطانية قد « طلبت عند بدء الحرب مع ألمانيا اشتراك مصر في الحرب ، واستمرت المناقشات في أمر هذا الطلب خمسة عشر يوما » (٢١) . وكان قد أجاب على هذا السؤال أيضا حتى من قبل أن تنشأ الأزمة بينه وبين الانجليز - ففي يوم ١٦ يناير ١٩٤٠ سئل عما اذا كانت انجلترا قد طلبت « أخيرا » اعلان الحرب على ألمانيا ؟ فأجاب بقوله : « لم يحدث منذ ثلاثة اشهر كلام عن اعلان الحرب على ألمانيا . وقد حدث كلام في هذا الموضوع عقب اعلان الحرب بأسبوعين ، و انتهت المسألة عند هذا الحد » (٢٢) . ولم تكذب المصادر البريطانية هذا الكلام في حينه .

وفي الواقع أن دخول مصر الحرب كان قائما في تقدير العسكريين البريطانيين عند نشوب الحرب . فقد كتب اللورد ولسن في مذكراته المعروفة المنشورة تحت عنوان : « ثمانية أعوام فيما وراء البحار » ، يقول بالحرف الواحد : « لقد كان من المتوقع في حالة قيام الحرب أن مصر سوف تشترك فيها الى جانب بريطانيا كحليفة ، وتعلن الحرب على المحور » (٢٣) . كما كتب بالحرف الواحد أيضا : انه « كان من المتوقع ،

طبقا لمعاهدة ١٩٣٦ ، أن يشترك الجيش المصري في الحرب كحليف تحت القيادة البريطانية » (٢٤) •

فما عسى ان يكون موقف وزارة علي ماهر باشا من هذه المسألة ؟ كانت هذه الوزارة في ذلك الحين مكونة من أنصار علي ماهر باشا من المستقلين ، ومن السعديين • وكان عدد الوزراء السعديين في الوزارة خمسة هم : محمود فهمي النقراشي باشا ، ومحمود غالب باشا ، والدكتور حامد محمود ، وسابا حبشي بك ، وابراهيم عبد الهادي • أما المستقلون ، فأبرزهم محمد علي علوبة باشا ، وعبد الرحمن عزام بك ، ومحمد صالح حرب باشا ، وعلى رأسهم علي ماهر باشا • وقد عرف عن الأربعة اشتغالهم بالقضايا العربية والاسلامية ، وخصوصا مسألة فلسطين • والى جانب هؤلاء خمسة آخرون من غير ذوي الاتجاهات المعروفة ، أبرزهم حسين سري باشا (٢٥) • وطبقا للمصادر المصرية فقد انقسمت الوزارة في موضوع اعلان الحرب الى ثلاثة أقسام : قسم يؤيد اعلان الحرب على ألمانيا ، وقسم ضد الحرب ، وقسم يقبل بالحرب ولكن يقول بالانتظار • ومن مذكرة لرئيس الديوان بالنيابة بعث بها الى الملك فاروق عقب اجتماع مجلس الوزراء السابق ، يفهم منها أن وزيرا واحدا هو الذي وقف ضد اعلان الحرب ، وهو مصطفى الشوربجي بك ، الذي رأى ان ما تم من اجراءات اتخذتها الوزارة هو «فوق الكفاية» ، « وان المعاهدة لا تلزمنا بشيء أكثر من ذلك ، وليس لمصر شأن في الخلاف القائم الآن » • كذلك يفهم أن وزيرا واحدا أيضا هو الذي قال بالانتظار ، وهو عبد الرحمن عزام بك ، وزير الأوقاف ورئيس القوات المراقبة • فقد أبدى أنه « مع موافقته لرأي الشوربجي بك ، يرى الانتظار على الأقل حتى يعود كل المصريين من الخارج ، وكذلك البواخر المصرية ، لأن في رفعها العلم المصري حماية لها من كل سوء ما دامت مصر ليست في حالة حرب

مع أية دولة أخرى » - أي ان عزام بك كان يرى اعلان الحرب بعد عودة المصريين والبواخر المصرية •

أما بقية الوزراء ، فكانوا مع اعلان مصر الحرب • فقد كان من رأي حسين سري باشا وعلوبة باشا وغيرهما انه « ما دامت قد قطعت العلاقات مع المانيا ، وتكدر صفو هذه العلاقات ، فليس هناك داع للانتظار ، ويجب اعلان حالة الحرب ، لأن مصر أصبح مصيرها معلقا بمصير انجلترا ، وما دامت انجلترا مسئولة عن الدفاع عن مصر ، فيجب على مصر أن تسير جنبا الى جنب مع انجلترا ، وأما البواخر المصرية فانجلترا تحميها باسطولها كما تحمي بواخرها سواء بسواء • وقد ذكر صالح حرب باشا وزير الدفاع أن الحكومة المصرية تلاقي صعوبات كثيرة في تفتيش البواخر المحايدة بسبب عدم اعلانها الحرب ، وضرب مثلا بالبخرة الرومانية التي لم تقف للتفتيش الا بعد ان صوبت النار نحوها ، وهذه الحالة الشاذة هي بسبب الموقف الحالي وعدم اعلان حالة الحرب مع ألمانيا » • أما علي ماهر باشا ، فقد انضم الى فريق اعلان الحرب ، وأبدى استعدادا لذلك اذا « جاءه كتاب من السفير البريطاني باسم حكومته بأن اعلان حالة الحرب ضروري جدا لسلامة القوات البريطانية والمصرية ، وانه لا يمكن الدفاع عن مصر بغير ذلك » • ثم كلف الاستاذ كامل سليم السكرتير العام لمجلس الوزراء بالتوجه فورا لمقابلة السفير البريطاني « لاحاطته علما بمختلف وجهات النظر في مجلس الوزراء في هذا الموضوع » • وقد توجه السكرتير العام فعلا في منتصف الليل وأفضى الى السفير بكل ما تقدم (٢٦) •

والمحصلة النهائية لما ورد بهذه الوثيقة السرية التي استقاها عبد الوهاب طلعت باشا من السكرتير العام لمجلس الوزراء ، ان فريق السعديين ، والغالبية العظمى من المستقلين ، كانوا مع اعلان الحرب • وان فريق المشتغلين بالقضايا العربية والاسلامية انقسم على نفسه ، فيما

أيد عبد الرحمن عزام بك عدم دخول الحرب فوراً وطالب بالانتظار ، كان علوبة باشا وصالح حرب باشا وعلي ماهر باشا مع فكرة دخول الحرب . وهذه ملاحظة جديرة بالنظر ، اذ من المعروف أن العناصر التي كانت على احتكاك بقضية فلسطين كانت ساخطة على انجلترا لموقفها المتحيز لليهود! وعلى كل حال فقد أنكر علي ماهر باشا وصالح حرب باشا فيما بعد ما ورد في هذه المذكرة عندما سألهما في ذلك محمد صبيح، وكان مما احتج به أن مداولات مجلس الوزراء لم يكن يحضرها سكرتير مجلس الوزراء ، ولم يكن يدون لها محاضر . وعلا هذه المعلومات بأن سكرتير مجلس الوزراء ربما استقاها من بعض الوزراء الذين لم يعطوه صورة صحيحة عن الموقف (٢٧) .

وفي الواقع أن الوثائق البريطانية تؤكد كثيرا مما ورد في الوثيقة السالفة الذكر فيما يتعلق بموافقة معظم الوزراء على اعلان حالة الحرب، وعلى رأسهم علي ماهر باشا . وهي توضح أنه كان هناك في البداية أربعة وزراء مترددين ، لعدم اقتناعهم بأن مصر في وضع يسمح لها بمواجهة الهجمات الإيطالية نظرا لقلّة عدد القوات البريطانية التي كانت موجودة في ذلك الحين . وقد ذكر علي ماهر باشا للسير مايلز لامبسون ، انه « وان كان شخصا مستعدا لاعلان حالة الحرب » ، الا أنه يريد أن يصدر القرار بالاجماع ، لأن هذه أول حالة من نوعها تواجهها مصر وهي دولة مستقلة . ولذلك فقد أصر على ضرورة ازالة مخاوف زملائه المترددين . وقد وافق على أن يطلب الى عزام باشا مناقشة اعتراضاته مع المستر بيتمان في السفارة البريطانية ، وأن يقابل وزير الحرية القائد العام للقوات البريطانية لبحث مسألة عدد القوات والموقف الاستراتيجي (٢٨) .

وفي مساء يوم ٨ سبتمبر عقدت وزارة علي ماهر باشا اجتماعا دام أربع ساعات ، أرسل بعدها علي ماهر سكرتير عام مجلس الوزراء الى

السفير البريطاني برسالة يخبره فيها بأن « مجلس الوزراء قد أعلن بالاجماع حالة الحرب مع المانيا . ولكنه يتوقع خطابا منه (السفير) يذكر فيه أن اعلان الأحكام العرفية في مصر وقطع العلاقات مع ألمانيا ، لا يكفي لتأمين سلامة البلاد وسلامة القوات البريطانية، وأن المطلوب في اللحظة الراهنة هو اعلان حالة الحرب . فاذا وصل هذا الخطاب لرئيس الوزراء فسيستلم السفير قرار مجلس الوزراء باعلان حالة الحرب » . وقد ذكر سكرتير عام مجلس الوزراء للسير مايلز لامبسون أن هذا الخطاب ضروري لأن اعلان الحرب الهجومية يقتضي من مصر دعوة البرلمان للانعقاد فورا ، ولكن اذا جاءت الخطوة الاولى لاعلان حالة الحرب من جانب الحليفة تحت التزامات المعاهدة ، فإن الموقف عندئذ يتغير تغيرا تاما (٢٨م) .

على أن مفاجأة حدثت في تلك الاثناء قلبت الموقف رأسا على عقب . فقد تسلم علي ماهر باشا برقية من السفير المصري في لندن عن مقابلة له مع المستر بتلر في وزارة الخارجية البريطانية ، وفي هذه البرقية ذكر السفير المصري أنه اقترح على المستر بتلر شراء مواد الحرب من الولايات المتحدة عن طريق مصر ، التي « بوصفها دولة غير محاربة » تستطيع أن تقوم بدور الوسيط ، وأن المستر بتلر كان سعيدا بهذا الاقتراح وسيقوم بعرضه على اللورد هاليفاكس . فقد غيرت هذه العبارة الموقف كله ، لأن معناها أن الحكومة البريطانية موافقة على بقاء مصر دولة غير محاربة . ولذلك فقد أطلع علي ماهر باشا السير مايلز لامبسون على هذه البرقية، وقال انها قد غيرت الأمور، وأن زملاءه قد أصروا على أنها قد أثرت بشكل اساسي على قرار الليلة السابقة ، كما ذكر علي ماهر ان الملك فاروق قد أرسل رسالة عاجلة بهذا المعنى للوزارة (٢٩) .

وقد كانت تلك نهاية قرار مجلس الوزراء في الواقع، فمع أن بعض الوزراء ، مثل حسين سري والنقراشي، كان متحمسا لاعلان حالة الحرب، كما أن علي ماهر باشا كان — كما ذكر النقراشي للسير مايلز لامبسون —

صادق العزم على اعلان حالة الحرب (٢٩م)، الا أن اجماع الوزارة انفرط، كما ان الحكومة البريطانية لم تصر على ضرورة اعلان مصر حالة الحرب كما كان يلح بذلك السير مايلز لامبسون ، الذي كان يقف في هذه المسألة موقفا صلبا، ويرى فيها مسألة «ضرورية وحيوية» ، على خلاف حكومته التي كانت ترى فيها مسألة «مرغوبا فيها جدا وهامة» وهو ما يبين الفارق في وجهتي النظر .

موقف القوى السياسية من الحرب

تعرض موقف الأحزاب والفرق السياسية في مصر من مسألة دخول مصر الحرب للاختبار على مدى تطورات الأزمة العالمية ابتداء من أزمة سبتمبر ١٩٣٨ الى تاريخ اعلان الحرب في ٣ سبتمبر ١٩٣٩ . وهذه القوى تنقسم الى ثلاثة معسكرات : معسكر القصر ، ويضم فاروقا وبطاته من الطليان ، وبعض المستقلين ، وحزب مصر الفتاة ، وجماعة الاخوان المسلمين . ومعسكر أحزاب الأقلية . ومعسكر الوفد .

وفيما يتصل بالمعسكر الأول ، فان علاقته بالانجليز كانت سيئة ومحفوفة بالريب والشكوك، بسبب التيارات الفاشية التي كانت تسوده، والشبهات حول اتصالاته بالمحور . وكان القصر في ذلك الحين مصدر قوة ونفوذ للجالية الايطالية في مصر التي كانت غالبيتها - كما ذكرنا - تؤيد الفاشية ، كما كان عضدا وسندا، وربما ملهما لبعض الشخصيات المصرية المستقلة التي كانت تعلن عطفها على المحور ، وعلى رأسها اسماعيل صدقي باشا ، الذي كان يتصل بصلة النسب مع الأسرة الملكية ، ويحتفظ بمكانة قريبة من السراي حينئذ ، كما كان عضوا بمجلس ادارة بعض الشركات الألمانية ، ومن الذين طلب السفير البريطاني اعتقالهم أثناء الحرب (٣٠) .

ويعتبر صدقي باشا أول سياسي مصري أعلن رأيه بصراحة في وجوب عقد معاهدة عدم اعتداء بين مصر وإيطاليا Pacte de non agression وقد أوقعه ذلك في شباك عنيف مع الوفد . وكان صدقي باشا قد قدم هذا الاقتراح للنحاس باشا حين كان الأخير يتولى رئاسة الوزارة ، وذلك بمناسبة ما أذيع من أن مسألة الاعتراف بالامبراطورية الحبشية الجديدة سوف تثار في اجتماع عصبة الأمم ، وأن إنجلترا ترغب في التفاهم مع إيطاليا . فقد كتب إليه يوم ٢٨ أغسطس ١٩٣٧ ، يقول انه فهم منه (أي من النحاس باشا) أنه سوف يحضر هذا الاجتماع لعصبة الأمم ، ولذلك فانه يرغب في أن يلتفت نظره الى أن « الفرصة سانحة ، والانجليز الآن يرغبون في التفاهم مع إيطاليا ، للمفاوضة في عقد معاهدة عدم اعتداء » بين مصر وإيطاليا . ثم قال : انه يعتقد أن المحالفة المصرية البريطانية « لا تحول دون إبرام مثل هذا العقد ، لأنها انما أبرمت للدفاع لا للهجوم » (٣١) .

فلما قامت أزمة سبتمبر ١٩٣٨ العالمية ، التي هددت بقيام حرب كبرى ، أكد صدقي باشا اتجاهه بخطاب مشهور في مجلس النواب يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ ، وصف فيه الخصومات الناشئة بين الدول الكبرى بأنها « بعيدة عن شئوتنا ومصالحنا » ، وطلب الى الساسة المصريين ان يمعنوا النظر في الخطر المترتب على تطبيق مادة الطوارئ في المعاهدة ، « ذلك التطبيق السريع المفاجيء الذي لا يدع لمصر الفرصة الكافية لتبين مركزها الحقيقي من تلك الخصومات » . وأبرز أن المعاهدة لا تلزم مصر. بالاشتراك في حرب تدخل إنجلترا غمارها ، ولكن ما فرضته على مصر من تسليم مرافقها بمجرد حدوث خلافات تفضي الى خطر قطع العلاقات ، سوف يعرض البلاد بدهاءة، عند نشوب الحرب ، للعدوان عليها من الدولة التي تدخل إنجلترا في خصومتها ، وبعبارة أخرى أن مصر قد تتأثر بالحرب دون أن تكون طرفا في الخصومة . ثم وصل

صدقي باشا في نهاية المطاف الى هدفه فقال : « ان الاستمساك بما تفرضه المحالفة من واجبات نحو الحليفة ، يجب ألا يتعارض مع كل مسعى سياسي تبذله مصر ، ومع كل موقف تريد أن تقفه ويكون مقصودا به استتباب السلام وتأمين حدود البلاد من كل عدوان . ونحن اذا فعلنا ذلك ، فلا يمكن لانجلترا الا ان تسلم بصحة موقفنا وبسلامته » (٣٢) . وفي هذا الخطاب أبدى صدقي باشا صراحة اعجابه بالنظام النازي في ألمانيا : « لقد رأيت في ألمانيا مثلاً أن الفرد قد فني في سبيل المجموع ، أي في سبيل الدولة . رأيت التضحية ، رأيت الحرمان المقصود بهما أن يحقق من ورائهما قوة المجموع ومجد المجموع ، الأمر الذي رأيتم نتائجها ولمستم مظاهره » (٣٣) .

ولقد ووجه هذا الخطاب فوراً بهجوم شديد من الصحف الوفدية التي رأت في ثنائه نفس الاقتراح الذي اقترحه صدقي باشا على النحاس باشا منذ عام مضى ، ولما كان من مقتضيات عقد معاهدة عدم اعتداء بين مصر وإيطاليا ، ألا تساعد مصر أية دولة تعتدي على إيطاليا ، في مقابل عدم مساعدة إيطاليا أية دولة تعتدي على مصر ، فقد رأت جريدة المصري أن هذه المعاهدة تتعارض مع نصوص معاهدة ٣٦ ، لأن المادة السابعة منها تنص على أنه « اذا اشتبك أحد الطرفين في حرب . . فان الطرف الآخر يقوم في الحال بانجاده بصفته حليفاً . . الخ » ، وهذه المادة ليس فيها ما يدع باباً للشك في أن واجب مصر هو المبادرة في الحال الى انجاء حليفها في أي حرب تشتبك فيها مع دولة أخرى ، ولو كانت إيطاليا ، على أن تكون هذه المساعدة « في داخل الأراضي المصرية » . فمن الخروج الصريح على هذه المادة اذن - كما قالت المصري - أن يدعو صدقي باشا الى عقد معاهدة مع إيطاليا تجعل المساعدة التي تقدمها مصر الى حليفها بريطانيا قاصرة على حالة الدفاع ، وتقضي بامتناع مصر عن هذه المساعدة اذا كانت انجلترا هي المهاجمة . وانه لو صح ادعاء صدقي باشا

بأن المحالفة المصرية البريطانية انما ابرمت للدفاع لا للهجوم ، لكان معناه ان انجلترا تضع مصر تحت حمايتها ، اذ تتعهد بالدفاع عنها دون أن يكون هنالك ما يقابل هذا التعهد بمثله من ناحية مصر . وأضافت المصري ان نص المادة الخامسة من المعاهدة الذي يقضي بتعهد كل من الطرفين « بالألا يبرم معاهدات سياسية تتعارض مع أحكام المعاهدة الحالية » ، يمنع عقد المعاهدة التي يروج لها صدقي باشا (٣٤) .

وقد استهول صدقي باشا ما وصفت به جريدة المصري المحالفة المصرية البريطانية من أنها ليست دفاعية بل دفاعية - هجومية ، وقال : انه « يستعيز بالله أن يكون هذا اتجاهنا . وقد طالما صرحنا بأننا من الراغبين في السلام ، ومن العاملين له . وأستعيز بالله أن تكون المحالفة كذلك ، وما كان لها أن تكون كذلك ، وقد قصرت واجبات مصر داخل حدودها » . وعاد فأكد ضرورة التفاهم مع ايطاليا قائلا : « ان انجلترا نفسها رأت ان تسوي ما بينها وبين ايطاليا من مواطن الخلاف ، وبلغ من حرصها على ذلك ورغبتها في استقرار السلام ، أن اوفدت رئيس وزرائها لاستئناف المفاوضات المؤدية الى تفاهم نهائي بين البلدين » (٣٥) . ووجه المغالطة في كلام صدقي باشا أنه يتجاهل عمدا الفرق بين أن تساعد مصر انجلترا « داخل حدودها » في حرب هجومية تشنها انجلترا على دولة أخرى ، وان تشن مصر حربا هجومية « خارج حدودها » لمساعدة انجلترا . فالحالة الأولى توجبها المعاهدة ، والحالة الثانية لا توجبها .

• • •

كان موقف حزب مصر الفتاة وجماعة الاخوان المسلمين أقل شجاعة من موقف صدقي باشا . وبالنسبة لحزب مصر الفتاة ، فان التذبذب والانقسام في الرأي كان طابعه العام . فحين نشبت أزمة سبتمبر ١٩٣٨ ،

كتبت مصر الفتاة تقول : « يجب أن تعرف مصر ثمن وقوفها الى جوار انجلترا ، ولا ثمن هناك أقل من الجلاء المطلق عن أرض مصر اذا انتهت الحرب . فبعد الفراغ من الحرب لن يكون ثمة داع لوجود هذا الجيش ، اذ لم يكن وجوده في مصر حتى الآن الا اغتصابا ، ويجب أن يرجع السودان الى حظيرتنا ، حتى يصبح وادي النيل وحدة لا تتجزأ » ، ثم قالت : « يوم أن يعاهدنا الانجليز على ذلك ، يوم أن يوقع الانجليز لنا هذا العهد ، فعندها سوف يرون المصريين يندفعون الى ميادين القتال الى جوار انجلترا فرحين مستبشرين » (٣٦) . وفي أزمة مارس ١٩٣٩ ، أعلن حزب مصر الفتاة أنه « في حالة الاعتداء على أرضنا ، تدخل مصر الحرب الى جانب حلفائها محتفظة باستقلالها وحقوقها ، وأن يكون أعضاء مصر الفتاة أول من يحملون السلاح ويحاربون في الميدان دفاعا عن الوطن والعرش » (٣٧) . ولم يذكر شروطا أو ثمنا لهذا الاشتراك في الحرب ، كما فعل في الأزمة الاولى .

فلما بدت نذر الحرب العالمية الثانية في الثلث الاخير من اغسطس ١٩٣٩ ، كتب مصطفى الوكيل مقالا عنيفا وصف فيه معاهدة ١٩٣٦ بأنها عبء ثقيل ألقاه الجيل القديم على أكتاف مصر ليعرقل تقدمها ونهوضها ، وقال ان المصريين يجب ألا يققوا « بلهاء مكتوفي الأيدي » ازاء هذه المعاهدة ، « فوجب اذن أن نلقيها جانبا عند بحث موقفنا من الحرب القادمة ، وان نبحث وراء مصلحة مصر والبلاد العربية » . ثم قال : « ان سياسة انجلترا الآن وفرنسا معها في فلسطين والشرق الأدنى ، سياسة لا يرضى عنها مصري واحد أو مسلم واحد ، الا اذا كانت مصريته ادعاء واسلاميته خداعا ورياء . هذه السياسة العرجاء العوجاء التي تسير عليها انجلترا في فلسطين ، وفرنسا في سوريا ، يجب أن تحملنا على أن نقف ، على أقل تقدير في موقف عدم التعاون مع الانجليز والفرنسيين في الحرب المقبلة » . ثم قال : « لسنا نهدد أو نتوعد ، وانما نبحث خلف صالحنا

وصالح المسلمين ، ونرد على من أساءوا إلينا واعتدوا علينا » (٣٨) •
يبد أن هذا الموقف لم يلبث أن نقضه أحمد حسين بعد أسبوع
واحد ، وعلى نحو ذهب فيه إلى أبعد مما ذهب إليه أي حزب سياسي
آخر ، فقد أعرب عن إيمان حزبه « بضرورة الاشتراك في هذه الحرب
والاضطلاع فيها بنصيب كبير ، حتى ولو لم تدخل إيطاليا الحرب ، أو
دخلتها إلى جوار إنجلترا ، فحتى في هذه الحالة ينبغي علينا أن نشترك
في الحرب إلى جوار الانجليز ضد ألمانيا لنساهم في تحطيم هذه القوة
العشوم » • ثم برر هذا الكلام بقوله انه اذا انتصرت إنجلترا في الحرب
بمساعدة مصر والعرب ، فسوف يكون ذلك نصرا لمصر وللعرب وتحقيقا
لكل المطالب » ، « وذلك هو ما لا نشك فيه لحظة واحدة » ! (٣٩) •

ومن العسير في الواقع أن تتصور وجود رأيين على طرفي تقيض
على هذا النحو في حزب واحد ، دون أن يقسمه ذلك على الفور إلى
حزبين متطرفين ، وخصوصا اذا كان الخلاف على مسألة خطيرة كمسألة
دخول البلاد الحرب أو عدم دخولها • واذا تذكرنا أن الرأي الذي أدلى
به مصطفى الوكيل ينسجم مع موقف حزب مصر الفتاة منذ البداية بالنسبة
لقضية الديمقراطية ومعسكر الديمقراطية على السواء ، وأن الرأي
الذي أذاعه أحمد حسين يتناقض مع أيديولوجيته ومواقفه السابقة
واللاحقة ، خصوصا وقد نحى هذا المنحى المتطرف ، فقد يحملنا هذا على
تقرير أن الدافع وراء اتخاذ هذا الموقف هو الخوف من الآثار التي تترتب
على اتخاذ غيره (رأي مصطفى الوكيل) في وقت تفرض فيه ظروف
الحرب اجراءات أمن استثنائية قد تلحق بالحزب أفدح الاضرار •

• • •

أما موقف الاخوان المسلمين من الحرب، فكان محسوبا بدقة
ومشوبا بالحدر الشديد • وقد تحاشوا فيه التناقض الصارخ الذي وقع

فيه حزب مصر الفتاة • فبينما أوضحوا عدم تأييدهم لمعاهدة ١٩٣٦ ، الا أنهم رأوا أن تنفي مصر بالتزاماتها دون زيادة ، ثم أيدوا دخول مصر الحرب اذا اعتدي على اراضيها • وهذا الموقف عبر عنه حسن البنا في مذكرته التي قدمها الى علي ماهر باشا بعد اعلان الحرب وقال فيها : « ان موقف مصر الدولي يجب أن يكون واضحا صريحا ، ويجب ألا تتورط الحكومة في شيء لا شأن لها فيه ولا صلة لها به • انا أمة مستقلة تمام الاستقلال بحكم القانون الدولي ، وبيننا وبين انجلترا معاهدة تحالف ، قبلها من قبلها تحت ضغط ظروف وأحوال خاصة ، لا على أنها غاية ما ترجوه مصر ، ولكن على أنها خطوة في سبيل تحقيق الأهداف المصرية السامية • وتقضي المادة (٧) من هذه المعاهدة على أن مساعدات مصر لانجلترا انما تكون في داخل البلاد المصرية ومحصورة في حدود معينة ، ولقد ظلت مصر وفية كل الوفاء بهذه التعهدات ، وعملت في ذلك أقصى ما يمكن أن يعمل ، فكل زيادة على هذا لا يمكن أن يقبلها مصري أيا كان لونه الحزبي أو السياسي • وكل زيادة على هذا تفريط وتضييع لحقوق هذا الوطن وجناية على هذه الأمة الناهضة الفتية • فالأخوان المسلمون ، وهم الذين يرون في المعاهدة المصرية الانجليزية اجحافا كبيرا بحقوق مصر واستقلالها الكامل ، يريدون من حكومة مصر ألا تتجاوز هذه الحدود المرسومة على ما فيها من اجحاف بأية حال ، ومهما كانت الدوافع اليه، وان تنتهز كل فرصة للاستفادة من الظروف الحاضرة وتكسير القيود والأغلال التي تقيد حريتنا واستقلالنا وحقوق نهضتنا ، فان اعتدت علينا أية دولة ونحن في أرضنا ، فكل شبر من مصر الغالية فداؤه الدماء والأرواح والأموال والأبناء » (٤٠) •

• • •

كان المعسكر الثاني هو معسكر أحزاب الاقلية ، ونعني به معسكر

السعديين والأحرار الدستوريين ، لأن حزب الاتحاد الشعبي كان قد أصبح اسما على غير مسمى (٤١) . وبالنسبة لهذين الحزبين ، فإن مسألة دفاع مصر عن نفسها اذا غزيت أراضيها لم تكن موضع خلاف اطلاقا . وقد ظهر ذلك منذ أزمة سبتمبر ١٩٣٨ ، فقد أعلن محمد محمود باشا في مجلس النواب أنه « اذا دعت الظروف مصر الى القيام بتعهداتها الدولية، فستقوم بها . ولن يتردد الشعب المصري في اجابة داعي الوطن للدفاع عن سلامته ، بما عرف عنه من صدق العزم وقوة الايمان » (٤٢) . وكذلك كان موقف السعديين من هذه الأزمة ، وكانت وجهة نظرهم - كما عبر عنها العقاد - أن مصر عليها العبء الاكبر في الدفاع عن نفسها : « علينا أن نستعد على اعتبار واحد ، وهو أننا أصحاب النصيب الأول في حماية بلادنا والدفاع عن حدودنا داخل أراضيها ، وعلى الحليفة او الحلفاء بعد ذلك بقية المجهود » (٤٣) . وكان السعديون واثقين من ان الحرب لو قامت فسيكون النصر للمعسكر الديموقراطي، لأن هذا المعسكر - كما كانوا يرون - أقدر على مواصلة الحرب من المعسكر الدكتاتوري : « ان المسألة في الحروب لا تعدو أن تكون مسألة عدد وثروة وموارد طبيعية وسلاح وتضامن بين المحكومين والحاكمين ، بحيث لا يخشى منهم غزو أو انتقاض . فأين هذه القوة التي تضارع فرنسا وانجلترا وروسيا والولايات المتحدة ومعهم الصين في اتساع آفاقها ووفرة مواردها ، ومعهم غير الصين أمم كثيرة متوسطة أو صغيرة في العدد والعدة ؟ » (٤٤) . وقد حذر بعض شباب السعديين في هذه الأزمة ، ممن كانوا يتلقون دروسهم في فرنسا ، من أن تقف مصر « موقفا سلبيا في الحرب ، كما حدث في سنة ١٩١٤ » ، « بل ينبغي في حالة اشتراك مصر في الحرب ، كحليفة لانجلترا، أن يكون اشتراكها فيها كدولة محاربة . وفي هذه الحالة يجب على الحكومة أن تعلن التعبئة العامة » (٤٥) .

وقد انقسم الأحرار الدستوريون فيما بينهم ، كما انقسم السعديون كذلك ، حول مسألة الحرب الهجومية . وقد ظهر ذلك في موقفهم من ميثاق سعد آباد ، الذي كان يضم أربعة من دول الشرق الاوسط ، هي : تركيا والعراق وايران وافغانستان ، والذي أوعزت به إنجلترا . ذلك أن هذا الانضمام كان يترتب عليه دفع القوات المصرية مئات الأميال بعيدا عن أراضيها للدفاع عن أية دولة من دوله يعتدى عليها (٤٦) . ويقول الدكتور هيكل ان من الوزراء الدستوريين من قبله ، وكان منهم من رفضه . وكان من الوزراء السعديين من قبله ، وكان منهم من رفضه . وان رئيسي الحزبين كان يبدو ميلهما للانضمام الى الميثاق ، ولكن محمد محمود باشا استبعد الموضوع من جدول أعمال مجلس الوزراء حين تساوت أصوات القبول والرفض قبل أن يدلي هو بصوته (٤٧) .

وقد استمر هذا الموقف حتى قامت الحرب العالمية الثانية ، وكان السعديون وحدهم يشتركون في وزارة علي ماهر باشا ، فأبدى محمود فهمي النقراشي باشا ، عن حزبه ، رأيه بالاشتراك في الحرب (٤٨) . وهي حرب هجومية كما رأينا . كما أعلن الدكتور أحمد ماهر في ذلك الحين رأيه باعلان الحرب على ألمانيا (٤٩) . أما الأحرار الدستوريون ، فلم يفصحوا عن رأيهم في ذلك الحين ، وحذوا حذو الوزارة في التريث والانتظار ، ذلك أنهم كانوا خارج الحكم .

• • •

أما الوفد ، فواضح من حديث للنحاس باشا في شهر نوفمبر ١٩٣٧ أدلى به لمراسلة احدى وكالات الأنباء الأجنبية ، أن الصورة القائمة في ذهنه في حالة حدوث اعتداء من ناحية ليبيا ، أن يدافع الجيش المصري عن البلاد ، وتساعد في ذلك القوات البريطانية . « سيحارب أولئك الجنود (الانجليز) معنا بصفة حلفاء لنا اذا طرأ طارئ كهذا » . وقد

فرق في هذا الحديث بين هدف مصر من الحرب وهدف بريطانيا فقال :
« اذا حاربت مصر فستحارب دفاعا عن سلامة أراضيها ، وستحارب
بريطانيا العظمى دفاعا عن سلامة امبراطوريتها » (٥٠) •

فلما وقعت الأزمة العالمية في سبتمبر ١٩٣٨ ، لم تتحدث إحدى
الصحف الوفدية عن مسألة دخول مصر الحرب ، على الرغم مما كانت
تهاجم به الحكومة لاهمالها اتخاذ اجراءات الدفاع عن البلاد • والفرق
بين الموقفين ان النحاس باشا عندما أدلى بتصريحه السابق ، كان في
الحكم ، وكانت علاقته مع انجلترا على ما يرام ، ولكن في سبتمبر ١٩٣٨
كان في المعارضة ، وكانت علاقته بانجلترا على درجة كبيرة من سوء •
ومع ذلك فعندما تحدث صدقي باشا عن ابرام معاهدة عدم اعتداء بين
مصر وايطاليا ، اعتبرت الصحف الوفدية - كما بينا - أن هذا الاجراء
يعد انتهاكا لمعاهدة ٣٦ التي رأت أنها تلزم مصر بالمساعدة داخل أراضيها
سواء أكانت الحرب التي ستخوضها انجلترا دفاعية أم هجومية •

وقد اتضح موقف الصحف الوفدية من مسألة الحرب الدفاعية عندما
قدم المارشال بالبو الي مصر في مايو ١٩٣٩ ، فقد انتقدت هذه الصحف
زيارة المارشال ، وهاجمت تصريحاته التي أعرب فيها عما « ينعم به
مسلمو طرابلس تحت الحكم الايطالي » • وكان مما قالته انه اذا تصور
بالبو أن خصومة المصريين مع بريطانيا سوف تجعلهم يرتمون في أحضان
ايطاليا ، فانه يكون مخطئا ، وهو على ما نظن يعرف أن المصريين على
استعداد لأن يريقوا دماءهم الى آخر قطرة في سبيل الدفاع عن استقلال
بلادهم ، أيا كان المعتدي » (٥١) •

ويمكن القول ان موقف الوفد كانت تتنازعه جملة عوامل : أولها
تأييده لقضية الديمقراطية ، والثاني عداوته للاستعمار ، والثالث كراهيته
للفاشية • فلقد كانت انجلترا دولة ديموقراطية ، ولكنها كانت دولة
استعمارية أيضا ، لهذا كان الوفد يشدد الهجوم عليها بسبب ما كان

يعتبره تأييدا منها للحكم الاوتوقراطي في مصر ويعتبر أن الحكومة القائمة مدينة بمقاعدها للنفوذ البريطاني • ولكنه من جانب آخر كان يكره المعسكر الفاشي بدرجة أكبر ويدرك مدى الخطر الذي يحيق بمصر في حالة انتصاره ، ولهذا كان يرى ضرورة وقوف مصر الى جانب المعسكر الديموقراطي •

ولقد كان العامل المسيطر على الوفد قبل إعلان الحرب العالمية الثانية ، هو عامل العداء لبريطانيا الاستعمارية • ففي خطاب للنحاس باشا في الاسكندرية يوم ١٦ يولية ١٩٣٩ ، قال : « على من يعتمد أولئك الحكام في تطويق الشعب بكل هذه الأطواق وتكليفه ما لا يطاق ؟ ان عمادهم على الذين يتغنون بالديموقراطية ويتشدقون بالعدالة والمساواة ونشر لواء الحرية بين الشعوب •• هم أولئك الانجليز الذين رأوا في « الحكم الصالح » بقرة حلوبا تجلب لهم الخير الجسيم والنفع العميم ، فنقضوا ما أبرموا ، وأنكروا ما وقعوا ، وأخذوا باليسار ما أعطوه باليمين • وكما فعلوا بمصر فعلوا بفلسطين الشهيدة المستبسة ، فقسموها باسم الانتداب تقسيما هو القضاء عليها والفناء لها • ولما رفضت ما فرضوه عليها أخذوا يسومونها سوء العذاب •• ، يفعل الانجليز هذا في مصر وفلسطين ، ثم لا يتورعون عن أن يتغنوا بالحرية ويعزفوا لحن العدالة والمساواة » (٥٢) •

وقد انفجر عداء الوفد للانجليز عندما سقطت وزارة محمد محمود باشا وألف علي ماهر باشا وزارته على أنقاضها • وكانت الأنباء قد استفاضت قبل ذلك في الصحف الوثيقة الصلة بعلي ماهر باشا عن الاتفاق الذي عقده في لندن مع اللورد هاليفاكس أثناء حضوره مؤتمر المائدة المستديرة ، وكان معروفا أن علاقاته بالسفير البريطاني قد توطدت بعد تحالفهما ضد البنداري باشا • فقد اعتبر الوفد اعتلاء علي ماهر باشا الحكم ثلاثة الأثافي بعد أن تحمل المصريون من حكم محمد محمود باشا

ما تحملوا ، ونشأ في ذلك الحين اتجاه خطير في الوفد نحو عدم الاعتراف بالمخالفة ، فقد كتبت المصري تقول : « اذا ما كانت السياسة الانجليزية موجهة ضد حرية الشعب المصري وكيان الشعب المصري ، حتى انه اذا ما بدأ الانقلاب الحالي يتهدم أركانه ، قام الانجليز يسندونه ويدعمونه ، نقول اذا ما كانت هذه سياسة الانجليز وسارت على هذا المنوال ، فانا نقولها كلمة صريحة هي انه يخشى من السير في هذه السياسة ولو خطوة واحدة أمران خطيران : أولا - أن يبدد جو الصفاء والتحالف بين الشعبين ، وينتقل شعور الاستياء من عدم تنفيذ المخالفة ، الى المخالفة ، ثم الى الحليف . ثانيا - انه اذا قامت الحرب ، وهي الحرب المدمرة الهائلة ، فلن يجد الشعب من روحه المعنوية دافعا يدفعه الى الاستبسال والتضحية ، وفي هذا الخطر كل الخطر في الحروب الحديثة التي تتكون الجيوش فيها من الشعوب ، وتستمد قوتها من روحها المعنوية . ان خطة الوفد ليست موجهة ضد المعاهدة ، اذ من الخبل أن يحارب الوفد عملا من صنعه ، بل من مفاخره - ولكنها موجهة الى اساءة تنفيذ المعاهدة والى تدخل حلفائنا الديموقراطيين ضد الديموقراطية المصرية والاستقلال المصري » (٥٣) .

وقد هدد النحاس باشا الانجليز في خطابه الذي ألقاه في الاسكندرية يوم ١٣ اغسطس ١٩٣٩ قائلا : « بيننا وبينكم معاهدة ، فاذا كانت تنفذ حسب نصوصها ، وعلى قدم الاخلاص والمساواة ، واعطاء كل ذي حق حقه ، فأهلا بها ومرحبا ، والا فلا كانت مخالفة ، ولا كانت صداقة ، اذا كان من ورائها الجوع والعري والدمار لمصر ، والغنم والكسب لكم وحدكم » . ثم مضى النحاس باشا في كلامه خطوة أخرى ، فهدد المعسكر الديموقراطي كله قائلا : اذا استمر الانجليز على هذا الارهاق لمصر وفلسطين ، وأصرت فرنسا صديقتهم على ما تفعله في سوريا ، فلا يلبثون أن يجدوا من بلاد الشرق والغرب جميعا قوة تتألب عليهم ، واتحادا لا

يستهان به يدافع عن مصالحهم وكيانهم .. أيها الانجليز ! إما صداقة وصفاء ، وإما جفاء وعداء . فاختاروا لأنفسكم ما تريدون » (٥٤) •

وكانت جريدة المصري قد عبرت منذ أزمة مارس ١٩٣٩ عن تمزق الوفد بين تأييده لقضية الديمقراطية من جانب ، وعداوته لانجلترا الاستعمارية من جانب آخر ، فقالت : « ليس ينكر أحد من المصريين أننا مرتبطون بمحالفة يقضي الشرف علينا بالمحافظة عليها، ولكن كيف يمكن أن ندخل الحرب اذا كان حلفاؤنا ينقضون العهد نقضا ويستخفون بالمعاهدة بندا بندا ؟ نحارب للدفاع عن الديمقراطية التي يحارب حلفاؤنا من أجلها ، والديموقراطية في بلادنا شوهت وجني عليها ، ألا يصح للمصريين أن يعودوا الى ضمائرهم فيسألوا هذا السؤال الخطير ؟ » (٥٥) •

على أن المسألة في الحقيقة كانت أكبر من العلاقات بين مصر وبريطانيا ، فقد كانت مسألة الخيار بين الديمقراطية والفاشية، ولهذا فحين أعلنت الحرب العالمية بعد نصف شهر تقريبا من خطاب النحاس باشا الذي توعد فيه الانجليز والمعسكر الديموقراطي كله ، لم يتردد الوفد في ابتلاع تهديداته السابقة ، فكتبت المصري تقول ان مصر ستكون مع حليفها انجلترا في هذا الموقف الدقيق ، قلبا وقالبا ، وانها ستكون وفية لعهدا ، مؤيدة بكل قوتها الديمقراطية ضد الدكتاتورية ، مدافعة عن كيانها ووطنها » (٥٦) • وفي مقال آخر قالت : « ان مصر انما وقعت من الحرب القائمة موقفها المعروف دفاعا عن الحق ضد أساليب العنف والقوة، وهي تصدر في هذا عن مبدأ قبل أن تصدر عن مصلحة » ، ثم قالت : ان الايمان بالديموقراطية هو الذي بعث المصريين على النفور من الهلرية (٥٧) •

تسليح الجيش المصري وبنائه

رأينا كيف أحججت وزارة علي ماهر باشا عن اعلان الحرب الهجومية على ألمانيا لأنها تتطلب موافقة البرلمان ، واستعرضنا موقف الأحزاب والفرق السياسية المختلفة من دخول الحرب ، وكلها قد أجمعت — بما فيها الأحزاب الفاشية كمصر الفتاة والايخوان المسلمين — على دفاع مصر عن نفسها اذا غزيت أراضيها • وبناء على ذلك أخذ علي ماهر باشا يستعد للحرب الدفاعية بالعمل على تسليح الجيش المصري وبنائه •

وقصة تسليح الجيش المصري على يد بريطانيا بعد معاهدة ١٩٣٦ ، من القصص الشائقة التي تبين بوضوح مدى اخلاص بريطانيا في تنفيذ المعاهدة • وتتكون من حلقات ثلاث : الأولى ، من ابرام معاهدة ١٩٣٦ الى لشوب أول أزمة عالمية في سبتمبر ١٩٣٨ ، وكانت سياسة بريطانيا وضع العقبات والعراقيل في سبيل التسليح • والثانية ، من الأزمة العالمية المذكورة الى صيف عام ١٩٤٠ ، وكانت سياستها امداد الجيش المصري بكل ما تستطيع من سلاح ومهمات وتدريب • أما الثالثة ، وهي ما تلي ذلك ، فكانت سياستها استرداد الاسلحة التي أمدت بها الجيش المصري •

وكنا قد ذكرنا أن تسليح الجيش المصري ووصوله الى درجة الأهلية للدفاع وحده عن القنال ، كان هو الشرط الذي اشترطته معاهدة ١٩٣٦ لجلاء القوات البريطانية عن مصر • ولهذا فقد اتجهت سياسة الوزارة الوفدية بعد ابرام المعاهدة مباشرة الى العمل على رفع عدد الجيش المصري ، الذي لم يكن يزيد على اثني عشر ألف جندي وصف ضابط وستمائة ضابط تقريبا ، الى عشرين ألفا — وبمعنى آخر تكوين فرقة على نظام الجيوش الحديثة تكون نواة للجيش المصري (٥٨) • ونظرا لأن هذا الجيش لم يكن مسلحا الا بالبنادق فقط ، عدا ٢٦ مدفعا فقط من طراز

«هاوتزر» ، كما أنه لم يكن يحوي شيئاً من الأسلحة الحديثة كالبرن والهاون والمدافع الكبيرة وغير ذلك من المعدات الميكانيكية واللاسلكي والذخائر والمهمات الواجب توافرها لجيش حديث - فقد كانت المشكلة الأولى في نظر الحكومة الوفدية هي مشكلة تسليح الجيش (٥٩) .

على أن حل هذه المشكلة لم يكن بالسهولة المرغوبة ، فقد كان يعوقه ضخامة تكاليف الطرق والشحنات التي حرصت بريطانيا على تحميلها لمصر لتعطيل بناء جيشها بالسرعة المطلوبة . وقد أدركت الحكومة الوفدية ذلك متأخرة ، ففي تصريح لمصدر مسئول في وزارة الحربية المصرية في ذلك الحين قال : لولا هذه الأعباء السالفة الذكر ، « لاستطعنا في خلال سنة أو سنتين أن يكون لنا جيش قوي كامل العدد والآلات » (٦٠) .

على أنه لما كانت الحكومة الوفدية تعلق أهمية كبيرة على بناء الشحنات ، للاسراع في اجلاء الجنود البريطانية عن مدن القطر ، فقد كانت المشكلة المعويصة في ذلك الحين هي مشكلة التوفيق بين هذين الهدفين ، والوفاء بهذين الالتزامين في وقت واحد .

وهذا في الواقع سبب الدعوة التي ظهرت في ذلك الحين لفتح باب الاكتتاب للجيش المصري ، وهو الاكتتاب الذي وقفت منه الارستقراطية المصرية موقفاً مخزياً للغاية ، إذ تضاعلت حجم التبرعات لحد كبير ، وبلغ الأمر أن بعض ذوي الثراء الفاحش ، مثل السيدة هدي شعراوي والأمير عمر طوسون ، رفض التبرع بحجة عدم الموافقة على المعاهدة (٦١) .

على أن موقف بريطانيا لم يلبث أن دل على سوء النية . فقد حرصت على ألا تقدم لمصر إلا أرواً أنواع الأسلحة ، والا الأنواع التي يريد أن يتخلص منها الجيش البريطاني . فقد طلبت مصر ، على سبيل المثال ، من أحد المصانع البريطانية ثمانى عشرة طائرة حربية ، فلم يصلها الا ست طائرات فقط ، ولم يكبد يمضي اسبوع واحد حتى تحطمت اثنتان منها ، وثبت من الفحص الفني أن عيوباً فنية في الطائرات تجعلها تدور

حول نفسها عند هبوطها فتميل على أحد جانبيها وتتحطم • وكان ثمن هذه الطائرات الست ٤٢ ألف جنيه ، ومع ذلك أخطر المصنع وزارة الحربية بأنه لن يستطيع اجابة اكثر من ١٠ في المائة مما تطلبه منه الحكومة المصرية ، لأنه مشغول (٦٢) • ولم يقتصر الأمر على ذلك، فقد لاحظ الفنيون المصريون أن الأسلحة التي تصل الى الجيش المصري، هي من الأسلحة التي عدل الجيش البريطاني عن استعمالها لظهور ما هو أحدث منها وأكثر صلاحية • وعلى سبيل المثال، فإن الدبابات التي بيعت لمصر كانت لا تحمل غير سائق ومدفعي، فإذا أصيب أحدهما بطل عمل الدبابة • كما أن بعض أنواع المدافع التي وردت للجيش المصري قد عدل أيضا عن استعمال بعضها لظهور ما هو أجدي منه، وبعضها الآخر كان قصير المدى - الى غير ذلك من العيوب • وقد دفع ذلك جريدة الأهرام الى مناشدة الحليفة في ذلك الحين « أن تقابل اخلاص مصر بما يماثله ، وأن تكون الصلة بينهما قائمة على الثقة المتبادلة والتعاون الصحيح (٦٣) •

• • •

على أن سياسة الحكومة البريطانية ازاء تسليح الجيش المصري لم تلبث ان تغيرت بعد أزمة سبتمبر ١٩٣٨ العالمية • وخصوصا بعد أن ظهر من سياسة محمد محمود باشا تسليمه بفكرة اشتراك مصر في الحرب اذا اعتدي على أراضيها ، وهو ما أكدته في أزمة مارس ١٩٣٩ حين أعلن في مجلس النواب أنه يقبل توحيد قيادة الجيشين الانجليزي والمصري في حالة الحرب ، وان تكون القيادة لأقوى الدولتين ، متذعرا بأن إنجلترا تركت قيادة الجيشين الانجليزي والفرنسي في الحرب العظمى لقائد فرنسي دون أن تجد غضاضة في ذلك (٦٤) • فقد أدركت الحكومة البريطانية أن تقوية الجيش المصري انما هو لصالحها بالدرجة الأولى، لأنه سيكون عضدا قويا يساعدها في الحرب ، ويحمل عنها بعض الأعباء •

ولهذا غيرت سياستها من ناحية تسليحه .

ففي ظروف أزمة سبتمبر ١٩٣٨ ، أعدت وزارة محمد محمود باشا مشروع خمس سنوات ضخما للنهوض بالجيش المصري ، أقره مجلس الدفاع الأعلى ، وبلغ مجموع نفقاته ثمانية وأربعين مليوناً من الجنيهات . وقد تقرر في هذا البرنامج الكبير زيادة عدد الجيش ليبلغ خمسين ألفاً ، وزيادة سلاح الطيران ليبلغ عدد طائراته ٣٨٠ طائرة حربية من مختلف الأنواع ، عدا ٤٧ طائرة للتعليم . وأما الأسطول البحري ، فقد رأت وزارة الحربية أن تبدأ بشراء قطع للدفاع عن السواحل ، منها باخرة واحدة للحراسة ، وأربع من قاذفات الطوربيد ، وأربع من لاقطات الألغام . كما تقرر إنشاء مصنعين ، أحدهما للذخيرة ، والثاني للأسلحة الصغيرة (٦٥) . وقد وافقت الحكومة البريطانية على إطلاق الحرية لمصر في استيراد الأسلحة التي تريدها للجيش المصري من غير مصانع إنجلترا ! نظرا لانشغال هذه المصانع في اجابة مطالب الوطن بسبب توقع نشوب الحرب . وبناء على ذلك اتفق حسن صبري باشا عند زيارته لمصانع فرنسا على استيراد ١٢٠ مدفعا من مدافع « المورتر » (٦٦) . وفي مايو ١٩٣٩ ، قررت وزارة محمد محمود باشا إعادة تنظيم البعثة العسكرية البريطانية وزيادة عدد أعضائها ، نظرا للتوسع الذي طرأ على الجيش ، فأصبح عدد أفرادها ١١٩ عضوا بدلا من ٩٣ (٦٧) . وقد ترتب على كل ذلك أن قطع الجيش شوطا لا بأس به في تسليحه ، ففي الأسبوع الاول من أبريل ١٩٣٩ كتبت النيويورك تايمز تقول ان مصر قد أصبح لديها ثلاثون ألف جندي ، وفرقة من الدبابات مجهزة أحسن تجهيز ، ووحدات ميكانيكية ، وقوة جوية . وقالت الصحيفة ان هذه القوات كلها تزيد شهرا بعد شهر (٦٨) .

وعلى هذا النحو ، عندما تسلم علي ماهر باشا زمام الحكم في سبتمبر ١٩٣٩ ، كان الجيش المصري يعد للاشتراك في الحرب الى جانب

الانجليز . ومن هنا كان اللورد ولسن ، كما ذكرنا ، يتوقع أن يحارب تحت قيادته (٦٩) . ولكن الوزراء المصريين عدلوا عن اعلان الحرب الهجومية للاسباب التي بينها ، فكان الاتجاه اذن الى الحرب الدفاعية اذا تخلت ايطاليا عن حيادها واشتركت في الحرب الى جانب الألمان . وهذا ما استقر عليه رأي الوزارة ، وما ظلت عليه حتى زحزحتها عنه هزيمة فرنسا وتسليمها في يونية ١٩٤٠ .

ولعل هذا يفسر أن التعاون بين الجيشين المصري والبريطاني في عهد علي ماهر باشا قد بلغ مدى لا يتحقق الا بين جيشين يقاتلان جنبا الى جنب فعلا ، وحتى كتبت جريدة «الديلي تلغراف» تقول : « ان مصر على اكتفائها رسميا بقطع العلاقات الدبلوماسية مع ألمانيا ، قد تصرفت بالتام كما لو كانت في حالة حرب معها » (٧٠) . وقد دفع هذا الموقف جريدة « أوبسرفاتوري رومانو » الايطالية الى القول بأن سياسة مصر منذ ابتداء الحرب قد مكنت انجلترا من أن « تتنفع بمزايا التعاون الكامل بين الدولتين من الوجهتين العسكرية والاقتصادية » ، وقالت ان مصر تقف موقفا خاصا ، فهي لم تعلن الحرب على ألمانيا ، وفي الوقت نفسه لم تعلن حيادها ، وان تنفيذ المعاهدة الانجليزية المصرية يعد في حد ذاته عملا عدائيا لألمانيا من شأنه أن يؤدي الى أعمال لا يقوم بها في الواقع الا دولة تعد نفسها في حالة حرب مع ألمانيا (٧١) .

وفي الواقع أن الجيش المصري اشترك مع الجيش البريطاني في كل شيء تقريبا ، عدا الهجوم . فقد اشترك في المناورات الحربية على جميع الأسلحة ، واشترك في التدريب ، واشترك في أعمال الدفاع ، وبعد مضي شهرين تقريبا على ابتداء الحرب، أعلن الجنرال «مكريدي Macready» رئيس البعثة العسكرية البريطانية أن الدفاع الساحلي كله قد أصبح في أيدي الوحدات المصرية ، بعد أن كانت تقوم به القوات البريطانية البعثة . كما أعلن أن الوحدات المصرية تقوم بمهمتها خير قيام ، جنبا الى جنب مع

الوحدات البريطانية في الصحراء الغربية (٧٢) • وفي أول ديسمبر ١٩٣٩ كتبت المصور تقول ان القيادة البريطانية قد أصدرت أمرا لجنودها بأن يؤدوا التحية العسكرية للضباط المصريين ، كما أصدرت القيادة المصرية أمرا مماثلا • كما نظمت الاستعراضات العسكرية المشتركة في شوارع القاهرة والاسكندرية (٧٣) •

وفي الوقت نفسه لم يدخر علي ماهر باشا وسعا في تسخير موارد الدولة المالية في خدمة المجهود الحربي • فقد طالب بتعديل ميزانية الدولة بزيادة اعتماد الدفاع الوطني ٦٧٥ ألف جنيه ، فاعترض صدقي باشا على أساس أن هذه النفقات المطلوبة « انما ترجع الى طوارئ ليست من التزامات مصر بمقتضى المعاهدة ، وانما هي من التزامات الحليفة العظيمة » ، وأضاف انه يعتقد أن الحليفة « هي صاحبة المصلحة الاولى في مثل هذه الشئون ، وانها سوف تقوم بها على أكمل وجه ، بحيث يصبح لا لزوم للاعتمادات التي تطلب اليوم » • وقال : « يجب أن تكون الاعتمادات لتقوية جيش ثابت ، لا جيش طوارئ يعمل على عجل » (٧٤) • وعلى أثر ذلك نشرت الأهرام أن الدوائر المختصة ترى أنه في الوسع عقد قرض لشئون التسليح ، حتى لا تثقل النفقات التي تتطلبها هذه الشئون كاهل الميزانية • وبعد أسبوع واحد أكد حسين سري باشا ، وزير المالية ، ما نشرته الأهرام ، وصرح بأن المفاوضات تدور بين مصر وبريطانيا بشأن تبسيط نفقات التسليح » (٧٥) •

وفي ٥ ديسمبر ١٩٣٩ نوه عزيز المصري باشا بمجهود البعثة العسكرية البريطانية في تنظيم الجيش وتسليحه وتعليمه (٧٦) • وفي حديث لصالح حرب باشا ، وزير الحربية ، تعليقا على بعض المناورات التي اشترك فيها الجيش المصري مع الجيش البريطاني ، قال : ان القوات المقاتلة لدينا الآن قد استكملت تدريبها ، وفي استطاعتها أن تقاتل في خط الدفاع الأول (٧٧) • وفي ٧ مايو ١٩٤٠ أدلى علي ماهر باشا لجريدة

النيويورك تليمر بتصریح قال فیه : « سندافع عن أراضینا المقدسة دفاع الأبطال » ، وقد أصبح الدفاع عن مصر مضمونا « بتعاوننا الوثیق مع حلیفتنا بریطانیا » (٧٨) • وعندما وقع الاعتداء الألماني الجديد على بلجیکا وهولندا ولوكسمبرج ، سأل مندوب الأهرام علي ماهر باشا عن صدی هذا الاعتداء ، فقال : ان صداه هو زیادة الاستعدادات ومضاعفة النشاط فی الدفاع عن أنفسنا (٧٩) • وقد عبر مدیر الشؤون العامة بوزارة الدفاع فی ذلك الوقت عن مدى تعاون الجيشین المصري والبریطانی فقال: ان أركان الحرب فی الجيشین یعملان ویضعان الخطط الحریة كهیئة أركان حرب واحدة ، وهما الأول الدفاع عن مصر (٨٠) • وفی ٥ مايو ١٩٤٠ أعلن مراسل الديلی تلغراف فی الاسكندرية أن السلطات البریطانية العسكرية مرتاحة الى كفاية الجيش المصري ووحدات المدافع المضادة للطائرات التي تحتاج الى دقة عظيمة ، ورجال المدفعية الذین أظهروا مهارة فائقة (٨١) •

وهكذا كان كل شيء يدل فی وضوح على أن مصر كانت متجهة الى الدخول فی الحرب اذا وقع اعتداء على اراضيها •

ب - مذكرة الوفد المصري في أول ابريل ١٩٤٠

السيطرة البريطانية على اقتصاديات البلاد

رأينا كيف شاعت ارادة بريطانيا أن يتم تنفيذ المعاهدة في وقت الحرب في ظل الأحكام العرفية ، في الوقت الذي لم تعلن هي نفسها فيه هذه الأحكام في بلادها أو في مستعمراتها . وقد كان الغرض من ذلك أن تملك يدا مطلقة على مصر في كل ما يتصل بشئونها السياسية والاقتصادية والعسكرية . وبينما كان علي ماهر باشا يتفانى في تنفيذ المعاهدة نصا وروحا، كانت انجلترا تستغل ظروف الحرب لتحقيق مصالحها الاقتصادية على حساب مصر . وقد تمثل ذلك بصفة خاصة في مسألة القطن ، التي أثارت غضب البورجوازية الكبيرة وجماهير الفلاحين .

وكان قيام الحرب قد ترتب عليه توقف بيع كميات الأقطان التي كانت تصدرها مصر الى ألمانيا - وفيما بعد الى البلاد التي احتلتها - ، مما أدى بطبيعة الحال الى تكديس بالات القطن في مصر وتهديد البلاد في محصولها الرئيسي . وكان من المتوقع، ومن المأمول أن الحليفة سوف تبادر الى شراء كميات الأقطان التي كانت مصر تصدرها الى بلاد الأعداء، فتحمي أسعاره من الهبوط، وتبرهن على تقديرها للمحالفة وما تؤديه مصر من خدمات ، ولكن الحليفة الكبيرة آثرت في تلك الآونة ، وآثرت بيوت المال فيها ، أن تنتهز الفرصة للكسب غير المشروع على حساب مصر ، وفرض سياسات بعينها على البلاد .

فلقد حالت أولا بين مصر وبيع الفائض من أقطانها الى البلاد

المحايدة ، بحجة « عدم المساس بالضغط الاقتصادي أو الحصار التجاري ضد ألمانيا » ، ولم تقبل الا تصدير مقادير القطن التي صدرت في العام السابق الى تلك الدول ، حتى لا تذهب بطريق مباشر الى أيدي الاعداء . ولم تكتف بذلك ، بل عمدت في كثير من الأحيان الى ترك مقادير القطن المصري في الميناء مدة طويلة دون أن تسمح بتصديره بأي حال الا باذن الأميرالية البريطانية . ولم تقتصر هذه التصرفات على القطن ، بل تعدته الى المحاصيل الأخرى كالأرز والعدس والذرة ، مما أدى الى أن فقدت مصر أسواقها في الخارج وهبطت أسعار القطن الى ما دون العشرين ريالاً بكثير ، وكسدت سوقه وسوق الأصناف الأخرى بعد أن استغنت عنها البلاد المحايدة .

وبينما كانت هذه سياسة بريطانيا في مصر ، كانت سياستها في البلاد المحايدة تختلف لحد كبير . وكانت هذه البلدان المحايدة ، مثل أمريكا وإيطاليا وتركيا ، قد انتهزت فرصة ظروف الحرب ووقوفها على الحياد ، في الاثراء وتصريف كل ما لديها بأحسن الأسعار . وفيما يختص بأمريكا بالذات ، فقد أفادت من حيادها في مضاعفة صادراتها من محصول القطن الى البلدان المحايدة الأخرى ، دون أن تفرض عليها انجلترا بطبيعة الحال ما تفرضه على مصر من قيود . فقد بلغت صادرات القطن الأمريكي الخام الى البلدان المحايدة في المدة من سبتمبر الى نوفمبر ١٩٣٩ أضعاف ما كانت عليه في السنين السابقة ، مثال ذلك أن صادرات القطن الأمريكي الى أسوج في تلك الفترة زادت أربعة أضعاف ما كانت عليه في مثلها من عام ١٩٣٨ ، وزادت في النرويج الى الضعف ، وفي هولندا الى أكثر من ثلاثة أضعاف ، وفي يوغوسلافيا الى ما يقرب من خمسين في المائة ، وفي المجر الى عشرين ضعفاً . وبينما انخفضت أسعار القطن في مصر الى ما دون العشرين ريالاً بكثير ، فقد زادت في الأسواق الخارجية ، كسويسرا وغيرها الى ٣٥ ريالاً للقنطار ، وارتفعت أسعار القطن الأخرى

التي هي دون القطن المصري مرتبة وجودة الى ٣٠ ريالاً تقريباً .
وفي الوقت الذي كانت أسعار القطن المصري تنخفض وتكسد
تجارته في مصر، بينما ترتفع في الخارج وتروج ، وفي الوقت الذي
كانت مصر تخسر من حيادها لتدخل إنجلترا ، على حين تكسب الدول
الأخرى من هذا الحياد — كان المصريون يرون العجيب من سياسة
إنجلترا في نواح اقتصادية أخرى ، فقد رأوها تعاون رومانيا ، التي لم
تكن حليفة لها ، باقراضها بنحو ٦٠ مليوناً من الجنيهات ، كما عاوت
تركيا قبل ان تتعاهد معها وأقرضتها مثل هذا المبلغ . كما عاوت الهند
وأقرضتها ٣٧ مليوناً من الجنيهات . وقد فعلت ذلك مع تلك الأمم ، بينما
اتخذت موقفها السالف الذكر من مسألة القطن في مصر ، فلا هي اشترت،
ولا هي تركت الآخرين يشترون .

وفي الحق أن الاحتكارات الانجليزية في ذلك الحين كانت تعتصر
الفرصة التي أتاحت لها بمقتضى الحرب ، حيث أصبحت تتحكم في ثروة
البلاد الرئيسية لا شريك لها فيها . فبعد أن اخذت إنجلترا تتباطأ تباطؤاً
مؤلماً ، وتظهر تردداً كبيراً في أمر شراء القطن المصري، أو على الأقل
شراء الكميات التي تعادل ما كانت مصر تستطيع بيعه الى بلدان الأعداء
أو البلدان المحايدة ، الأمر الذي أغضب المصريين غضباً شديداً — عادت
فأعلنت استعدادها لشراء حوالي مليون ونصف مليون قنطار من القطن
بأسعار هي — على حد تعبيرها — أعلى بكثير من المستوى السابق للحرب!
أو كما قالت : « طبقاً لاسعار يوم ١٥ نوفمبر ١٩٣٩ » ، وهي تتراوح بين
١٢ر٢٧ ريالاً للأشموني ، و١٣ر٢٩ ريالاً للجيزة سبعة ، و١٤ر٤١ ريالاً
للسكلاريدس ، متناسبة ما أحدثته الحرب من ارتفاع كبير في الأسعار .
ولم تكتف بذلك، بل اشترطت لشرائها بهذه الأسعار الموافقة على نظام
الحصص ، وهو النظام الذي رفضته مصر من قبل لأنه يكبلها ويكبل
اقتصادها القومي بأغلال من حديد (٨٢) .

ولم يقتصر الأمر على القطن، بل تعداه الى بذرة القطن ، التي هبطت أسعارها حتى وصلت بعد شهرين من قيام الحرب الى أدنى متوسط أسعارها في السنوات الخمس السابقة . وكان السبب في ذلك أن وزارة التموين البريطانية ، التي وضعت يدها على معاصر بلادها، قد حددت ثمن الطن من البذرة بسعر ١٢٧ شلنا و ٦ بنسات، يتحمل البائع منها مصاريف الشحن التي جعلتها الحكومة البريطانية بسعر ٢٥ شلنا للطن، داخلا فيها مصاريف التأمين عليها . وبهذا أصبح صافي سعر البذرة ٥٣ قرشا للأردب فقط - أي بعجز قدره ٢٧ قرشا عن السعر الذي ينبغي أن يباع به دون أي سبب غبنا للمنتجين . وبهذا السعر البخس، وعن طريق احتكار هذا الصنف لبلد واحد ، بل لمستهلك واحد هو الاتحاد الانجليزي الذي يشتري لجميع المعاصر الانجليزية ، اشترت انجلترا أكثر من مائة ألف طن من مجموع ما تصدره مصر الى الخارج وقدره نحو ٣٥٠ ألف طن (٨٣) .

ولقد كان من الطبيعي ان تسبب هذه السياسة ارهاقا شديدا لقطاعات عريضة في المجتمع المصري، تتدرج الى الأسفل من كبار الملاك الزراعيين والتجار المصدرين ، الى الفلاح المصري الذي كانت ترتفع تكاليف انتاج محاصيله وتتصاعد أيضا أسعار حاجاته ، بينما تنخفض في الوقت نفسه أسعار أقطانه ومحاصيله بفعل السيطرة الانجليزية الاقتصادية .

فاذا اضمنا الى ذلك خضوع البلاد لوطأة الأحكام العرفية ، وانتعاش الاحساس بوطأة الاحتلال بسبب تدفق القسوات البريطانية والاسترالية والنيوزيلاندية والهندية المستمر على مصر ، فإن هذا يفسر أسباب تقديم الوفد مذكرته المشهورة الى الحكومة البريطانية في أول ابريل ١٩٤٠ ، التي أحدثت - كما يقول الرافي - رجة كبرى في البلاد،

لأنها كانت أول صيحة بالخروج على معاهدة ١٩٣٦ من إحدى الهيئات التي وقعتها ، ومن الهيئة التي اعتزت بها وروجت لها وحشت الناس على قبولها (٨٤) •

مذكرة الوفد المصري

والمذكرة في الحقيقة تعتبر وثيقة اتهام وادانة لبريطانيا بسبب سياستها الانتهازية وتجاهلها مقتضيات التحالف ، وسعيها للاستفادة من ظروف الحرب في الكسب غير المشروع على حساب مصر وفرض سيطرتها الاقتصادية على البلاد • وقد بدأها الوفد بالإشارة إلى خطورة الساعة التي كانت تجتازها البلاد ويجتازها العالم وتجتازها المحالفة ، قائلا ان هذه العوامل توجب مصارحة الحكومة البريطانية بالحقائق التي لا تجدي فيها ولا يتسع لها الا الصراحة الكاملة • ثم تعرض لمظاهر التعاون الودي الشريف الذي سار الشعب المصري على هديه منذ إبرام المعاهدة ، وحتى بعد الانقلاب الدستوري «الذي باركته الحليفة واستغلته لصالحها رغم أحكام المعاهدة في نصها وروحها» ! وقال : ان هذا الموقف من جانب الطرف المصري يعطي لمصر الحق في أن تطلب من الحليفة أن تحدد موقفها منها ، وأن تقوم بنفس النصيب الذي تقوم به من المحالفة وتنفيذها ، وأن تقدر لمصر ، الدولة الصغيرة ، ما حملته وتحمله عن حليفها الكبيرة من أعباء الحرب وأوزارها ، « مما كاد يودي بمرافقها وينقض ظهرها » • ثم طلب الوفد من الحكومة البريطانية الاستجابة للمطالب الآتية التي قررها وقررتها هيئته البرلمانية ، وهي :

١ - أن تصرح « من الآن » بجلاء القوات البريطانية عن مصر بعد انتهاء الحرب وعقد مؤتمر الصلح • وتبقى المحالفة فيما عدا ذلك قائمة بين الطرفين بالأوضاع المبينة فيها •

٢ - اشترك مصر اشتركا فعليا في مفاوضات الصلح ، « للدفاع

عن مصالحها والعمل على تحقيق أغراضها معنوية كانت أو مادية » •
٣ - الدخول في مفاوضات مع مصر ، بعد انتهاء مفاوضات الصلح ،
« يعترف فيها بحقوق مصر كاملة في السودان لمصلحة أبناء وادي
النيل جميعا » •

٤ - التنازل عن الأحكام العرفية التي أعلنت بناء على طلبها ،
واخطار الحكومة المصرية بهذا التنازل •

٥ - حل مشكلة القطن بعدم الحيلولة دون تصديره الى البلاد
المحايدة ، أو بشرائه بالأسعار والشروط المناسبة •

وقد تناولت المذكرة بعد ذلك كل مطلب من هذه المطالب بالشرح
والتفصيل ، فقالت ، فيما يختص بمطلب جلاء القوات البريطانية ، انه لا
يعتبر في الحقيقة الا « نتيجة منطقية وحتمية للظروف القائمة لأن ما تنفقه
مصر من ملايين الجنيهات على الاستعدادات الحربية الهائلة تعضيدا
لبريطانيا ، وما تنفقه على شراء الأسلحة الحربية للجيش المصري والتدابير
العسكرية بمشورة العسكريين البريطانيين أنفسهم ، يجعل من المستحيل
تنفيذ نص المعاهدة ببناء الشكنات » • يضاف الى ذلك ان ما أنفق على
الجيش المصري لتقويته وزيادة عدده واستكمال أسلحته قد جعله في حالة
« يستطيع معها منذ الآن ، والى نهاية المدة المحددة في المادة ٨ من
المعاهدة ، أن يقوم مقام القوات البريطانية في وقت السلم - تلك القوات
التي لا يزيد عدد رجالها على العشرة آلاف كما نصت المعاهدة » •
يضاف الى ذلك أيضا أن ما ظهر من تعاون الجيشين المصري والبريطاني
في أعمالهما العسكرية وكذا تعاون الأمتين على تنفيذ المحالفة وتحقيق
أغراضها في تلك الظروف الاستثنائية الخطيرة قد جعل بقاء القوات
البريطانية في مصر بعد الحرب مظهرا لانعدام الثقة بين الحليفين بعد أن
وضعت المحالفة بينهما موضع التجربة فنجحت •

ثم تناولت المذكرة بعد ذلك المطلب الخاص بالأحكام العرفية، فقالت

ان بقاءها انما يفسح المجال لاستغلالها من الحكومة القائمة ضد ارادة الشعب ، فضلا عن ان انجلترا نفسها لم تعلن الأحكام العرفية لا في بلادها ولا في مستعمراتها ، ورغم اشتباكها في حرب لا تزال مصر بعيدة عنها . ومن ثم فلا معنى اذن لتنفيذ المعاهدة في ظل الأحكام العرفية التي لا ضابط لها ، كما هي مفروضة على مصر . ولا معنى لأن تمتد الرقابة على الأخبار العسكرية الى رقابة على كل الشؤون المصرية ، « حتى أصبح المصريون في عهد الاستقلال ، وكأنهم آلة عمياء صماء لا يسمع لهم صوت في تصريف شئون بلادهم » .

وتعرضت المذكرة لمسألة القطن، فصورت الأحوال الاقتصادية في داخل البلاد تصويرا خطيرا ، وقررت أنها قد تطورت تطورا سريعا الى « خراب شامل في الأموال العامة والخاصة ، وتدهورت الثروة الأهلية الى ما دون الحضيض » ، وقالت : ان ما ساعد على ذلك، فوق النفقات العسكرية ومطالب الحرب الباهظة ، ما عمدت اليه بريطانيا من الحيلولة دون تصدير القطن وتصريف الحاصلات الزراعية الأخرى الى الخارج، مما أدى الى انخفاض أسعار القطن المصري، بينما هو يباع في الأسواق الأجنبية بسعر أكبر ، وبينما تباع الأقطان الأخرى الأقل مرتبة بأسعار أعلى . وبعد ان شرحت المذكرة موقف بريطانيا من شراء المقادير السابق ذكرها ، ومحاولتها فرض نظام الحصص قالت :

« حيال هذا كله ، لا يسع الوفد والهيئة الوفدية الا أن يلفتا نظر الحكومة الحليفة الى خطورة هذا التصرف وغيره من التصرفات الأخرى التي ترمي الى استغلال الظروف الحاضرة بغية الوصول الى فرض نظام كنظام الحصص على حكومة مصرية غير ممثلة للشعب المصري، أو لكي تقيم من بنك انجليزي بنكا مركزيا للدولة . أو غير ذلك من المشاريع الخطيرة التي للحليفة فيها كل الغنم ، وعلى مصر فيها كل الغرم ، والتي تؤدي بثروة البلاد الأهلية واستغلالها الاقتصادي ، خصوصا بعد ان

فقدت الميزانية توازنها ، وتعد الاحتياطي الحكومي بل الاحتياطي الأهلي، وأصبحت البلاد تعاني أزمة مالية تكاد تقرب من الكارثة التي لا تبقي ولا تذر .. » (٨٥) •

أثر المذكرة في مصر وبريطانيا

كان أثر هذه المذكرة في كل من مصر وبريطانيا خطيرا في مثل الظروف التي قدمت فيها • وفيما يختص بمصر، فيفهم من المناقشة التي دارت في مجلس الشيوخ حول هذه المذكرة أن برقيات التأييد لطلبات الوفد قد انهالت على الصحف من مختلف طبقات الشعب ، ولكن الحكومة منعت نشرها • وقد أراد عبد القادر حمزة أن ينشر مقالا في جريدته (البلاغ) يقول فيه : ان ما فات مصر بين سنتي ١٩١٤ و ١٩١٨ قد استدركه الوفد في المذكرة التي تقدم بها للسفير البريطاني، ولكن هذا المقال منع من النشر (٨٦) • ومن الواضح أن الحكومة أدركت خطأها في نشر مذكرة الوفد - وقد يكون ذلك بإيحاء من السلطات البريطانية - لأنها لم تكتف بمنع نشر برقيات التأييد من طبقات الأمة المختلفة ، بل وعمدت الى منع نشر رد الحكومة البريطانية عليها أيضا ، كما عمدت الى منع نشر رد الوفد على الرد البريطاني ، وذلك للحد من تأثير هذه الحركة، ولولا أن تقدم الشيوخ الوفديون باستجواب الى الحكومة حول هذا المنع ، لما عرف في ذلك الحين شيء عن الرد البريطاني أو رد الوفد عليه •

ويكاد يكون من المحقق في اعتبارنا ، أنه لو وقفت الحكومة والأحزاب المعارضة للوفد الى جانب المذكرة التي قدمها والمطالب التي تضمنتها ، وتكونت جبهة وطنية قوية تصر على هذه المطالب، لما كان أمام انجلترا الا أن تنتهج أحد سبيلين : الاول ، الاصرار على رفض مذكرة

الوفد، مع ما يستتبع ذلك من احتمالات ومضاعفات تؤثر بالحتم على مجهود إنجلترا الحربي، والثاني ، الاستجابة لهذه المطالب أو لبعضها لتفادي متاعب لم تكن ظروف إنجلترا في ذلك الحين تسمح لها بتحمل أعبائها . ونعتقد أن حكمة السياسة الانجليزية كانت قيمة بتوجيههم الى اختيار السبيل الثاني . على أن موقف الحكومة والمعارضة المتخاذل أضاع على البلاد فرصة الاستفادة من دروس الحرب العالمية الأولى ، بل وأجهز على كل احتمال في المستقبل لمعاودة الكرة مع الانجليزية ، بعد أن أدركت إنجلترا موقف القوى السياسية في مصر .

فقد وصف علي ماهر باشا مذكرة الوفد بأفحش النعوت، وقال ان هذا العمل « خروج على الدستور ، خروج على قوانين البلاد، خروج على النظم القائمة ، هو ثورة ، هو خروج على العرش ، خروج على الحكومة وعلى البرلمان » ! ثم تفادى بمهارة «مضمون» المذكرة الى « شكلها » فتساءل « كيف يسمح فريق لنفسه أن يتقدم لدولة أجنبية ، وأن يدعي أنه يتكلم باسم الأمة ؟ بأي وجه يدافع هؤلاء الناس عن تصرفهم في تقديم هذه الأوراق التي تقدموا فيها بشكواهم للسفير البريطاني قائلين انهم هم الذين يمثلون الشعب ، وان الحكومة لا تمثله؟ . وأكد لحضراتكم أن هذا هو أشنع صور الازدراء بالاستقلال . . » .

ثم عمد علي ماهر باشا الى مناورة أخرى، فاتهم مذكرة الوفد بأنها محاولة للدخول في « مناقشات بيزنطية » مع بريطانيا في وقت محفوف بالمخاطر ، وقال ان « ضربة الالمان في شمال البحر الشمالي كانت تجهز ، ولو أن تلك الضربة نجحت، ربما كانت الضربة الثانية في البحر الأبيض المتوسط . فهل يجوز لمن يقدر العواقب أن يدخل في مناقشات بيزنطية في هذا الوقت المحفوف بالمخاطر ؟ » (٨٧) . وقد أراد علي ماهر باشا بهذا القول أن يتهم الوفد بتناسي قضية الديمقراطية في سعيه

وراء القضية المصرية • وهي نفس الفكرة التي بني عليها اللورد هاليفاكس رده على الوفد كما سوف نرى •

وقد اتفق رأي السعديين والدستوريين على عدم مناسبة الوقت لمطالبة انجلترا بأي شيء • وقد زاد عبد السلام عبد الغفار بك (من الدستوريين) على ذلك بقول يعد قمة في السذاجة السياسية ، فقد اعتبر أنه لو امتنعت مصر عن التقدم بأية مطالب لانجلترا ، فعندئذ « ستحاسب معا حساب الكرام ! » « أما أن أتقدم اليها الآن بطلبات مربكة ، فعمل غير جائز ، خصوصا في الوقت الذي تتجه فيه عناية اللورد هاليفاكس الى أقوال وأعمال أخرى أهم وأعظم !! » (٨٨) •

ولا تعليق للباحث على كلام عبد السلام عبد الغفار بك وعلى موقف الحكومة والأحزاب المعارضة للوفد ، أفضل مما رد به وهيب دوس بك (وهو غير وفدي) على ذلك، فقد قال : « أنا لا أقبل أن يقول عبد السلام عبد الغفار بك ان اللورد هاليفاكس ليس لديه من الوقت ما يسمح له بأن يعير مطالبنا اهتماما • يا سيدي ، لو تتبعنا ما يرد من الأخبار ، لعلمت أن اللورد هاليفاكس يؤدي عمله ومن حوله أعوان تفرغ كل منهم لجميع ما هان من الأمور وما عظم • وهم الآن يفاوضون سفير السوفييت في لندن لعقد اتفاق تجاري ، كما يتفاوضون مع الطليان بعد أن وجهوا لهم الإنذار الأخير لتحديد موقفهم من الفريقين المتحاربين ، وكان لديهم أيضا من الوقت ما يسمح لهم بأن يبعثوا البعث الى رومانيا وتركيا ودول الشرق الأدنى ليفاوضوهم في مختلف الشؤون ! بعد هذا لا يجوز مطلقا أن نقول ان الاعتماد على شرف الحليفة يمنعنا من السعي من طريقه المشروع لتحقيق مطالبنا • أقول لحضراتكم ان هذه المطالب يجب أن تكون محل عناية الحكومة الآن ، والا ننتظر حتى تنتهي الحرب ، ويجب ان نأخذ العهود الآن بكل ما في طاقتنا • ان أنسب الأوقات لهذا ، هو ذلك الوقت الذي نطالب فيه بتحمل أعباء ما كانت تخطر لنا على بال

سنة ١٩٣٦ ، ولا في أي سنة من سني المفاوضات » • ثم تعرض وهيب دوس بك الى ما وصف به بعض الأعضاء محاولة الوفد بأنها «ابتزاز» ، فقال : « سمعت بعد ذلك لفظا لا يوجد في اللغة العربية ما يؤدي معناه بالدقة ، فقد سمعت أن كبيرا من رجالنا قال ان مذكرة الوفد هي blackmail ، ومعنى هذا أنها استغلال الفرصة • من قال هذا ؟ ان كل العلاقات الدولية تقوم على انتهاز الفرصة المناسبة • ونحن فعلا مطالبون بانتهاز الفرص » • على أن وهيب دوس بك مع ذلك انتقد مذكرة الوفد للسفير البريطاني ووصفها بأنها «كبوة شكلية» (٨٩) • ولم يلبث أن جاء الرد البريطاني على مذكرة الوفد ، وهو لا يخرج في كثير عن الموقف الذي اتخذته الحكومة والأحزاب المعارضة للوفد ، فقد ورد فيه ما ترجمته :

« ١ - أبلغوا النحاس باشا في الحال أن الحركة التي قام بها ونشرت على الناس فعلا ، قد أحدثت لدى الحكومة البريطانية شعورا أليما للغاية • ولا تستطيع الحكومة البريطانية الا اعتبار قرارات الوفد كمحاولة مقصودة للعب دور في السياسة الداخلية ، في حين أن بريطانيا مشتبكة في صراع ليس أثره على مصير مصر واستقلالها بأقل منه على بريطانيا العظمى نفسها •

٢ - أما فيما يختص بالمسائل التي أثارها النحاس باشا ، فمن المحقق أنها تؤدي الى :

- (أ) إعادة النظر في المعاهدة البريطانية المصرية •
- (ب) تدخل من جانبنا في السياسة الداخلية المصرية •
- (ج) الطعن فيما نستخدمه من وسائل الضغط الاقتصادي في الحرب ضد ألمانيا •

٣ - لما كانت نتيجة الحرب ذات أثر فعال بالنسبة لمصر ، ومن الجلي بلا شك للنحاس باشا أنه لو اتصر العدو لم يبق الا قليل احتمال

في مناقشة مستقبل مصر ضمن حدود ديموقراطية ، فان الحكومة البريطانية موقنة بأن المسؤولين عن مصير الشعب المصري، ومنهم النحاس باشا ، سيواجهون المسئوليات التي تجابههم في ساعة خطيرة من تاريخ العالم .

٤ - انا نحارب لسلامة الامم الصغيرة واحترام العهد المقطوع .
فقل للنحاس باشا - وانا احد الموقعين على المعاهدة - يبدو لي انه من غير المفهوم ان يشعر النحاس باشا الناس بأنه يريد التشكيك فيما للمعاهدة من صفة قطعية ورسمية . وانه ليسعدني ان اتأكد ان النحاس باشا سيعمل جهد طاقته لتخفيف اثر هذه الحركة التي لم تقترن بالسداد » (٩٠) .

وقد لوحظ ، الى جانب شدة لهجة الرد البريطاني ، ان اللورد هاليفاكس لم يذكر النحاس باشا بلقبه (حضرة صاحب المقام الرفيع) ، وانما باسمه المجرد . وقد ظهر من رد حسين الجندي على ملاحظة أبدت في مجلس الشيوخ بشأن هذه النقطة ، ان الوفد كان يتوقع اجراء أشد من ذلك : « انا كنا نتوقع اكثر مما حدث . واذا كانت الحكومة البريطانية تتعمد اهانة النحاس باشا ، فنعمت الاهانة في سبيل الدفاع عن المطالب الوطنية القومية » (٩١) . وعلى الرغم من ذلك ، فقد اتخذ الوفد في رده على الرد البريطاني موقفا اكثر صلابة ، فقد اكد ما ورد في مذكرته الاولى من قرارات ومطالب ، وزاد عليها قوله : « ما من قرارات صورت ما استقر في قرارة نفسها (الامة) من احساس ، وصادفت لدى جموع الشعب ما صادفته من رضاء بل وحماسة - كهذه القرارات التي جاءت في مناسبتها وحينها » وقد رد على تأويل بريطانيا للقرارات بأنها تدعو للتدخل في الشؤون الداخلية المصرية ، فقال انها على العكس من ذلك قد اتخذت « للتخلص من هذا التدخل ووضع حد له ، سواء في مسألة الاحكام العرفية ، او في مسألة القطن التي طالبنا الحكومة

البريطانية بوقف تدخلها فيها فتمتنع عن اقامة العراقيين دون تصديرها
أو دون ايجاد أسواق حرة لها وأثمان تتناسب وتكاليف إنتاجها » •

ثم رد على قول الجانب البريطاني ان المسائل التي أثارها النحاس
تؤدي الى إعادة النظر في المعاهدة فقال : ان الحكومة البريطانية آخر من
يصح لها الاعتراض على فكرة التعديل في ذاتها • وقد لجأت هي الى
تعديل نص عام من نصوص المعاهدة في اتفاقها الأخير مع محمد محمود
باشا ، وجاء في صلب هذا الاتفاق أنه تعديل لاحدى مواد المعاهدة
المصرية الانجليزية • فليس مفهوما اذن : لماذا تسمح الحكومة البريطانية
بتعديل المعاهدة عندما يكون التعديل في مصلحتها وفي غير ما ضرورة
ماسة ، بينما يكون ما نطالب به من تعديل غير مسموح به رغم أن
الظروف القاهرة تدعو اليه ، ومصلحة البلدين تركز عليه ؟ •

ثم تناول الوفد ما وصفت به المذكرة البريطانية مطلبه الخاص
بتصريف الأقطان المصرية من أنه يتضمن مساسا بالضغط الاقتصادي أو
الحصار التجاري ضد ألمانيا ، فأبدى تعجبه لذلك وقال : « اننا طالبنا
وما زلنا نطالب الحليفة بأن تشتري هي منا ، أو تترك غيرها من المحايد
يشترون • وحسبنا أن تتخذ الحليفة في هذا الشأن من الاحتياطات ما
اتخذته مع غيرنا ، وأن تعامل أقطاننا ومحاصيلنا معاملتها للأقطان والمحاصيل
الأمريكية التي تضاعفت صادراتها واتسعت أسواقها وارتفعت أثمانها ،
بينما انحطت صادراتنا وكسدت أسواقنا وانخفضت أسعارنا بحيث أصبح
السعر الذي يباع به القطن والمحاصيل الأخرى لا يكاد يفي بمصاريف
إنتاجها ولا سيما بعد أن زادت زيادة كبيرة أسعار السماد والفحم وباقي
أنواع الوقود والواردات ، مما أثقل كاهل الفلاح المصري وكاد
يقصم ظهره » •

أما الأحكام العرفية ، فقد استشهد فيها الوفد بموقف العراق

(حكومة الكيلاني) التي ألغت الأحكام العرفية في أرجائها دون أن ترى
بريطانيا مبررا لمطالبتها باستمرارها • وقال ان بريطانيا وققت هذا الموقف
من العراق « رغم ارتباطها بمصالح جوهرية وحرية كارتباطنا ، وبمحالفة
كمحالفتنا • فلا معنى اذن لاصرار الحليفة على بقاء الأحكام العرفية في
مصر وهي تعلم أن المصري ليأبى ان يساق الى واجبه سوفا ، وأن يناضل
عن الديمقراطية والحرية فيخنق في جوهما خنقا » (٩٢) •

• • •

ج - أزمة يونية ١٩٤٠

كشفت مذكرة الوفد الأولى ، التي عززها بمذكرته الثانية ، أن المعركة العالمية التي تدور رحاها بين المعسكرين الديموقراطي والفاشي ، هي معركة لا تخص مصر وليست طرفا فيها . فمن ناحية المعسكر الديموقراطي ، فإن الشعب المصري لم يكن يستطيع أن يعتبر نفسه جزءا منه الا اسما ، فلم يكن يتمتع بأية ميزة من مميزات الديموقراطية في بلاده : فالبرلمان زائف ، والحكومة حكومة « أقلية في الأقلية » - كما وصفها الوفد - . والاحكام العرفية تبسط ظلها على البلاد ، والحريات مخنوقة ، وشئون البلاد السياسية والاقتصادية في يد دولة أجنبية . وأما إنجلترا ، وهي على رأس المعسكر الديموقراطي ، فلم يكن الشعب المصري يرى فيها الا وجهها الاستعماري والاحتكاري ، كما كشفت عنه مذكرة الوفد ، والا تشبثها باستبقاء نفوذها ، والاحتفاظ بجيش الاحتلال بعد الحرب ، وابتلاع السودان ، واستغلال اقتصاديات البلاد لمصلحتها . ومن ثم فإن القتال في سبيل المعسكر الديموقراطي كان في الحقيقة قتالا في سبيل استبقاء علاقات ما قبل الحرب الى ما بعد الحرب أيضا !

وأما من ناحية المحور ، فعلى الرغم من أن انتصار هذا المعسكر كان يشكل خطرا أكيدا على مستقبل الديموقراطية السياسية والاجتماعية في مصر ، الا أن هذا الخطر كان مجهولا حينذاك ، ولم يكن مؤكدا بالموازنة مع الخطر القائم فعلا والمتمثل في القوات الحليفة . ف فيما يختص بألمانيا ، لم تكن هناك حدود مشتركة بينها وبين مصر يخشى على الأخيرة منها ، وأما إيطاليا فإن العلاقات بينها وبين مصر في ذلك الحين

كانت علاقات طيبة ، وكانت إيطاليا لا تفتأ تعلن حسن نواياها بالنسبة لمصر . يضاف الى ذلك أن انتصار ألمانيا لو تم فانه كان يحمل في طياته حل قضية فلسطين لصالح العرب ، وإزاحة احتلال بريطاني كرهه ظل يجثم على صدر مصر قرابة ستين عاما . وبناء على ذلك ، فقد بدا مؤكدا لغالبية المصريين في ذلك الحين أن الاندفاع في التعاون مع بريطانيا الى أكثر من القدر الذي حددته المعاهدة لن يكون من الوطنية في شيء ، إن لم يتناقض مع مصالح البلاد، لأن هذا التعاون، في الوقت الذي لن يحقق لمصر أي غنم في حالة انتصار إنجلترا في الحرب، فانه سوف يلحق كل غرم بها في حالة انتصار ألمانيا ، الذي كانت جميع الدلائل تدل على قرب وقوعه .

ومن هنا كان بداية تكوين الاتجاه في مصر الى عدم خوض الحرب الدفاعية ، أو ما اصطلح على تسميته في ذلك الحين « بتجنب مصر ويلات الحرب » . لأنه اذا كان قد رسخ في ضمير الغالبية العظمى من الشعب أن الحرب الدائرة تخص إنجلترا وألمانيا وحدهما ، وليس لمصر فيها ناقة ولا جمل ، فهل تعتبر مطاردة الألمان أو حتى الإيطاليين للجيش البريطاني في الأراضي المصرية ، اعتداء على استقلال البلاد تهب لدفعه بقواتها المسلحة ؟ أو أن ذلك يعد حربا بين دولتين على أرض دولة ثالثة ؟ .

• • •

كانت سياسة وزارة علي ماهر باشا في ذلك الحين - كما رأينا - تقوم على بذل أقصى جهد ممكن لمساعدة بريطانيا ، وعلى الدخول في الحرب اذا هوجمت الحدود المصرية . وعلى الرغم من تدهور الموقف في أوروبا بعد اجتياح النرويج في النصف الأول من شهر ابريل ، ثم اجتياح هولندا وبلجيكا ولوكسمبورج بعد شهر واحد ، فقد ظل علي ماهر باشا على

ولائه لانجلترا وعلى موقفه من دخول الحرب في حالة الاعتداء على الأراضي المصرية . ولهذا لما سأله مندوب الاهرام عن صدى الاعتداء الألماني الجديد على هولندا وبلجيكا ولوكسمبرج في مصر قال عبارته السابقة : ان صدى هذا الاعتداء سيكون زيادة الاستعدادات ومضاعفة النشاط في الدفاع عن أنفسنا .

بل لقد ظل علي ماهر باشا على ولائه لبريطانيا حتى حين علم بأن إيطاليا سوف تدخل الحرب ضد الحلفاء . ففي شهادته في قضية الاغتيالات السياسية ، اعترف بأنه قبل دخول إيطاليا الحرب بسبعة أسابيع ، وصلت اليه معلومات دقيقة بأنها داخلية الحرب حتما . وبناء على ذلك استحضر السفير البريطاني والجنرال ولسن وأفضى اليهما بهذه المعلومات ، وأخذ يعد الاجراءات اللازمة لمواجهة الموقف . ولما كان يوجد عدد ٧٠.٠٠٠ ايطالي في مصر ، منهم ١٢.٠٠٠ في سن الخدمة العسكرية ، فقد اخبر السفير أنه ، تسهلا لاعتقالهم ، سوف يصدر أمرا بنزع السلاح الموجود من يد جميع السكان ، بحيث يشمل هذا الأمر البريطانيين والفرنسيين واليونانيين كما يشمل الايطاليين . وقد شجع حجم الأسلحة المضبوط عند الايطاليين على تفتيش كل بيت أو ناد ايطالي حتى القنصليات (٩٣) .

فلما أعلنت إيطاليا الحرب على انجلترا وفرنسا في ١٠ يولية ١٩٤٠ ، أعلن علي ماهر باشا في مجلس النواب سياسته الخاصة بموقف مصر في هذه الظروف ، وكانت هذه السياسة تقضي بدخول مصر الحرب في حالة اعتداء إيطاليا عليها باحدى الطرق الثلاث الآتية :

- ١ - اذا توغلت الجنود الايطالية في الأراضي المصرية مبتدئة .
 - ٢ - اذا ضربت المدن المصرية بالقنابل .
 - ٣ - اذا أرسلت غارات جوية على مواقع الجيش المصري (٩٤) .
- ومعنى ذلك أن علي ماهر باشا قد اعتبر مطاردة الجيوش الايطالية

للجيوش البريطانية في داخل الاراضي المصرية اعتداء على مصر بموجب مقاومتها له ، وليس حربا بين ايطاليا وبريطانيا تخصهما وحدهما .
ومن الغريب ، مع ذلك ، أن يسمي علي ماهر باشا سياسته هذه سياسة تجنب مصر ويلات الحرب ، مع أنها استمرار لسياسته القائمة على الحرب الدفاعية . ومن الطريف أيضا أن عددا كبيرا من أعضاء البرلمان ، وبعضهم من هو في أعلى مراتب الفهم السياسي ، مثل صدقي باشا ، قد فهم أن هذه السياسة التي أقرها البرلمان في ١٢ يونية ١٩٤٠ تقضي بعدم دخول مصر الحرب اطلاقا مهما كانت الظروف . على أنه من الانصاف أن نذكر أن عددا آخر ، على رأسه الدكتور احمد ماهر ، قد فهم حقيقة هذه السياسة على نحو ما ذكرناه ، وهي أنها تقضي بخوض الحرب الدفاعية (٩٥) .

مع ذلك فقد فوجئت البلاد في يوم ١٩ يونية ١٩٤٠ ، أي بعد أسبوع واحد ، بتبليغ من الحكومة البريطانية الى الملك فاروق عن طريق سفارتها تطلب فيه « تغيير الحكومة باعتبار أنها لا تعبر عن رأي الشعب ولا عن شعور المصريين ، ولا تصدر عن مصلحة مصر ، ولا تعمل بروح المعاهدة » .

فما هي الأسباب الحقيقية وراء هذا التبليغ البريطاني ؟ ان الاجابة على هذا السؤال نجدها في المصادر والدراسات الانجليزية التي تعكس وجهة النظر البريطانية في سياسة علي ماهر باشا وفي الاجراءات التي اتخذتها حكومته خلال حكمه ، كما نجدها في بعض ما أدلى به علي ماهر باشا في شهادته في قضية الاغتيالات السياسية - وان كنا نلاحظ فيما يختص بالدراسات الانجليزية عن هذا الموضوع ، وأهمها الدراسة التي أعدها « جورج كيرك » عن « الشرق الاوسط في الحرب » أنها متأثرة بانكار الحكومة البريطانية فيما بعد أنها طلبت الى علي ماهر باشا اعلان الحرب على المحور ، كما أنها متأثرة بانحياز علي ماهر باشا الى جانب

المحور بعد طرده من الحكم • فان « كيرك » يلجأ في مهارة شديدة ،
وعن طريق استخدام الحواشي المناسبة ، الى تصوير سياسة علي ماهر
باشا أثناء حكمه على النحو الذي يبرر التبليغ البريطاني في ١٩ يونية
١٩٤٠ • مع ذلك فان متابعة المناقشات البرلمانية بعد دخول ايطاليا
الحرب سوف يحسم المسألة •

ويمكن تحديد النقاط التي أثارها المصادر البريطانية وحدث حولها
الاحتكاك بين علي ماهر باشا والسلطات الانجليزية في مصر فيما يلي :
اولا - احالة أمين عثمان باشا ، وهو الشخصية المصرية الموالية
لبريطانيا ، الى المعاش • وكان علي ماهر باشا قد سارع بعد ايام قليلة من
توليه الحكم ، الى احالة عدد من وكلاء الوزارات الى المعاش ، منهم امين
عثمان باشا • فيقول كيرك ان هذا الاجراء قد أثار الهواجس في نفوس
السلطات البريطانية (٩٦) • على أن هذا الاجراء في الحقيقة ، لم يكن
يستهدف الانجليز ، وانما كان يستهدف الوفد • لان امين عثمان باشا
كان صديقا للوفديين ، وقد أراد علي ماهر باشا باستبعاده ان يحرم الوفد
من عين له داخل وزارته • ولا شك أن السلطات البريطانية في ذلك
الوقت قد شهدت ثورة الصحف الوفدية لطرد امين عثمان باشا وما نشرته
من المقالات المطولة في ذلك ، حتى كتبت جريدة المصري تقول : ان علي
ماهر باشا يفتتح أعماله باحالة هذا الموظف الممتاز الكفاء الى المعاش ،
فيضرب بذلك الرقم القياسي في شهوة الانتقام ، ويأتي بما لم يستطعه
أخوه وزير المالية السابق (الدكتور احمد ماهر) (٩٧) •

ثانيا - تعيين عزيز المصري باشا في منصب رئيس هيئة اركان
حرب الجيش • وكان علي ماهر باشا قد عينه في هذا المنصب في ١٩
اغسطس ١٩٣٩ بدلا من اللواء محمود شكري • فيذكر الجنرال ولسن
ان هذا التعيين قد أثار الدهول والعجب ، لأن عزيز المصري باشا ، الذي
كان في الستينيات الأخيرة من عمره ، كان قد فقد الصلة بالجيش المصري

لعدة سنين ، كما أن سجل خدمته كان حافلا بالمؤامرات والمشاغبات مع رؤسائه ، وكان يعترف بأنه يعرف كل شيء عن أساليب الألمان التكتيكية على يد البعثات الألمانية في تركيا ، وزياراته لألمانيا (٩٨) •

وفي الواقع أن تعيين عزيز المصري باشا رئيسا لأركان حرب الجيش المصري في ظروف الوفاق الذي كان قائما بين علي ماهر باشا والسلطات البريطانية في مصر ، لم يكن بسبب ميوله الألمانية ، وإنما كان لأنه أكفأ ضابط مصري في تلك الظروف العالمية الخطيرة ، وكان تعيينه في هذا المنصب مطلبا قوميا ، إذ كانت الصحف المصرية لا تفتأ تتساءل عن سبب حرمان البلاد من كفاءته الممتازة في وقت تبني فيه جيشها • وقد أراد علي ماهر باشا بتعيينه في هذا المنصب كسب ود الرأي العام والنهوض بالجيش ليدافع عن البلاد في حالة نشوب الحرب وخدمة قضية الحلفاء بالتالي •

ومن الثابت أن عزيز المصري باشا قد تعاون مع السلطات العسكرية البريطانية الى أقصى حد قبل طرده من الجيش ، وذلك باعتراف علي ماهر باشا • فقد اشترك مع هذه السلطات في وضع الخطط للدفاع عن مصر • وكان صاحب الفضل في إبراز موقع العلمين للقيادة البريطانية • ففي بيان أذاعه علي ماهر باشا عام ١٩٤٦ أمام مجلس الشيوخ ، ذكر أن القيادة البريطانية كانت قد قررت اتخاذ مرسى مطروح أساسا للدفاع البريطاني ، وكانت لقلعة الجنود ، قد قررت إخلاء سيوة ، ولكن نظرا لأن سيوة كانت هي التي تحمي الجناح الأيسر لمرسى مطروح ، فقد رأى علي ماهر باشا أن تركها يعد « عورة » في الدفاع عن مرسى مطروح وبالتالي عن مصر • وقد أبدى استعداداه لأن يحمل الجيش المصري عبء الدفاع عنها • ولهذا اجتمع هو واللواء صالح حرب باشا وزير الدفاع ، والفريق عزيز المصري ، والجنرال ولسن ، والجنرال أوكونور ، والجنرال هيرت ، على ظهر الطائرة فوزية في أثناء زيارة الملك فاروق لمرسى مطروح

لتفتيش الجيش المصري في أكتوبر ١٩٣٩ ، وذلك لبحث الموضوع .
وظهر من استطلاع الخرائط أن الدفاع عن مرسى مطروح لا يمكن معه
اخلاء سيوة . ويقول علي ماهر باشا إنه في أثناء هذا الاجتماع ، أبدى
عزيز المصري باشا أنه وإن لم تكن مرسى مطروح وسيوة ، فليكن العلمين
بين البحر المتوسط ومنخفض القنطرة . على أن الجنرال ولسن لم يأخذ
بفكرم العلمين ، ولكنه زار وبصحبه صالح حرب باشا سيوة ، واتفقا
على المنشآت اللازمة لمراقبة قوة مصرية بهذه النقطة الأمامية (٩٩) .
على أن السلطات البريطانية ، وهي التي كانت تريد من الجانب
المصري خضوعا مطلقا ، قد ساءها اعتراض عزيز المصري باشا على بعض
طلبات البعثة العسكرية البريطانية . وكانت هذه السلطات قد اتفقت مع
الحكومة المصرية على أن يخضع الجيش المصري ، في حالة اشتراك مصر
في الحرب ، للقائد العام للجيش البريطاني في مصر ، فلما لم تعلن مصر
الحرب وآثرت الانتظار ، استمر الاتصال بين القوات البريطانية والقوات
المصرية في يد البعثة العسكرية البريطانية . على أن نصائح هذه البعثة
— كما يقول كيرك — لم تكن تجد الترحيب دوما من عزيز المصري
باشا (١٠٠) . وقد اتهمه الجنرال ولسن بأنه كان أثناء زيارته لبعض
المواقع المصرية يتحدث أمام الضباط مشيدا بعظمة الجيش الألماني ،
ومصغرا من شأن الجيوش البريطانية والفرنسية (١٠١) .
ومما لا شك فيه أن السلطات البريطانية لم تكن في ذلك الحين
تطبق أي مظهر من مظاهر الاستقلال المصري . وكانت تستقبل كل تصرف
يحمل هذا المظهر بالشك والتبرم . ولهذا فقد رأت في عزيز المصري باشا
شخصية غير مرغوب فيها ، وطلبت إلى علي ماهر باشا إخراجه من الجيش ،
فاستجاب ومنحه أجازة مرضية مدتها ثلاثة أشهر ونصف في ٥ فبراير
١٩٤٠ (١٠٢) ، وقد جددت بعد ذلك لمدة أخرى . وقد دفعت بهذا
الاجراء عزيز المصري باشا إلى أحضان الألمان ، كما دفعت علي ماهر

باشا بعده اليهم ، مع أن عزيز المصري باشا قد أعطى الانجليز خلاصة خبرته العسكرية دون تحفظ ، وكان في جانب دفاع مصر عن نفسها في حالة الاعتداء على أراضيها - كما رأينا .

وقد نسبت السلطات البريطانية لعزيز المصري باشا ، بعد إخراجهم من الجيش ، وبعد طرد علي ماهر باشا من الحكم ، تهمة الاتصال بالطلّيان . ففي يوم ٢٤ ديسمبر ١٩٤٠ أبلغت السلطات البريطانية رئيس الوزراء حسن صبري باشا أنه ضبطت بين أوراق أحد القواد الايطاليين الذين أسروا في الصحراء الغربية ، ترجمة ايطالية لمذكرة خاصة بالدفاع عن سيوة كان قد وضعها الجنرال ولسن من قبل بالانجليزية وأبلغها بخطاب سري مؤرخ ١٠ أكتوبر ١٩٣٩ الى وزير الدفاع وقتئذ (صالح حرب باشا) ، وان ترجمة ايطالية لهذا الخطاب قد ضبطت في أوراق هذا القائد .

وقد أجرت السلطات المصرية تحقيقا قضائيا في ذلك الحين بواسطة النيابة العمومية في أوائل سنة ١٩٤١ أخذت فيه أقوال علي ماهر باشا وصالح حرب باشا وعزيز المصري باشا . وقد تبين من التحقيق ان الخطاب المذكور هو الخاص بالمنشآت الخاصة بالقوة المصرية الصغيرة التي نقرر مرابطتها في سيوة ، والتي أشرنا الى موضوعها منذ قليل ، ولم يكن يتضمن أية تصميمات بريطانية ، ولم يكن من المعقول أن يعرض مسئول مصري موقعا مصريا للخطر . كما تبين أن هذه المذكرة لم تكن ذات خطورة خاصة ، لأن وجود قوات حربية في سيوة - كما ذكر عزيز المصري في التحقيق - لم يكن ل يبقى سرا خافيا على الأعداء ، فضلا عن أن وجودها مما يجب أن يدخل في حسابهم . يضاف الى ذلك أن احتمال حصول تسرب هذه المذكرة عن طريق الجانب المصري لم يكن هو الاحتمال الوحيد ، بل قد يكون منطقيا أبعد الاحتمالين - كما قرر عزيز المصري باشا - فقد لاحظ أنه لو وقع التسرب عن طريق الجانب

المصري ، لتناولت المذكرة تأشيرته عليها ، وقد كان لها وزنها ، لأنها كانت تقضي بتعديل المشروع . وقد أثار علي ماهر باشا الشكوك حول ادعاء السلطات البريطانية تسرب هذه المذكرة الى القائد الايطالي ، فقد ذكر أن تحقيقا ما لم يجر في الجانب البريطاني يتوازي مع التحقيق الذي كانت تجريه السلطات المصرية ، كما أن السلطات البريطانية لم تذكر اسم الجنرال الايطالي الذي قيل ان الخطاب قد وجد معه ، مع أنه كان أسيرا في أيديها حسب قولها ، فضلا عن ذلك فإنه لم يقدم الى المحقق لاستجوابه ، بل لم يقدم للمحقق محضر بريطاني باستجوابه ، ولم يظهر هذا الجنرال الايطالي بأي حال (١٠٢) .

كانت المشكلة الثالثة التي أوردتها المصادر البريطانية ، هي زيارة علي ماهر باشا للسودان . وكان علي ماهر باشا قد زار السودان ومعه صالح حرب باشا زيارة رسمية في النصف الأخير من شهر فبراير ١٩٤٠ ، وهي اول زيارة لمسئول سياسي مصري كبير للسودان بعد معاهدة ١٩٣٦ . ومع ان هذه الزيارة تمت بناء على دعوة من الحاكم العام للسودان ، الا ان السلطات البريطانية أرادت أن يسافر علي ماهر باشا « كسائح » ، ولا يسافر بصفته الرسمية . وقد رفض علي ماهر باشا بطبيعة الحال هذا التسلط البريطاني . فقد أخبر السفير أنه سوف يزور السودان بوصفه رئيس الوزراء ، ولن ينيب عنه أحدا ، لأنه يعتبر نفسه في أرض مصرية . وبالفعل كانت الأعمال ترد اليه هو وصالح حرب باشا بالطائرة فيتولى تصريحها (١٠٤) . وقد ذكر « كيرك » ان الصحافة المصرية قد هلت عندما أعلن عن زيارة علي ماهر باشا للسودان ، واعتبرتها تأكيدا للوحدة الوطنية بين مصر والسودان . وبالطبع لم تستقبل السلطات البريطانية بارتياح التصريحات التي ألقى بها علي ماهر باشا وصالح حرب باشا في السودان . أو البرقيات المثيرة للحماس التي بعثا بها الى مصر . فيقول « كيرك » ان صالح حرب باشا طلب الى

الموظفين المصريين في بور سودان الدفاع عن مياه النيل الى آخر قطرة في دمائهم ، ولكنه لم يحدد ضد من يقومون بهذا الدفاع ! كما ان علي ماهر باشا بعد عودته الى مصر ، قارن في مجلس النواب بين زيارته للسودان وزيارة محمد علي عام ١٨٣٩ ، ولذلك لم يكن غريبا في تلك الظروف حين ذهبت احدى المجلات المصرية الى حد المطالبة بتغيير وضع السودان « أي بالامتزاج الكامل » مع مصر ، وازالة « الغموض » من جو الصلات السودانية المصرية (١٠٥) .

وواضح في ذلك كله أن السلطات البريطانية لم تكن ترضى من وزارة علي ماهر باشا بأقل من الخضوع التام لمطالبها . وكان يشجعها على اتخاذ هذا الموقف في الحقيقة ادراكها أن هذه الوزارة ليست الا وزارة قصر لا تعبر عن ارادة الشعب ولا تحوز ثقته ، ولهذا فعلى الرغم من أن هذه الوزارة قد عملت - باعتراف علي ماهر باشا نفسه - « بما توجهه المعاهدة وما يزيد عليه » ، وعلى الرغم من أنه كان - على حد قوله أيضا - « على ولاء تام لهم » ، والمجاملات الشخصية كانت لأقصى الحدود » (١٠٦) ، الا أن السلطات البريطانية كانت تطلب المزيد بما يهدر السيادة المصرية - ففي مايو ١٩٤٠ ، على سبيل المثال ، جددت طلبا بتعيين حكام عسكريين بريطانيين لمناطق الصحراء الغربية وقناة السويس والاسكندرية ، وكان هذا الطلب قد عرض على محمد محمود باشا ، ثم عرض على علي ماهر باشا ، واتفق الأخير مع الجنرال ولسن على أن يكون حكام هذه المناطق مصريين . ولكن السلطات البريطانية عادت فذكرت أن هذا الاتفاق مع علي ماهر باشا انما كان اتفاقا مؤقتا ، لأن الحرب كانت بعيدة ، ولكنها صارت قريبة ، واقترحت لهذه المناطق الأميرال « فرنك ميت » للاسكندرية ، والبريجادير « بروك » لقناة السويس ، والجنرال « ولسن » للصحراء الغربية . ولكن علي ماهر باشا لم يوافق على هذا المطلب الخطير (١٠٧) .

وواضح أن هذه الخلافات البسيطة بالنسبة لألوان التعاون كانت منبعثة من تعارض المصلحة المصرية مع المصلحة البريطانية ، ولم تكن ناتجة عن ميول لعلي ماهر باشا نحو المحور - كما أرادت المصادر البريطانية أن تصور - وكان الجنرال ولسن يفهم هذه المسألة على وجهها الصحيح ، فعندما علم بالأزمة التي أطاحت بعلي ماهر باشا ، كتب إليه خطابا شخصيا شكر له فيه معوناته التي قدمها . وقد كشف علي ماهر باشا عن مضمون هذا الكتاب في شهادته في قضية الاغتيالات السياسية ، وقال ان الجنرال ولسن أعرب له فيه عن أسفه الشديد لوقوع تلك الأزمة السياسية ، وانه ليس لهم (أي العسكريين) يد فيها ، وان تقدير المسألة في نظره هو أنه حصل « تعارض بين ولائين » ، وكل طرف كان يقدم دولته على الأخرى ، وهذا أمر طبيعي ، ثم شكره شكرا جزيلا على المعاونة القيمة والسريعة التي لقيها من الحكومة المصرية ، واستقباله على الدوام في كل مرة كان يطلب فيها مقابلته ، وتمنى له استمرار العلاقة الطيبة وأن يكون له الحق في مقابلته والتحدث معه في المسائل العامة (١٠٨) .

• • •

فما هي الأسباب المباشرة للتبليغ البريطاني في ١٩ يونية ١٩٤٠ ؟ لقد حدد علي ماهر باشا سببا واحدا عند اخراجه من الحكم ، هو أن الحكومة البريطانية طلبت منه اشتراك مصر في الحرب ، ولكنه لم يقبل ذلك . ففي بيانه المطول الذي ألقاه في مجلس الشيوخ في يوم ٢٤ يونية ١٩٤٠ قال : « لقد عرضت على حضراتكم سياسة الحكومة بالنسبة للحرب التي وقعت بين حليفنا وإيطاليا . وكانت هذه السياسة مستمدة من روح الشعب ورغباته ، فوافقتم عليها بالإجماع . وكان لا بد لي قبل اتخاذ أي قرار خطير أن الجأ الى حكمة شيوخ الأمة ، كما كان لا بد لي ، وقد

أراد لنا حلفاؤنا الاشتراك في الحرب ، ان اقدر المصلحة العليا للبلاد ، وان أحترم دستورها ، وأتقدم اليكم بالرأي ، وخصوصا بعد ان اعلنت ايطاليا انها لا تريد أن تجر مصر وغيرها من الدول الى الحرب . فلو أنني وافقت ممثل الحليفة على طلبه اشتراك مصر في الحرب من غير أن ارجع الى البرلمان ، لكنت معتديا على دستور البلاد ، فضلا عن ان السياسة التي أوحتها التجارب والحوادث كانت تحتم علي تجنب البلاد ويلات الحرب ، سواء أكان ذلك بطريق مباشر أم غير مباشر .

« فلما صدر قرار البرلمان بتأييد سياسة الحكومة ، قضى هذا القرار على طلب اشتراك مصر في الحرب . . . وقد وضعت الحكومة نصب عينها المصلحة العليا للبلاد ، متوخية اجابة طلبات الحليفة ما دامت هذه الطلبات لا تجر مصر الى حالة تخالف السياسة التي أقرتموها ، ولكنها رأت في بعض هذه الطلبات أنها تؤدي بذاتها او بمجموعها الى حالة الحرب المقرر تفاديها ، فنشأ الخلاف . وفي الوثائق الرسمية المودعة في محفوظات رئاسة مجلس الوزراء وفي وزارة الخارجية الكثير من هذه المطالب .

« ويتلخص جوهر الخلاف الحالي في التعارض بين مصلحة الدولتين . فكل منا كان يعمل بما يمليه عليه الولاء والاخلاص لوطنه . . . ليس تجنب مصر الحرب أمرا قد أوحاه الخوف أو أملاه الجزع أو الاطمئنان الى نوايا الدول الاخرى ، كلا ، بل الحقيقة الواضحة أنه ليس على هذه البلاد المستقلة أي التزام لحليفها أكثر مما ورد في المعاهدة ، فهي وحدها - حكومة وبرلمانا - التي تقدر مصلحتها ، وقد قالت كلمتها في هذا الشأن بعد امعان وتفكير طويل . فلا يظن أحد أن المصريين يرغبون عن التضحية والفداء دفاعا عن حريتهم واستقلالهم ، والتاريخ حافل باستبسالهم في الدفاع عن وطنهم » (١٠٩) .

وقد أتبع علي ماهر باشا هذا البيان بتصريح لندوبي الصحف عدد

فيه الحالات التي طلبت السلطات البريطانية فيها منه الاشتراك في الحرب، وهي حالتان : الأولى، عند بدء الحرب مع ألمانيا، والثانية بعد دخول إيطاليا الحرب . وأضاف أنه في كلتا الحالتين استمرت المناقشات في هذا الشأن أياما (١١٠) . على أن الحكومة البريطانية كذبت، بلسان مصدر بريطاني رسمي في لندن يوم ٢٠ يونية ١٩٤٠ أنها كانت تعمل لارغام مصر على اعلان الحرب . وقالت انها ليس لها غرض كهذا ، وكل ما تطلبه من مصر هو أن تراعي معاهدتها مع بريطانيا بولاء نصا ومعنى، وأن تعمل على عدم تشجيع أي شيء من شأنه عرقلة العمليات الحربية البريطانية في مصر (١١١) .

ويفهم من هذا البيان البريطاني المقتضب، الذي صدر بعد تبليغ ١٩ يونية بيوم واحد ، وعلى أثر الاشاعات التي اجتاحت مصر عن طلب بريطانيا من الحكومة دخول الحرب، ان السبب الذي بنت عليه الحكومة البريطانية تبليغها هو أن حكومة علي ماهر باشا لم تراعى تنفيذ معاهدتها مع بريطانيا نصا وروحا، وأنها كانت تشجع على عرقلة العمليات العسكرية في مصر . وهو سبب غامض فوق أنه غير صحيح، لأنه يتناقض مع رسالة الشكر التي وجهها الجنرال ولسن الى علي ماهر باشا بعد اقالته، وهي الرسالة التي يقول الجنرال ولسن عنها في مذكراته انها أحدثت اضطرابا شديدا في الدوائر الدبلوماسية البريطانية .

وفي الواقع أن الأسباب المباشرة للتبليغ البريطاني نجدها في وثائق وزارة الخارجية البريطانية ، وبصفة خاصة في المراسلات المتبادلة بين السفير البريطاني ، السير مايلز لامبسون ، واللورد هاليفاكس وزير الخارجية البريطانية . وتبدأ هذه الأسباب المباشرة قبيل اعلان إيطاليا الحرب على الحلفاء ، وعلى وجه الدقة يوم ٢٥ مايو ١٩٤٠ ، وكان الذي أثارها السير مايلز لامبسون ، بسبب سياسته في حمل مصر على دخول الحرب ، وهي السياسة التي لم تكن حكومته تشاركه فيها تماما كما

رأينا . ففي ذلك اليوم ، أبلغ علي ماهر باشا السير مايلز لامبسون بفحوى حديث دار بينه وبين الوزير الايطالي المفوض في مصر ، الكونت ماتزوليني ، وفي هذا الحديث سأل الوزير الايطالي علي ماهر باشا عما اذا كانت مصر لديها نية في مهاجمة ايطاليا ؟ وقد اجابه علي ماهر باشا بأن مصر ، كما هو واضح ، ليس لديها نية من هذا القبيل ، وانها انما ترغب في تحاشي الحرب مع ايطاليا ، ولكنها مع ذلك سوف تدافع عن نفسها ضد أي هجوم يقع عليها . وقد انتهز السير مايلز لامبسون هذه الفرصة ليفضي الى علي ماهر باشا بما اعتبره «افتراضا طبيعيا» ، وهو انه اذا وجدت انجلترا نفسها في حرب مع ايطاليا ، فان مصر سوف تقف بطبيعة الحال الى جانبها كدولة محاربة . ولكن علي ماهر باشا رد بأنه اذا حدث هجوم على الأراضي المصرية ، فان الحرب في هذه الحالة ستكون حربا هجومية من وجهة النظر المصرية ، ويلزمه طبقا للدستور أن يلجأ الى البرلمان . وقد حاول لامبسون أن يثني علي ماهر عن هذا الرأي بنظرية ان الهجوم خير وسيلة للدفاع ، وأنه لا حاجة من ثم لموافقة البرلمان ، ولكن علي ماهر تمسك برأيه بأن موافقة البرلمان أمر ضروري، ودعا السفير البريطاني الى عدم استعجال الأمور ، وأن ينتظر التطورات لأنه ربما لا تثور هذه المسألة ابدا . على أن لامبسون رد بأنه وان كان ذلك يبدو رأيا صائبا، الا أنه يرى من الضروري أن يحذر رفعتة من المناورات والحجج التي تقوم بها ايطاليا ، وهي التي يعرف أنها في تلك الاثناء كانت تروج بنشاط لنظرية ان مصر تستطيع أن تبتعد عن الحرب بسلام اذا دخلت انجلترا الحرب ضدها. وقال أن مثل هذه الحجج تعتبر مضللة تماما ، كما أنها على جانب كبير من الخطورة ، وأن المثل أمام مصر واضح في ليبيا والحبشة لتعرف ما الذي ينتظرها على يد ايطاليا (١١٢) .

وقد مضى أسبوع كامل على هذه المحادثة قبل أن ينتهز لامبسون مناسبة تقديم مارشال الجو الجديد للملك فاروق ، ليختلي به ويحدثه

بخصوص الاستعدادات لمواجهة الهجوم الايطالي ، ويسترعي انتباهه الى المؤامرات الايطالية المتزايدة ، ويندد بما سمعه في ذلك الحين من أن مسألة الحياد المصري كانت تتردد في الدوائر العلية ! وقد تخلص الملك فاروق من هذا الموقف بالحديث عن الأمر الذي أصدره بتحديد اقامة عم الملكة فريدة بسبب تصرفه الطائش ، وقال ان ذلك يثبت أنه فيما يختص بأعضاء الأسرة المالكة فانه مستعد لاتخاذ أشد الخطوات ! وقد رد لامبسون متسائلا عما اذا كان في وسع فاروق ايضا ان يواصل هذا العمل الطيب ويطبقه على صدقي باشا وابنته باعتبارهما من أبرز عملاء الطليان ؟ (١١٣) •

على أنه لم يكذب يرق السير لامبسون الى اللورد هاليفاكس بهذه المقابلة وما دار فيها ، حتى وصله الرد منه وفيه يعرب هاليفاكس عن تقديره للجهود التي يبذلها (لامبسون) لضمان أنه في حالة مهاجمة ايطاليا للحلفاء، فإن مصر سوف تتفانى في تنفيذ التزامات المعاهدة، ولكنه أوضح أنه يشك فيما اذا كان مثل هذا الضغط على علي ماهر باشا والملك فاروق للحصول على تعهدات منهما بدخول الحرب سوف يكون ضرره أكثر من نفعه ، وقال ان الضغط الايطالي والعوامل الداخلية من شأنها دون شك أن تجعل فاروق وعلي ماهر قلقين بخصوص اتخاذ مثل هذه الخطوة الكبيرة ، التي سوف تثبت الأحداث المقبلة أنهما بالكاد يستطيعان تحاشيها ، وانه ليدو لي أن خير ما يمكن اتباعه هو القول بأن حكومة صاحب الجلالة تثق كل الثقة في أن القرار الذي ستتخذه الحكومة المصرية هو أن تحارب جنبا الى جنب مع الحلفاء دفاعا عن الحرية التي تتمتع بها، وانه لا يمكن أن يخالج هذه الحكومة وهم فيما يتصل بمدى الأطماع الايطالية في البحر المتوسط وشمال افريقيا ، وانه تعرف حق المعرفة ان القوات البريطانية في مصر هي في الحقيقة حاميتها الوحيدة • ثم قال هاليفاكس انه ، كما سبق أن ذكر في برقيته رقم ٣٧٦ يفضل أن يخذر

السير مايلز لامبسون من أن ينصح بتأليف حكومة مصرية جديدة ، اذ من الواضح أن الملك فاروق ربما يستاء ويسيء فهم هذه الخطوة من جانبه، وخصوصا المناقشات مع الوسطاء . وقال انه يدرك الوضع الخاص لسفارة صاحب الجلالة ، ولكنه قد يبدو من المرغوب فيه أن يظل نفوذها في الوقت الحاضر في حالة سكون ما لم تبدأ الأمور تسير في الطريق الخاطئ ، بدرجة خطيرة (١١٤) .

على أن السير مايلز لامبسون ، الذي كانت فكرة دخول مصر الحرب مشتتة في ذهنه ، والذي كانت تزعجه لحد كبير فكرة الحياد ، لم يلبث أن كتب في نفس اليوم الى اللورد هاليفاكس يقول ان الموقف فيما يتعلق بموقف مصر من وقوع الحرب بين بريطانيا وايطاليا يتدهور تدهورا سريعا ، فان نظرية الامتناع عن دخول الحرب، وحتى احتمال اعلان حياد مصر قد أخذ في الانتشار ، وان مقالات الصحف المصرية قد ساهمت في ذلك ، وقال انه لذلك رأى أن يتحرك بسرعة ، فقابل رئيس الوزراء، وسأله دون مواربة عما اذا كان يتبع معه سياسة ذات وجهين؟ وعندما أنكر علي ماهر هذا الاتهام بحرارة ، أشار لامبسون الى ما كتبه جريدة البلاغ الحكومية مما يبدو واضحا منه أنها تقصد تهية الرأي العام المصري لفكرة عدم دخول الحرب، وطلب الى علي ماهر ان يتذكر ما سبق أن قاله الأخير له من أنه لا يتصور كيف لا تصل الحرب الى مصر مع وجود الأسطول والجيش البريطاني فيها، فلم اذن يضلل الرأي العام بالسماح ، بل وبما يبدو أنه تشجيع ، الآراء المخالفة؟ . وهنا أكد علي ماهر مرة أخرى وبقوة وقوفه الى جانب الانجليز بكل ولاء، وقال انه يأمل في عدم اعارة الاشاعات المضللة أي اهتمام، وانه اذا ترك يعمل بطريقته الخاصة ، فان كل شيء سيكون على ما يرام . ولكن لامبسون عاد مرة أخرى الى مسألة السياسة ذات الوجهين ، فسأل علي ماهر باشا عما اذا كان يعرف ما يفعله وزيره المفوض في ايطاليا ؟ وعندما أجابه علي

ماهر بالايجاب ، سألته : اذن هل يعرف ما وصل اليه من تقارير موثوق بها بأن هذا الوزير في روما يعمل من أجل حياد مصر ، وأنه يظهر عدم ولائه للمعاهدة ؟ وهنا أخذ علي ماهر لسماع هذا القول ، وانكر امكانية حدوث ذلك على أساس أن السفير « ليست لديه سلطة لمناقشة مسألة الحياد » ، ولكن لامبسون قال انه في هذه الحالة ينصح علي ماهر باشا بأن يكبح جماح وزيره في روما (١١٥) .

وقد لقي هذا التحرك الأخير للامبسون تأييد هاليفاكس، فكتب اليه يوم ١٠ يونية ، وهو اليوم الذي دخلت فيه ايطاليا الحرب ، يعلن موافقته على اللهجة المتشددة التي اتخذها مع علي ماهر باشا ، وقال انه يأمل في ألا يترك لدى رئيس الوزراء المصري أي وهم بخصوص ضرورة أن يعتبر جميع الاقتراحات بخصوص حياد مصر مضللة ، « حيث أننا سوف نجعل مصر قاعدة للعمليات الحربية . وان حكومة صاحب الجلالة لترغب في أن تترك لك حرية التصرف كاملة في اتباع ما تراه لمعالجة الموقف معه ، وستؤيدك في أية مباحثات لجعل هدف حكومة صاحب الجلالة واضحا للحكومة المصرية » (١١٦) .

وقد قابل لامبسون في اليوم التالي علي ماهر باشا بينما كان في طريقه الى اجتماع مجلس الوزراء ، ليعيد عليه الضغط بشأن دخول مصر الحرب . فقد سألته عما سوف يقوله للنواب في تلك الليلة ؟ وعندما أراد علي ماهر التهرب منه بالقول بأنه لم يرتب ذهنه بعد على ما يقول، رد لامبسون قائلاً انه في هذه الحالة يمكنه أن ينعش ذاكرته من واقع الأحاديث التي سبق أن جرت بينهما ، فقد سبق أن قال له علي ماهر انه اذا وقع هجوم على مصر من أي نوع فيمكنه الاعتماد على أن مصر سوف تصبح في حرب مع ايطاليا ، واذا كانت الحرب خارج الاراضي المصرية فان الحكومة المصرية يجب أن تحصل على موافقة البرلمان . وقال ان هذا القول قد أبلغ لوزير الخارجية البريطانية واعتبره كافياً ، واننا

تتوقع ، واثقين من هذه التأكيدات السابقة ، أن مصر سوف تفعل الشيء
الصواب بجانب حليفاتها ، وسوف تدخل الحرب مباشرة • ولكن علي
ماهر رد بأنه قد أمطر طوال اليوم بأسئلة الناس يسألون : اذا كانت مصر
لا تستطيع أن تدفع الى الميدان بأكثر من ٥٠٠٠ جندي ، فما الذي يدعوها
الى أن تجلب كارثة بإعلان الحرب ؟ وقد أجاب لامبسون بأن علي ماهر
فيما يبدو يتناسى أمرين : اولهما ، ان القوات البريطانية موجودة • والثاني ،
أن الجيش المصري أكبر عددا من ذلك بكثير وان كان جزء كبير منه
ليس قوات على خط الجبهة • وقال انه على كل حال فان القيادة العامة
والحكومة البريطانية تعلقان أهمية على مساعدته ، وهذا في حد ذاته
يجب أن يعتبر تنفيذا كافيا لهذه الحجة السخيفة • ثم طلب لامبسون
من علي ماهر أن يسلم الوزير المفوض الايطالي جواز سفره فورا • فوعد
علي ماهر باتخاذ قرار بذلك مع زملائه في تلك الليلة ، وان يتم التنفيذ
في اليوم التالي ، كما طلب لامبسون ايضا احاطة المفوضية الايطالية
والقنصليات الايطالية بالكردون ، وعدم السماح بأي اتصال بها (١١٧) •
حتى ذلك الحين ، وقبل هذه المقابلة بين السير مايلز لامبسون وعلي
ماهر باشا يوم ١١ يونية ، لم تكن فكرة تغيير الحكومة قد ظهرت في
الأفق بعد ، ولكنها لم تلبث أن ظهرت في أعقاب هذه المقابلة • فقد كتب
لامبسون الى وزير خارجيته في نفس اليوم يقول انه « بعد مقابلاتي
الليلة مع رئيس الوزراء ، فاني بعيد عن أن أكون سعيدا من ناحية حسن
اخلاصه ، وان أخوف ما أخافه هو أنه ما لم تتبع أسلوبا قويا حقيقيا
معه ، وهو ما يعني أيضا مع الملك ، فانتا قد نجد أنفسنا وقد غرر بنا » •
ورجا لامبسون هاليفاكس ألا يعتبره متشائما ، « ولكن اذا ظهرت الحاجة
للعمل فستظهر سريعا ، واني أعتقد أن هذا العمل يكمن في الاصرار على
تأليف حكومة موسعة على رأسها رئيس وزراء جديد ، وتكون مستعدة
للقوف الى جانبنا باخلاص ، وفيما بعد للوقوف بشكل حاسم وبقوة ضد

ايطاليا » ، واقترح لتأليف الوزارة كلا من حسن صبري وحسين سري وحافظ عفيفي ، « وربما آخرون غيرهم » ، وقال : « ان الملك سوف يرفض بالتأكيد ، ولكنني أشعر بأنه يجب أن نكون مستعدين عند الحاجة لمواجهة ذلك ، وأن نخبره بأنه يجب ان يذعن أو يخرج ، ولدينا في الامير محمد علي مواليا مخلصا يمكننا الاعتماد عليه بثقة ، واني أعتقد أن غالبية الشعب المصري سوف تتنفس الصعداء (١١٨) » .

يتضح من ذلك أن الخلاف الناشب بين السفير البريطاني وعلي ماهر حتى ذلك الحين كان خلافا حول مسألة دخول مصر الحرب . فبينما كان علي ماهر يفرق بين الحرب الدفاعية والحرب الهجومية ، ويرى أن دخول الحرب الدفاعية يلزم فيه اعتداء ايطاليا على مصر ، وأن دخول الحرب الهجومية يلزم له موافقة البرلمان ، كان السير مايلز لامبسون لا يفرق بين الحربين ، فقد كان يرى أن الحرب الهجومية تدخل في اطار الحرب الدفاعية ، طبقا للنظرية التي تقول بأن الهجوم خير دفاع ، ولما رأى لامبسون ان علي ماهر لا يريد أن يذعن للضغط الواقع عليه ، وفي الوقت نفسه كانت الصحف الحكومية تروج لفكرة الحياد ، بينما كانت التقارير ترد من روما بأن الوزير المصري المفوض فيها يفاوض بخصوص الحياد ، اعتبر لامبسون ذلك علامة على أن علي ماهر يلعب على الحبلين، وأنه يماطل في اعلان الحرب تمهيدا لاعلان الحياد . ومن ناحية أخرى فقد وقف اللورد هاليفاكس موقف المعارضة من لامبسون بخصوص الضغط على علي ماهر والملك فاروق للتعهد باعلان الحرب، على اعتبار أن ذلك من سبق الحوادث ، وأنهما لن يستطيعا تحاشي اتخاذ هذه الخطوة في الوقت المناسب، ورأى من الضروري أن يظل نفوذ السفارة البريطانية في حالة سكون ما لم تتخذ الأمور شكلا خطيرا . ولكنه ، تحت المعلومات التي أرسلها اليه لامبسون بخصوص اتجاه علي ماهر نحو الحياد ، عدل عن موقفه وطلب الى لامبسون ان يحذر علي ماهر من هذه الخطوة ، لأن

انجلترا تنوي أن تجعل من مصر قاعدة للعمليات الحربية ، وهو ما يتعارض مع الحياد . ومن هذا يتضح الى أي حد كان السير مايلز لامبسون يسوق الحوادث ، ويدفع الأمور الى أزمة للتخلص من وزارة علي ماهر باشا وتأليف وزارة جديدة موالية ، وبذلك يضمن اعلان مصر الحرب على ايطاليا ويتخلص من فكرة الحياد .

وواضح أن أزمة الثقة في علي ماهر باشا ، كانت وراء تصرفات السفير البريطاني ، على الرغم من أنه لم يكن هناك في الحقيقة ما يبررها، حيث أن موقف علي ماهر الى ذلك الحين كان موقفا صريحا، وهو أنه اذا اعتدت ايطاليا على الأراضي المصرية فانها تكون حربا دفاعية لا تحتاج الى موافقة البرلمان ، أما اذا كانت الحرب خارج حدود مصر ، فانها تكون حربا هجومية تتطلب موافقة البرلمان . ونظرا لأن القوات الايطالية لم تكن حتى ذلك الحين قد دخلت الاراضي المصرية ، وبالتالي فلم تكن نية علي ماهر باشا قد وضعت موضع الاختبار بعد ، فان طلب السير مايلز لامبسون تغيير هذه الحكومة لا يمكن تفسيره الا بخوفه من أن يتكرر ما حدث عند اشتعال الحرب في سبتمبر ١٩٣٩ ، حين تملص علي ماهر من اعلان الحرب على ألمانيا كما كان يريد لامبسون ، حينما رأى أن الحكومة الانجليزية لا تصر على ذلك . وسنلمس أثر هذا الخوف في المراسلات التالية .

ففي اليوم التالي لاقتراح لامبسون على اللورد هاليفاكس تغيير الحكومة المصرية، قابل علي ماهر باشا وأخبره أنه علم لتوه أن الايطاليين قد دخلوا موقعا مصرية على الحدود عند سيدي عمر جنوب السلوم ، وأن هجوما ايطاليا آخر متوقع على السلوم ، وقال ان ذلك فيما يبدو له يحل مشكلة علي ماهر باشا فيما يتعلق بالحرب الدفاعية (١١٩) . ولكن علي ماهر في نفس اليوم (١٢ يونية) حدد أمام النواب، في الجلسة السرية التي أشرنا اليها، الحالات التي تفضي الى دخول مصر الحرب، وفي

أولها - كما ذكرنا - : اذا توغلت الجنود الايطالية في الأراضي المصرية مبتدئة ، وثانيها ، اذا ضربت المدن المصرية بالقنابل ، وثالثها ، اذا أرسلت غارات جوية على مواقع الجيش المصري • وقد سئل علي ماهر باشا في هذه الجلسة السرية عما اذا كان وقوع غارات جوية على المطارات البريطانية أو على الاسطول البريطاني الموجود في المياه المصرية الاقليمية يعتبر هجوما على مصر ، فأجاب رئيس الوزراء بالنفي (١٢٠) •

ومعنى ذلك أن الخلاف قد انتقل الى نقطة أخرى ، هي تحديد معنى الاعتداء الايطالي على الأراضي المصرية • ففي الوقت الذي كان لامبسون يعتبر مجرد اختراق الحدود واحتلال بعض النقاط اعتداء ايطاليا يوجب على مصر اعلان الحرب الدفاعية ، فقد حدد علي ماهر معنى هذا الاعتداء « بالتوغل » في الاراضي المصرية ، وهو ما يعني الغزو • وثلمس الأسباب التي حدت بعلي ماهر باشا الى هذا التحديد لمعنى الاعتداء الايطالي فيما ذكره أمام النواب في الجلسة السرية ردا على مطالبة الدكتور أحمد ماهر الحكومة بمنح انجلترا مزيدا من التسهيلات أكثر مما تستوجبه المعاهدة • فقد رد بغضب قائلا : انه أخبر المندوب السامي انه لو كان لدى مصر قوات كافية للتأثير على مجرى الحرب، لما تردد في اعلان الحرب على ايطاليا وعلى المانيا ، ولكن لسوء الحظ فان مصر ليس لديها على الحدود سوى ٥٠٠٠ جندي تنقصهم وسائل النقل الكافية ، وان اعلان الحرب على هذا النحو سوف يسبب هلاك ١٦ مليوناً من السكان (١٢١) • من ذلك يتضح أن الغرض الأساسي من تحديد علي ماهر باشا لمفهوم الاعتداء الايطالي انما هو كسب الوقت حتى يتضح سير الحرب، فاذا صمد الحلفاء أعلن علي ماهر باشا الحرب طبقا للشروط التي أعلنها في البرلمان ، واذا انهارت مقاومتهم تجنب علي ماهر باشا هذا الاعلان •

وهذا يفسر الخطوة التي خطاها علي ماهر باشا عند انهيار مقاومة

فرنسا وطلبها للهدنة يوم ١٧ يونية ، وهي الخطورة التي تعتبر نكوصا عن قرار ١٢ يونية السالف الذكر الذي وافق عليه النواب . فقد أصدر أوامره الى القوات المصرية المربطة على الحدود بالارتداد الى داخل البلاد منعا للاشتباك مع الطليان وتوريط البلاد في الحرب . وعندما سئل عن ذلك في مجلس النواب ، أكد هذا الاجراء وقال : ان الحكومة « مصممة على الاستهانة بكل الصعاب في سبيل تجنب مصر ويلات الحرب » ، وانها اتخذت هذا الاجراء « كيلا تتعرض لتوريط البلاد في حالة حرب قبل أن تتاح للحكومة والبرلمان فرصة القرار فيما يراه المصلحة العليا للبلاد » (١٢٢) .

فما هو مدى ارتداد القوات المصرية وفقا لأوامر علي ماهر باشا ؟ أن هذا الارتداد يبلغ مساحة هائلة تبلغ ٢٣٠ كيلومترا ، وهي المسافة بين السلوم ومرسى مطروح . وهذا واضح من القرار الذي اتخذته وزارة حسن صبري باشا ، التي خلفت وزارة علي ماهر باشا ، بعدم محاربة الطليان الا اذا تقدموا الى مرسى مطروح . فقد أشار الدكتور هيكمل الى هذا الموقع باعتباره « أول مركز للقوات المصرية المسلحة في صحراء مصر الغربية » (١٢٣) .

على كل حال ، ففي يوم ١٣ يونية ، أي في اليوم التالي لاعلان علي ماهر باشا في الجلسة السرية لمجلس النواب شروطه لدخول مصر الحرب ، وهي التي نقلت الخلاف بينه وبين السفير البريطاني الى مسألة تعريف الاعتداء الايطالي الموجب لاعلان الحرب ، تقابل لامبسون مع أحمد حسنين باشا ، وأبلغه ان الموقف دقيق ، وأنه يجب عليه أن يحذر الملك فاروق من الأخطار القادمة ، وأنه من الخير أن يتلقى الملك هذه التحذيرات من الداخل بدلا من أن يتلقاها من الخارج . ثم لخص لامبسون المناقشات التي جرت بينه وبين رئيس الوزراء ، وانتهى بالتعرض للمناقشات التي دارت في الجلسة السرية لمجلس النواب « حيث تصرف

رئيس الوزراء تصرفا غريباً ، كأقل ما يمكن أن يقال » ، وأشار إلى المصادفة الغريبة أيضاً الخاصة بعدم ولاء وزير مصر المفوض في روما ، ثم غموض موقف علي ماهر باشا الذي لا شك فيه ازاء الصحافة المحلية ، وقال : « ان خلاصة ذلك كله أن عملنا العسكري لا يجب ان يعوقه عائق ، وان الحكومة المصرية يجب أن تتخذ كل الاجراءات الضرورية التي تطلبها السلطات العسكرية ، واننا لسنا في حالة نفسية نسمح فيها لأحد أن يحبط عملنا أو يلعب بنا » (١٢٤) •

وفي نفس اليوم ، كان لامبسون يكيل التهم لعلي ماهر في برقية له الى وزير الخارجية اللورد هاليفاكس ، لاثبات عدم رغبته في التعاون باخلاص . فقد ذكر أنه طلب اليه في أول يونية ، ومرة أخرى في السادس من يونية ، اعتقال جميع الالمان فورا ، رجالا ونساء ، الذين ما زالوا مطلقي السراح في مصر ، ومنذ ذلك الحين اعتقل ٧٣ ألمانيا فقط . وقد ألح عليه مرة أخرى بضرورة اتخاذ اجراءات فورية وفعالة ، ولكنه « لا هو أعطى التعليمات ولا هو تابع تنفيذها » ، وأنه طلب اليه عمل حملة دعائية مضادة لاطاليا في الصحافة والاذاعة ، ولكن على الرغم من تأكيدات الشفوية فانه يعوق ذلك بانتظام ، وانه سمع أن بعض المعتقلين من الايطاليين قد أطلق سراحهم على الرغم من الأوامر التي تخالف ذلك ، وان هناك علامات تشير الى عدم الرغبة في العمل طبقا للرغبات الانجليزية فيما يختص بقطع المعاملات التجارية والمالية مع ايطاليا وقتل البنوك الايطالية والحجز على الشركات الايطالية ، كما ان رئيس الوزراء يعارض في تعيين قواد بريطانيين في ثلاث مناطق حربية ، وانه لا يوجد أدنى شك في أنه يسوي الأمور مع الطليان ويحاول تسهيل الأمور عليهم ، كما أنه يبذل امكانية الاعتماد على الجيش المصري ، الذي تصل بشأنه التقارير المزعجة من الجنرال مكريدي (١٢٥) •

وفي يوم ١٥ يونية ، أجهز لامبسون على علي ماهر باشا ببرقية الى

اللورد هاليفاكس قال فيها انه يخشى « أنه لم يعد هناك مجال للشك في أننا قد وصلنا الى المرحلة التي ذكرتها في الفقرة الثانية من برقيتك رقم ٤٠١ وهي : أن « الأمور بدأت تسير في الاتجاه الخاطئ بدرجة خطيرة » ، فان جميع الشواهد تشير الى ان الموقف يتدهور بسرعة ، وقد تسلمت رسالتين يائستين تقريبا من كل من محمد محمود باشا والنحاس باشا بأنه اذا أريد انقاذ البلاد ، فمن الضروري أن يذهب علي ماهر وبسرعة . ويؤسفني أن هذه النتيجة هي التي توصلت اليها بنفسي أيضا » . ثم قال لامبسون : انه لم يعد يوجد الآن ظل من الشك في ان علي ماهر باشا ليس متعاونًا ولا يعول عليه ، ولم يعد من الممكن بالنسبة لنا أو بالنسبة لمصر ان يستمر في منصبه أكثر من ذلك . وقال لامبسون انه أصبح مقتنعا هو ومستشاروه في السفارة بأن أحسن ما يمكن اتباعه هو ان يسأل النحاس باشا ، باعتباره « والد المعاهدة » ، والرجل الذي يقود غالبية الرأي العام » ، عما يعتبره أنسب وزارة تحل محل وزارة علي ماهر باشا ، مع انتهاز الفرصة للتأكيد على جسامه المسئولية التي ستلقى على هذه الوزارة ، والفائدة التي يمكن الحصول عليها بالتالي من وزارة تنضم اليها عناصر اخرى الى جانب الوفد . على أنه اذا فضل النحاس وزارة وفدية خالصة ، فتقبل رغبته ، « لان النحاس باشا ، مع كل أخطائه ، سوف يعمل ، من وجهة نظري ، بولاء معنا ، لانه حقيقة يؤمن بالخطر الايطالي ويكره الدول الدكتاتورية » كما أنه — كما أعتقد — يتطلع الى بريطانيا العظمى باعتبارها « أمل مصر الوحيد » . ثم تعرض لامبسون لما قد يبديه فاروق من معارضة فقال : « اننا يجب أن نكون حازمين مع الملك فاروق ، وان الجنرال ويفل ، الذي يشاركني رأبي في ضرورة تغيير الحكومة بسرعة ، ليستعد لمساندتي عند الضرورة ، وان كان أي منا لا يعتقد أنه سوف يصمد ضدنا ، وعلى أي حال فان شعبيته قد تدهورت تدهورا كبيرا ، وغالبية الشعب قد أصبحت تعاف حيله الصبيانية غير المسئولة » . ولم

ينس لامبسون في هذه البرقية معالجة احتمال انتقال علي ماهر من رئاسة الوزارة الى القصر مرة أخرى ، فقال انه « من الضروري بطبيعة الحال منع عودة علي ماهر الى القصر ، حيث سيكون في هذا المنصب أكثر خطورة مما هو عليه في منصبه الحالي » . وفي ختام برقيته الى اللورد هاليفاكس ، اقترح لامبسون الموافقة على أن يجري اتصالا مع النحاس باشا بعد ظهر اليوم التالي على الأسس المقترحة ، وفي هذه الحالة ، واذا تم ذلك ، فلا سبيل الى النكوص . وقال انه يأسف لأنه يضيف الى أعباء اللورد هاليفاكس هذه المشكلة ويواجهه بالحاجة الى اتخاذ مثل هذا القرار بسرعة ، ولكن عمل الشيء في وقته المناسب أفضل من الندم بعد ذلك لعدم فعله (١٢٦) .

ولم يلبث لامبسون ان ألحق هذه البرقية ببرقية أخرى في نفس اليوم يكرر فيها الالاحاح على هاليفاكس . فقد أبلغه أن حسين سري باشا قد حثه بقوة على أن يتخذ هذا الاجراء على الفور اذا أريد انتقاذ الموقف قائلا : ان علي ماهر باشا لا يعمل بولاء مع الانجليز ، وانه « لولا الخوف من تأثير المبلاد سياسيا ، لقدّم هو وبعض زملائه استقالاتهم من مناصبهم » . ثم ذكر لامبسون ان فاروق قد عاد في تلك الليلة من الاسكندرية ، وأنه يشعر بأن خطر التأخر في اتخاذ قرار قد أصبح عظيما . وقال ان الاشاعات حول الاخبار السيئة الواردة من فرنسا قد جعلت الحاجة أشد إلحاحا لاتخاذ اجراء فوري (١٢٧) .

وواضح ان لامبسون كان يبالغ في خطورة الموقف ، مستندا الى الصراعات الحزبية والشخصية ، والى رغبة الوفد في التخلص من حكومة القصر الممثلة في وزارة علي ماهر باشا وتأليف وزارة جديدة تكون أكثر ادراكا للخطر الايطالي من تلك الوزارة وأكثر عزما على مقاومته ، وهو ما أصبح يمثل الآن الحاجة الملحة الأولى .

وقد جاء الرد من اللورد هاليفاكس في اليوم التالي، ١٦ يونية ،

وهو يستجيب لطلب لامبسون بخصوص تغيير الوزارة ، ولكنه يختلف معه في الرأي بخصوص الوزارة المقترحة . فقد بدأ هاليفاكس برقيته بالقول بأنه فيما يبدو فان علي ماهر باشا لم يعد يملك الشجاعة لمواجهة المصاعب والأخطار التي يحتوي عليها الموقف ، وأنه حتى وهو يوافق على الطلبات المقدمة اليه ، فانه يجعل ذلك يبدو كما لو كان ضد رغبته ورأيه . ومن ثم فاني أوافق معك على أن ذلك لا يمكن أن يستمر . ثم قال هاليفاكس انه لذلك يمنح السير لامبسون كامل السلطة في ان يقول للملك فاروق انه في وقت الحرب فان أسوأ سياسة تتبع هي السياسة التي تتسم بعدم الاستقرار ، وان تقلب علي ماهر باشا لا يتفق مع روح المعاهدة ولا يمثل مشاعر الشعب المصري ولا يحقق مصالح مصر العظمى . وعلى ذلك فقد أصبح من الضروري تأليف حكومة جديدة . ثم اخذ هاليفاكس يشرح رأيه في هذه الحكومة الجديدة فقال : « ولمعلوماتك الخاصة ، فان هدفنا هو أن تكون هذه الوزارة بحيث تمثل أكبر عدد ممكن من العناصر السياسية ، واني أرى من الحكمة ، اذا كان ذلك ممكنا ، أن نجد رئيس وزراء غير وفدي يحظى بتأييد النحاس باشا ، بدلا من أن تتقدم الى النحاس مباشرة . فبجانب عجز الوفد الاداري، فاني متأكد أنك سوف تقدر أن تأليف وزارة وفدية خالصة سوف يثير، ليس فقط عدااء القصر ، وانما عدااء الدوائر السياسية الاخرى ايضا ، التي يعتبر تعاونها معنا ذا قيمة لنا . وختم هاليفاكس برقيته بالاشارة الى الجيش المصري ، فقد عبر عن اهتمامه به قائلاً ان موقعه على جانب عظيم من الاهمية ، وابدى امله في ان تتمكن الحكومة الجديدة من احراز ولائه وولاء الشعب المصري (١٢٨) . »

على أن جس نبض النحاس باشا في تلك الأثناء لم يلبث أن أسفر عن التقاء في وجهة النظر مع اللورد هاليفاكس، فقد كتب لامبسون في نفس اليوم الذي تسلم فيه رسالة هاليفاكس يقول انه قد تم أخذ رأي

النحاس ومحمد محمود عن طريق وسيط في الموقف ، وكان رأي النحاس
الله يفضل تأليف حكومة وفدية خالصة ، مع انشاء «مجلس حرب» من
زعماء الأحزاب الأخرى . والا فإنه ، كبديل لهذا الحل ، يوافق على
تأليف وزارة غير حزبية برئاسة عبد الفتاح أو سيف الله يسري . وقد
رفض كل من النحاس ومحمد محمود قبول حافظ عفيفي وحسن صبري
رئيسا للوزراء ، كما اعترض محمد محمود على عبد الفتاح .

وبذلك لم يعد ثمة خلاف في الرأي حول ازاحة وزارة علي ماهر
باشا أو حول نوع الحكومة الجديدة . ونلاحظ أن لامبسون قد انضم
الى رأي هاليفاكس بخصوص استبعاد فكرة تأليف وزارة وفدية خالصة ،
وان جعل ذلك يبدو كما لو كان بعيدا عن تأثير رأي هاليفاكس ، ففي
نفس اليوم الذي تسلم فيه برقية الأخير السالفة الذكر أرسل اليه برقية
ضمنها تعليقا على آراء النحاس بخصوص تأليف وزارة وفدية خالصة او
وزارة غير حزبية ، فعدد مساويء تأليف وزارة وفدية قائلا انها ستثير
عداء القصر وكل القوى السياسية الأخرى ، كما انها ستعني التخلي عن
أصدقاء مثل حسين سري أو أحمد ماهر اللذين أبديا استعدادهما للتعاون ،
هذا فضلا عن قلة كفاءة الوفد الادارية ، وما سوف يبدو مضحكا حين
نحاول اغراء زعماء الأحزاب على العمل معه في «مجلس الحرب» الذي
يظهر بوضوح عدم جدواه . ثم تحدث لامبسون عن مزايا تكوين وزارة
غير حزبية على نحو ما اقترح النحاس كبديل للوزارة الوفدية ، وعلى
نحو ما اقترح محمد محمود ايضا ، فقال انها بذلك سوف تحرز تأييد
الوفد والاحرار الدستوريين وربما السعديين أيضا ، وان كانت نقطة
الضعف فيها تكمن في أن الشخصين المقترحين لرئاسة الوزارة لا يعتبر
أي منهما مواليا لنا ، كما أن خبرة سيف الله يسري قاصرة فقط على
الخدمة الدبلوماسية في الخارج (١٢٩) . ثم انتهى لامبسون قائلا انه قد
قرر أن ينصح الملك باستشارة كل من محمد محمود باشا بوصفه زعيما

للمعارضة الرسمية ، والنحاس باشا بوصفه زعيم أكبر حزب جماهيري في البلاد ، وأن يعمل بما ينصحانه به .

على كل حال ، فعلى هذا النحو أصبح الاتفاق قائما بين جميع الأطراف المعادية لوزارة علي ماهر باشا . وهي في الطرف الانجليزي : وزارة الخارجية البريطانية والسفارة البريطانية في مصر ، وفي الطرف المصري : الوفد وحزب الأحرار الدستوريين - على تأليف وزارة محايدة برئاسة سيف الله يسري باشا . وقد نشط لامبسون لتنفيذ ذلك فور تلقيه برقية هاليفاكس المشار اليها . فقد طار الى الاسكندرية يوم ١٧ يونية وقابل الملك فاروق حيث قرأ عليه الفقرتين الأوليين من برقية هاليفاكس ، وقدم له ، بناء على طلبه ، مذكرة مكتوبة بهما . ثم طلب اليه أمرين : الأمر الأول ، أن « علي ماهر يجب أن يخرج ، ويخرج بسرعة » . والثاني ، ألا يعود علي ماهر الى القصر مرة أخرى ، « لأن التجربة أثبتت بما فيه الكفاية ان وجوده في القصر يجعل عمل أي حكومة أمرا مستحيلا » . وقد طلب فاروق فسحة من الوقت يتخذ فيها قراره ، ثم سأل عما اذا كان السفير سوف يوصي بحكومة معينة تحل محل علي ماهر باشا ؟ ، فلم يوص لامبسون بشيء ، ولكنه قال انه من الواضح أن مثل هذه الحكومة يجب أن تكون بحيث تنفذ المعاهدة بولاء لفظا ومعنى وتحظى بموافقة الشعب . واستطرد قائلا : انه لا يجعل اعلان الحزب شرطا مسبقا لتأليف الوزارة . وأوضح هذه النقطة - حسب قوله - « عدة مرات » خلال المحادثة . ثم نصح لامبسون فاروق باستشارة محمد محمود باشا باعتباره زعيم المعارضة الرسمية ، وكذا النحاس باشا باعتباره زعيم الحزب الذي يحظى بتأييد الجماهير ، وكرر هذه النصيحة « ثلاث مرات » - حسب قوله - . ولكن فاروق اعترض في اصرار على استدعاء النحاس باشا ، بحجة أنه ، أي النحاس ، قد « سبق له أن أهانه من نفس الكرسي الذي يجلس عليه لامبسون » . فرد لامبسون قائلا ان ما يطلبه

من الملك هو أقل بكثير مما يمكن أن يعمله الملك لمصلحة بلاده « ولمصلحة
عرشه بالذات » ! . وقد أخذ فاروق عند ذلك يصخب لبعض الوقت، ولكن
لامبسون واجهه قائلاً : « اننا جادون لحد الموت ، واتنا ننوي أن نحصل
على رئيس وزراء صديق وحكومة تقف الى جانبنا بولاء وتتعاون معنا
في كل ما نطلبه، ولو أنه ليس من الضرورة أن تعلن هذه الوزارة الحرب » .
ثم أشار بلباقة الى أن الجنرال ويفل « سوف يكون قلقا وهو في انتظار
عودته ذلك المساء لمعرفة « أي مدى سوف يذهب اليه جلالته في استعداداته
للعمل وفقا للخطوط التي نريدها » ، ورجا فاروق « ألا يلعب بالنار ،
وأن يسرع في اتخاذ قراره ، وألا تضلله نصائح علي ماهر باشا الخطة » .
وتلى ذلك مناقشة بين الرجلين قال فاروق فيها انه بوصفه ملكا على مصر
فان واجبه يقتضيه أن يتعد عن الحرب طالما كان في الجانب الخاسر . وقد
أجابه لامبسون بقوله « ان مصر سوف تغرق معنا أو تعوم معنا ، ومن
الأفضل لها أن تعوم وأن تبذل قصارى جهدها في ذلك . اننا سوف
نتصر في النهاية . ومن الأفضل للملك ألا تضلله الآراء حول هذا
الموضوع » . وقد فسر لامبسون للورد هاليفاكس عبارة فاروق الأخيرة
بأنه ، أي فاروق ، فيما يبدو كان متأثرا لحد كبير بآخر الاخبار عن فرنسا
(طلبها الهدنة) ، التي يبدو أنه كان قد سمعها ، وان كان لامبسون نفسه
لم يكن قد عرفها بعد . وقال لامبسون في ختام برقيته الى هاليفاكس أنه
طالما لا يملك أن يوجه انذارا نهائيا الى الملك ، فانه يشعر بأنه لا يمكنه أن
يضغط عليه بأشد مما فعل . وانه أخبر حسنين باشا بكل ما جرى، وقد ألح
هذا عليه في اعطاء علي ماهر باشا فرصة أخرى ، ولكنه رد عليه بأن ذلك
مستحيل ، لأن الرجل لا يستطيع أن يلعب بأمانة ! (١٣٠) .

• • •

وما حدث بعد ذلك كان مفاجأة للامبسون ، وقد عطل لحد كبير
مشروعاته . فقد قرر فاروق وعلي ماهر فجأة المقاومة ، وعلى نحو غريب،

هو استعداد ملك إنجلترا والحكومة البريطانية على السير مايلز لامبسون .
ففي اليوم التالي ١٨ يونية ، زار حسنين باشا السفير البريطاني حيث أبلغه
أن الملك فاروق قد أبرق الى ملك إنجلترا بالأمر ، وأنه الى أن يرد رد
جلالته ، فلن تتألف أية حكومة جديدة . وفي اليوم التالي ١٩ يونية ،
سلم السفير المصري في لندن ، حسن نشأت باشا ، رسالة فاروق الى ملك
إنجلترا ، وفيها أكد فاروق مساندة مصر لقضية الديمقراطية ، وشكا من
تدخل السفير البريطاني في شئون مصر الداخلية بطلبه تغيير الحكومة
وتشددته في اتخاذ اجراءات قد تؤدي الى اثاره تعقيدات يؤسف لها
في مصر (١٣١) .

وفي نفس اليوم ، قابل السفير المصري اللورد هاليفاكس وقرأ عليه
رسالة مطولة من علي ماهر باشا يوضح فيها أن الحكومة المصرية قد
اتخذت جميع الاجراءات المطلوبة التي تستوجبها المعاهدة ، ولكن لا
الجيش ولا الرأي العام في مصر مستعد لخوض حرب هجومية ، وانه اذا
حاولت إنجلترا أن تعجل بالأحداث ، فان الرأي العام سوف يتحول
ضدها . ثم عرض علي ماهر باشا لبعض الاجراءات التي طلبتها السفارة
البريطانية والتي هي موضع شكوى الحكومة المصرية وهي :

- ١ - اعتقال الأطباء الايطاليين وحرمان المرضى من رعايتهم .
- ٢ - تفتيش المفوضية الايطالية .
- ٣ - اعتقال ١٢٠٠٠ ايطالي .
- ٤ - قطع الاتصال بالوزير المصري في روما .
- ٥ - تفتيش الوزير الايطالي المفوض وتفتيش حقائبه .
- ٦ - اعتقال موظفي القنصليات الايطالية .
- ٧ - هذا بالاضافة الى الفشل في اعلان القاهرة مدينة
مفتوحة (١٣٢) .

وقد سارت الامور بعد ذلك في شكل سباق بين فاروق وعلي ماهر

باشا من جانب ، وبين السفير البريطاني من جانب آخر ، كل منهما يريد أن يحرز النصر على الآخر . فقد كانت خطة فاروق وعلي ماهر التراجع الشكلي عن طريق سحب علي ماهر من رئاسة الوزارة وتعيينه بالقصر حيث يستطيع من داخله أن يحكم بأكثر مما كان يحكم وهو في الوزارة . بينما كان السفير لامبسون يدرك هذه الخطة جيدا ويعمل على احباطها والحيلولة دون موافقة حكومته عليها . فقد أبرق الى اللورد هاليفاكس يوم ١٩ يونية يبلغه بأن الموقف يتدهور بسرعة ، ومن الضروري أن يصل رد الملك في أقرب دقيقة ممكنة ، لأن القصر في القاهرة يعلق الأمور في انتظاره . وقال انه من الواضح في تلك اللحظة أن علي ماهر باشا مشغول في اذاعة الأخبار بأن المحاولات تجري لاجراجه من الحكم ظلما ، ولكنه لا ينوي الخروج . ورجا لامبسون وزير الخارجية البريطانية أن يكون رد ملك انجلترا بحيث يعتمد الاجراء الذي اتخذ والنصيحة التي قدمت لفاروق طبقا للتعليمات التي وصلته منه ، وأن يتضمن الرد أيضا اصرارا على عدم عودة علي ماهر باشا الى القصر . وقال لامبسون انه يأسف للقول بأن هذا الأمر هام بشكل حيوي ، « فان نفوذنا ومركزنا هنا في خطر الضياع » . ثم تحدث عما يمكن اتباعه في حال عدم موافقة فاروق على ذلك ، فاقترح التهديد بفرض قانون الأحكام العسكرية البريطانية ، وقال انه لا هو ولا القائد العام يودان ذلك ، لأنه ولو أن الاستعدادات قد اتخذت والقوات أصبحت جاهزة ، الا أن ذلك قد يعني حجز قوات كبيرة للمحافظة على الأمن الداخلي ، فضلا عن الصعوبات الادارية المحتملة . ولكن من الواضح أن مركزنا سوف يكون أسوأ بكثير اذا سمح لعلي ماهر بالبقاء في القصر بعد الاجراء الذي اتخذناه . ثم قال انه فيما يتصل به ، فانه يعتقد أن مجرد التهديد سوف يكون كافيا ، وان كان من الواضح انه لن يستطيع استخدام هذا التهديد الا بموافقة هاليفاكس التي يرجو أن يكون ممثنا لحصوله عليها . واستطرد قائلا ان الامير

محمد علي قد زاره صباحا وألح في ضرورة أن يستقبل وزير الخارجية البريطانية بتحفظ كبير أية اعتراضات تقدم له بواسطة السفير المصري في لندن ، الذي قال عنه انه « غير أهل للثقة » (١٣٣) . وفي نفس اليوم (١٩ يونية) عاد لامبسون فأبرق الى اللورد هاليفاكس قائلاً ان علي ماهر باشا ينشر الأخبار بأنه ، أي هاليفاكس ، عندما قدم اليه نشأت باشا الاعتراضات على اجراء طلب ابعاد علي ماهر باشا ، رد عليه بأنه سوف يتناقش مع زملائه قبل الاجابة عليها . وقال لامبسون ان غرض علي ماهر من اذاعة مثل هذه الاخبار هو الايحاء بأن الانجليز قد يتراجعون عن موقفهم وأنه سوف يظل في منصبه . ثم أشار لامبسون الى المناقشات التي جرت في مجلس النواب في ذلك اليوم ، وما صرح به علي ماهر من أن القوات المصرية قد صدرت اليها التعليمات بعدم الهجوم ، وبأن تتقهقر قليلا اذا هوجمت ، وقال انه « من الواضح أن علي ماهر يدبر تحركا ضدنا ، وأن أي مزيد من التأخير في طرده سوف يؤدي الى موقف خطير . ولذلك فاني أرجو بحرارة مرة أخرى ان يرسل رد الملك الى الملك فاروق على وجه السرعة ، وان يكون واضحا فيه ان علي ماهر يجب ان يستقيل ولا يعود الى القصر » (١٣٤) .

على ان التجاء فاروق وعلي ماهر الى السلطات العليا في لندن ، لم يلبث أن أسفر عن نتائج طيبة ، وهي نتائج مخالفة لما كان ينصح به السفير البريطاني في القاهرة . فحين قابل نشأت باشا اللورد هاليفاكس لتقديم اعتراضات علي ماهر باشا على تدخل السفير البريطاني ، أبدى هاليفاكس رغبة في التفاهم . فقد صرح بأنه يدرك « الصعوبات التي يواجهها علي ماهر باشا ، خصوصا فيما يتعلق بمسألة اعلان الحرب ، ونحن لم نضغط من أجل ذلك ، ولكن القوات المصرية كانت جديرة بأن تضعف معنويتها وتوهن عزيمتها بسبب ميوعة الموقف في مصر بأكثر مما لو اتخذت موقفا أكثر شجاعة . ومع أن هاليفاكس أفهم نشأت باشا أن السفير البريطاني

كان يتصرف بمقتضى السلطة الكاملة المفوضة له ، إلا أنه كتب الى لامبسون يطلب اليه التخلي عن المطالب التي قدمها لعللي ماهر بخصوص التعامل مع الوزير الايطالي المفوض في مصر وأعضاء المفوضية الايطالية، وهي المطالب التي شكها منها نشأت باشا باسم علي ماهر باشا . فقد ذكر أنه بخصوص هذه المطالب « فانك (لامبسون) سوف تضع في اعتبارك بطبيعة الحال انه من المستحسن تحاشي الاستفزاز غير الضروري في المسائل الصغيرة نسبيا والتي ربما تعطي فرصة لحدوث اضطراب ضد سياستنا العامة » (١٣٥) . وفي اليوم التالي كتب هاليفاكس الى لامبسون بتنازل آخر ، فقد أبلغه أنه يفضل كثيرا عدم استخدام التهديد بفرض قانون الأحكام العسكرية البريطانية ، « نظرا لما يبدو لي من أننا يجب أن نتجنب موقفا تتيح فيه للملك ولرئيس الوزراء الادعاء بأنهما كانا يدافعان عن استقلال مصر ضدنا » ، وقال انه يدرك تماما أن معظم السياسيين المصريين في الظروف الراهنة غير ميالين لتوريط بلادهم أكثر من اللازم ، ولكن من الضروري أن يكون هناك نوع من الحكومة في مصر لا تكون على الأقل أضعف في تأييدنا من حكومة علي ماهر باشا . ثم طلب اليه أن يبذل قصارى جهده لضمان عدم اساءة فهم الدوافع الانجليزية ، والا تبقى البلاد بدون حكومة . وأما بخصوص عودة علي ماهر الى القصر ، فقد أبدى هاليفاكس استعدادا أيضا للتنازل عن طلب عدم عودته ، فقد أبلغ لامبسون بأنه اذا اشترط فاروق تعيين علي ماهر في القصر لتأليف حكومة جديدة ، « فاني لن أكون مستعدا لأن أدع هذه المسألة تسد الطريق ، لأن النقطة الأساسية هي الحصول على حكومة جديدة . واذا كان الموقف كما تصفه ، فاني سوف أسمح لعللي ماهر بالعودة مؤقتا الى القصر ، على أمل أن تتمكن الحكومة الجديدة بعد أن يتم تشكيلها من التخلص منه بعد ذلك بالتعاون معنا » . ثم قال هاليفاكس انه لا يقلل من قدر الضرر الذي يمكن أن يحدثه علي ماهر

باشا باتصاله بفاروق ، ولكنه يعتبر ذلك أقل ضررا من استمرار الأزمة وبقاء البلاد بدون حكومة ، أو وجود حكومة يكون عداؤها مكشوفاً بما قد يدفع بنا الى اعلان قانون الأحكام العسكرية البريطانية ، واني لموقن بأنه « بالحزم مقترنا بالمهارة سوف تكون قادرا على احراز حكومة صديقة » (١٣٦) .

وفي تلك الاثناء كانت المفاوضات تدور بين اللورد هاليفاكس والسفير المصري في لندن ، نشأت باشا ، لحل الأزمة . فمن جانب ، فقد أقنع نشأت باشا اللورد هاليفاكس بمخاطر حل البرلمان واجراء انتخابات جديدة حرة ، على أساس أن مثل هذه الانتخابات سوف تأتي برلمان وفدي مائة في المائة ، وهو ما سوف يسبب مصاعب كبيرة في وقت عاجل ، وأن الشيء المطلوب انما هو حكومة جبهة متحدة ، وهو ما يعتقد أنه ليس من المستحيل تأليفها . ومن ناحية أخرى ، فقد أفهم اللورد هاليفاكس نشأت باشا بأنه لا يهمله أي حكومة تتألف بشرط أن تكون « قوية ولها صفة تمثيلية وان يتم تأليفها بسرعة » . وقد حث نشأت باشا اللورد هاليفاكس على الابراق الى السير لامبسون بهذه الخطوط (١٣٧) . وقد أبرق نشأت باشا الى فاروق بفحوى ما دار بينه وبين اللورد هاليفاكس ، وقال ان هاليفاكس أبدى امله في أن يكون تغيير الحكومة بدون جلبه وبدون حل البرلمان ، وانه رد عليه بأن حل البرلمان سوف يكون صعبا في الظروف القائمة ، وان هاليفاكس اضاف بأن الحكومة الجديدة يجب ان تحصل على أكبر قدر من التأييد بين الأحزاب السياسية (١٣٨) . وفي يوم ٢٠ يونية تسلم نشأت باشا رسالة ملك انجلترا ، وكان أهم فقرة فيها تلك التي وردت بها هذه العبارة : « يجب علي أن أبلغ جلالتم ان سفيري انما كان يعمل بتعليمات من الحكومة بنصح جلالتم بكل اخلاص بأنه في الأزمة الحاضرة فان مصالح الشعب المصري من الأفضل أن تخدم عن طريق ايجاد حكومة في مصر تكون لها

صفة تمثيلية بقدر الامكان ، حكومة تتخذ موقفا حازما في وجه الخطر الايطالي « (١٣٩) • وعلى هذا النحو سقطت فكرة تأليف وزارة وفدية أو وزارة يرضى عنها الوفد ، ولم تشترط الحكومة البريطانية أكثر من أن تكون الحكومة الجديدة ذات صفة تمثيلية بقدر الامكان •

على أن هذا الموقف المعتدل للخارجية البريطانية الذي يتناقض مع موقف لامبسون المتطرف ، لم يلبث أن أطمع فاروق وعلي ماهر في بقاء الوزارة ، بعد أن كان مخططهما يدور حول انتقال علي ماهر من الوزارة الى القصر • وقد استفاد لامبسون من هذا التباطؤ في تغيير الحكومة في اثبات نية القصر وعلي ماهر في التلاعب ، والتأكيد مرة أخرى على الخطة المتطرفة التي تنازل عنها اللورد هاليفاكس • ففي اليوم التالي لمحادثة هاليفاكس مع نشأت باشا في لندن ، كتب السير مايلز لامبسون الى الأول يبلغه أن علي ماهر لم يخرج من الحكم بعد ، وأنه يظهر نيته على عدم الخروج ، وأن الملك لم يقبل نصيحتنا ، ولم يظهر الى الآن ميله الى قبولها • ثم قال ان أحمد ماهر قد أبلغه أن الملك فاروق يهدد بالتنازل عن العرش دون التفريط في علي ماهر باشا ، وأنه لم يبق الا أن نعرف ما اذا كان رد الملك على الملك فاروق سوف يأتي بأي تغيير الى الأحسن ، وان كان هذا من المشكوك فيه في نظري • واستطرد لامبسون قائلا ان مصر كلها تعرف ، وليس علي ماهر وحده فقط ، أننا قد طلبنا طرده من الحكم ، وفي هذه الظروف فمن المستحيل تماما بالنسبة لنا أن نستمر في التعامل معه ، سواء أكان رئيسا للوزارة او في القصر ، ولذلك فان البلاد تعتبر الآن من الناحية العملية بدون وزارة يمكن التعاون معها • ثم قال لامبسون ان كل ساعة تأخير في استبدال علي ماهر سوف تضعف من مركزنا وتعرض سلامة قواتنا للخطر ، كما تنقص سريعا من عدد هؤلاء الذين ما زالوا الى الآن يثقون فينا • وعلى سبيل المثال فان الأمير محمد علي يتحدث عن مغادرة مصر • واني أخشى أن نكون قد تجاوزنا

النقطة التي يمكننا فيها بمحض استخدام لهجة حازمة الحصول على حكومة صديقة أو حتى أي تغيير في الحكومة على الإطلاق . ثم قال لامبسون انه سوف يرسل الى هاليفاكس برقية تالية تحتوي على برنامج للعمل مكون من عدة مراحل ، وهذا البرنامج يمثل ، باعتراف الجميع ، الطريق الوحيد لمعالجة الموقف ، واني أطلب السلطة المباشرة لوضعه موضع التنفيذ ، والا فلن يكون هناك قريبا بديل عن اعلان قانون الأحكام العسكرية البريطانية وأن تتولى زمام البلاد (١٤٠) .

وقد انقسم البرنامج الذي أرسله لامبسون في نفس اليوم ، الى ثلاث مراحل . المرحلة الاولى ، وتتضمن ان يتحقق لامبسون أولا من موقف فاروق بعد تسلمه رد ملك انجلترا ونصيحة السفير ، فاذا تبين انه سوف يقبل علي ماهر باشا ويؤلف وزارة جديدة تكون مستعدة لتنفيذ المعاهدة وتحظى بالتأييد الكافي في البلاد ، فان الأزمة سوف تمر دون حاجة الى استخدام القوة (وهذا ما قال انه يفعله في ذلك الحين) . أما المرحلة الثانية ، فهي في حالة ما اذا أصر فاروق على الاحتفاظ بعلي ماهر باشا . وقد ذكر لامبسون أنه في هذه الحالة سوف يرسل في طلب النحاس باشا ويسأله اذا ما كان مستعدا لتأليف حكومة وفدية أو غيرها ، فاذا كانت الاجابة بالموافقة ، فيجب عندئذ الترخيص له (أي للامبسون) في أن يعده بالتأييد الكامل ، بما في ذلك تهديد الملك فاروق باعلان الاحكام العسكرية واستخدام القوة المسلحة عند الضرورة . أما المرحلة الثالثة ، فهي اذا لم يقبل النحاس باشا تأليف وزارة على الإطلاق ، او اذا لم يؤلف الوزارة لأن التهديد بقانون الأحكام العسكرية البريطانية لم يكن فعالا ولم يعد مفر من اعلان هذه الأحكام . وعندئذ فيكون علينا أن ندير البلاد تحت الأحكام العسكرية البريطانية بمعاونة أية عناصر صديقة ترغب في التعاون معنا بعد أن نكون قد اتخذنا هذا الاجراء . ثم قال لامبسون انه قبل ان يرسل في طلب النحاس فانه يحتاج

لأن يرخص له في التهديد ، وعند الضرورة ، بالتنفيذ و اعلان الأحكام العسكرية ، اذ ربما يتأثر موقف النحاس باشا لعهد كبير بما حدث للامبراطورية الفرنسية . و انتهى لامبسون بالقول بأن كلا من القائد العام لقوات الشرق الاوسط وقائد الطيران قد وافقا على ذلك (١٤١) .

وقد رد اللورد هاليفاكس في اليوم التالي مباشرة بالموافقة على البرنامج المقترح . فقد ذكر أنه وان كان يجهل الى ذلك الحين نتيجة محادثاته الأخيرة مع الملك فاروق ، الا أنه اذا كانت غير مرضية فانه يوافق على المرحلتين التاليتين ، بما فيهما التهديد ، وعند الضرورة التنفيذ بفرض الأحكام العسكرية . ثم ابدى هاليفاكس رأيه بأنه من المستحسن ، قبل الاتصال بالنحاس ، ان يفهم الملك بصفة نهائية أننا نعتبر استمرار العلاقات بين علي ماهر والطيان ، مقترنة باستمرار وجود المفوضية الإيطالية في القاهرة ، انتهاكا للمادة الخامسة من معاهدة الصداقة والتحالف ، وبينما ننوي أن نحافظ على مبادئ المعاهدة ، فان هذا الانتهاك من جانب الحكومة المصرية يبرر تبريرا كاملا اجراءاتنا . ثم قال هاليفاكس انه اذا تحدث الملك عن التنازل عن العرش فان لامبسون لديه السلطة لقبول هذا التنازل ، وعندئذ سيكون من الضروري ألا يترك فاروق طليقا في البلاد ، والأبعد عن الرقابة البريطانية ليصبح «مطالباً بالعرش» في أيدي الإيطاليين . واستطرد هاليفاكس قائلاً انه يترك للامبسون تقرير اللحظة المناسبة لطرد الوزير الإيطالي وأعضاء المفوضية الإيطالية ، ولكن اذا ألف النحاس الوزارة ، فيكون هذا الاجراء أول ما يتخذه . و انتهى هاليفاكس الى النصيح للامبسون بأنه اذا أصبح اعلان الأحكام العسكرية البريطانية أمراً ضروريا ، فيجب عليه أن يبين فيه بوضوح أن الحكومة المصرية قد انتهكت أحكام المادة الخامسة من معاهدة التحالف ، وأنها لم تطلب من مصر أن تقاتل معركتنا ، ولكن أن تستعد ، بوصفها حليفة مخلصه ، للقتال عند الضرورة من أجل استقلالها الذي

لا تهدده انجلترا وانما تهدده ايطاليا ، وان قانون الأحكام العسكرية سوف يكون اجراء مؤقتا أملاه الهجوم الايطالي واعتبارات الأمن العام في مصر، ولكنه لن يتدخل في الحياة العادية الا بأقل قدر ممكن (١٤٢) • على ان فاروق كان في تلك الاثناء يعد العدة للتراجع فيما يختص بإبعاد علي ماهر من الحكم ، وذلك على نحو يحفظ له كرامته • فقد جمع الزعماء السياسيين مساء يوم ٢٢ يونيو حيث اتخذوا قرارا بالموافقة على فكرة استقالة الوزارة (١٤٣) • وعلى ذلك فعندما زار لامبسون فاروق في اليوم التالي تنفيذًا للمرحلة الأولى من برنامجه ، أي ليرى ما اذا كان فاروق سيوافق على ازالة علي ماهر وتأليف وزارة جديدة ، فاجأه فاروق بتقديم نسخة من قرار الزعماء بعد أن قرأه عليه ، ثم عقب على ذلك بقوله انه سوف يؤلف وزارة تمنح الفرصة كاملة ويأمل أن تنجح في مهمتها لمصلحة البلدين • على ان لامبسون لم ترضه هذه النتيجة تماما ، فقد رد على فاروق بقوله انه وان كان مرتاحا لسماع البيان المذكور ، الا أن هذا البيان لم يمض الى الحد المطلوب • ثم قرأ عليه عبارة اللورد هاليفاكس لنشأت باشا التي يشترط فيها أن تكون الوزارة الجديدة « وزارة قوية على استعداد لتنفيذ المعاهدة وتحظى بتأييد البلاد » ، وقال ان النحاس يجب أن يستدعى وأن تتبع نصيحته بشأن تأليف الوزارة (١٤٤) •

وقد كان معنى ذلك في الحقيقة التعارض بين سياستين انجليزيتين متعارضتين : الأولى ، سياسة الحكومة الانجليزية التي تميل للاعتدال ، والتي تقوم على الاكتفاء بإبعاد علي ماهر باشا من الوزارة فقط وعدم المعارضة في عودته الى القصر ، وتكتفي في الوزارة الجديدة بأن تكون لها « صفة تشيلية بقدر الامكان » ، أو بعبارة أخرى تحصل على « أكبر قدر من التأييد من الأحزاب السياسية » — كما ورد في رد الملك جورج على الملك فاروق وحديث اللورد هاليفاكس لنشأت باشا — بما يحتمله

هذا المعنى من استبعاد تأييد الوفد للوزارة الجديدة اذا تعذر هذا التأييد ، بل وعدم الحاجة لحل البرلمان . والسياسة الثانية ، سياسة السير مايلز لامبسون المتشددة ، التي تقوم على ضرورة ابعاد علي ماهر باشا من الوزارة والقصر معا وتأليف وزارة وفدية أو وزارة يرضى عنها الوفد . وكان من الواضح أن فاروق قد استسلم للحل المعتدل للحكومة البريطانية ، وأن لامبسون لم يلتزم بهذا الحل ، وكان موقف لامبسون يقوم على أساس أن تأييد غالبية الأحزاب للوزارة الجديدة لا يوفر لها « أكبر قدر من التأييد » اذا لم يكن على رأسها الوفد ، وعلى العكس من ذلك فان تأييد الوفد للوزارة ، ولو كان وحده ، يوفر لها هذا القدر الأكبر من التأييد ، لأنه الحزب الذي يحرز أكبر أتباع في البلاد ، ومن ثم كان تمسكه بضرورة استدعاء النحاس .

على أن فاروق لم يلبث ، عند هذا الحد من الحديث بينه وبين لامبسون ، أن ابدى تردده في قبول استدعاء النحاس باشا ، ولكن لامبسون أصر على ضرورة حصوله على جواب منه بالرفض أو بالقبول . وبعد مساومة أمهله الى ساعة الغروب من ذلك اليوم حيث وعده فاروق بأن يوافيه بالرد قبل ذلك بعد أن يأخذ رأي مستشاريه ، وهنا أكد لامبسون على ضرورة أن يكون الرد بالايجاب ، وفهم فاروق الإشارة ، ولذلك كتب لامبسون الى هاليفاكس بيدي تفاؤله بأنه « قد يمكننا التغلب على هذه المشكلة دون حاجة لتغيير الملك هنا ، وان كنت أشك جديا فيما اذا كان ذلك سوف يستمر طويلا ، ولذلك فسيكون علينا أن نراقبه طوال الوقت (١٤٥) » .

وقد أفلحت مناورة لامبسون . ففي مساء ذلك اليوم ، ٢٣ يونية ، قراره أحمد حسنين باشا حيث أخبره بأن فاروق قد وافق على خروج علي ماهر باشا من الوزارة وعلى عدم عودته الى القصر (وبذلك أصبحت المشكلة تتركز في تأليف الوزارة الجديدة) . وفي هذه المسألة الأخيرة

قال حسنين باشا ان النحاس باشا كان قد أبدى رأيه في اجتماع الزعماء في الليلة السابقة بتأليف وزارة محايدة تتمتع بتأييد الأحزاب وتجري انتخابات حرة في الوقت المناسب ، ولذلك فان الملك يقترح استدعاء النحاس مع رؤساء الأحزاب للاتفاق على رئيس وزارة محايد . وقد وافق لامبسون على عقد هذا الاجتماع ، ولكنه أصر على ضرورة أن يحرز رئيس الوزارة الجديد تأييد النحاس باشا بوصفه زعيم الغالبية ، كما ألح في ضرورة الاسراع في اتخاذ هذه الخطوة في صباح اليوم التالي ، وحذر من اختيار شخص مثل صدقي باشا ، وقال ان المطلوب هو اختيار رجل له قدرة حسن صبري باشا أو حافظ عفيفي باشا (١٤٦) . وقد سارت الامور بعد ذلك على النحو الآتي :

١ - فقد عقد الملك فاروق اجتماعا للزعماء في صباح اليوم التالي حضره النحاس باشا . وقد رفض الزعماء ما اقترحه النحاس باشا من فكرة الوزارة المحايدة ، على أساس أنها لن تكون قوية بما فيه الكفاية ، وعرضوا تأليف وزارة قومية من جميع الأحزاب يرأسها النحاس باشا ، ولكنه اشترط حل البرلمان القائم واجراء انتخابات جديدة حالما تسمح الظروف بذلك ، وهو ما رفضه الزعماء .

٢ - وقد أبلغ حسنين باشا السير مايلز لامبسون بما جرى في الاجتماع من موقف النحاس باشا ، وطلب اليه التأثير عليه نحو حل وسط . وقد وافق لامبسون على الاقتراح ، ولكنه أكد لحسين باشا أن مطالبه ما زالت قائمة وهي : «حكومة تتمتع بتأييد الوفد وتعمل بولاء معنا طبقا لنص المعاهدة وروحها » (١٤٧) .

٣ - وقد جرت مفاوضات بعد ذلك بين السفارة والنحاس باشا ، الذي كان قد توجه عقب اجتماع عابدين الى كفرعشما ، أسفرت عن ابداء النحاس باشا استعدادة لقبول وزارة محايدة على شرط أن يعطيه رئيسها تعهدا في خطاب خاص بأنه سوف يطلب حل البرلمان في نهاية

الدورة البرلمانية في نوفمبر من ذلك العام على أن تجري بعدها انتخابات حرة فور أن تسمح الظروف بذلك .

٤ - وقد أبلغ لامبسون اللورد هاليفاكس بأنه يقترح أن يقابل الملك في أسرع وقت ممكن ، ويخبره « دون ابهام » أنه من الضروري أن يرسل في طلب النحاس باشا ويقبل نصيحته بتأليف وزارة محايدة ، « وسوف أضيف أنه إذا ثبت أن مثل هذه الوزارة المحايدة غير عملية ، فإن البديل هو وزارة تتكون من الوفد وحده . وسأشير إلى أنه في كلتا الحالتين فإن هذه الوزارة سوف تتمتع بتأييد رئيس الوفد المصري الذي أبرم المعاهدة ، وأن الحوادث الأخيرة قد بينت أن تنفيذ المعاهدة لفظاً ومعنى يتطلب أن تحظى الوزارة بتأييد أكبر حزب في البلاد وهو الوفد » ، وإذا أبدى الملك العناد ، فإن الأمر سوف يتطلب اللجوء إلى القوة وفرض الأحكام العسكرية بصفة مؤقتة . وقد أخبر لامبسون حسين باشا ، عندما زاره ذلك المساء بناء على تعليمات فاروق ، بهذا الكلام ، وأكد له أنه لن يسمح باستمرار الموقف على هذا النحو لأبعد من ذلك ، ولكنه لم يستخدم التهديد ، وإن كان قد أشار إلى الأخطار الكامنة في الموقف إذا لم يوافق فاروق (١٤٨) .

على أن الواقع أن الموقف كان قد تبلور لصالح فاروق . فمن ناحية ، فإن استجابته لابعاد علي ماهر باشا من الوزارة والقصر ، كان فوق ما كان يطمح فيه اللورد هاليفاكس الذي رأينا أنه كان يكتفي بابعاد علي ماهر من الوزارة دون القصر ، بل رأينا أنه كان يسلم بعدم حل البرلمان مع أنه شرط أساسي من شروط النحاس ، وكان يرى الاكتفاء بحصول الوزارة الجديدة على « أكبر قدر من تأييد الأحزاب السياسية » . ومن ناحية أخرى ، فإن المرشحين اللذين اقترحهما لامبسون وهما حسن صبري باشا وحافظ عفيفي كانا من رجال القصر وعلى ولاء له . ومن ثم فإن حرية الحركة كانت مفتوحة أمام فاروق للتحرك نحو تأليف وزارة

يرأسها أحد هذين المرشحين ، وتحصل على أكبر قدر من تأييد الأحزاب السياسية ، دون أن يكون الوفد من بينها بالضرورة ، وبذلك يكون قد استجاب لوجهة نظر الخارجية البريطانية ، وإن لم يستجب لوجهة نظر السفير البريطاني .

وقد جرى هذا التحرك بالفعل ، على نحو ما يروي محمد التابعي نقلا عن أحمد حسنين باشا ، على النحو التالي :

« رأيت (والكلام لحسين باشا) أن نقوم بمناورة تموية وتضليل ذرا للرماد في عيون السفير البريطاني ، فطلبت من الملك أن يوفد عبد الوهاب طلعت (وكيل الديوان الملكي) للمقابلة النحاس باشا في كفرعشما (١٤٩) لكي ألفت أنظار السفارة وعيونها الى كفرعشما وأصرفها عما يجري في القاهرة . وهكذا بينما كان عبد الوهاب طلعت في كفرعشما ، كنت أنا قد اتصلت بحسن صبري وأعضاء وزارته ، وأعددت المراسيم بتشكيل الوزارة . وقد فوجيء السفير البريطاني بوزارة حسن صبري وبالأمر الواقع . صحيح أن حسن صبري باشا صديق للسفير وللانجليز ، ولقد اخترناه لهذا السبب كسرا لحدة التحدي ، فقد كان اغفال نصيحة السفير البريطاني تحديا منا لا شك فيه » (١٥٠) .

وعلى هذا النحو انتهت أزمة يولية ١٩٤٠ ، التي كانت دون شك تمهيدا لحادث ٤ فبراير . فصحيح أن علي ماهر قد أبعد من الوزارة والقصر ، ولكن عناصر الموقف السياسي التي أدت الى الأزمة ظلت على ما هي عليه . وقد فسر لامبسون عدم مقاومة الاجراء الذي اتخذه فاروق بفرض وزارة حسن صبري باشا على النحو الآتي :

« لقد نجح الملك فاروق بإرشادات علي ماهر باشا الذكية ، وبفضل تكتيكات زعماء الوفد الخاطئة ، في هزيمة هدفنا جزئيا بتعيين حسن صبري باشا رئيسا للوزراء . ولقد كان من المحتمل أن يؤدي الاصرار على اجابة مطالبنا اصرارا تاما الى أزمة أكبر ، وربما جر الى عزل الملك

فاروق واعلان قانون الأحكام العسكرية البريطانية • ومثل هذا التقدير كان من شأنه تحويل عدد لا يستهان به من قواتنا من جبهة القتال الى العمل في حفظ الامن الداخلي • ونظرا لعدم كفاية قواتنا في مصر ، فان سلطاتنا العسكرية لم تكن مستعدة لمثل هذه الأزمة الكبرى طالما كان من الممكن تحاشيها • وعلى ذلك فقد قبلنا تعيين حسن صبري باشا ووزارة مؤلفة من السعديين والأحرار والمستقلين ممن اشتهر معظمهم بالميل الينا » (١٥١) •

• • •

هـ - مصر بين الحرب الدفاعية والحياد

الجدال حول تجنب مصر ويلات الحرب

مراوغة حسن صبري باشا في خوض الحرب الدفاعية

في الفترة منذ اعتلاء وزارة حسن صبري باشا الحكم في ٢٨ يونية الى ٢١ سبتمبر ١٩٤٠ ، وهي الفترة نفسها تقريبا التي كان مجرى الحرب يتحول فيها في أوروبا : باصرار بريطانيا (أولا) على مواصلة الحرب رغم عروض السلام من جانب هتلر • وبعدول هتلر (ثانيا) عن غزو الجزر البريطانية تحت نتائج «معركة بريطانيا» • ثم انتقال أفكار هتلر (ثالثا) الى الهجوم على الاتحاد السوفيتي (١٢٦م) - في هذه الفترة كانت القضية الرئيسية على مسرح السياسة المصرية هي قضية دخول مصر الحرب الدفاعية أو عدم دخولها ، أو ما أطلق عليه في ذلك الحين «تجنب مصر ويلات الحرب» •

وقد أثبتت هذه المسألة في أول اجتماع عمل لوزارة حسن صبري باشا • وقد تم الاتفاق في هذه الجلسة - كما يقول الدكتور هيكل - على أن تحارب مصر الطليان ، اذا تقدموا الى مرسى مطروح ، التي هي أول مرفأ مصري محصن على البحر المتوسط ، واول مركز للقوات المصرية المسلحة في صحراء مصر الغربية (١٢٧ م) •

واذا نحن تذكرنا أن بين السلوم ومرسى مطروح مسافة تبلغ ٢٣٠ كيلومترا ، فإن لنا أن نتساءل : الا يعد هذا القرار استمرارا في سياسة علي ماهر باشا التي أخرجته من الحكم، عندما أمر القوات المصرية المسلحة بالارتداد داخل البلاد حتى لا تتورط في حالة الحرب دون أن تتساح

للحكومة والبرلمان فرصة القرار فيما يراه المصلحة العليا للبلاد ؟ في الواقع أن الامر كذلك . فقد ذكر الدكتور هيكسل في تقرير اتخاذ الوزارة هذا القرار قوله : « لم يكن لمصر أن تعلن حربا لمجرد اجتياز الطليان الحدود عند السلوم ، لأن القوات المصرية لم تكن ترابط هناك . وبين السلوم ومرسى مطروح ثلثمائة كيلو متر من الصحراء لم يحسب من قبل حساب الدفاع عنها . فلا مسوغ لأن تعلن مصر الحرب دفاعا عن هذه المنطقة ، وهي لا تملك هذا الدفاع ، ولا تريد أن تجعل من الحرب مظهرة كلامية ، لا خربا بالفعل » (١٢٨ مكرر) .

ومن الواضح أن هذا التعلل من جانب وزارة حسن صبري باشا بعدم وجود قوات مصرية عند السلوم ، تعليل فاسد . لأن عدم وجود قوات مصرية عند السلوم انما كان بناء على أوامر رئيس الحكومة المستقيلة ، فلو أن الوزارة الجديدة كانت تريد خوض الحرب الدفاعية ، لكان في وسعها أن تلغي هذا الأمر ، وتأمّر بتقديم القوات المصرية الى الحدود للاشتراك مع القوات البريطانية في الدفاع عن البلاد ، خصوصا أن العبرة في اعلان الحرب بين الدول ليست بوجود أو عدم وجود قوات مدافعة على الحدود ، وانما باتتهاك هذه الحدود من جانب دولة معادية . على أن حسن صبري باشا لم يكن يستطيع أن يتخذ هذا القرار ، لأنه لم يل الوزارة من قبل القصر الا ليقود في الحقيقة هذه السياسة - سياسة عدم الاشتراك في الحرب - كما أن القرار كان من شأنه أن يعرضه لمواجهة خطيرة مع الشعب المصري ، الذي كانت معظم فرقته وأحزابه وطوائفه في ذلك الحين ضد فكرة اعلان الحرب . ومن ثم فإن قرار وزارة حسن صبري باشا بعدم محاربة الطليان الا اذا تقدموا الى مرسى مطروح انما كان استمرارا في سياسة علي ماهر باشا الذي أخرج بسببها من الحكم .

وفي الواقع أن غالبية الشعب المصري كانت قد انتهت منذ مذكرة

الوفد في ابريل ١٩٤٠ ، التي كشفت وجه بريطانيا الاستعماري في جلاء ما بعده جلاء ، الى أن المعركة التي تدور بين المعسكرين الديموقراطي والفاشي ، هي معركة لا تخص مصر وليست طرفا فيها . وقد ساعد على تكوين هذا الاتجاه وبلورته بصورة واضحة ، طرد علي ماهر باشا من الحكم تحت التبليغ البريطاني في ١٩ يونية ١٩٤٠ . فلقد بدا هذا التدخل ، الذي أطاح بوزارة قصر تريد أن تقف على قدميها في وجه الانجليز ، وأتى بوزارة أخرى لا تمثل الشعب ، أشبه ما يكون بانتقال الحكم من يد القصر الى يد الانجليز . وقد قاد هذا الاحساس تلقائيا الشعب الى الوقوف الى جانب القصر والى جانب علي ماهر باشا ، فقد بدت وزارة علي ماهر باشا ، وبدا القصر من ورائها ، في صورة المناضل عن ارادة الشعب المصري في عدم خوض حرب لا ناقة له فيها ولا جمل ، فاكسب علي ماهر باشا بين يوم وليلة من التأيد الشعبي ما لم يحلم به طيلة حياته ، وما ظل يعتمد على رصيده البقية الباقية من حياته السياسية .

ترويج أحمد ماهر باشا لفكرة دخول مصر الحرب

على أن هذا الاتجاه العام نحو عدم اعلان الحرب ، لم يكن مما يتفق مع سياسة الدكتور أحمد ماهر وزملائه أعضاء الحزب السعدي في داخل الوزارة وخارجها . فمع أن الوزراء السعديين قبلوا رأي غالبية الوزارة بعدم الدخول في حرب مع البليان الا اذا تقدموا الى مرسى مطروح ، الا أن ذلك لم يكن عن اقتناع منهم بالذريعة التي تذرعت بها الوزارة ، وهي عدم وجود قوات مصرية على الحدود ، وعدم حساب الدفاع عن المسافة بين السلوم ومرسى مطروح - وانما قبلوا هذا القرار لأنه كان يؤدي في نهاية المطاف ، ومع توغل القوات الايطالية في الأراضي المصرية ، الى اشتراك مصر في الحرب ، وهو بيت القصيد عندهم .

وكان ميزان القوى على الحدود المصرية الليبية بين البريطانيين والايطاليين لا يجعل فقط من توغل القوات الايطالية في الأراضي المصرية وتقدمها الى مرسى مطروح مجرد احتمال ، بل شبه حقيقة مؤكدة . فقد كان الجيش البريطاني في مصر في ذلك الوقت يتكون من الفرقة السابعة المدرعة والفرقة الرابعة الهندية ومجموعة لواء نيوزلندي ولواء بريطاني و ١٤ كتيبة مشاة بريطانية ، بينما كان لايطاليا الجيش الخامس في طرابلس وهو مكون من ٨ فرق ، والجيش العاشر في برقة أمام مصر وهو مكون من ٤ فرق ايطالية وفرقتين ليبيتين . وكان الجنرال ويفل قائد القوات البريطانية في الشرق الأوسط ، قد قرر ، نظرا لعدم امكان حشد قوة كافية على حدود مصر الغربية عند السلوم ، تحويل مرسى مطروح الى قاعدة رئيسية للدفاع ، والاكتفاء بحشد قوة من ثلاثة أفواج من المشاة وفوج من الدبابات وثلاث بطاريات وسريتين من السيارات المدرعة على حدود مصر الغربية عند السلوم بغرض الاشتباك مع العدو في قتال انسحابي (١٢٩م) .

وفي تلك الأثناء حتى وقوع الهجوم الايطالي في سبتمبر ١٩٤٠ ، كانت تصرفات حسن صبري باشا توحى للسعديين بأنه ينوي النكوص عن القرار الذي اتخذته وزارته في اجتماعها الأول بخوض الحرب عند تقدم الايطاليين الى مرسى مطروح . ففي يوم ٣ يولية ١٩٤٠ ألقى خطابا في مجلس النواب أكد فيه « أن الحكومة مقدرة مسئوليتها في المحافظة على استقلال البلاد ، حريصة على تجنبها شرور الحرب » . وقد قوبل هذا البيان بتصفيق حاد من النواب (١٣٠ م) . وفي يوم ١٧ يولية ١٩٤٠ سأل أحد النواب رئيس الوزراء ، ألا يرى أن مصر أخرى باعلان أن القاهرة مدينة عزلاء (مفتوحة) وهي عاصمة بلاد غير محاربة ، من فرنسا التي أعلنت باريس مدينة مفتوحة ، وهي دولة محاربة ؟ . وقد رد عبدالمجيد ابراهيم صالح بك ، بالنيابة عن رئيس الوزراء ، قائلا بالحرف الواحد :

« ليس هناك ما يمنع من أن تكون القاهرة مدينة عزلاء ، ولكن اعلان هذا يجب أن يسبقه اتفاق بين الحكومة المصرية وحكومة الحليفة ، حتى يكون له الأثر المطلوب » ، ثم أضاف ، « والحكومة المصرية تفاوض الحكومة البريطانية للوصول الى هذا الاتفاق » ! (١٣١ م) .

وازاء هذه المظاهر المتزايدة لتباعد مصر عن فكرة خوض الحرب ، رأى أحمد ماهر باشا أنه من الضروري الوقوف في وجه هذا التيار ، والدعوة علانية لاشتراك مصر في الحرب دفاعا عن نفسها . وهنا نقف عند بواعث هذه السياسة لدى السعديين : هل كانت تابعة من ايمان صادق بقضية الديمقراطية ؟ أم أنها صدرت عن مصلحة مصرية صميمة ؟ أم أوحى بها مصلحة حزبية للاستئثار بالحكم . وفي البداية يجب أن نستبعد ايمان الدكتور أحمد ماهر وحزبه بقضية الديمقراطية ، لأنه كان يشترك بحزبه في ذلك الحين في الحكم على جثة الحياة الديمقراطية في مصر . وأما الافتراضان الآخران فيمكن الحكم عليهما من دراسة حجج ومبررات الدكتور أحمد ماهر لدخول الحرب .

ففي يوم ٧ اغسطس ١٩٤٠ عقد الدكتور أحمد ماهر مقارنة بين الاستعمار البريطاني والاستعمار الفاشي والنازي خلص منها الى أن الانجليز لا يستهدفون في مصر مصلحة اقتصادية ، وانما غرضهم الأكبر هو الطمأنينة على سلامة قناة السويس فقط ، طريقها الى الهند والمستعمرات البريطانية ! وقد برهن على نظريته بقوله ان «الانجليز» من أقل الجاليات الأجنبية عددا ، وقليلون منهم من يملكون بيوتا تجارية ، وأقل من ذلك كثيرا من يستوطنون البلاد » ، أما الايطاليون فهم « أكبر الجاليات الأجنبية عددا ، وأكثرها مزاحمة للمهن التجارية حتى الوضيعة منها . ثم انهم يجعلون من مصر موطننا دائما لهم ويزاحمون المصريين في ارزاقهم واقواتهم » . وقد ضرب الدكتور أحمد ماهر مثلا آخر بما جرى في ليبيا ، فقال انه على الرغم « من ضيق موارد الرزق في ليبيا ،

فانهم قد نزعوا الأرزاق من الأهلين ، وأرغموهم على ترك الأراضي الخصبة القليلة التي بأيديهم ، والتوغل في الصحراء حيث الموت جوعا .. وقد حملت الحكومة الإيطالية آلافا من العائلات الإيطالية على المهاجرة الى ليبيا لاستثمار هذا الرزق الضئيل ، بعد أن نزعوه من أيدي اخواننا الطرابلسيين » . ثم ضرب مثلا ثالثا بالحبشة ، وقال ان السعي وراء الرزق كان رائد الإيطاليين في غزو الحبشة وتشيتت أهلها في الجبال الوعرة ونزع ما بأيديهم من أملاك وأرزاق . وذلك على قلة موارد الحبشة وضعف مصادر الارتزاق بها . « فاذا كان هذا أمرهم في مثل هذه البلاد الضئيلة الموارد ، فتصوروا كيف يكون الحال في مصر ذات الموارد المستفيضة والثروات الكبرى والمركز القريب من بلادهم ، اذا كان لهم - لا سمح الله - شأن فيها ؟ » (١٣٢ م) .

وقد عاد الدكتور ماهر الى تعزيز نظريته الغريبة في تجريد الاستعمار البريطاني في مصر من صفته الاقتصادية فقال في يوم ٢٢ اغسطس ١٩٤٠ : « قد جربنا ، فوجدنا أن الانجليز كانوا يقنعون بمحاولة السيطرة السياسية دون ان يشاركونا أرزاقنا أو يسلبون أموالنا ، أما البلاد الأخرى ، فقد عملت جالياتها على التغلغل في حياتنا ومشاركتنا في وسائل العيش » (١٣٣ م) . ثم كرر الدكتور أحمد ماهر هذه النغمة في مناسبة أخرى ، فقال : « لو لم تكن انجلترا حليفتنا لاضطررنا ، ونحن ضعاف ، أن نختار لنا حليفا . ولو خيرنا لما وجدنا خيرا من انجلترا ، فان مطامعها سياسية لا مطامع أرزاق ، وأعظم ما يهم انجلترا هو المحافظة على قناة السويس ، وهذا يوافق مصلحتنا ، أما ألمانيا مثلا فتبحث عن المستعمرات ، لأن بلادها تضيق بأهلها . وإيطاليا شأنها شأن ألمانيا . وقد حظرت أمريكا هجرة الإيطاليين اليها لما قاسته من منافسة الإيطاليين ، .. بل ها هم الآن بلا احتلال ولا استعمار يزاحموننا في كل باب من أبواب أرزاقنا » (١٣٤ م) . وقد استخلص من ذلك كله قوله : « من

هذا يتبين ان لنا مصلحة كبرى في أن تنتصر انجلترا • واني أقول ذلك
بوحى من مصلحة مصرية خاصة ، بصرف النظر عما هنالك من النظريات
الكثيرة التي تحكم كلها بعدالة القضية التي تدافع عنها انجلترا » (١٣٥م) •
وقد أظهر الدكتور أحمد ماهر ايمانه العميق بانتصار انجلترا استنادا الى
سوابق التاريخ ، في الوقت الذي كان الشك يعتور الانجليز أنفسهم
بالنسبة لنتيجة الحرب ا ففي خطابه الذي ألقاه يوم ١٦ اغسطس ١٩٤٠
اعلن أن « الزمن ضد دولتي المحور اللتين بلغتا أقصى قوتيهما في بداية
الحرب ، خلافا لانجلترا التي بدأت غير مستعدة ثم أخذت تستغل مواردها
الاقتصادية الهائلة ومواردها من الرجال وسيادتها في البحار ، في العمل
لكسب النصر والزمن حليفها » • ثم أبدى رأيه بأن الهجوم على انجلترا
لا ينجح أبدا ما دامت سيادة البحار باقية لها • وقال : « والواقع أن
التاريخ يعيد نفسه • فقد انتصر نابليون على اوروبا كلها قديما ، كما
انتصرت المانيا اليوم ، ثم عجز عن قهر انجلترا لتفوقها في البحر ، وأخيرا
هزيمته في ووترلو كما تعلمون • وهذا ما تدل الشواهد على أنه نصيب
ألمانيا » (١٣٦م) •

وقد تذرع الدكتور أحمد ماهر في الترويج لدعوته بما يمكن أن
تجنيه مصر من دخولها الحرب الى جانب انجلترا ، فقال : « في المعاهدة
قيود ثقيلة ، فاذا كان النصر حليف الانجليز ، وكان شعورهم من ناحيتنا
أثنا وفينا هم حق الصديق في إبان شدته ، كان هذا هو أكبر مساعد لنا
على تخفيف هذه القيود » (١٣٧م) • وفي خطاب آخر أعرب عن اعتقاده
بأن الحرب انما هي «فرصة لتقصير أمد المدة المنصوص عنها في المعاهدة،
لأنها ستدعونا الى الاسراع في العمل وتقوية جيشنا في أقرب وقت والى
أقصى حد • وبعد مدة من الزمن ، اذا أثبتت مصر قدرتها على الدفاع
عن نفسها ، أمكن عند ذلك النظر في أمر القوة الانجليزية فيها » (١٣٨م) •
وقد بالغ في تفاؤله في خطاب آخر ألقاه يوم ١٦ اغسطس فقال : « تبين

لي بالبحث أن تمسك الانجليز بما في المعاهدة من قيود ، يرجع الى عدم اطمئنانهم اليها ، وانهم في الوقت الذي يشقون فيه باخلاصنا ، يسبقوننا الى رفع تلك القيود ، ويعملون على تقويتنا حتى تكون محالفتنا ذات قيمة حقيقية . فإزالة عيوب المعاهدة تتوقف على ثقة الانجليز بنا » (١٣٩ م) .

وقد ذهب الدكتور أحمد ماهر في الضغط لدخول مصر الحرب الى الوقوع في غلطة سياسية فاحشة ، فقد حذر من أن الاعتماد على الاجلثرا في الدفاع عن البلاد ، سوف يترتب عليه ، وبحق ، استمرار الاحتلال البريطاني بعد انتهاء الحرب . « تأكدوا أننا لو قبلنا هذا الوضع ، سندفع ثمنه غاليا ، لأننا نكون قبلنا حماية فعلية . وما الذي يمكن أن نقوله لحلفائنا اذا انتهت الحرب ؟ أنقول لهم : اتركونا ندبر شئوننا ؟ أليس من المعقول أن يقولوا لنا : لن تستطيعوا أن تقوموا بواجب الدفاع عن بلادكم ، وقد أثبتت التجارب ذلك . فكيف تترككم لتعرضوا لهجوم آخر ؟ اننا باقون لمصلحتكم وللمحافظة عليكم . ألا ترون بعد هذا أننا ندفن مستقبلنا بأيدينا ؟ » (١٤٠ م) . وقد رد الدكتور أحمد ماهر على الرأي الذي يقول بعدم اشتراك مصر في الحرب ، لأن استعدادها للدفاع لم يستكمل بعد بقوله : « ان الأمم الحية لا تفكر في النتائج عندما تنفر للدفاع عن نفسها اذا تعرض كيانها للخطر . . . ولقد أصبح من المسلم به ان نصيب الدول من الحياة أو الموت انما يقدر بمقدار نصيبها من الدفاع عن نفسها والتضحية في سبيل هذا الدفاع » (١٤١ م) .

وقد أورد الدكتور صلاح العقاد أن الدكتور أحمد ماهر كان يتذرع بأن الحرب هي الفرصة الوحيدة لتسليح الجيش المصري بأحدث الأسلحة وتدريبه على القتال بحيث يكون مستعدا بعد الحرب لخدمة القضايا الوطنية . وقد رد على هذه الحجة بالتشكيك في اقدام اجلثرا على توفير السلاح للجيش المصري ، لأنها لا بد أن تكون قد حسبت نفس الحساب الذي انتهى اليه الدكتور أحمد ماهر ، وهو أن تسليح

الجيش المصري قد يستخدم ضدها في يوم ما • وأضاف الدكتور صلاح العقاد قائلا ان مثل هذه الخطة كانت تصلح للحركة الصهيونية لوجود ثقة متبادلة بينها وبين بريطانيا ، بينما كانت هذه الثقة منعدمة في حالة مصر (١٤٢ م) •

وفي الواقع أن ما ذكره الدكتور صلاح العقاد غير صحيح بشقيه • فأولا لم يتذرع الدكتور أحمد ماهر في ترويجه لفكرة دخول مصر الحرب بأن الحرب فرصة لتسليح الجيش المصري ليكون مستعدا بعدها لخدمة القضايا الوطنية - وإنما اعتبر الدكتور ماهر تسليح الجيش فرصة لتقصير أمد المدة المنصوص عنها في المعاهدة (عشرين سنة ، أو عشر سنوات برضاء الطرفين) وبشرط « أن تثبت مصر قدرتها على الدفاع عن نفسها » • وكان يعتمد على ثقة بريطانيا بمصر في استجابتها لتقصير أمد المدة • وبمعنى آخر أن فكرة استخدام الجيش المصري في خدمة القضية الوطنية بعد الحرب لم تكن في ذهن الدكتور أحمد ماهر ، وإنما الحصول على ثقة بريطانيا للاستجابة لتعديل المعاهدة وإزالة عيوبها بعد الحرب هو الذي كان قائما في ذهنه • ونلاحظ أن الوفد كان قد قرر في مذكرة أول ابريل ١٩٤٠ أن الجيش المصري قد وصل الى الحالة التي يستطيع فيها « منذ الآن ، والى نهاية المدة المحددة في المادة ٨ من المعاهدة (عشرين سنة) ، أن يقوم مقام القوات البريطانية في وقت السلم - تلك القوات التي لا يزيد عدد رجالها على العشرة آلاف كما نصت المعاهدة » • ومعنى ذلك أن الوفد كان يرى أن غرض الدكتور أحمد ماهر قد تحقق فعلا بعد ما ناله من تدريب وسلاح وبعد أن زاد عدده على نحو ما ذكرناه •

أما افتراض الدكتور صلاح العقاد أن انجلترا كانت تحسب حساب أن الجيش المصري قد يستخدم ضدها في يوم ما ، وأنها لذلك لم تكن لتقبل تسليحه وتدريبه ، ففي الحقيقة أن انجلترا لم تحسب هذا الحساب،

فقد قامت فعلا بتسليح الجيش المصري وتدريبه دون تحفظ ، عندما كانت تعتقد أنه سوف يدخل الحرب الى جانبها - وقد دللنا على ذلك، ولم ينشأ هذا التفكير عندها الا بعد أن تبينت أن الحكومة المصرية لن تدخل الحرب ، فعندئذ طلبت شراء بعض ما زودت به الجيش المصري من أسلحة ومهمات ، ولكن قيادة الجيش رفضت ذلك ، ولم تملك الحكومة المصرية الا الموافقة ، بعد أن كان مفهوما - كما يقول كيرك - أنها رحبت بذلك ، وفي يوم ١٧ يولية ١٩٤٠ صرح وزير الدفاع بأن الحكومة قد وافقت على ضرورة احتفاظ الجيش بكل ما زود به من عتاد ومهمات (١٤٣م) . وعلى كل حال ، فيتضح مما أورده الدكتور أحمد ماهر في خطبه الدعائية من حجج لدخول الحرب، أنه كان يركز على عدة أمور: الأمر الأول، أن اقتحام الايطاليين حدود مصر ، هو عدوان على شعبها يستهدف « التسلط علينا ، والقضاء على وجودنا واستقلالنا » ، وبالتالي فان واجب كل فرد أن « يعمل بل ينفر للدفاع عن بلاده ، بغض النظر عما تملكه من قوة ومن أسلحة ومن ذخائر » (١٤٤ م) . الأمر الثاني، وهو مترتب على الأول ، أن مصر طرف أصيل في الحرب بحكم أطماع الفاشية فيها ، فايطاليا تريد انشاء امبراطورية ايطالية في افريقية تشمل طرابلس ومصر والسودان والاريتريا والحبشة والصومال وأوغندة ، « فكيف نشهد الصراع الدائر في بلادنا كالمفرجين ، ولا نحرك ساكنا في شأن يتعلق به مصيرنا وكياننا » (١٤٥ م) . أما الأمر الثالث ، فهو أن دخول مصر الحرب سوف يؤدي ، عند انتهاء الحرب الى ازالة القيود التي فرضتها المعاهدة ، لأن الازمة بين مصر وابلجترا - في نظره - أزمة ثقة ، فاذا وثق الانجليز بنوايا المصريين ، سبقوا مصر الى رفع قيود المعاهدة .

ومما لا شك فيه أن الدكتور أحمد ماهر قد أصاب في بعض آرائه، ولكنه أخطأ في البعض الآخر . أصاب في تصوير أطماع الفاشية ، وفي تقدير انتصار المعسكر الديمقراطي في النهاية ، وفي اعتبار انتصار هذا

المعسكر مصلحة مصرية صميمة • ولكنه أخطأ عندما نفى عن الاستعمار البريطاني أغراضه الاقتصادية بحجة عدم وجود جالية انجليزية كبيرة تراحم المصريين في أرزاقهم - فهذا القول إما أنه مغالطة متعمدة ، وإما أنه جهل مشين ، لأن إنجلترا لم تكن تبغي من وراء سيطرتها السياسية المباهاة ، وإنما كانت السيطرة السياسية في خدمة الأغراض الاقتصادية • ومن العجيب أن يذهب الدكتور ماهر هذا المذهب بعد مذكرة الوفد التي قدمها في أول ابريل ١٩٤٠ والتي كانت تدور حول محور أساسي هو الشكوى من السيطرة الاقتصادية البريطانية ، ومحاولة التخلص منها عن طريق التخلص من السيطرة السياسية (تقديم المطالب الوطنية) •

كذلك أخطأ الدكتور أحمد ماهر حين تصور أن القيود التي تضمنتها المعاهدة هي وليدة أزمة ثقة بين بريطانيا ومصر ، وأن هذه القيود تزول تلقائيا اذا وثقت بريطانيا بمصر • وكان ثروت باشا قبله يعتقد هذه النظرية ، وقد ذهب في ذلك الى حد أن ترك بريطانيا - في مفاوضاته مع السير أوستن تشمبرلن - مطلق الحرية والتصرف في تقرير يوم الجلاء عن مصر بعد أن تتأكد من أن مصر أهل للثقة! ولكن السير أوستن تشمبرلن أفهمه أن الأمر أمر مصالح : ان « بريطانيا العظمى مصالح وتبعات لا يسعها التخلي عنها » ! وقد برهنت بريطانيا على أن المسألة ليست أزمة ثقة في موقفها من مذكرة الوفد في ابريل ١٩٤٠ ، فقد رفضت رفضا باتا الارتباط بأي وعد بجلاء الجيوش البريطانية بعد الحرب، أو الدخول في مفاوضات بعد انتهاء مفاوضات الصلح يعترف فيها بحقوق مصر في السودان لمصلحة أبناء وادي النيل جميعا •

كذلك أخطأ الدكتور أحمد ماهر خطأ سياسيا كبيرا حين اعتبر دخول مصر هو العامل الوحيد الذي يؤهلها للحصول على حقوقها الطبيعية بعد الحرب، وحين قرر أن احجامها عن اعلان الحرب يعطي إنجلترا الحق في ابقاء قواتها في الأراضي المصرية لحماية مصر وحماية مصالحها

الامبراطورية . فقد ذهب الدكتور أحمد ماهر في ذلك الى ما لم يكن في وسع الانجليز أنفسهم أن يذهبوا اليه علانية ، لأن حق مصر في الاستقلال وجلاء القوات البريطانية عن أراضيها حق طبيعي لا يتعلق بمصالح بريطانيا الامبراطورية . ويتضاعف خطأ الدكتور أحمد ماهر اذا أدركنا أنه كان يعرف أن اتجاهات الرأي العام ومواقف جميع الفرق والأحزاب كانت ضد الحرب ، فكأنه حكم مقدما على أبناء وطنه بعدم أحقيتهم في الحرية والاستقلال ، وسلم مقدما بعدم أحقية مصر في المطالبة بتعديل المعاهدة وإزالة ما بها من قيود بعد انتهاء الحرب .

ولقد كان تزلف أحمد ماهر لانجلترا على حساب مصر خطأ كبيرا ، فقد ذهب الى حد قوله : « تصوروا أن الانجليز قالوا لنا في سنة ١٩٣٦ انهم سيجلون عن بلادنا . فهل كنا نقبل ذلك؟ انني شخصا ما كنت أقبل ذلك ، بل أقول لهم ان سياستكم العقيمة قضت بعدم تسليح بلادنا ، فيجب أن تبقوا حتى تتم تقوية جيشنا » (١٤٦م) . وخطورة هذا الكلام أنه لا يمنح الانجليز حق ابقاء قواتهم في مصر طالما كان الجيش المصري ضعيفا فحسب ، وانما يحرم على المصريين المطالبة بجلاء القوات البريطانية عن مصر قبل تقوية الجيش المصري .

ومما يشكك في اخلاص الدعوة التي أطلقها الدكتور أحمد ماهر لاشتراك مصر في الحرب ، انها صدرت في وقت كانت نتيجة الحرب تبدو فيه محققة الى جانب المحور . فقد صدرت بعد استسلام فرنسا ودخول ايطاليا الحرب ، وفي وقت كانت انجلترا تمر فيه بأحلك أوقاتها ، وفي ظروف كانت المصلحة الوطنية العليا تقتضي التريث قبل دخول المعركة ، والاكتفاء بتقديم المساعدات المنصوص عنها في المعاهدة دون جر مصر الى عداوة صريحة مع دولتي المحور ، وخصوصا بعد أن كشفت انجلترا عن وجهها الاستعماري البغيض بموقفها السابق من الحصول

الرئيسي للبلاد ، ورفضها اعطاء أي وعد بإزالة قيود الاستقلال بعد انتهاء الحرب .

وفي الواقع أن رغبة الدكتور أحمد ماهر في رئاسة الوزارة كانت عاملاً أساسياً في حملته لإعلان مصر الحرب ولم يكن هذا العامل بعيداً عن إدراك داهية محضك مثل السير لامبسون . ففي تحليله لدوافع الدكتور أحمد ماهر على حملته قال : « ومن المعتقد بصفة عامة ، وهو اعتقاد صحيح دون ريب ، أن حملته أيضاً قد خططت بغرض تمهيد الطريق له إلى رئاسة الوزارة » (رسالة لامبسون إلى هاليفاكس في ٨ أكتوبر ١٩٤٠ رقم ٩٣٨) .

وعندي أن دعوة الدكتور أحمد ماهر باشا قد فشلت ولم تلق استجابة في مصر ، لأنها لم تحو عناصر الاقناع الكافية : فقد فشل في تخويف المصريين بالاستعمار الفاشي ، لأنهم كانوا واقعين فعلاً تحت استعمار آخر تحتل جيوشه العسكرية كل بقعة في مصر . وقد فشل في اقناع الشعب المصري بأن إنجلترا سوف تسبق مصر إلى إلغاء قيود المعاهدة بعد الحرب ، لأن إنجلترا نفسها لم تشأ أن تلتزم بأي وعد من هذا القبيل . وقد فشل في اقناع مصر بالوقوف إلى جانب المعسكر الديموقراطي والمحاربة معه ضد المعسكر الفاشي ، لأن الشعب المصري لم يكن يرى في المعسكر الديموقراطي سوى وجهه الاستعماري ، وسوى أن إنجلترا وفرنسا كانتا الدولتين اللتين تتقاسمان النفوذ والسيطرة في مصر والسودان والشام والعراق وشبه الجزيرة العربية وشمال أفريقيا . كذلك فشل الدكتور أحمد ماهر في استنفار الشعب المصري للدفاع عن بلاده ، لأن الشعب المصري لم يكن يرى في دخول قوات المحور الأراضي المصرية اعتداء يستهدف سيادة مصر وحريتها ويستوجب دفعه بكل قوة ، وإنما كان الشعب المصري يفهم أن القوات الإيطالية والألمانية إنما كانت تستهدف هزيمة القوات البريطانية وحدها ، وأن

الحرب انما كانت تدور بين الدولتين الكبيرتين الفاشيتين وبريطانيا فقط ، ولا تدور بينهما وبين مصر . وقد فشل الدكتور ماهر على وجه العموم في دفاعه عن قضية الديمقراطية ، لأن الديمقراطية ، حتى في شكلها الليبرالي ، لم تكن مطبقة في مصر ، ولأن اعتداءات الدكتور ماهر وحزبه على الحياة الديمقراطية كانت تجعله آخر من يدافع باسم الديمقراطية .

الاقلاع عن خوض الحرب الدفاعية ، وخروج السعديين من الوزارة

بدأ الدكتور أحمد ماهر يروج لدخول مصر الحرب في أوائل اغسطس ١٩٤٠ ، وحينما كانت الحرب على الحدود لا تتعدى المناوشات بين الجيوش الايطالية والجيوش البريطانية . وفي يوم ٢١ اغسطس وجه صدقي باشا سؤالا الى الحكومة تعرض فيه للدعوة التي يروجها الدكتور أحمد ماهر ، قائلا انها تتلخص في نقطتين : « الأولى ، أن يكون موقف البلاد في الظروف الحاضرة بحيث تشعر منه الحليفة بأن روحا من المحبة والصداقة والمعاونة تسود علاقات هذه البلاد بها . والثانية ، أن يكون معروفا ومتفقاً عليه بين الجميع أنه متى دقت ساعة الخطر ، فإن البلاد تنفر الى الدفاع عن نفسها بكل ما تملك من قوة . ومعنى هذا بالطبع أن تدخل الحرب . واذا كانت النقطة الأولى ليست مما يثير بين المصريين أي جدل ، بل هي محل اتفاق جماعي تتحد فيه المصلحة مع العاطفة . . . وخصوصا بعد الاجراء الكريم المتعلق بالقطن (١٤٧ م) ، فإن في دعوة سعادة رئيس مجلس النواب الى موقف قد يؤدي بالبلاد الى اتخاذ صفة المحارب ، مع ما يترتب على ذلك من نتائج معروفة ، ما ينافي الرأي الصريح الذي بدا من البرلمان بهيئته ، ومن الحكومة من وجوب تجنب مصر ويلات هذه المغامرة التي أعلنت الحليفة نفسها أنها لا تطلبها ، وهي لا تستند في الوقت ذاته الى نصوص المعاهدة ، ولا الى استعداد حربي

كاف « (١٤٨ م) • ومعنى ذلك أن صدقي باشا كان يعتقد أن سياسة ١٢ يونية ١٩٤٠ كانت تقضي بتجنب الحرب الدفاعية ١
وقد رد حسن صبري باشا على هذا السؤال بقوله انه « لم يطرأ ما يدعو لأي تعديل في سياسة الحكومة التي أشارت إليها في بيانها الذي أدلت به في مجلسي البرلمان بمناسبة ولايتها الحكم » (١٤٩ م) • ولكن الدكتور أحمد ماهر رأى أن جواب الحكومة « قد يؤدي إلى اللبس » وقد يفهم البعض من اجابتها على سؤال صدقي باشا بأنها باقية على رأيها ، ما يفيد موافقتها على رأيه من عدم دخول الحرب اطلاقاً ولو للدفاع عن البلاد ، وهذا ما نريد أن نعرفه ، فان هي أجابتنا بما نعتقده ، وبما فهمناه من بياناتها وخطتها السابقة ، كان بها ، وان لم تجبنا ، كان للمجلس شأن آخر » • وقد فسر الدكتور أحمد ماهر هذا ال « شأن الآخر » بقوله : « اذا كانت سياسة هذه الحكومة ترك الدفاع عن البلاد ، فواجبنا اذن أن نسحب منها ثقتنا » (١٥٠ م) •

كان القرار الذي اتخذته الوزارة الى ذلك الحين — كما ذكرنا — يقضي بعدم اعلان الحرب الا اذا بلغ الطليان مرسى مطروح ، ولما لم يكن قد جد جديد في هذا الشأن يدفع حسن صبري باشا للافصاح عن نواياه ، فقد أدلى ببيان — تحت الحاح الدكتور أحمد ماهر — أكد فيه قرار ١٢ يونية الذي يقضي بخوض الحرب الدفاعية في حالة اعتداء ايطاليا على مصر باحدى الطرق الثلاثة التي حددها القرار • وبعد المناقشة وافق المجلس بأغلبية الآراء على الاقتراح المقدم من الدكتور أحمد ماهر ومن معه ونصه : « بعد سماع المناقشات التي دارت في المجلس بمناسبة البيان الذي أدلى به رئيس الوزراء ، يعلن المجلس ثقته بالحكومة وتأييده للقرار السابق الصادر من المجلس في ١٢ يونية ١٩٤٠ ، والذي قصد به الى أن مصر التي لا تضرر عداء أو كراهية لأية دولة ، لا يمكن لها الا

أن تقوم بالدفاع عن نفسها بكل ما تملك من قوة اذا اعتدي على أراضيها
أو جيوشها » (١٥١ م) .

كان معنى هذا القرار الذي صدر في ٢١ اغسطس ١٩٤٠ أن موقف
مصر الرسمي من دخول الحرب قد عاد الى سياسة ١٢ يونية ١٩٤٠ ، أي
الى ما قبل اصدار علي ماهر باشا أمره الى القوات المصرية بالارتداد
داخل البلاد في ١٧ يونية السابق لتجنب الحرب الدفاعية ، ولكن الأيام
القليلة التي تلت هذا القرار أثبتت أن أحدا ممن شارك في اصداره ، فيما
عدا السعديين ، لم يكن يعنيه أو ينتويه ، وأن الجميع قد دفعوا اليه
تحت كلمات الدكتور أحمد ماهر الحماسية عن « الوطنية والشجاعة
والشرف » . ففي يوم ١٣ سبتمبر بدأ الجيش الايطالي بقيادة المارشال
جرازياني زحفه من ليبيا على مصر ، فاحتل السلوم ثم بقبق ثم سيدي
براني في منتصف الطريق بين السلوم ومرسى مطروح ، وبذلك أصبح
القرار الذي صدر منذ عشرين يوما فقط ينتظر التنفيذ .

فماذا كان موقف وزارة حسن صبري باشا ؟ يقول الدكتور هيكل
انه عندما تواترت الأنباء ببلوغ الجيش الايطالي سيدي براني ، « أراد
الوزراء السعديون مناقشة موقف مصر من الحرب لهذه المناسبة . فدعا
حسن صبري باشا مجلس الوزراء الى جلسة عقدت يوم الخميس ، ودار
الحديث عن هذا التقديم الايطالي لأول ما انعقدت الجلسة ، فذكر الوزراء
السعديون أن الوقت قد حان لتحديد سياسة مصر وهل تعلن الحرب او
لا تعلنها . عند ذلك قلت : ولكننا اتفقنا على ألا نثير هذا الموضوع قبل
أن يبلغ الايطاليون مرسى مطروح ، وبين سيدي براني ومرسى مطروح
شقة تزيد على المائة من الكيلومترات . ولم أكد أتم كلامي ، حتى تدخل
رئيس الوزراء قائلا : لعل من الخير أن نفصل منذ اليوم في هذا
الموضوع بعد أن تناوله بالمناقشة . وكان رأي السعديين صريحا في ان
مصر يجب أن تعلن الحرب دفاعا عن أراضيها بعد أن تقدم الطليان فيها .

أما حسن صبري فقال : « أنا لا أرى أن تعلن مصر الحرب حتى لو أن الإيطاليين بلغوا القاهرة ! فموقفنا في هذه الحرب موقف معاونة لحليفنا انجلترا في حدود المعاهدة المعقودة بين البلدين • وإيطاليا تحارب انجلترا ولم تعلن الحرب على مصر • وقد تحدثت الى السياسيين والى العسكريين البريطانيين ، واتفقنا رأيا على أن بقاء مصر دولة غير محاربة أجدى على انجلترا من اعلانها الحرب على إيطاليا أو المحور • وما دام الأمر كذلك ، فيجب أن تكون سياستنا تجنب مصر ويلات الحرب ما استطعنا • وكل اعتبار لا يمكن أن ينهض الى جانب هذا الاعتبار » •

ويضيف الدكتور هيكمل أن « المسألة انتقلت بهذا التصوير الجديد عما كانت عليه حين اتفقنا الأول بالألا نناقش اعلان الحرب قبل بلوغ القوات الإيطالية مرسى مطروح ، وعما كانت عليه حين أعلن علي ماهر باشا أن موقف مصر سيكون موقف دفاع عن نفسها اذا اعتدى الطليان على أراضيها • وهذا التصوير الجديد يجعل مصر تقف موقف الدولة غير المحاربة الى النهاية ، فاذا ألقت الطائرات الإيطالية أو الطائرات الألمانية على منشآت المدنية أو على مدنها قنابل دمرتها أو فتكت بأبنائها ، كان هذا العمل اعتداء غير مشروع ضد دولة مستقلة غير محاربة ، وبخاصة بعد أن أعلن الألمان وأعلن الطليان أنهم يحترمون استقلال مصر وأنهم اذا اضطروا الى دخول أراضيها لمطاردة الانجليز فيها ، فلن يكون ذلك بقصد الاعتداء عليها ، بل لتعقب العدو فيها • ومن شأن هذا التصوير أن يستهوي نفوس كثرة المصريين ، لا نفورا من الحرب لذاتها ، بل لأنهم لا مطمع لهم من ورائها ، ولأن خوضهم غمارها قد يعرض منشآتهم الحيوية ، وفي مقدمتها خزان أسوان ، الى دمار لا سبيل الى تعويضه قبل سنوات عديدة » (١٥٢ م) •

وبافصاح حسن صبري باشا عن نيته في عدم دخول الحرب « حتى لو أن الإيطاليين بلغوا القاهرة » ! انتقلت المسألة بينه وبين السعديين من

مستوى الخلاف في الرأي الى مستوى الأزمة . فيقول الدكتور هيكل ان حسن صبري باشا عرض الأمر للتصويت، فكان السعديون وحدهم . فأبدى حسن صبري باشا أن هذه مسألة جوهرية لا يمكن التعاون مع اختلاف الرأي فيها ، فهي تتقدم كل ما سواها ، وتتصل بشئون الحكم كلها . فلما رأى السعديون ذلك منه ، وأن لا مفر من تركهم مناصبهم في الوزارة ، خرجوا منصرفين يقدمون استقالاتهم (١٥٣) .

خرج الوزراء السعديون من الوزارة في ١١ سبتمبر ١٩٤٠ ، وكان لهذا الخروج نتائج المحتومة بالنسبة للموقف الداخلي . فعلى حد قول لامبسون في رسالة الى اللورد هاليفاكس يوم ٨ أكتوبر ١٩٤٠ ، فان هزيمة حزب معروف بميوله للبريطانيين واستعداده للتعاون العسكري الكامل معنا ، كان من الطبيعي أن يشبط همّة أصدقائنا ، وأن يشجع العناصر المعارضة في اشتراك مصر في الحرب بأي ثمن . وقد ترتب على ذلك هبوط الروح المعنوية لدى الرأي العام وفي الجيش ، مما أصبح يشكل عاملا خطيرا في الموقف الداخلي، في لحظة كان الخطر العسكري الايطالي فيها قد أصبح وشيكا . كما أنه قد زاد من احتمال ألا يشتبك الجيش المصري في الحرب بتوجيه من القصر اذا هاجم الايطاليون مواقع مثل سيوة التي عهد الى القوات المصرية بالدفاع عنها ، وزاد من احتمال أن يصبح الجيش معاديا لنا في حالة حدوث زحف ايطالي ناجح داخل البلاد (١٥٣ م) .

وفي الفترة التي أعقبت خروج السعديين ، شهدت البلاد معركة حامية حول مسألة دخول مصر الحرب . وقد انقسمت الأحزاب والفرق السياسية من هذه المسألة على النحو الآتي :

أولا - الوفد . وموقف الوفد من هذه المسألة لم يصدر به قرار رسمي من هيئته ، وانما عبرت عنه صحفه المتحدثة باسمه . ويتضح منها أن الوفد لم يكن يستبعد من تفكيره فكرة دخول مصر الحرب أصلا ،

وانما كان الامر في نظره متوقفا على ظروف وشروط . أو كما عبرت عنه « المصري » قائلة : « ان مدار الفكرة في الحقيقة كان حول الوقت الذي يجب فيه اتخاذ الخطة الحاسمة (الحرب) ، ومتى يكون الظرف موجبا ، وعند أية مرحلة تروح الدوافع والاعتبارات الوطنية حافزة الى تقرير الأسلوب والالتجاء الى العمل القاطع والاجراء المكين » . « ان الذين ينظرون الى الأمر هذه النظرة ، هم بلا شك على الجانب السليم ، والناحية الحكيمة . بل هذه هي في الحق الوطنية الصادقة والحرص الصائب على الاستقلال . والذين يعجلون بها ويحاولون المدفع اليها دون تريث ولا أناة ، يخطئون خطأ جسيما في حق الوطنية المصرية . . . ، ليس في الصبر بلا شك أي خسائر ، وانما الخير فيه ضمين مكفول . وقد رأينا الأمم المحاربة ذاتها استأنت قبل الاعتزام ، وتمهلت قبل الاقدام ، فأجدت عليها الأناة ، وتقدمت حين وجب التقدم قوية ثابتة ، موفورة الاستعداد » (١٥٤) .

وقد هاجمت « المصري » استخدام السعديين لكلمات الوطنية والشجاعة والواجب وغيرها في الاستنفار للحرب ، بقولها : « ما أرخص الكلام على هذا النسق في الوطنية واعلاؤها والواجب الوطني ومقتضاه . . . ولكن الوطنية هي غير ذلك : هي الوجه العملي في البحث ، والدقة في النظر ، وحمل العلل والنتائج الى كفتي الميزان » (١٥٥) . وقد استنكرت من الدكتور احمد ماهر قوله : « ان الامم الحية لا تفكر في النتائج عندما تنفر للدفاع » ، فقالت : « لعل أسوأ دعاية لدعوة الماهريين أن يلجأوا للتدليل عليها بهذا القول وأشباهه ، وهذا المنطق العجيب فني الحاجة والتعليل » ، واستطردت : « ان الماهريين يدعون دعوتهم بلا نظر الى العواقب ولا اكتراث بالنتائج ، وهو مسلك يتجافى عن الحكمة كل التجافي ، ويتأبى عن السياسة والمنطق والتدبر الواجب قبل الاقدام . . . ان الموقف لا يحل بهذه الحجج المنفرة ، وانما يقتضي التريث — كما قيل لهم — ويستوجب الحزم والأناة » (١٥٦) .

وقد ربطت الصحف الوفدية بين الخطر الخارجي المائل في الهجوم الايطالي والخطر الداخلي المائل في حكم القصر ، واعتبرتتهما متساويين وتعجبت : لم يهتم السعديون بأحدهما دون الآخر : « ليس الخطر الذي تصوره الماهريون أو اتخذوا منه شفيعا الى القيام بدعوتهم التي يدعون اليها ، بأكبر من الخطر ذاته الذي لا يفكرون فيه ، خطر التلكؤ وترك الموقف الداخلي معلقا على هذا النحو دون علاج سريع يزيل العلة ويعد البلاد لما قد تأتي به الحوادث أو تتمخض عنه الأيام » (١٥٧) •

وهذا الموقف من الصحف الوفدية يبين بوضوح أن الوفد لم يكن يرفض فكرة دخول الحرب أصلا ، وإنما كان يقبل بها في الوقت المناسب ، وحينما يكون هذا التدخل في مصلحة مصر • ولكن الوفد كان يشترط الى جانب ذلك ، استجابة انجلترا للطلبات التي قدمها في مذكرته المشهورة يوم أول ابريل ١٩٤٠ • وهذا ما أوضحه مكرم عبيد في مقال هام نشره بدون توقيع بعنوان : « لقد تكلمنا فلم يسمعوا » ، وقد ذكر فيه أن سياسة الوفد تقوم على الآتي : أولا - التورع عن طعن انجلترا في الظهر • ثانيا - مذكرته التي قدمها في أول ابريل ، وردده على خطاب اللورد هاليفاكس الذي أكد فيه موقفه من المذكرة • ثالثا - حل الموقف الداخلي على أساس وزارة محايدة (١٥٨) • وقد كان منطق الوفد في ضرورة اجابة انجلترا للطلبات التي وردت في المذكرة ، ان أي « وعد » يصدر من الانجليز بذلك - وخصوصا فيما يختص بجلاء الانجليز بعد الحرب - يخلق للمصريين « مثلا أعلى » يحركهم بقلوبهم وأجسامهم الى دخول الحرب في أي ظرف وبالأجماع (١٥٩) •

ويعتبر موقف الأحرار الدستوريين الذي أعلنوا عنه مشابها لموقف الوفد من ناحية عدم استبعاد فكرة دخول مصر الحرب أصلا • والفارق بينهما هو أن الأحرار الدستوريين كانوا يعلقون دخول الحرب على توفر الظروف الملائمة لذلك ، مع تجاهل مذكرة الوفد وما تضمنته من

شروط • ففي حديث للدكتور هيكمل لمجلة المصور في يوم ٢٧ سبتمبر ١٩٤٠ عبر عن رأيه ورأي حزبه بقوله : « ان تقرير حالة الحرب في الآونة الحاضرة ليس في مصلحة دفاعنا العسكري •• ورأينا أنه لا مبرر لنا ان نحمل البلاد ويلات الحرب في الآونة الأخيرة • وخير لنا أن نستعد ونرقب تطور الحوادث ، حتى تأذن الساعة التي يفرض فيها على كل مصري أن يقوم بواجبه في الدفاع عن كرامة قومه واستقلال بلاده » (١٦٠) •

وهذا الرأي يختلف عن رأي حسن صبري باشا بعدم دخول الحرب حتى لو بلغ الطليان القاهرة ، واذا كنا نعرف أن الأحرار الدستوريين كانوا يشتركون معه في الحكم وقد صوتوا معه ضد السعديين ، فان الأمر يحتاج الى تفسير • وفي الواقع أن قرار حسن صبري باشا بعدم دخول الحرب اطلاقا لم يعلن الا داخل مجلس الوزراء فقط ، ولم يكشف عنه الا الدكتور هيكمل • وانما كان الرأي الذي أذاعه وحمله كتابه بقبول استقالة الوزراء السعديين ، هو أن « التريث أحجى وأخلق حين البت في مصائر البلاد وأقدارها ، حتى تنكشف خفايا النيات ، وتتأكد بوادر الغايات » (١٦١) • ومعنى ذلك أن حسن صبري باشا كان يتظاهر بأن سياسته هي نفس السياسة التي قررها البرلمان في ١٢ يونية وأكدها في ٢١ اغسطس ١٩٤٠ دون تعديل • ومن الطريف أن البرلمان نفسه لم يعلن عدوله عن هذه السياسة رسميا ، وقد ذهب في ذلك الى حد أن أكدها في ٢٥ ديسمبر ١٩٤٠ (١٦٢) • وعلى ذلك فان الرأي الذي أعلنه الدكتور هيكمل كان يتفق مع الرأي الذي كان يجاهر به رئيس الوزراء ، ولذلك فاننا نجد الدكتور هيكمل يعلن في حديثه السالف الذكر أن رأيه ورأي حزبه هو رأي الوزارة ، « ورأي الوزارة هو ما أذاعه دولة رئيسها حسن صبري باشا من أن الحالة الحربية الحاضرة لا تدعو الى اعلان الحرب ، وانه يجب التأني والتريث ما دام الطليان لم يهاجموا خطوطنا الدفاعية

ولم يتوغلوا في الأراضي المصرية ولم يعتدوا على أهداف مصر العسكرية» .
ومع ذلك فلا يجب أن ننسى حقيقة مؤكدة هي أن حسن صبري باشا إنما
كان ينفذ سياسة القصر في عدم دخول الحرب مهما كانت الظروف ، وهذه
السياسة لم تكن تلزم الأحرار الدستوريين الا بقدر بقائهم في الوزارة
واستمرارهم في تحمل مسئولية الحكم .

أما رأي الحزب الوطني في مسألة اعلان الحرب فهو الرفض الصريح .
وقد عبر عن هذا الرأي ثلاثة من اقطابه هم : فكري أباطة ومحمد حافظ
رمضان وعبد الرحمن الرافعي . وكان فكري أباطة يستخدم مجلة المصور
في مهاجمة رأي السعديين بدخول الحرب ، وفي إحدى المقالات تساءلت
الجريدة : « لماذا هذه الحماسة الفياضة ، والانجليز لم يطلبوا ذلك ولم
يريدوه ؟ ولو كان من حقهم ، أو من مصلحتهم أن يطلبوه ، لما ترددوا ؟ »
ثم قالت : ان رئيس مجلس النواب (الدكتور أحمد ماهر) يعمل لحساب
الشجاعة والشهامة وبذل الدماء في سبيل الأوطان . هذا جميل جدا
وواجب جدا ، « ولكن التكتيك الحربي قد يجعل هذه الشجاعة نكبة
وكارثة لو دفع بها في غير محلها » . وعندما هاجم الدكتور أحمد ماهر
فكري أباطة لهذا الهجوم ، تراجع فكري أباطة قائلاً : ان هجوم الدكتور
أحمد ماهر على زملائه واخوانه وأنداده يقوم على أساس غير صحيح ،
وهو انهم لا يريدون الحرب أصلاً ، مع أنهم جميعاً ينادون بالحرب ولكن
عندما تتوافر شروط القرار الذي أصدره (١٦٣) .

وقد تناول حافظ رمضان باشا المسألة من زاوية أخرى . ففي كتاب
نشرته الأهرام بتاريخ ٨ سبتمبر ١٩٤٠ تساءل : « ما مصلحة مصر في
أن يدفعها فرط الحذر والاحتياط الى أن تشهر الحرب على إيطاليا ، التي
ما فتئت تعلن أنها لا تحارب المصريين ، وانما تقاتل أعداءها المتخذين من
مصر حصناً يهاجمونها فيه ؟ ان مصر اذا أعلنت هذه الحرب ، بالرغم من
هذه التأكيدات المتكررة ، وشاءت الأقدار بعد ذلك - لا سمح الله -

لن تنتصر إيطاليا ، فان مصر تكون قد أكسبتها حق الفتح الذي ينهار أمامه كل حق لنا في الاستقلال، ويبرر مسلك الدولة الفاتحة أن أرادت احتلال بلادنا أو ضمها الى مستعمراتها ، أو فرض غرامات عليها » • وقد رد الدكتور أحمد ماهر على هذا الرأي برأي قانوني مضاد ، فقد ذكر أن « حق الفتح لا يسقطه استسلام البلاد ، وانما هو على العكس يزيده قوة ، ويشعر المغيرين برضاء أصحاب البلد وترحيبهم بهم ، على حين اذا قاومتهم البلاد ، فانما تستطيع أن تقول ان ذلك الفتح كان رغم ارادتها وكان قائما على القوة القاهرة التي لم يمكن دفعها » (١٦٣ م) •

ويعتبر موقف كل من الشيخ مصطفى المراغي ، واسماعيل صدقي باشا ، وعبد الرحمن الرافعي من أكثر المواقف صراحة وأقواها تعبيرا عن موقف سواد الشعب من الحرب الدائرة بين المعسكرين الاستعماريين ، فقد وصفها الشيخ مصطفى المراغي بأنها « حرب لا ناقة لنا فيها ولا جمل » (١٦٤) • أما صدقي باشا فقد كتب صراحة في الاهرام يقول : « ان إيطاليا في حرب مع انجلترا وليس مع مصر • ولنا أن نعتبر ، حتى مع افتراض مخالفة ذلك لحقيقة النوايا ، أن الاعتداء الواقع الآن هو حرب عدو لعدوه في أرض للغير يحتلها ، فاذا ما تبين العكس ، وأوضحت ظروف الحال أن الأعمال الحربية قد اتخذت من الشكل ما يجعلها موجهة ضد مصر بالذات ، وهي تلك الصور التي حددها البرلمان تحديدا منذ عهد وزارة علي ماهر باشا ، اذن تكون الكرامة قد مست مساسا بليغا اذا نحن أحجمنا في هذه الحالة عن الاشتراك في الحرب • ولكن هذه الحالة لم تحدث بعد ، ولم تتخذ الاغارة الإيطالية شكل الاعتداء على المدن المصرية والجيش المصرية » (١٦٥) • ونلاحظ هنا أن صدقي باشا قد تجاهل عمدا الصورة الأولى من الصور التي حددها البرلمان في عهد علي ماهر باشا لدخول الحرب ، وهي توغل القوات الإيطالية في الأراضي المصرية مبتدئة ، لان هذا الشرط كان قد تحقق فعلا !

وقد تناول عبد الرحمن الراقعي موقف مصر بين المعسكرين المتحاربين في تحليل طريف . فقد ذكر ان قوام ذلك الوضع هو « ان انجلترا قد اتخذت من مصر قاعدة حربية وبحرية لجيشها ولاسطولها ، وهي الان في حالة حرب مع ايطاليا ، وبالتالي قد اتخذت الدولتان من مصر ميدانا لقتالهما على غير ارادتنا . فاذا هاجمت ايطاليا انجلترا في هذا الميدان ، فليس بواجب علينا ان نحارب ايطاليا لهذا السبب ، لانه ليس مفروضا على دولة مستقلة ان تحارب دولة اجنية لمجرد أن هذه الدولة هي ودولة اخرى قد اختارتا اراضيها ميدانا لقتالهما . وهب أن سويسرا مثلا قد اجتازت دولتان متحاربتان حدودها لكسي تتخذاها ميدانا لقتالهما ، أيكون مفروضا عليها في هذه الحالة أن تحارب الدولتين كليهما او احدهما ؟ لا أظن أحدا يقول بذلك . انما يجب علينا ان نحارب ايطاليا اذا اعتدت على استقلالنا ، او اعتدت على الاهداف العسكرية المصرية المستقلة . اما اذا كان هجومها موجها الى الاهداف العسكرية البريطانية ، ولو كانت هذه الاهداف في جزء من ارض مصر ، فلا الوطنية ، ولا الالتزامات التي فرضتها المعاهدة على مصر تحتم عليها في هذه الحالة ان تحارب ايطاليا لرد هذا الهجوم » (١٦٦) .

• • •

فما هو موقف الانجليز من هذه المعركة الدائرة بين السياسيين المصريين حول دخول مصر الحرب ؟ وهل تخلوا عن رغبتهم في اشتراك مصر في الحرب ؟ وهل قبلوا بسهولة عدول حسن صبري باشا عن السياسة التي قررها مجلس النواب في ١٢ يونية ، وأكدها في ٢١ اغسطس بوجوب دخول مصر الحرب في حالة توغل الجيوش الايطالية في الاراضي المصرية ؟ لقد أورد الدكتور هيكल الحجج التي ساقها حسن صبري للسلطات البريطانية لاقتناعها بعدم دخول مصر الحرب ،

وهي على النحو الآتي : أولا ، ان عدم اعلان مصر الحرب على المحور يجنبها غارات الألمان والايطاليين الجوية ، حرصا منهم على استبقاء اعتقادها بصحة ما صرحوا به من احترامهم لاستقلالها . ثانيا ، ان أهم ما يعني العسكريين البريطانيين من مصر أن تظل قاعدة حرية آمنة مطمئنة . فلو أن غارات الألمان والايطاليين الجوية أصابت الشعب المصري في مدته وقراه ، لخيف اضطراب المصريين وبرمهم بالانجليز وقيامهم ضدهم . أما أن تبقى هذه الغارات الالمانية والايطالية موجهة للأهداف الحربية البريطانية وحدها ، فذلك أمر لا يثير الشعب المصري بحال ، بل يستبقيه في طمأنينة ويوفر على القوات البريطانية مؤونة التفكير في انتقاض هذا الشعب ، وما يمكن أن يواجه به الانتقاض . ثالثا ، ان القوات المصرية في الصحراء الغربية وعلى قناة السويس ، سوف تؤدي الواجب الذي عهد به اليها ، بالاتفاق بين القيادة البريطانية وأركان حرب الجيش المصري ، فستحمي المنشآت العامة ، وتصد المغيرين على الصحراء في الأماكن التي تعسكر فيها ، وتدفع الغارات عن قناة السويس (١٦٧) . وقد ذكر الدكتور هيكل أن حسن صبري أخبره بأن الانجليز اقتنعوا بهذه الحجج في ابقاء مصر دولة غير محاربة (١٦٨) . كما ذكر الدكتور أحمد ماهر في خطابه يوم ٧ أكتوبر ١٩٤٠ انه سمع من حسن صبري أن الانجليز تركوا لمصر تقدير الموقف واتخاذ ما تراه في شأن الحرب (١٦٩) . وقد أثبتت المراسلات السرية بين لامبسون وحكومته صحة هذا الكلام . فقد كتب لامبسون في ٨ أكتوبر ١٩٤٠ يقول أن رأي القيادة البريطانية العليا في الموقف حتى ذلك الوقت هو أن « مصلحتنا المباشرة » تكمن في امتناع مصر عن الاشتراك الفعلي في الحرب ، حتى لا يجر ذلك الى قصف الايطاليين القاهرة « ويورطنا » بالتالي في اجراءات أمن واسعة النطاق (١٧٠) .

على أن الحكومة البريطانية لم تكن من هذا الرأي على الدوام .

فلم تكذ تعلم بنجاح الجنرال « أوكونور » في الصحراء الغربية واستيلائه على « سيدي براني » ، حتى كتب اللورد هاليفاكس الى السير لامبسون يوم ١٠ ديسمبر ١٩٤٠ يقول : « بالنظر الى الموقف العسكري ، فقد تراءى لي أن هذه اللحظة قد تكون مناسبة لحمل الحكومة المصرية على اعلان الحرب ، الذي سوف تكون له أصداء طيبة في جهات اخرى » (١٧٠ م) • ثم عزز رأيه ببرقية اخرى يوم ١٢ ديسمبر أوضح فيها أن دخول مصر الحرب سوف يجعلها تتحمل مسئولية أكبر في الدفاع عن نفسها وبالتالي تتفرغ قواتنا للعمل في ميادين اخرى عند الضرورة (١٧١) •

على أن السير لامبسون رد عليه قائلا انه تشاور مع القائد العام لقوات الشرق الأوسط ، وان وجهة نظرهما المشتركة هي ان ذلك الوقت ربما كان أسوأ الأوقات للضغط على الحكومة المصرية لاعلان الحرب ، لأن مثل هذا الاعلان ، في الوقت الذي يطرد فيه الغزاة من الأراضي المصرية ، قد يثير تعليقات تجرح مشاعر المصريين ، وقد يجر الى هجوم جوي ايطالي • فضلا عن ذلك فمن الزاوية السياسية فان اعلان مصر الحرب سوف يجعلها تشعر بأن لها الحق في التقدم بمطالبها الى مؤتمر الصلح ! وهذه المطالب قد تسبب احراجا ، وقد تشترط الحكومة من الان شروطا • وقال لامبسون ان رئيس الوزراء المصري والحكومة المصرية يريدون الميل لمساعدتنا على متابعة الحرب ، ففي استطاعتهم مثلا ارسال قوات مصرية متحركة وسفن مصرية للمساعدة في اعادة الأسرى الايطاليين ، ولكن قد يكون من الصعب اقناع رئيس الوزراء بدخول الحرب في الوقت الراهن • وانهى لامبسون الى القول بأنه اذا رأى اللورد هاليفاكس أن الاثر الطيب لاعلان مصر الحرب في البلاد الأخرى سوف يفوق المساوىء التي ذكرها ، فقد تستجيب الحكومة المصرية لمطلب اعلان الحرب بدون معارضة شعبية كبيرة ، ولكن ذلك غير مؤكد ،

وفوق ذلك فقد تحاول وضع شروط من الآن (١٧١ م) • وقد انتهت
المسألة عند هذا الحد •

ويبقى اذن ما اذا كان لقرار مصر بعدم دخول الحرب أي تأثير على
مجرى الحرب أم لا ؟ • وقد أجاب « نيومان » على هذا السؤال بالشك •
فقد ذكر أنه فيما يختص بالغارات الجوية الايطالية والألمانية ، فإن هذه
الغارات لم يكن يحكمها احترام الدولتين للقانون الدولي ، أو خوفهما
من أن تعلن مصر الحرب • وأما فيما يختص بمساعدة مصر الحربية ، فإن
مجرى الحرب في الصحراء الغربية لم يكن ليتأثر بمثل هذه المساعدة
التي كان يمكن لمصر تقديمها ، لأنه سواء أعلنت مصر الحرب على المحور
أو لم تعلنها ، فقد كان واضحا أن الدفاع عنها ومحافظة بريطانيا على
مركزها في الشرق الاوسط لم يكن ليصبح ممكنا الا بمدى مساندة
السياسة المصرية لآلة الحرب البريطانية (١٧٢) •

وهذا التحليل الذي ذكره « نيومان » صحيح فيما يختص بتأثير
مساعدة مصر الحربية على مجرى الحرب • ولكنه خاطيء فيما يتصل
بالغارات الجوية • فمن الثابت أن الغارات الجوية الايطالية والألمانية على
مصر كانت تستهدف بالدرجة الاولى الأهداف العسكرية البريطانية •
واذا كانت المباني والمنشآت في المدن المصرية قد أصيبت بسبب هذه
الغارات ، فلأن الأهداف العسكرية البريطانية كانت منتشرة ومتغلغلة بين
هذه المباني والمنشآت • لذلك فمما لا شك فيه أن قرار مصر بعدم
الاشتراك في الحرب ، قد أعفاها من ضريبة باهظة كانت ستقاضيها
قاذفات المحور حتما من مدنها وقراها ومنشآتها العمرانية والاقتصادية
— عدا ما كان على مصر أن تدفعه بسخاء من أرواح بنينا في ساحات
القتال لغير ما هدف من تحرر او استقلال • وكل ذلك في الوقت الذي
لم يكن اشتراك مصر في الحرب ليؤثر على مجراها أو على نتيجتها
المعروفة وهي انتصار الحلفاء •

٢ - حادث ١٩٤٢ فبراير

١ - المقاومة السرية اثناء الحرب

انتهت المعركة حول دخول مصر الحرب بانتصار فكرة عدم دخولها، للعوامل التي تقدم ذكرها ، واستعيض عن ذلك بزيادة التعاون مع بريطانيا الى أقصى حد مستطاع . وقد ظلت هذه هي سياسة الحكومات المتعاقبة، حتى قدر لفكرة دخول مصر الحرب أن تتحقق على يد الدكتور أحمد ماهر نفسه ، ولكن في ظروف جد مختلفة ، ولعوامل خارجية بحتة . وفي الفترة التي كانت تدور فيها هذه المعركة ، والى آخر يناير ١٩٤٢ ، أخذت تتجمع الأسباب والعلل التي أدت الى وقوع حادث ٤ فبراير المشهور . وكان بعض هذه الأسباب داخلي ، كغشاش المعسكر الموالي للمحور ضد بريطانيا ، وكتخلخل الجبهة الداخلية تحت وطأة الظروف الاقتصادية والسياسية ، وبعضها خارجي يتصل بالموقف الحربي على حدود مصر وفي مناطق العالم الأخرى ، ولكنها جميعا تضافرت على خلق الموقف الذي أدى الى اعتداء بريطانيا على استقلال مصر في التاريخ المذكور .

ولقد رأينا كيف كشفت المعركة السالفة الذكر عن وجود ثلاث فرق تمثل ثلاثة مواقف : الفريق الأول ، فريق السعديين ، وكان موقفه دخول الحرب فورا . والفريق الثاني ، فريق الوفد ، وكان موقفه قبول دخول مصر الحرب في الظرف المناسب بشرط وعد بريطانيا بالاستجابة للمطالب التي تضمنتها مذكرة الوفد في اول ابريل ١٩٤٠ . أما الفريق الثالث ، فهو فريق الوزارة ، وكان موقفه الفعلي عدم دخول الحرب ، « حتى

لو أن الايطاليين بلغوا القاهرة « - ولكنه كان يتظاهر بأن السياسة التي أقرها البرلمان في ١٢ يونية ١٩٤٠ ، وعاد فأكدتها في ٢١ اغسطس ، ثم أكدها في ٢٥ ديسمبر ، هي سياسته ، وهي السياسة التي تقضي بتنفيذ المعاهدة والدفاع عن الوطن .

والى جانب هذه الفرق الثلاث التي كانت تضمها في الحقيقة جبهة واحدة أو معسكر واحد هو معسكر الديموقراطية ، كان هناك معسكر آخر على رأسه القصر موال للمحور ، ويضم كافة القوى الفاشية والدينية والعسكرية وبعض الشخصيات ذات الصلة بمصالح القصر ومصالح المحور ، وجماعة علي ماهر باشا الذي انضم الى معسكر المحور بعد طرده من الحكم على يد الانجليز - وكان نشاط هذا المعسكر أحد الاسباب التي أدت الى وقوع حادث ٤ فبراير .

الاخوان المسلمون

وفيما يختص بالاخوان المسلمين ، فلقد رأينا صلتهم الوثيقة بعلي ماهر باشا الذي رأى الاعتماد عليهم بعد أن توترت العلاقات وساءت بينه وبين حزب مصر الفتاة بسبب البنداري باشا . وكانت وزارة علي ماهر باشا مناخا طيبا للاخوان المسلمين نمت فيه حركتهم في أحلك الظروف والأوقات . ومع أن حسن البناء فشل في الاستيلاء على قيادة الجيش المرابط والسيطرة على وزارة الشؤون الاجتماعية في عهد علي ماهر باشا ، الا أنه استطاع في عهد هذه الوزارة نفسها تطوير جيشه الخاص (فريق الرحلات) تحت ستار الكشافة . فكما يقول محمد شوقي زكي ، بدأ حسن البناء يفكر جديا في عام ١٩٤٠ في الانضواء رسميا تحت تشكيل النظام العام لجمعية الكشافة ، حتى تستفيد هيئة الاخوان المسلمين ، وفريق الرحلات على الاخص ، من التسهيلات والمزايا التي

تستفيد بها الفرق من تسجيلها رسميا بالجمعية ، والاستفادة أيضا من وجود بعض شباب الاخوان الذي يعمل رسميا بالجمعية أو خارجها في محيط الحركة الكشفية ، وقد تكون مجلس أعلى للجوالة من سبعة أعضاء وعلى رأسهم حسن البنا ، وعين الصاغ محمود لبيب مفتشا عاما ، وهو ضابط بالجيش . وبدأ المجلس بافتتاح مدرسة للمدرسين خرجت ٣٥ مدربا بعد شهرين على أيدي صفوة من رجال الكشف ، وتكونت المجموعات في محيط القاهرة مبدئيا ، وأشرف عليها هؤلاء المدربون ، وبعد نجاح المشروع في القاهرة بدى بتنفيذه في الاسكندرية ، ثم أخذ ينشر في أحضان الريف . وتحت هذا الستار المشروع بلغ تعداد الجوالة عند نهاية الحرب ٤٠٠٠٠ جوال (١٧٢ م) .

ومن الطريف أن قانون الكشافة كان يحظر حظرا باتا على الكشافة ان تنتمي الى جماعات سياسية أو دينية ، كما أن القانون الذي أصدره محمد محمود باشا في ٨ مارس ١٩٣٨ كان يحظر الجمعيات أو الجماعات التي يكون لها ، سواء من حيث تأليفها أو عملها أو من حيث تدريب أعضائها أو نظامهم أو زعيمهم أو تجهيزهم ، صورة التشكيلات شبه العسكرية (١٧٣) . وبمعنى آخر أن جوالة الاخوان المسلمين كانت ضد القانون العام والخاص على السواء ، ومع ذلك فقد سمح ببقاء هذا الجيش وقت الحرب ، في الوقت الذي طبق فيه هذا القانون على فرق القمصان الزرق وفرق القمصان الأخضر لمصر الفتاة .

ولقد كانت الخطوة الطبيعية التالية هي الحصول على الأسلحة . وهناك شاهد عيان على أن هذه العملية كانت تتم في المراحل الأولى من الحرب ، هو أنور السادات . فقد أورد أن حسن البنا كان في ذلك الوقت المبكر يجمع السلاح ويشتريه ويخزنه ، ولكنه لم يكن يطلع أقرب الناس اليه من كبار الاخوان المسلمين ، وإنما كان يستعين في هذه العمليات باخوان من الشبان الصغار . وقد ذكر أنه عرف ذلك حين كان يجلس

مع البنا في يوم من الايام ، فدخل عليه جندي متطوع يحمل في يديه صندوقين مفلقين ، ولما رآه أجفل ، ولكن البنا أمره بأن يفتحها ، وكان فيهما عشرات من أنواع المسدسات (١٧٤) .

وهذه الواقعة اذا أضفنا اليها وجود الصاغ محمود لبيب على رأس الجواله في ذلك الحين ، فاننا يمكن ان نخرج منها بحصيلة أن التنظيم السري للاخوان قد نشأ في ذلك الوقت، ذلك أن الصاغ محمود لبيب - كما تكشف من محاكمات الاخوان عام ١٩٥٤ - كان صاحب الفكرة في تكوين هذا النظام (١٧٥) . وفي الواقع أن النظام الذي وضع للجواله كان يجعل الانتقال منها الى النظام السري تطورا تدريجيا وطبيعيا ، لان الجوال لم يكن ليصبح جوالا الا اذا أقسم يمينا ، والا اذا بايع على السمع والطاعة ، والا بعد تدريبات وتمريبات وامتحانات ينتقل منها من مرحلة الى مرحلة ، ومن طور الى طور . ولقد صور عبد المجيد أحمد حسن ، قاتل النفراسي باشا ، هذه النقطة جيدا حين قال ، في أثناء محاكمته ، بأن انتقاله من الجواله الى النظام الخاص (التنظيم السري) قد تم دون أن يحس بأن تغييرا كبيرا قد طرأ عليه (١٧٦) . وقد حدد محمد خميس حميدة ، نائب مرشد الاخوان المسلمين ، نشأة هذا النظام بأنه كان « حوالي سنة ١٩٤٢ أو قبل كده » (١٧٧) ، وهو تاريخ يناسب مجرى الأحداث التي نحن بصدددها .

على كل حال ، فان عين الانجليز لم تغفل عن حسن البنا ، وقد ملكوا يدا أكثر حرية وانطلاقا في عهد حسين سري باشا بالذات ، فبايعازهم صودرت مجلتا التعارف والشعاع الأسبوعيتان ومجلة المنار الشهرية ، ومنع طبع أي رسالة من رسائل الاخوان المسلمين أو إعادة طبعها ، وأغلقت مطبعتهم ، وحرم على الجرائد أن تذكر شيئا عنهم ، كما منعت اجتماعاتهم (١٧٨) . ثم ابلغت السلطات البريطانية حسين سري باشا أن حسن البنا يعمل في أوساط جماعته لحساب ايطاليا ، ورغبت اليه في

العمل على الحد من نشاطه ، فنقله حسين سري باشا الى الصعيد ، ولكنه لم يلبث أن اضطر الى اعادته - أغلب الظن - بتدخل الملك فاروق ، الذي استخدم في ذلك بعض نواب الاحرار الدستوريين للضغط واثارة الموضوع في البرلمان (١٧٩) . على ان السلطات البريطانية لم تلبث ان عادت فطلبت اعتقال البنا وأحمد السكري وعبد الحكيم عابدين وكثيرين من الاخوان ، فقبض على البنا وأحمد السكري في ١٩ اكتوبر ١٩٤١ ، كما قبض على عبد الحكيم عابدين وغيره من الاخوان المسلمين وأودعوا معتقل الزيتون . ولكن حسين سري باشا اضطر في هذه المرة ايضا الى الافراج عن حسن البنا وأحمد السكري في ١٣ نوفمبر ، كما افرج عن عبد الحكيم عابدين (١٨٠) . ونرجح أيضا أن ذلك تم بايعاز من الملك فاروق الذي استخدم في هذه المرة السعديين ، بعد أن تحسنت علاقته بهم لاقلاعهم عن فكرة دخول الحرب واشترآكهم لذلك في وزارة حسين سري باشا ، فقد ذكر أحمد حسين ، في مرافعته في قضية مقتل النقراشي باشا ، أن حامد جودة ، وزير التموين السعدي ، زار الشيخ حسن البنا في معتقله قبل الافراج عنه بأيام ، وجلس معه عدة ساعات ، وأعلمه أنه يعمل على الافراج عنه . وكان أحمد حسين في تلك الاثناء معتقلا في نفس المعتقل مع البنا (١٨١) .

ومما يشير أيضا الى أن الافراج عن حسن البنا لم يكن بفضل الضغط البرلماني وحده ، وإنما كان بتدخل القصر بكل ثقله ، أن هذا الضغط البرلماني لم يفلح وحده في الافراج عن أحمد حسين او محمد صبيح أو غيرهما من زعماء مصر الفتاة ، لأنه كان يفتقر الى هذا التدخل . فقد طلب الشيخ عبد الرحمن الرافعي من وزير الداخلية البحث في المسائل المنسوبة الى أحمد حسين وابراهيم زيادة وابراهيم طلعت ومحمد صبيح وغيرهم والتعجيل بتقديمهم الى المحاكمة في حالة ثبوت ادانتهم (١٨٢) ولكن الحكومة لم تعر هذا الطلب أية أهمية ، وظل أحمد

حسين وأعضاء مصر الفتاة معتقلين الى نهاية الحرب •

وكان الانجليز على كل حال يشعرون بدور القصر في الافراج عن حسن البنا • ففي كتاب «كيرك» : «موجز تاريخ الشرق الاوسط» ، تحدث عن مسؤولية الاخوان عن تيار الدعاية للمحور والكراهية لبريطانيا الذي اجتاحت البلاد في خريف سنة ١٩٤١ ، وقال انه عندما وافقت الوزارة على ما طلبه الانجليز من اعتقال حسن البنا ، لم تلبث أن اطلقت سراحه بعد بضعة ايام ، وكان ذلك على ما يظهر « بضغط القصر الذي ساد الاعتقاد بأنه يمدد بعونة سخية » (١٨٣) • وقد وافقني الأستاذ محمد صبيح في لقائي به يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٨ على أن حماية فاروق للاخوان المسلمين وتخليه عن أحمد حسين ورفاقه أيام الحرب كان عاملا هاما في انقلاب رئيس حزب الفتاة عليه بعد الحرب •

وواضح أن فاروق كان قد أخذ يدرك أن المستقبل للاخوان المسلمين، الذين كانت الدلائل تشير الى أنهم سوف يصبحون تكتلا شعبيا من الدرجة الأولى يمكن استغلاله في مقاومة الوفد ، على العكس من حزب مصر الفتاة الذي أثخنه المعارك التي خاضها ضد جميع القوى السياسية في مصر ، وبخاصة ضد علي ماهر باشا • ومن الواضح أن علي ماهر باشا كان صاحب الفضل في اقناع فاروق بالانصراف عن حزب مصر الفتاة الى الاخوان المسلمين الذين كانوا يمدونه بتأييدهم، فبالإضافة الى أن فاروق كان قد أسلم قياده لعلي ماهر باشا بعد خروج البنداري من القصر ، وقد ظهر ذلك في اسناده رئاسة الوزارة اليه في ١٨ اغسطس ١٩٣٩ ، فان خروج علي ماهر باشا من الحكم على يد التبليغ البريطاني في ١٩ يونية ١٩٤٠ قد وثق ما بينه وبين مولاه لحد كبير بسبب عدائهما المشترك للانجليز ، وسوف تلعب هذه العلاقة دورا هاما في حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ •

مصر الفتاة

فما هو نشاط حزب مصر الفتاة في هذه الفترة قبل القبض على زعمائه ؟ لقد رأينا كيف وقف هذا الحزب عندما أعلنت الحرب موقفا خاصا ينادي باعلان الحرب الهجومية على ألمانيا ! وقد تمكن بفضل هذا الموقف المتطرف في الولاء للانجليز من تجنب مصادرتهم لنشاطه طوال عامين تقريبا من بداية الحرب ، وخصوصا بعد أن تخلى عن اسمه واستبدل به اسم « الحزب الوطني الاسلامي » . وكان هذا الموقف محل تنويه الصحف البريطانية ، حتى أن جريدة الايفنج نيوز الانجليزية استشهدت به - بعد عام من اندلاع نيران الحرب - في مقام التدليل على ولاء الدول الاسلامية لبريطانيا ، فقالت : « وقد صرح زعماء جماعة مصر الفتاة بأنهم ضد النازي ، وأنهم يؤيدون البريطانيين ، وأن غرضهم اعزاز شأن الاسلام » ، ثم ابرزت الجريدة أن هذه الجماعة « تضم أناسا من جميع الطبقات » (١٨٤) .

ويتضح مما أورده أحمد حسين في قصته «الدكتور خالد» ، والتي تحوي مذكراته الشخصية - كما روى لي محمد صبيح - أن الحزب أخذ يعد نفسه للعمل ضد الانجليز بعد سقوط فرنسا ، وحين كان متوقعا هزيمة انجلترا (١٨٥) . وقد أورد محمد صبيح في كتابه الهام « صفحات من الحرب العالمية الثانية » ، أن الحزب أخذ في تلك الأثناء يجمع الأسلحة من كل مكان ، ويشتريها عن طريق الأعراب من القوات الانجليزية ويخزنها . وكان يحصل على الأموال التي يشتري بها السلاح ويدبر المخابيء ويعد المنشورات ويزاول بها نشاطه من مصدرين : الأول ما يجود به المصريون من أنصاره، والثاني ما يأتي عن طريق الانجليز أنفسهم . فيذكر أن في أثناء الحرب كثر الرواج ، وزادت النقود في أيدي الناس ، وكان في وسع العامل العادي أن يعطي جنيها من ايراده

كل شهر دون أن يتأثر أو يضار به . وفي الوقت نفسه فإن مخابرات الانجليز كانت قد حسبت أن في وسعها شراء الحركات الوطنية بالمال ، فكانت تبعثره هنا وهناك ، وكان يخص حزب مصر الفتاة جانبا منه ، فكان يذهب في عمليات شراء السلاح (١٨٦) .

وكانت أول جناية عسكرية من نصيب مصر الفتاة ، فقد قبض على الشيخ توفيق الملط وهو متوجه الى أسبوط لتنظيم المقاومة فيها وجمع الأسلحة والذخائر وقطع مواصلات الصعيد وقت القيام ضد الانجليز ، ولكنه ضبط في محطة الجيزة ومعه بعض الديناميت وطرف من الخطة ، وقدم الى المحاكمة بتهمة احراز ديناميت لأغراض ثورية (١٨٧) .

وعلى كل حال ، فيروي أحمد حسين في قصته « الدكتور خالد » انه أعد خطة للعمل ضد الانجليز في اللحظة التي يشرع فيها الألمان في الهجوم على الجزر البريطانية ، وتقوم على الاستفادة من الحالة النفسية التي يكون فيها الشعب في تلك اللحظة ، في تفجير ثورة شاملة . وتتخلص الخطة في ايفاد بعض المنظمين المسلحين بالمسدسات الى القرى المحيطة بمراكز الأقاليم ، والاستيلاء على البنادق والذخيرة الموجودة في سلاحك القرية القائم في بيت كل عمدة ، ثم حشد أهالي كل قرية للزحف على المراكز ، التي سيكون بها هي أيضا في تلك الأثناء بعض المنظمين الآخرين للقيام بهجوم مماثل . وبعد الاستيلاء على المراكز يعلن الثوار مباشرة السلطة باسم « قيادة الشعب الثورية » .

ونظرا لأن عدد المراكز التي يمكن أن تقوم فيها هذه الحركة يتوقف بطبيعة الحال على عدد المنظمين الذين يمكن حشدهم ، فلذلك اتصل أحمد حسين بالشيخ حسن البنا وعقد معه اجتماعا حضره مصطفى الوكيل وأحمد السكري للاستفادة بالامكانيات الكبيرة لدى الاخوان والشباب الكثير العدد الملفت حول لوائهم . على أن الشيخ حسن البنا ، بعد أن ناقش الخطة ، تبين له عدم صلاحيتها لسببين ذكرهما لأحمد حسين :

أولهما ، أن بنادق الخفر التي تطلق الخرطوش لا تصلح كبسلاح يشهر في وجه الانجليز . ثانيا ، ان الخطة تفتقر الى المال الذي لا يجب أن يقل عن مائتي الف جنيه . وهذان الشرطان لم توفرهما الخطة . وقال البنا : اننا لا نبحث عن مغامرة قد تخيب وتفشل ، وانما نعد أنفسنا لعمل قوي ناجح ، لأن الفشل يكون كارثة لا على حركتنا أو مصر فحسب ، بل على العالم الاسلامي كله (١٨٨) .

وعلى كل حال ، فان موقف حزب مصر الفتاة لم يلبث ان انكشف عندما اندلعت ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق في مايو ١٩٤١ . فقد انضم اليها فورا مصطفى الوكيل الذي تصادف وجوده هناك في ذلك الحين استاذ بكلية المعلمين ببغداد ، وأذاع بيانا في الراديو باسم رئيس الحزب يعلن فيه تأييده للثورة (وكان دور رئيس الحزب في هذا البيان أنه سمعه فقط) ثم انضم مصطفى الوكيل متطوعا بالجيش العراقي . ولما فشلت الثورة وهرب الكيلاني والمفتي من العراق ، سافر معهما وظل ينتقل معهما من قطر الى قطر ، والانجليز يلاحقونهم باحتلال هذه الأقطار ، حتى استقر بهم الحال في برلين (١٨٩) .

وبطبيعة الحال وبسبب موقف مصطفى الوكيل ، فقد قبض على أحمد حسين بعد مطاردة طويلة اختفى فيها عن الانظار ، وأودع المعتقل ومعه محمد صبيح وحسن جريو وحسن سلومة وتوفيق الملط وابراهيم طلعت وزكريا حنفي والزيادي وفتحي أبو الوفا وغيرهم ولم يفرج عنهم الا في نهاية الحرب في عهد حكومة الوفد (١٩٠) .

الجماعات السرية

في تلك الأثناء كانت روح الكراهية للانجليز والاعجاب بالألمان تحرك نفرا من صغار الشباب البعيد عن الأحزاب التقليدية والفرق

الفاشية ، الى العمل منفردا في شكل جماعات مستقلة . وأهم هذه الجماعات جماعة حسين توفيق التي يتحدث عنها وسيم خالد في مذكراته ، وروى أنها نجحت أثناء الحرب في احراق ما يقرب من ثلاثين عربة من عربات الجيش الانجليزي وبعض منازلهم ، وقتلت عددا من الجنود الانجليز (١٩١) .

ومن هذه الجماعات أيضا جماعة كمال الدين رفعت ، وكانت تضم صلاح الدسوقي وحسن التهامي ومراد غالب وكمال حسنين وطلعت يوسف وأحمد الروزنامجي ، وتربط أفرادها أواصر الصداقة منذ عام ١٩٣٨ في مدرسة القبة الثانوية . وكان لهذه الجماعة مع الجنود الانجليز - كما يقول كمال الدين رفعت في مذكراته - معارك كثيرة شهدتها شوارع مصر الجديدة والقاهرة ، من اعتداءات باليد عليهم واغتيالهم ، حتى الهجوم على معسكراتهم بضواحي القاهرة . وقد قامت جماعة أخرى من طلبة الثانوي ، تربطها صلة قرابة وصداقة بجماعة كمال الدين رفعت وعلى علم بنشاطها ، وتتكون من ضياء حسنين (شقيق كمال حسنين) واسماعيل مرزوق ورؤوف أسعد بالهجوم على معسكر للانجليز بالهرم ، واستولت على بعض الأسلحة (١٩٢) . على أنه من الواضح أن نشاط هذه الجماعات كان نشاطا محدودا لحد بعيد ، ولم يكن له أي أثر عام . ولا يوجد دليل على أن الانجليز قد أخذوه على محمله السياسي الوطني ، وربما اعتبر من حوادث السطو العادية وجرائم الاغتيال .

ضباط الجيش

فما هو موقف ضباط الجيش في ذلك الحين ؟ ان الحقيقة الثابتة هي أن هؤلاء الضباط ، بما فيهم الضباط الأحرار ، كانوا يؤيدون فاروق بكل قوتهم . وتأيد ضباط الجيش لفاروق يرجع لعدة أسباب :

أولها ، تبعيتهم المباشرة للتاج . فلقد رأينا كيف خاض فاروق معركة حامية مع حكومة الوفد حول اليمين التي يحلفها الضباط ، حين أرادت أن تغير صيغة هذا اليمين بحيث تكون الطاعة للدستور ويكون الاخلاص للملك ، فلما أقيمت وزارة الوفد ، وبعد أن مضت أيام قليلة ، أقيمت حفلة كبيرة حلف فيها الضباط اليمين للملك بصيغتها القديمة ، وتوجه الملك بعدها الى الجامع الأزهر ، وفي رفقته كبار الضباط ، حيث أدى معهم فريضة الجمعة . وكتبت « البلاغ » تفاخر باتمام هذا العمل الذي كانت تعارض فيه حكومة الوفد ، وتقول : « لقد تمت يمين الجيش ، وتمت الصلاة في الجامع الأزهر في يوم واحد . ولولا خلل الوزارة النحاسية لامت هذه وتلك قبل ثلاثة أشهر » (١٩٣) . وقد تكرر ذلك في العام التالي ، حين أراد فاروق استغلال قضية فلسطين للترويج لفكرة الخلافة . فقد ذهب الى جامع قوصون ومعه عدد كبير من الضباط ، وهناك أم المصلين الذين كان فيهم الأمير فيصل آل سعود وشقيقه الأمير خالد والأمير سيف الاسلام الحسن ، ثم هتف الضباط بحياته خليفة للمسلمين (١٩٤) .

أما السبب الثاني ، فهو موقف فاروق من كادر الموظفين الذي أرادت وزارة محمد محمود باشا تطبيقه على ضباط الجيش . وكانت هذه المحاولة قد قوبلت بمعارضة شديدة من الضباط ، لأنها تهبط بمرتباتهم بنسبة الربع تقريبا . وحدثت حوادث تدمر في الجيش تمثلت في طلبات ومذكرات تقدم بها الضباط ، ومن بينها مذكرة أعدتها لجنة مكونة من ٤١ ضابطا على رأسهم اسلام باشا والزيتي باشا ، تضمنت ما وصف بأنه الحد الأدنى من الطلبات التي لا يقبل تعديلا . وهنا قدم حسن صبري باشا ، رجل القصر المعروف ، استقالته من الوزارة تأييدا للضباط ، ولأن الوزارة رفضت تطبيق كادر خاص على الضباط بالجيش . وكانت هذه الاستقالة المسببة سببا في عدول الوزارة عن تطبيق كادر

الموظفين على ضباط الجيش ، ووضع كادر خاص لهم (١٩٥٠) . وكان الغرض من هذه الحركة التي قام بها القصر من ناحية ايعازة لحسن صبري باشا بتقديم استقالته واثارة ضجة حول الموضوع ، هو أن يشعر الضباط أن القصر هو النصير لهم دون الأحزاب القائمة في الحكم ، لينصرفوا الى تأييده دون تحفظ . وهذا ما حصل فعلا ، ففي يوم ٣ فبراير ١٩٣٩ أعلن فكري أباطة في المصور بالحرف الواحد ، أن الجيش « ارتمي في أحضان عابدين » ، واعتبر ذلك في الظروف الدولية القائمة، مع تدمير فئات الشعب وسخطها على حكومة محمد محمود باشا ، من الأسباب التي تجعل الحكومة غير صالحة لمواجهة الخطر الدولي .

أما السبب الثالث ، فهو موقف فاروق المناوئ للانجليز ، ومنازعاته مع السفير البريطاني . فقد كان من الطبيعي أن ينحاز ضباط الجيش ، خاصة صغارهم ، بحكم حماسهم الوطني ، للملك الشاب الذي يقاوم السيطرة الأجنبية ويحرص على تأكيد السيادة القومية . وكانت جرائد القصر ، وعلى رأسها جريدة « مصر الفتاة » ، تبرز هذا الصراع على صفحاتها للمتاجرة به في سوق التأييد والمناصرة .

هذه العلاقة بين ضباط الجيش والقصر ، كان لا بد أن يكون لها انعكاساتها على موقف ضباط الجيش من بريطانيا إبان الحرب . ويقسم الدكتور محمد أنيس ضباط الجيش في ذلك الحين ، وبحق ، الى فئتين : الأولى ، هي فئة الضباط العظام ، وهؤلاء يرى أنهم من أعوان الانجليز في جملتهم (١٩٦) . ويرجع ذلك لسببين هامين : الأول ، أن هؤلاء الضباط كانوا يخافون على مناصبهم أن تطوح بها اشارة بريطانية ، فكانوا حريصين على ابداء كل مظاهر التعاون والخضوع ، والثاني ، ان هؤلاء الضباط كانوا من رجال المدرسة القديمة الذين تربوا على الولاء لبريطانيا والاعتراف لها بالهيمنة والقوة .

أما الفئة الثانية من ضباط الجيش ، فهي فئة الضباط الصغار الذين

دخلوا الكلية الحربية في أعقاب معاهدة ١٩٣٦ وبعد حركة التوسع في الجيش التي زادت بعد قيام الحرب . فقد أتاح هذا التوسع لعدد ممن ينتمون لأبناء الأسر المتوسطة والصغيرة دخول الجيش كضباط ، وهؤلاء الضباط كانوا بحكم أصولهم الاجتماعية عناصر وطنية وشعبية شديدة الحماس لقضية تحرير بلادهم والادراك بمسئوليتهم في هذا التحرير ، وبالتالي فهي عناصر كارهة للاحتلال البريطاني (١٩٧) .

من هذه الفئة الأخيرة نشأ التجمع الجنيني الاول للضباط الاحرار عام ١٩٣٨ ، في صورة مجموعة من الضباط الصغار الاصدقاء ، من بينهم جمال عبد الناصر وأنور السادات . وكان يجمع أفراد هذا التجمع شعور عميق بالكراهية للقواد الانجليز في البعثة العسكرية من جانب ، والكراهية لقوادهم المصريين الخاضعين للقيادات الانجليزية من جانب آخر ، « وشهدت تباب الشريف ، والنار الموقدة عليها ، عهدا مقدسا ربط مجموعة من الشباب الصغار لم يربطهم بعمل معين ، ولا بزمن محدد ، ولكن ربطهم بفكرة الحياة » (١٩٨) .

ويلاحظ على هذا التجمع الاول أنه (أولا) كان تجمعا حول فكرة، ولم يكن تجمعا حول عمل معين . يقول أنور السادات : « لم نكن نعرف على وجه التحديد ماذا سوف نعمل ، لقد كان هدفنا أن نقوم بدورنا في تخليص البلاد من جنود الانجليز ، ولم تكن الفرصة لذلك تسنح أثناء الحرب ، وقد سيطر الانجليز على كل مرفق من مرافقنا ، واحتلوا قواعدنا وطرق مواصلاتنا ، بل لقد كنا نحارب الى جانبهم أيضا » (١٩٩) .

ثانيا - لم يكن خلع فاروق داخلا في اطار فكرة هذا التجمع ، أو حتى قريبا منها . بل ان الأمر كان على العكس ، فقد كان فاروق في ذلك الحين محل ولاء الضباط ، ورمز المقاومة في نفوسهم . وفي ذلك يقول السادات : « كان الملك في نظر الشعب ، وفي نظر الجيش أيضا ، شابا

وطنيا محبوبا » ، « وقد اعتبرناه فعلا رمزا لمصر » (٢٠٠) • وعلى ذلك فلا أهمية لما أورده الماجور سانسوم في كتابه « I spied spies » من أن الضباط كانوا « يكرهون فاروق » ولكنهم يكرهوننا أكثر » (٢٠٠ م) • وتظهر هذه الحقيقة من رد فعل حادث ٤ فبراير في نقوس الضباط ، ففي الوقت الذي كانت الغالية الساحقة من الشعب تظهر شماتها في فاروق وفرحتها بتولي الوفد الحكم ، فقد « طاش صواب الضباط » - على حد تعبير أنور السادات - لهذه الضربة ، « وفي فورة الحماسة وعنف الشباب بدأت الاجتماعات تعقد علنا في نادي ضباط الجيش لمناقشة الموقف » (٢٠١) • وكان الجنرال ولسن هو الذي يعرف تأثير فاروق على الضباط في تلك الفترة ، وإن رد الفعل في نفوسهم لهذا الحادث سوف يكون مختلفا عنه عند الشعب ، ولذلك فقد أحس « بالذعر » - على حد قوله - عند سماعه بهذا النبأ وهو في سوريا ، وخشي أن يكون لرد الفعل عند الضباط تأثير خطير على مجهود بريطانيا الحربي ، وذكر أنه لولا جهود ابراهيم عطاالله باشا رئيس الأركان لحدث ما لا تحمد عقباه (٢٠٢) •

أما الملاحظة الثالثة على هذا التجمع الاول ، فهو أنه لم يستمر طويلا ، بل تفرق سريعا • يقول أنور السادات : « مرت أيام قليلة كنا فيها لا نزال في فترة تكويننا الأول • وإذا بالشيء الذي نسيناه جميعا يقع • • فان ضابط الجيش لا يستقر في مكان واحد طويلا ، وإن هي الا لحظة مفاجئة ، حتى كنا قد تفرقنا شعاعا : واحد في الاسكندرية ، والثاني في طنطا ، والثالث في القاهرة ، والرابع في مرسى مطروح • وكانت الحرب اذ ذاك قد بدأت ، والأعصاب توترت ، ورأينا حلمنا الكبير يذوب ويتساقط كما تتساقط حبات الندى عالقة بزهرة ، أو تذوب في شعاع الصباح » • ونقل جمال عبد الناصر الى السودان ، وظل هناك عامين كاملين بين ديسمبر ١٩٣٩ وديسمبر ١٩٤١ (٢٠٣) •

والجزء الثاني الخاص بالفترة التي أعقبت تفرق هذا التجمع الاول ، في مذكرات أنور السادات ، مقتضب • فهو يذكر أنه بعد استقالة علي ماهر باشا ، وفي شهر سبتمبر ١٩٤٠ ، وحينما كانت جيوش ايطاليا تغزو مصر ، صدرت الأوامر الى فرقته بالانسحاب من مرسى مطروح ومعها الفرقة المصرية الأخرى ، وأن يتركها أسلحتهما للقوات البريطانية التي تقرر أن تنفرد بالدفاع عن المنطقة كلها • وقد غضب الضباط لمسألة ترك الأسلحة ، ووضعوا خطة لاحتلال المرافق العامة في الطريق الى القاهرة وفرض حكومة علي ماهر باشا مرة أخرى • ولكن لأكثر من سبب تبين أن تنفيذ هذه الخطة لن ينجح الى النهاية ، فاكتمل بالعودة بجميع الأسلحة كاملة • وفي القاهرة التقى أنور السادات بجميع أصدقاء منقباد ، فيما عدا جمال عبد الناصر الذي كان في السودان ، وبدأت الاجتماعات تتوالى وتتركز للقيام بعمل كبير • وكان في خيالنا رجلان نريد أن نتصل بهما ، وأن نشاركهما معنا في عملنا الكبير : علي ماهر ، صاحب البيان المشهور والاستقالة المدوية • وعزيز المصري ، رئيس هيئة أركان حرب الجيش ، وهو الرجل الذي وقع اختيارنا عليه عندئذ ، لكي يقود ثورتنا • وحاولنا أن نتصل بعلي ماهر فلم نستطع ، وحاولنا أن نتصل بعزيز المصري ، فاستطعنا • ولكن اتصلنا في طريقنا اليه بالاخوان المسلمين أيضا « (٢٠٤) •

وهذا النص يكشف النقاب عن نقطة أخرى هامة ، هي انسحاب الفرقتين المصريتين من مرسى مطروح • وكنا قد ذكرنا أن علي ماهر باشا قد أمر القوات المصرية بالارتداد الى هذا الموقع حتى لا تتورط البلاد في الحرب مع ايطاليا دون تدبر ، وان حكومة حسن صبري باشا قد أقرت هذا الامر ، واتخذت قرارا بالألا تخوض مصر الحرب الا اذا بلغ الطليان مرسى مطروح بحجة أن بين السلوم ومرسى مطروح مسافة شاسعة لم يحسب حساب الدفاع عنها • فلما قرر حسن صبري باشا ألا

يعلن الحرب على المحور حتى لو بلغ الطليان القاهرة ، وأقره الانجليز على ذلك ، ففيما يبدو أنه حصل أيضا اتفاق بينه وبين السلطات البريطانية على سحب القوات المصرية من مرسى مطروح الى القاهرة ، حتى تنفرد القوات البريطانية وحدها بالدفاع عن مصر . وكان الدفاع عن هذه المنطقة ، كما يروي أنور السادات ، منقسما بين ثلاثة قطاعات : قطاعين برين ، يحتلها الجيش المصري ، وقطاع بحري يدافع عنه الانجليز . وقد أراد الانجليز - كما ذكرنا - أن يترك الجنود المصريون أسلحتهم للقوات البريطانية التي ستتولى الدفاع ، ولكن الضباط المصريين رفضوا الاذعان لهذا الأمر . وهذه القصة نصدقها ، لأنها تتفق مع ما ذكرناه من أن السلطات البريطانية سعت الى استرداد جزء من السلاح الذي زودت به الجيش المصري بعد أن قررت مصر عدم دخول الحرب ، وأن الحكومة المصرية رفضت هذا الطلب بناء على رفض الجيش المصري له .

على كل حال ، فيمكننا أن نستكمل المعلومات التي يقدمها أنور السادات ، فيما يختص بلقاءاته مع الاخوان المسلمين أو عزيز المصري ، فان لدينا مصدرا آخر من الضباط الاحرار تتضح معالم هذه الفترة في ذاكرته بأكثر مما اتضحت في ذهن أنور السادات ، وهذا الضابط هو قائد السرب حسن عزت ، الذي أصدر مذكراته في عام ١٩٥٣ ، بعد أن قدم لها عدد كبير من المدنيين والعسكريين ، منهم أنور السادات نفسه ، وعبد اللطيف البغدادي ، وخالد محيي الدين ، ومجدي حسنين ، وثروت عكاشة . يقول حسن عزت :

ذهب علي ماهر ، وحل محله حسين سري ، وكنا قد ألفنا تشكيلا من الطيار وجيه اباطة ، والطيار أول : أحمد سعودي ، وعبد اللطيف بغدادي ، وأنا . « وبدأنا نجتمع اجتماعات دورية في الخيام بالمعسكرات لنبحث عما نستطيع عمله لانقاذ الموقف . وانضم اليها اليوزباشي أنور السادات من سلاح الاشارة ، وكان قد ضاق ذرعا بالسياسة المصرية

وعبيدها من المصريين • واجتمعنا نحن الخمسة لنكون أول لجنة من الضباط الأحرار • وكانت علينا تقع تبعة خلاص مصر وتحريرها ، وكان علينا أن نضع الخطط المحكمة وننتهز الفرص •• ، وأسندنا الى بغدادى مهمة تنظيم الصفوف • وكان على كل منا ضم خمسة من الضباط لجماعة الأحرار ، بحيث لا يعرف بعضهم بعضا ، وكان كل فرد من الخمسة عليه أن يجمع خمسة آخرين • وأسند اليّ واجب الادارة والانتاج والناحية المالية ، ولوجيه أباطة الدعاية ، ولسعودى ادارة عمليات الارهاب ، ولأنور السادات واجب الاتصال • وهكذا وزعنا العمل والمسئوليات فيما بيننا •• واشترينا ورشة صغيرة بها مخرطة ومقشطة وبعض الآلات والعدد ، واستأجرنا فيلا بكوبرى القبة أقمنا بها أنا وسعودى ، وجعلناها وكرا للانتاج والاجتماعات • وامتلات الورشة بالكتب الوطنية، وأخذت الجماعة تنشط ، ولم تمض ستة أشهر حتى بلغ عددنا ثلاثين ضابطا • وكانت الطريقة أن نضع كل ضابط يرشح تحت المراقبة والاختبار الدقيق لفترة من الزمن ، فاذا اجتاز فترة المراقبة بنجاح ، اختبرناه بتكليفه بأعمال خفيفة فيها مسئولية ، فاذا اجتازها كلفناه بأعمال أخطر ، وهكذا حتى تتأكد منه ، وهنا نطلب اليه ضم خمسة ممن يثق بهم ويصبح رئيسا لهم ، وبهذا تزيد مسئولياته • وكنا نراقب بعض الضباط من زملائنا ممن كانت لهم صلة بالانجليز • ونشط أنور نشاطا عظيما ، وأخذ بدوره يضم ضباطا من الاشارة والبيادة وغيرهم • ونشطنا نحن في سلاح الطيران وفي كل مكان • وكان أنور مندوبنا فوق العادة ، كما كان همزة الوصل بيننا وبين عزيز المصري وغيره • ونجحنا في اعداد أنواع بسيطة من القنابل اليدوية التي تنفجر بالالقاء ، وألغام توضع على شريط السكة الحديد فتنفجر بمرور القطار عليها ، وألغام أخرى تنفجر تحت السيارات بمرور عجلاتها عليها » (٢٠٦) •

في ذلك الحين أخذ هذا التشكيل من الضباط يتعرف ويتصل

بالجماعات السرية التي تقوم بنشاط عدائي ضد الانجليز . وكان أول ما تعرف عليه جماعة من شباب الحزب الوطني يتزعمهم من يدعى عبد العزيز علي ، وهو كما يصفه حسن عزت ، من أعضاء الحزب الوطني المتطرفين (٢٠٧) . وقد قرر أنور السادات ان تشكيل الضباط قد أفاد من معوقته كثيرا (٢٠٨) .

وعلى كل حال ، فيذكر حسن عزت في مناسبة التعرف على هذا الرجل ، أن « وجهه أباطة حضر ذات يوم وقال انه تعرف برجل يرأس عصابة من المدنيين ، وهو من أعضاء الحزب الوطني المتطرفين . وذهبنا وتعرفنا بالرجل ، وكان يسكن في شقة بميدان الأوبرا كانت تحمل يافطة عليها اسم « بيت المغرب » . ووضعنا الرجل تحت مراقبة دقيقة دون أن يشعر ، فوقفنا على معلومات خطيرة ، فالرجل يتخذ هذه الشقة تحت اسم بيت المغرب كناد يؤمه أبناء المغرب ومكتبه للاطلاع ومحل للاجتماع ، حيث كان يجتمع بأفراد العصابة لتلقي التعليمات وطبع واخراج المنشورات الثورية التي تشعل حماس الناس وتوضح لهم حقيقة الحالة » . ويقول حسن عزت انه تعرف من أفراد هذه الجماعة على الشيخ احمد حسن الباقوري ، وانه عرض الأمر على الضباط الأحرار « وارتحنا لهذه العصابة وهذه الوجوه الجديدة ، وقررنا الاندماج معها ، وانضم عشرة منا الى العصابة الجديدة واندمجوا فيها ، ودفعنا الاشتراك الشهري وقدره جنيه واحد لكل عضو » .

ويذكر حسن عزت أن الضباط الأحرار قد التقوا في جماعة عبد العزيز علي « بوجوه عديدة وطنية متطرفة من المدنيين والعسكريين . ورأيت هناك وجها وطنيا معروفا لدينا جيدا ، وهو معلم قديم من معلمي المدفعية كان يعلم فن المقذوفات مختلطا بالوطنية ، وكانت له سمعة عظيمة بين الضباط .. كان الضابط رشاد مهنا . والتقينا هناك بكثير من الشبان الوطنيين بينهم المجاهد محمد أبو سالم وكان قد تخرج حديثا من

الجامعة ، والمحامي سعيد عبد المعطي ، ومحمد عبد الرحمن حسين ،
وأحمد شاهين وغيرهم ، والذين جمعهم هذه العصاة التي يرأسها ويديرها
عبد العزيز علي ويجمع فيها العناصر المتطرفة » (٢٠٩) .

وفي هذه الفترة وقع الاتصال بين جماعة الضباط والاخوان
المسلمين . ورواية حسن عزت عن الاتصال بحسن البنا تختلف عن رواية
أنور السادات . ففي رواية حسن عزت أن الضباط هم الذين قرروا هذا
الاتصال ، وأن وجهه أباطة هو الذي أعد المقابلة مع حسن البنا في عيادة
طبيب في السيدة زينب ، وأن الذي قام بالمقابلة مع البنا « طالبة بكلية
الآداب كانت من عصاة وجه » ، نظرا لمراقبة البوليس السياسي
للحركة (٢١٠) . أما رواية أنور السادات فتقوم على أن الذي سعى إلى
الجيش هو حسن البنا ، وأنه تعرف إليه حين حضر الأخير إلى سلاح
الإشارة بالمعادي ليلقي حديثا دينيا بمناسبة مولد الرسول سنة ١٩٤٠ ،
« واتحى الرجل بي ناحية ، وتجادب معي حديثا قصيرا أنهاه بدعوتي
إلى زيارته في دار جمعية الإخوان المسلمين قبل حديث الثلاثاء ..
وتكررت زياراتي بعد ذلك للرجل ، وبدأنا نتحدث في كثير من الشؤون
العامة ، وبدأت أوقن بأن الرجل يطوي صدره فعلا على مشاريع كبيرة
وخطيرة لا يريد أن يفصح عنها ، كما أيقن الرجل أيضا أنني لا أتوي
الانضمام إلى جمعيته ، كما أنه لم يحاول أن يسألني عن أية صلة لي
بآخرين . ولكنني فهمت أنه كان يدرك أشياء كثيرة من الحقيقة في
مناسبة جاءت بعد ذلك بأيام مقابلة عزيز المصري » (٢١١) .

ولا يوجد في الواقع تناقض كبير بين روايتي حسن عزت وأنور
السادات . إذ يمكن أن تكون رواية حسن عزت قد وقعت بعد تعرف
أنور السادات بحسن البنا . كما أن رواية حسن عزت مقتضبة ولا يبدو
منها أنه كان يحيط بكافة الظروف المحيطة بالاتصال بالإخوان ، على
العكس من رواية أنور السادات التي تحوي تفاصيل هامة لا توجد في

رواية حسن عزت • عدا ذلك فانه باشر الاتصال بنفسه ، أما حسن عزت فلم يدع ذلك •

على كل حال فيجب علينا ان نأخذ هذه الاتصالات من جانب البنا ، على أنها محاولة منه لد تقوذ جماعته داخل الجيش ، بعد أن مده داخل الجامعة • وانه أراد أن يستخدم أنور السادات في ذلك • ففي سؤال له لأنور السادات قال : « هل لديك زملاء في الجيش يشتركون معك في هدف معين » ؟ ، ويقول أنور السادات ان السؤال كان في ظاهره بريئا ، ولكنه كان يريد أن يعرف من ورائه ان كان هناك تشكيل معين يضمني ويضم غيري ! ولم أخف عنه الحقيقة ، ولكني لم أبج له بأسماء اخواني ، قلت : « اني لست أعمل وحدي ، وان هناك تشكيلا معيننا موجودا ، واننا جميعا نؤمن بالكلام الذي قاله لي عزيز المصري ، ونعرف أن البلد لن تتخلص من الاستعمار الا بانقلاب عسكري يقوم به رجال الجيش » (٢١٢) •

أما من جانب الضباط ، فان التحالف مع الاخوان المسلمين كان ضروريا للاستناد الى قوة شعبية تساند الحركة عند قيامها • وهذا الغرض نلمسه بوضوح عند حسن عزت وأنور السادات ، ففي رواية حسن عزت يقول : « قررنا ان نتصل بهم كقوة شعبية نعتز بها » • وفي رواية أنور السادات ، عند حديثه عما شاهده من أن حسن البنا يخزن السلاح ، يقول : « فرحت في نفسي بذلك • فسيأتي اليوم الذي نضرب فيه ضربتنا كرجال عسكريين ، وسيكون من أهم ما نستعين به أن نجد قوة شعبية تقف في الصف الثاني ، مسلحة ومدربة » (٢١٣) • ومن سخرية الأقدار أنه عندما ضرب الضباط الأحرار ضربتهم فعلا في يوم ٢٣ يولية ١٩٥٢ ، كانت قوة الاخوان المسلمين هي القوة المسلحة المدربة الوحيدة التي ظلت تناوئهم وتتآمر ضدهم دون هوادة أو كلل على مدى ثلاثة عشر عاما من الثورة !

على كل حال ، فان الاتصالات بين أنور السادات والبنا لم تثمر في ذلك الحين الثمرة المرجوة لشدة حذر الطرفين . فكما يقول أنور السادات، « فهم المرحوم حسن البنا مني أنني لست أعمل وحدي، وفهم أننا نريد أن نقيم حكومة عسكرية في البلاد تحارب الانجليز الى جوار المحور . وفهم أن الذي ينقصنا فعلا هو جماعة أخرى من الشباب، تستطيع خوض المعركة باسم الشعب عندما يضرب تشكيلنا ضربته كعمل عسكري . وبدأ المرحوم حسن البنا يتحدث الي حديثا طويلا عن تشكيلات الاخوان المسلمين ، وأهدافه منها ، وكان واضحا في حديثه أنه يريد أن يعرض علي الانضمام الى جماعة الاخوان المسلمين أنا واخواني في تشكيلنا ، حتى تتوحد جهودنا العسكرية والشعبية في هذه المعركة . وكنت أنا مستعدا للإجابة على هذا الطلب اذا وجهه الي، فلما رأيته يكتفي بالتلميح، أوضحت له من جانبي أيضا، أنه ليس من وسائلنا أبدا أن ندخل كجماعة أو كأفراد في أي تشكيل خارج نطاق الجيش » (٢١٤) . ويلاحظ أن أنور السادات كان يراوغ البنا في هذه النقطة، لأن حسن عزت - كما رأينا - قد تحدث عن اندماج عشرة من التشكيل في جماعة عبد العزيز علي !

ولقد حاول أنور السادات ، بعد حادث ٤ فبراير ، وفي أثناء تفهقر الانجليز أمام قوات المحور الى العلمين، أن يحصل على مساعدة حسن البنا لخطة تقضي بإبادة الانجليز أثناء انسحابهم، ولكن حسن البنا تهرب بطريقته الخاصة ، فيقول أنور السادات انه (البنا) بعد أن استمع لشرح دقائق الخطة العسكرية الموضوعة ، وفهم حقيقة الدور الذي يقوم به الاخوان حسب الخطة ، « أطرق طويلا . . ثم سكت فترة طويلة أخرى قبل أن يتكلم . وعندما تكلم أجهش بالبكاء . ومرت فترة وهو يتكلم . وكان واضحا جدا من كلامه أنه يؤثر مصلحة البلاد ، ولكنني عندما خرجت من عنده سألت نفسي : هل وعد الرجل بشيء ؟ هل هو سيقوم بتنفيذ نصيب الاخوان منها ؟ . وحررت في الإجابة على كل سؤال من هذه

الأسئلة ، فالواقع أن الرجل تكلم كثيرا ، وأثر في نفسي كثيرا ، وبكى من أجل مصر كثيرا ، ولكنه لم يعد بشيء ، ولا ارتبط بشيء ، ولا أفهمني أنه مقبل على تنفيذ نصيب الإخوان من الخطة ! » (٢١٥) •

على هذا النحو يمكن القول ان نشاط الضباط الاحرار في هذه المرحلة ، لم يولد الا خططا وأفكارا غير قابلة للتنفيذ • وقد أورد أنور السادات أنه تم تجهيز مائة ألف زجاجة من كوكتيل مولوتوف ، كما أنه أنشئت « ورشة كاملة لصنع المسدسات ، وكانت تخرج السلاح فعلا » ، وأنه تم استيراد « كميات كبيرة من البارود الذي يصنعه الفلاحون في الريف من زمن بعيد ، واستطعنا أن نحضره تحضيراً علمياً ، بحيث يمكن الاعتماد عليه » (٢١٦) • ولكن أنور السادات لم يذكر ان هذه الاسلحة قد استخدمت ضد الانجليز •

• • •

بقيت مسألة اتصالات الضباط بالألمان • وهي تنقسم الى قسمين : القسم الأول ، وقد بدأ الاتصالات فيه الجانب المصري • والقسم الثاني ، وقد بدأ الاتصالات فيه الجانب الألماني • وعمدتنا في الكلام عن الاتصالات الأولى حسن عزت ، لائنا لا نجد أثراً لذلك في مذكرات أنور السادات • فيقول حسن عزت انه في أثناء هجوم قوات المحور وتقدمها الى العلمين ، « عقدنا اجتماعا عاجلا لنقرر ماذا نعمل اذا اخترق الألمان عنق الزجاجة وهاجموا الدلتا • واتخذنا قرارا خطيرا باجماع الآراء ، وهو أن نرسل أجدنا بطائرة حربية الى روميل ليشرح له وجهة نظر الوطنيين الأحرار ، واستعدادهم للتعاون معهم ضد بريطانيا اذا كانوا يعطونا سلاحا وعتادا ، وعلى أن نكون معهم على قدم المساواة • • وانهى الاجتماع ، وكلف كل رجل منا باحضار صور وخرائط ومعلومات معينة ، ونظرنا

لبعض نحن الطيارين الأربعة : أينما يطير للمحور ؟ واختلف وجيه وسعودي كل منهما كان يرشح نفسه لهذه المهمة الخطرة • وفض هذه المشادة أنور السنادات قائلا : نعمل قرعة ! وعملها بنصف قرش ، فوَقعت على وجيه • • وأصر سعودي على قيامه بالعملية • • فعرضت أمره على الأحرار ، فعادوا وقرروا أن يترك لسعودي هذه المهمة • واستعد الطيار أول أحمد سعودي حسين أبو علي للقيام بهذه المهمة بناء على تكليف الأحرار ، ووضعت المهمات في حقيبة صغيرة ، وانتظرت سعودي في أحد الخنادق بمحطة الملاحظة ، وكانت نوبة الطيار حسن ابراهيم في الحراسة ، فقد كانت دوريته هي الدورية المطلوب منها حراسة القاهرة من الجو ضد الطائرات المغيرة • • وكان حسن ابراهيم من رجالنا ، وكان يعلم بطيران سعودي • وفي الدقيقة المحددة حضر سعودي الى الخندق ، وكنت أرتدي زي عسكري طيران ، وصعد الى الطائرة فسلمته الحقيبة داخل الطائرة ، وساعدته في ادارتها ، وانصرف مسرعا للجو ، وبعد دقائق اختفى • • وجن جنون الانجليز وطلبوا محاكمة الطيار ثاني حسن ابراهيم أمام مجلس عسكري ، وأقرت السلطات المصرية وقف الضابط الصغير عن العمل ، ووضعت عليه حراسة ، وقدم للمجلس العسكري الذي أثبت عليه الإهمال في الخدمة والتراخي في تنفيذ الأوامر ، وحكم عليه رأفة بحاله بتنزيله عن زملائه ، وأصبح آخر دفعته « • أما سعودي ، فلم يقدر له النجاح في مهمته ، ولقي حتفه ، اذ ظنته المدفعية الألمانية طائرة قتال انجليزية ، فأسقطته فوق مرسى مطروح (٢١٧) •

ولم تلبث أن جرت محاولة أخرى من نفس النوع قام بها الصول محمد رضوان ، أحد طياري القتال، وكان من «متطرفي الأحرار» - كما يقول حسن عزت - وقد أمره وجيه بأبازة باللاحاق بسعودي عن طريق آخر وهو طريق واحة سيوة • وقد طار فعلا الى سيوة ، ثم أقصى الغرب، ثم ذهب الى ألمانيا عندما ارتدت قوات المحور الى أوروبا • وقد قبض

عليه بعد الحرب، وحوكم أمام مجلس عسكري وحكم عليه بالسجن ١٥ سنة (٢١٨) .

وقد أثبتت مسألة هذين الطيارين عند عرض قضية مصر على مجلس الأمن عام ١٩٤٧ . وكانت من بين ما تضمنته الوثائق التي تحدى بها السير ألكسندر كادوجان النقراشي باشا . ومع أن السير ألكسندر لم يدع الوثائق ، نظرا لأن النقراشي باشا لم يقبل التحدي ! إلا أن كريم ثابت ، الذي كان يعمل حينذاك مستشارا صحفيا للملك فاروق ، تطوع بإذاعتها بالشكل الذي يساعد على تنفيذها ، وبصورة مختصرة . وفيما يختص بمسألة الطيارين فقد ذكر كريم ثابت أن الوثيقة الخاصة بهما عبارة عن تقرير جاء فيه أن الطيارين المصريين اللذين هربا إلى خطوط المحور ، قد فعلا بايعاز من الملك فاروق . وقد رد كريم ثابت على ذلك بقوله ان « هذا كذب ، وحكاية هذين الطيارين معروفة ، وأحدهما قد اختفت أخباره ، ويغلب على الظن أنه مات (يقصد سعوددي) ، والآخر قبض عليه الانجليز في ألمانيا ، وحققوا معه طويلا ، ثم أعادوه إلى مصر مقبوضا عليه . وقد استجوبه النقراشي باشا شخصيا مع سعادة حسن فهمي رفعت باشا ، فلم يثبت من أقواله أي شيء من هذا القبيل . وكل ما نسب إليه في حينها قوله : ان هربه « كان بتشجيع أحد العظماء » . ولم تكن صلته بسعادة عزيز المصري باشا مجهولة حينذاك » (٢١٩) .

والجديد في الوثيقة الألمانية المذكورة هو ربط هذه المحاولة بالملك فاروق ، لأن حسن عزت في روايته السالفة الذكر لم يشر إلى وجود أية صلة بين التنظيم السري والملك فاروق ، وكذلك فعل أنور السادات . على كل حال ، فعلى هذا النحو فشلت محاولات الجانب المصري إقامة اتصال مثير بالألمان . وكان ذلك نصيب المحاولات التي قام بها الألمان للاتصال بالجانب المصري . وهذا الكلام يتعلق بعزيز المصري باشا . فقد ذكرنا كيف اتجه الضباط في بداية الأمر إلى الاتصال به « لكي يقود

ثورتنا » • وهذا الاتجاه الى الاستعانة بضابط كبير لقيادة الثورة سوف يظل قائماً حتى تنهياً الظروف للاستعانة باللواء محمد نجيب •

ولقد كانت نقطة الجذب في عزيز المصري باشا بالنسبة للضباط الصغار ، هي أنه — كما وصفه الدكتور محمد أنيس — كان يمثل القطب النقيض لمجموعة الضباط المصريين الكبار الذين كانوا يمالئون الانجليز ويأتمرون بأوامرهم ، وهو ما أدى الى طرده من الجيش لمقاومته طلبات البعثة العسكرية الانجليزية • على أن ميول عزيز المصري باشا نحو الألمان كانت تختلف عن ميول ضباط التنظيم ، فقد كانت القضية الأساسية عند عزيز المصري هي اعجابه المفرط بالعسكرية الألمانية ، أما بالنسبة لهذه المجموعة من الضباط ، فهي في الأساس تعبير عن كراهيتهم للاحتلال البريطاني مصحوبة باغفال غير واع بطبيعة الصراع الدولي في الحرب العالمية الثانية ، وبما فعلته ألمانيا في شعوب أوروبا • فعدوهم الرئيسي هو الاحتلال البريطاني ، وهدفهم الرئيسي هو اخراج البريطانيين من مصر • وهم في سبيل ذلك يرحبون بكافة القوى الدولية التي تستطيع مساعدتهم حتى ولو كانت ألمانيا النازية (٢٢٠) •

ولعل هذا الاختلاف بين طبيعة ميول عزيز المصري وميول مجموعة الضباط نحو الألمان ، وادراك الألمان ذلك ، هو ما دعاهم الى محاولة الاتصال بعزيز المصري في مارس ١٩٤١ للحصول على معاونته • فقد أرسلوا اليه رسالة أعربوا فيها عن احترامهم الكامل لوطنيته ، ورجبتهم في التعاون معه • وقد اقترح عزيز المصري باشا على الألمان أن يأخذوه بغواصة من بحيرة البرلس (شمال الدلتا) لتنقله الى بيروت • لكن الألمان رفضوا الاقتراح لعدم عمق البحيرة ، ولأن الأسطول البريطاني يراقب الشواطئ المصرية • ثم حدثت محاولة ثانية باقتراح من جانب الألمان بأن يأخذوا عزيز المصري باشا على طائرة ألمانية من مطار الخطاطبة هو ومن يصحبه • لكن لما كان هذا المطار قريباً من القوات البريطانية ، فقد عدل

عن الفكرة ، واستبدلت بطائرة تنزل في منطقة جبل رزة على طريق الواحات البحرية . وكان على هذه العملية ان تتم عند غروب الشمس ، لكن المحاولة لم تنجح بسبب حادث وقع لسيارة عزيز باشا وهو في الطريق الى المكان المتفق عليه . ثم كانت المحاولة الثالثة التي اشترك فيها مع عزيز المصري باشا الطياران حسين ذو الفقار صبري وعبد المنعم عبد الرؤوف ليلة ١٥-١٦ مايو ١٩٤١ ، وانتهت بسقوط الطائرة التي هربا بها والقبض عليهم (٢٢١) .

والأمر الذي يهمنا ابرازه هنا ، هو الربط بين هذه الاتصالات والمحاولات وبين نشاط المعسكر الموالي للمحور في مصر . ذلك أنه لم يكد يتصل الألمان بعزيز المصري باشا حتى نشط بدوره الى الاتصال بالعناصر العسكرية والفاشية . وفيما يتصل بالضباط، فقد رأينا كيف سعى أنور السادات الى مقابلة عزيز باشا عن طريق حسن البناء، وقد تمت هذه المقابلة ، ولكنها انتهت الى غير اتفاق معين . فقد نصح عزيز المصري باشا أنور السادات ومجموعته بالاعتماد على أنفسهم . ويبدو أنه أدرك أن الحركة محدودة للغاية ، لأنه قال لأنور السادات - حسب روايته - « ان كان معك خمسة أفراد مؤمنين ، فاني مستعد اليوم أن أحمل طبنجتي وأتقدمكم لأي عمل لانتقاذ البلد » ! على انه لم يلبث حين اتصل الالمان به أن سارع الى الاتصال بأنور السادات للاستفادة بمجموعته في الجيش، والربط بين العمل الخارجي والعمل الداخلي . يقول أنور السادات : « جلس عزيز يروي لي تفاصيل مشيرة الهبت حواسي، وجعلتني أعتقد أن ساعة البدء قد تحددت، وانا في الطريق اليها . قال لي عزيز المصري أن الألمان قد اتصلوا به عن طريق بعض أعوانهم ، وأنهم يرحبون بخبرته في شئون الشرق الاوسط والعرب، وأنهم على استعداد لاختطافه ونقله الى قيادتهم حيث تستطيع خبرته أن تلعب دورا عمليا كبيرا . اذن فقد بدأت

نذر المخاطرة ، ولن يكون العمل داخليا فقط، وانما سيكون هناك تنسيق
لخطة من الداخل مع خطة أخرى مع الألمان » (٢٢٢) •
لم يتصل عزيز المصري فقط بأنور السادات، وانما اتصل أيضا
بجماعة مصر الفتاة عن طريق محمد صبيح • فيذكر محمد صبيح انه جاءه
نبا « عن طريق عبد القادر رزق، عن طريق أحمد مرزوق ، عن طريق
عبد السلام الشريف » أن عزيز المصري باشا يريد مقابله لأمر عاجل في
مكان حدده • وقد لبى محمد صبيح الدعوة على الفور • وفي المقابلة
قال عزيز المصري ان ترتيبات « أحسن من ترتيبات رشيد الكيلاني سوف
تعد ، وان عونا كبيرا من الأسلحة سوف يأتينا من الخارج ، وسوف
تحملة الطائرات في أماكن معينة، وأن اشارات معينة سوف تدل على موعد
قدومها ، وسيتصل بنا من يدلنا على كل التفاصيل ، وعلينا أن نستعد
ولا نمكن الانجليز منا » • ويقول محمد صبيح أن عزيز المصري أخبره
أن محاولة ما ستبذل لكي يسافر الى الخارج ، « واذا نجحت فسيصل
بنا عن طريق الراديو وعن طريق رسل معينين يحملون أمارات معينة أهمها
اجتماعنا هذا • وطلب عزيز ان نجته في البقاء خارج المعتقلات والسجون،
وأن نحافظ على مخازن أسلحتنا ، وأن نتقن أنواع التخفي ونغيرها من
حين لآخر » • وقد نشط محمد صبيح على الفور الى الاتصال بأصدقائه
وزملائه بشتى طرق الاتصال ، فقد أدرك أن الساعة الحاسمة قد اقتربت،
وأن الحركة الوطنية العربية اذا كانت قد أصابتها ضربة أليمة في العراق،
فمن الممكن ان تداوي هذا الجرح في مصر (٢٢٣) •
هذه الاتصالات التي قام بها عزيز المصري بمجموعة الضباط ثم
بعناصر مصر الفتاة ، نرجح أنه قام بمثلها مع جماعة الاخوان المسلمين ،
وان كان الدليل غير موجود الآن • فقد رأينا كيف أن حسن البنا كان
هو الذي دبر مقابلة أنور السادات بعزيز المصري، مما يدل على وثيق
الصلة بينهما • واذا كان أنور السادات وهو أبعد صلة قد عرف أن حسن

البنا يخزن الأسلحة ، فان عزيز المصري وهو أقرب صلة كان جديرا بأن يعرف أولا . ولا يتصور أن عزيز المصري قد أجرى اتصالات مع جماعة مصر الفتاة وهي أقل استعدادا ، دون أن يجري مثلها بجماعة الاخوان المسلمين ، وهي أكثر استعدادا . فمن الواضح أن عزيز باشا كان يريد الاستفادة من كل القوى المعادية للانجليز والموالية للألمان في مصر لايجاد التنسيق اللازم بين العمل الداخلي والعمل في صفوف الألمان .

وفي الواقع أن التنسيق داخل العمل الداخلي نفسه كان موجودا بشكل ما . فقد تحدث محمد صبيح عن « قيادة رباعية » قامت في تلك الفترة ، وكانت تضم الجبهات المعادية للانجليز وهي : مصر الفتاة ، والاخوان المسلمين ، والحزب الوطني (لعله يقصد جماعة عبد العزيز علي) وعزيز المصري . وكانت هذه القيادة تصدر المنشورات الى قوات الجيش وقوات البوليس . ويقول محمد صبيح انه اتفق على اعداد اختتام لهذه القيادة ، وكلف باعدادها « قوقازي مجاهد من اللاجئين الذين يعيشون في القاهرة ، اسمه بكير بك ذو البشر ، كان يحترف النقش على الفضة » (٢٢٤) .

• • •

وعلى كل حال ، فكيف نقيم محاولات عزيز المصري باشا للهروب الى صفوف الألمان ؟ ان قيمة هذه المحاولات هي بمدى الثمن الذي كان ينتظره عزيز المصري من الألمان لقاء تعاونه وتعاون المقاومة السرية معهم ، ومدى احتمالات استجابة الألمان لذلك . وفيما يتصل بالشطر الأول ، فقد روى لي محمد صبيح أن عزيز المصري كان ينوي الحصول من الألمان على اعتراف باستقلال مصر بعد الحرب في مقابل التعاون معهم . ومع أنني لم أعثر فيما كتبه أنور السادات على أثر لمثل هذا التفكير ، الا أننا

إذا سلمنا جدلاً بأن هذا صحيح، فمن الغريب أن عزيز المصري لم يشترط هذا الاعلان حين اتصل به الألمان لنقله الى مقر قيادتهم • ومن الغريب أكثر أنه حاول من تلقاء نفسه الهرب اليهم حين فشلت خطة نقله بطائرة ألمانية • فكيف كان يتصور عزيز المصري أن يحمل الألمان على اعلان تصريح لمصر وهو في معسكرهم هارباً من المعسكر الآخر ؟ وهل أعد نفسه للموقف اذا رفض الألمان اصدار هذا التصريح ؟ أو ان المسألة كانت تسليماً ساذجاً بحسن نية الألمان تجاه مصر ، واندفاعاً الى التعاون معهم دون نظر الى العواقب ؟•

في الواقع أننا نلمح وجوه شبه بين محاولات عزيز المصري وغيره من زعماء العرب ، مثل جماعة الكيلاني أو المفتي ، للاستفادة بالألمان والايطاليين في التخلص من الانجليز ، وبين محاولات الشريف حسين ابان الحرب العالمية الأولى للاستعانة بالانجليز في التخلص من النير التركي ، مع فارق واحد ، هو أن المحاولات التي جرت خلال الحرب العالمية الأولى كانت أذكى من المحاولات التي جرت خلال الحرب العالمية الثانية • فعلى الأقل لقد قام الشريف حسين بحركته باستعداد داخلي قوي ، وتنسيق كامل مع الانجليز ، وبعد مراسلات واتصالات ومباحثات واتفاقات مكتوبة بينه وبينهم - حتى وان خدع فيها • ولكن المحاولات التي جرت في مصر او في العراق لم تحو أي استعداد عسكري داخلي يذكر ، وكان الأمر في العراق فضيحة مخجلة ، على الرغم من أن ظروفه كانت أحسن من ظروف مصر ، ولم يكن هناك أي تنسيق مع الألمان حتى لقد فوجئوا به (٢٢٥) • ومع ذلك قامت الحركة في العراق ، وقام عزيز المصري بمغامرته في مصر •

• • •

ب - تطورات الموقف الداخلي

قبول الوفد تأليف وزارة قومية

في الوقت الذي كانت قطاعات عريضة من القوى الوطنية تقف فيه موقف العداء الشديد للإنجليز، لمختلف الأسباب السياسية والأيدولوجية، وتتزود بالسلاح والذخائر والخطط ، وتتربص للانقضاض عليهم في اللحظة المناسبة لانتهاء احتلال ستين عاما - كانت عوامل التدمير والسخط عليهم تجتاح بقية القطاعات الشعبية الأخرى، وتجذبها شيئا فشيئا الى صفوف القطاعات الأولى ، على نحو راح يهدد بتحويل البلاد بكل فرقها السياسية والشعبية الى جبهة متحدة ضد الإنجليز . وكنا قد عالجنا موقف الوفد من الإنجليز كما تحدد في مذكرة أول ابريل ١٩٤٠ ، وكما تحدد في المجادلات التي دارت حول دخول الحرب الدفاعية . وكان موقفه من القصر والأحزاب الأخرى قد تحدد في اجتماع عابدين الذي عقد للبت في مصير وزارة علي ماهر باشا في ضوء التبليغ البريطاني في ١٩ يونية ١٩٤٠ . وقد ظل الوفد على مواقفه السابقة حتى منتصف ابريل ١٩٤١ حين أخذت رياح التغيير تهب على المسرح السياسي المصري، وتتكشف عن أهم مفاجأتين ، وهما : حدوث تقارب كبير بين الوفد والملك فاروق اتخذ ما اطلق عليه من جانب بعض الصحف المصرية اسم « سياسة الوفاق » ، والثانية ، قبول الوفد تأليف وزارة قومية لأول مرة منذ عام ١٩٢٦ - وهي المسألة التي نعتقد أن الكشف عنها يضيف بعدا جديدا لحادث ٤ فبراير ١٩٤٢ .

وسياسة الوفاق بين فاروق والوفد بدأت في ابريل ١٩٤١ ، وقد قام

بالخطوة الأولى فيها فاروق * ونرجح ارتباطها بالاتصال الذي كان يجريه فاروق في ذلك الحين عن طريق طهران ، وخصوصا اتصال يوم ١٤ ابريل ١٩٤١ الذي أبدى فيه فاروق على لسان يوسف ذو الفقار باشا للسفير الألماني « ايتل » Etel في رسالته الشفوية الموجهة الى هتلر ، صعوبة موقفه بين ضعف جيشه وعجزه عن القيام في وجه الانجليز ، وبين احتضان الانجليز للأمير محمد علي ، الذي أصبح لعبة في أيديهم * فنرجح أن تحرك فاروق لملاقاة الوفد في نفس التاريخ الذي أجرى فيه هذا الاتصال ، انما يرجع الى رغبته في الاستناد الى قبوة شعبية تحميه مما يتخوفه من عزله على يد الانجليز واحلال الأمير محمد علي مكانه - وبمعنى أوضح أن فاروق كان يريد حماية ظهره في الداخل بينما كان يجري اتصالاته بالألمان في الخارج ليحمي عرشه في حالة غزوهم مصر * ونستبعد تماما أن يكون الانجليز قد دفعوا القصر الى فكرة الوزارة القومية في ذلك الحين ، بسبب ظروف الهجوم الألماني والاطالبي بقيادة روميل الذي حمل قوات المحور الى الحدود المصرية يوم ١٢ ابريل ١٩٤١ ثم اختراق هذه الحدود واحتلال السلوم ، وذلك لسببين : الأول ، أن المصادر البريطانية والعربية لم تشر أي منها الى حدوث هذا الضغط ، ثانيا ، ان هذا الضغط لو وقع فانه قد يدفع لظهور فكرة الوزارة القومية ، ولكنه بطبيعة الحال لا يؤدي الى وقوع تقارب بين فاروق والنحاس باشا . فعلى اثر احتلال السلوم قام حسين سري باشا بالاتصال بالنحاس باشا ورؤساء الأحزاب ، وذلك لاطلاعهم على الحالة وعلى رأي السفير البريطاني ، وكان ذلك يوم ١٤ ابريل ١٩٤١ * ولكن النحاس باشا رفض الذهاب الى رئاسة الوزراء قائلا انه : « ما دام الاجتماع لاطلاعنا على الموقف ، فيمكن لدولتكم أن تطلعنني عليه في أي وقت ، وأفضل أن أكون وحدي ، ولا داعي لوجودي في الاجتماع » * وبهذا الموقف العنيد من النحاس باشا فشلت محاولة حسين سري باشا *

ولكن بعد أسبوعين فقط ، بدأ فاروق سياسته الجديدة عندما دعا النحاس باشا ورؤساء الأحزاب الى الاجتماع به يوم ٢٩ ابريل ١٩٤١ • ثم نشرت الصحف أنه وجه دعوة الى النحاس باشا لتناول الغداء معه على مائدته في اليوم التالي ، وكتبت جريدة الوفد المصري في نفس الوقت تقول ان النحاس باشا سوف يصلي الجمعة في معية الملك قبل تناول الغداء ، ثم يقصد الى سمود لحضور حفلة افتتاح كوبري سمود التي سيشرفها الملك (٢٢٦) •

وعلى أثر هذه اللقاءات ، وقع ما يمكن أن يعد أهم تغيير في سياسة الوفد العامة منذ فشل تجربة وزارة الائتلاف عام ١٩٢٨ ، وهو قبول الوفد تأليف وزارة قومية • فقد أعلن النحاس باشا عقب مقابلته الأولى للملك أنه تجلى له فيها حب الملك الصادق لشعبه وحرصه على وحدته وجمع كلمته (٢٢٧) • وبعد يومين اثنين ، أعلنت جريدة الأهرام أن الوفد قد قبل تأليف هذه الوزارة القومية ، وقالت ان الوفد الذي كان يعارض تأليف وزارة ائتلافية في الأوقات العادية ، قد قبل تأليف هذه الوزارة اليوم بسبب الظروف الاستثنائية ، وأنه اشترط أن يحل مجلس النواب وتجري انتخابات جديدة لأنه ليس ممكنا ان يتعاون الوفد مع مجلس حاربه ثلاث سنوات • ونقلت الجريدة عن الوفدين قولهم انهم « مستعدون ان يعقدوا اتفاقا سخيّا مع الاحزاب الأخرى لاجراء انتخابات هادئة مثل الانتخابات التي اجريت في سنة ١٩٢٦ عند قيام الائتلاف ، وفي سنة ١٩٣٦ عند تأليف الجبهة الوطنية • أما اذا كان اجراء الانتخابات متعذرا ، فهم في هذه الحالة يقبلون أن تحكم الوزارة القومية بدون برلمان الى أن يحين الوقت المناسب لاجراء الانتخابات » • ونقلت الأهرام أن النحاس باشا صرح لمن سألوه عن الموقف ، أنه « لتحقيق الوحدة طريقان : أحدهما ، تأليف وزارة محايدة ، والأخرى تأليف وزارة قومية ، وانه في الحالين يجب حل مجلس النواب » •

وقد نقلت جريدة الوفد المصري في نفس اليوم ما نشرته الأهرام بجذافيره، فأكدت ما فيه من حقائق (٢٢٨) •

ويهمنا هنا أن نبين كيف وقع هذا التغيير الأساسي في سياسة الوفد، وكيف نزل النحاس باشا عن موقفه من فكرة الوزارة القومية التي كان يرفضها رفضا باتا • في الواقع أن هذا التغيير قد حدث بضغط بعض أعضاء الوفد على النحاس باشا • وقد كشفت مجلة «الاثنين» هذه النقطة عندما سحب النحاس باشا يده الممدودة الى رؤساء الأحزاب لرفضهم فكرة الوزارة القومية على الأساس الذي اشترطه الوفد، وهو حل مجلس النواب — فقد ذكرت المجلة أن الوفديين قد عللوا مسارعة النحاس باشا بقبض يده الممدودة بأنه « لم يكن راغبا من اول الامر في قبول مبدأ الوزارة القومية أو التفاهم مع الأحزاب الأخرى • ولكنه اضطر الى قبول هذا نزولا على رغبة الرأي العام، والحاح بعض أعضاء الوفد » (٢٢٩) • اما من هم هؤلاء الاعضاء المشار اليهم، فتشير الدلائل الى أن مكرم باشا كان على رأسهم، لانه كان صاحب اكبر تأثير عليه، وكان مكرم باشا في ذلك الحين يعلن عن ميله الى التفاهم مع الأحزاب، ولهذا لما قام حفني محمود بك فيما بعد بمحاولة للتوسط بين الوفديين والسعديين، صرح مكرم عبيد بأن « الصعوبة الآن هي في اقناع النحاس باشا بقبول الاتفاق أو التسوية أو الائتلاف مع أي حزب من الأحزاب • » ثم قال مكرم باشا: « صحيح انه كان للوفد رأي بقبول فكرة توزيع مقاعد مجلس النواب، رغبة في اختزال اجراءات الانتخابات الى أقصى حد ممكن، ولكن رفعة رئيس الوفد قد قبض يده الممدودة بعد الذي رآه من موقف الاحزاب، ورفضهم مقابلته في منتصف الطريق » (٢٣٠) •

رفضت الأحزاب فكرة الوزارة القومية، على الرغم من قبول الوفد لها، تمسكا منها بمجلس النواب القائم المكون من أنصارها • وقد علل عبد العزيز فهمي باشا هذا الرفض تعليلا طريفا، فقد ذكر ان المجلس القائم

يعتبر ممثلاً للبلاد تمام التمثيل ، « فأعضاؤه جميعاً من أعيان البلاد أو من الرجال المثقفين من أطباء ومحامين ومهندسين وغيرهم » ، وهم على هذا النحو « أخوة أو أولاد عم أو انداد لغيرهم ممن لم يكن لهم حظ في الانتخابات سنة ١٩٣٨ (يقصد الوفديين) • وأنت إذا اخذت الموجودين واحداً واحداً ، فلا تخرج من المقارنة إلا صفر اليمين ، لتساويهم في الكفاءة والمؤهلات » (٢٣١) • وقد صنعت جريدة الوفد المصري لهذا التعليل الدستوري في بلد يدين بالديموقراطية الليبرالية ، وقالت : « إذا كان هذا كلام مواطن في بلد له دستور وقانون انتخاب وتقاليد ديموقراطية ، فكيف يكون كلام النازي الجستابو أو الفاشيست ؟ » (٢٣٢) • وعلى كل حال ، فإن رفض الأحرار الدستوريين والسعديين حل مجلس النواب القائم ، كان فيه نهاية فكرة الوزارة القومية • فقد كتب أحمد قاسم جودة ، مدير سياسة « الوفد المصري » ، مقالا عبر فيه عن « رأي الوفد جملة وتفصيلا » في هذه المسألة ، فقال : « ان للوفد نظامه ، وللوفد مبادئه ، وللوفد أغليته التي لا تسمح لأحد ولو كان رئيس الوفد نفسه ان يتجاهل شيئا منها • • ، وقد استطاع الوفد أن يرتفع الى المستوى الشاهق الذي يناسب الظروف الحاضرة ، فقبل التعاون مع رجال الأحزاب الآخرين ، وارتضى أن ينزل كريما عن رأيه في الوزارة القومية ، ورسم الطريق واضحة المسالك للوصول الى التعاون المنشود مع المحافظة على كيان الديموقراطية الحققة في البلاد • فإذا جاء عبد العزيز فهمي وبعض رجال الأحزاب الأخرى يشترطون الآن الشروط ، ويقيمون العراقيل دون جمع الكلمة وتوحيد الصفوف ، فلن يجدوا وفديا واحدا يقبل التعاون معهم على هذا الأسلوب ، وعليهم حينئذ وحدهم مسؤولية ما يفعلون » (٢٣٣) •

فشلت محاولة تأليف وزارة قومية • ولكن هذا الفشل لم ينعكس على العلاقة بين النحاس باشا والملك فاروق • بل دخلت هذه العلاقة فيما

أطلق عليه في ذلك الحين « سياسة الوفاق » • ويبدو أن السبب في ذلك أن فاروق قد أخلى مسؤوليته أمام النحاس باشا من هذا الفشل ، وألقاها على عاتق رجال أحزاب الأقلية • وهذا واضح مما كانت صحف القصر تردده في ذلك الحين ، وهو أن « القصر فتح أبوابه للجميع ، ودعا الزعماء واحداً واحداً ، وطلب اليهم أن ينسوا أنفسهم ويذكروا مصر ، ووضع أمامهم الحل الذي طلبته البلاد ، وهو تأليف وزارة قومية ، ولم يشترط القصر شروطاً إلا أن تكون الأحزاب كتلة واحدة ، ولكن ما قبله الوفديون رفضه السعديون ، وما ارتضاه السعديون عارضه الدستوريون •• الخ » (٢٣٤) •

على أن أهم وأخطر ما تمخض عنه هذا الفشل ، هو ما فهمه النحاس باشا ، وما قد يكون قد أوحى به إليه من القصر ، من أن الأنجليز هم الذين أصبحوا وحدهم يساندون الحكم القائم المكون من الأحرار الدستوريين والسعديين والمستقلين • وفي ذلك يذكر « التابعي » أن الملك فاروق تحدث مع النحاس باشا في المقابلة التي تمت بينهما عن الموقف وعما يلقاه من عنت الانجليز واضطهادهم له ، وسأل رئيس الوفد هل يقف الوفد الى جانبه اذا اصطدم يوماً بالانجليز ؟ • وتحمس مصطفى النحاس وأعلن أنه وجميع الوفديين يفتدون الملك بدمائهم ورقابهم (٢٣٥) • وهذه الرواية تؤيد ما عللنا به اقتراب فاروق من الوفد في الوقت الذي كان يخطو فيه خطواته نحو الألمان عن طريق سفير مصر في طهران وبينما كانت قوات رومل تقبع داخل الأراضي المصرية •

وعلى كل حال ، فبفضل هذا التعليل يمكننا الآن ان نقف على أسباب مهاجمة الوفد الشديدة للانجليز في صيف عام ١٩٤١ في أثناء سياسة الوفاق • ففي يوم ٣ اغسطس دبرت حفلة تكريم للنحاس باشا في رأس البر هاجم فيها الانجليز والمعاهدة والديموقراطية هجوماً مراراً ، ووصف المعاهدة بأنها « أصبحت بعد عام واحد من تنفيذها غنماً للانجليز

وغرما على المصريين » ، وان سوء النية في تنفيذها قد بدا جليا للعيان حتى لا يحتاج الى مزيد من شرح أو بيان ، وأن الأمر بات « يستدعي إعادة النظر في المعاهدة لجعل نصوصها متفقة مع روحها » . ثم عقد مقارنة بين موقف مصر وموقف بريطانيا في الحرب الدائرة فقال : « نصرنا الحليفة بكل صدق واخلاص ، فماذا كان جزاؤنا ؟ كان أن أهدرت كرامتنا ، وفقدت حريتنا ، وأعلنت الأحكام العرفية علينا ، وكمت افواهنا ، وتحكمت الرقابة فينا ، وعدت أنفاسنا علينا ، وكسدت سوقنا ، وارتفعت اسعار المعيشة ، وانخفض سعر نقدنا ، وسخرت قواتنا ومرافقنا ومعداتنا ومصالحنا لصالح الانجليز . ولم نجن من وراء ذلك كله شيئا ، بل لقد تدخل الانجليز في شئوننا وتغلغلوا في جميع مرافقنا ، ولم يراع في توزيع القوات صيانة أرواح المدنيين مع تحقيق الأهداف العسكرية ، فاصبحت انحاء البلاد كلها هدفا لكل غارة ، حتى فقد المدنيون كل طمأنينة وراحة وسلام » . ثم قال النحاس باشا : « يؤسفني أن أصرح بأن الانجليز الذين يحاربون عن الديموقراطية في بلادهم ، يدأبون على العمل ضد الديموقراطية في مصر . ولا ريب انه اذا لم تكن الديموقراطية واحدة في كل البلاد التي تناصرها ، فليست اذن هي فكرة يدافع عنها ومبدأ يناضل من أجله ، بل تكون هي والدكتاتورية سواء » . ثم ختم خطابه بأن قطع على نفسه عهدا بالجهاد في سبيل استرداد ما فقدته البلاد منذ ابعد عن الحكم ، ومنذ قامت الحرب » (٢٣٦) .

السياسة الاستفلاية البريطانية تجاه القطن المصري

وفي الواقع أن ظروف الحرب ، بالإضافة الى الروح الاستعمارية التي كانت تحرك السياسة البريطانية في مصر في ذلك الحين ، كانت تتضافر مع العامل السالف الذكر ، في انضمام الوفد الى معسكر المقاومة ضد الانجليز . وكنا قد عرضنا الأسباب المادية التي أدت الى تقديم الوفد

مذكرته المشهورة الى الحكومة البريطانية في اول ابريل ١٩٤٠ ، كما شرحنا موقف زعماء الأقلية من هذه المذكرة ، والذي كان أشبه بشراء تأييد الانجليز لبقائهم في الحكم . ولقد شجع هذا الموقف الحكومة البريطانية على الاستمرار في سياستها الاستغلالية بالنسبة لمحصول مصر الرئيسي وهو القطن . وكانت هذه السياسة تقوم على الأسس الآتية : أولا : احتكار شراء القطن وحرمان مصر من بيعه لجميع الاطراف المحاربة والمحايدة . ثانيا - الاستفادة من التحكم في تصدير القطن في شرائه بأبخس الأثمان رغم ارتفاع أسعاره العالمية . ففي عام ١٩٤٠ بلغ سعر القطن الأمريكي ١٠ر٢٢ ريالا امريكيًا ، وهو ما كان يوافق من الريالات المصرية ١٢ر٦٢ ريالا ، وفي عام ١٩٤١ ارتفع الى ١٦ر٩٧ ريالا امريكيًا ، أي ٢٠ر٤٤ ريالا مصريًا ، ثم وصل الى أكثر من ١٧ ريالا امريكيًا في نفس العام . أما سعر القطن من القطن الهندي فقد كان ١٧٥ روية ، فوصل الى ٢٦٥ روية ، ثم وصل الى ٣٢٢ روية . ومع ذلك فقد عرضت انجلترا في سنة ١٩٤١ أن تشتري القطن المصري بمبلغ ١٤ ريالا مصريًا وربع ريال ، وتنقص عن سعر العام السابق عشرة قروش في كل أردب من البذرة ، على الرغم من أن قيمة النقد كانت قد قلت ، وقدرتها على الشراء قد هبطت بسبب التضخم (٢٣٧) . ثالثا - الضغط على مصر لانقاص المساحة القطنية ، والتوسع في زراعة القمح لتموين جيوشها الجارية من جانب ، وتقليل الكميات التي تشتريها من القطن المصري من جانب آخر . فمِنذ اتمام صفقة محصول عام ١٩٤٠ ، وهي التي تمت في ظروف الحيلة التي كان يروج لها الدكتور أحمد ماهر لدخول الحرب ، ألحت الحكومة البريطانية في انقاص المساحة القطنية الى الثلث ، والتوسع في زرع الحبوب ، واعترضت بشدة على اقتصار وزارة الزراعة على اسداء النصح الى الزراع بانقاص مساحاتهم القطنية طواعية واختيارا (٢٣٨) . وفي سنة ١٩٤١ أخطرت الحكومة المصرية أنها غير مستعدة لشراء أكثر من نصف المحصول

الجديد وبنفس الأسعار المتفق عليها في سنة ١٩٤٠ . ولما كانت الحكومة المصرية قد قررت رفع السعر بمقدار ريالين ، فانها تحملت وحدها هذا الفرق عن المحصول كله ، كما كان عليها أن تمول النصف الباقي من المحصول ، ولم تجد وسيلة لتمويل المحصول الا بإصدار قرض قدره ثلاثة عشر مليوناً من الجنيهات طرحته على جزئين (٢٣٩) .

ومن الطريف أن الصحف الانجليزية في مصر (الاجيشان ميل) أخذت تدافع في ذلك الحين عن السعر البخس الذي تعرضه بريطانيا للقطن ، بأن رفع الثمن لا يفيد سوى طائفة الباشوات ، أما الزارع المتوسط والصغير ، وأما المستأجرون ، فلا يعود عليهم رفع السعر الا بالخسارة والجوع ! وذكرت أنه « ما من زارع رشيد ينكر أن السعر الذي عرضته بريطانيا وهو ١٤ر٢٥ ريالاً كاف لترك ربح متواضع ، حتى اذا راعينا زيادة تكاليف السماد والوقود وما الى ذلك » . وقد هاجمت جريدة الوفد المصري هذه المحاولة لخلق التفرقة بين طبقات الملاك في مصر ، « ولمصلحة من يريدون بذور بذور الشقاق بين هذه الطبقات ، واحداث مشكلة اجتماعية من أعقد المشكلات التي أقلقنا بال أمم كثيرة ، ومصر بقيت ناجية منها الى الآن بفضل الله ؟ » . ثم ردت على زعم الاجيشان ميل بأن الزيادة لا تنفع سوى كبار الملاك فقالت : « فهل هذا معقول ، اذا كان لمالك خمسون قنطاراً أو خمسة قناطير ، وباعها بزيادة ريالين كما يبيع من هو أيسر حالاً منه خمسمائة قنطار أو ألفي قنطار — يكون هذا الاخير قد انتفع دون الأول ؟ » . ثم قالت : « وأما قولهم ان المستأجر لا يستفيد على كل حال ، لأنه اذا غلا القطن رفع المالك فئة الايجار ، فهذا أولاً لا ينصب على عامنا الحالي الذي نحن في صدد تثمين قطنه ، لأن ايجار هذا العام مربوط من سنة مضت ، فلا يستطيع زيادته . وغاية ما في أمر زيادة السعر أنها قد تسمح للمستأجر بدفع ما هو مطلوب منه ، وبهذا يوضع حد للمنازعات والقضايا والمشاكل . وثانياً ،

قد نسي الذين يقولون هذا القول أن معظم الملاك يسلمون أرضهم الآن لا بالايجار النقدي ، بل بالايجار العيني ، أي بأن يدفع المستأجر الى المالك مقدارا معيناً من محصول الأرض مقابل الايجار . فهل ارتفاع السعر لا ينفع المستأجر الصغير والكبير ؟ » (٢٤٠) •

وفي الوقت الذي كانت بريطانيا تقف فيه هذا الموقف من القطن المصري ، وهو الموقف الذي نلاحظ أنها كانت تقفه تجاه محاصيل بعض الدول العربية المحتلة التي كانت ترتبط معها بمعاهدات ومحالفات ، كما في العراق مثلاً ، حيث كانت ألوف الأطنان من التمر مكدسة في البصرة بدون مشتر لها ، بسبب ممانعة بريطانيا في بيعها لأية دولة لها علاقة بالمحور ، وعدم تقدمها في نفس الوقت لشرائها ! (٢٤١) - في ذلك الوقت كانت بريطانيا تستولي على مخزون مصر من الأخشاب والحديد والعدد والآلات التي تراكمت في البلاد على مر السنين ، وذلك بأبخس الأثمان ، اذ حددت لها أثمان ما قبل الحرب بزيادة ١٠ في المائة أو ٢٠ في المائة • وكان ذلك يتم بأوامر عسكرية وبأثمان جبرية • وبطبيعة الحال ، فان هذه الأسعار التي أصدرها الحاكم العسكري لم تكن خاضعة لقانون العرض والطلب ، وانما كانت - كما وصفها يوسف الجندي في مجلس الشيوخ - « خدمات عظيمة تقدمنا بها لانجلترا واستفادت منها ، وكنا ننتظر منها أن تقدرها ، وانهم عندما يشترون منا أهم سلعة في بلادنا يجعلوا لهذه الخدمات تقديراً في نظرهم » (٢٤١ م) •

ولقد كان من الطبيعي أن يثير هذا الموقف الاستغلالي من جانب بريطانيا عدااء الطبقة الزراعية في مصر بفئاتها العليا والوسطى والدنيا ، وأن يستفز الوفد • ففي يوم ٨ سبتمبر ١٩٤١ شن يوسف الجندي حملة هائلة على الانجليز ، وصفهم فيها بأشنع النعوت : فقد وصفهم بأنهم « لا يتأثرون الا بمصلحتهم وبمصلحتهم وحدها • • وكان يجب ان نفهم هذا • • والأفكار عبارات الاستجداء على غير موجب » • وقال : أن

سياسة بريطانيا في شرائها محصول القطن ليست قائمة على تحقيق مصلحتها فحسب ، وانما هي قائمة أيضا على « سياسة إفقار الشعوب المحكومة » . واني آسف أن اقول هذا ، ولكنها هي الحقيقة التي وردت على لسان كثيرين من الساسة الرسميين » . ثم انتقد موقف الحكومة المصرية من المفاوضات بينها وبين إنجلترا في أمر تصريف القطن فقال : « أن الإذاهية الكبرى والضرر البالغ الذي أصابنا في مفاوضات تصريف القطن ، أن هذه الحكومة والحكومة التي قبلها ، دخلتا المفاوضات وليس لهما من سياسة في تصريف القطن الا بيعه لانجلترا ، وانجلترا تعلم هذا علم اليقين ، وهي كتاجر تعلم أن رجلا صاحب بضاعة يتقدم اليها لبيع بضاعته ، وليس عنده من سبيل لتصريف هذه البضاعة الا أن يبيعها لها ، فلا بد أن تعرض عليه أبخس الاسعار » . ثم لمح الى ان يكون عدم دخول مصر الحرب هو الذي أثر على موقف إنجلترا من القطن ، وأجاب بأن مصر قد قدمت لانجلترا خدمات لا تقل عما كانت تؤديه لها في حالة دخولها الحرب ، « وماذا كنا نستطيع ان نقدم لهم من خدمات لو دخلنا الحرب ؟ هل نجد نصف مليون جندي دون أن يكون لدينا الضباط والاسلحة الكافية ؟ ولو دققنا النظر لوجدنا أنه يوجد في مصر مليون او مليونان مجندان لخدمة الحرب في مختلف المرافق : فالسكة الحديدية بأدواتها وعمالها مجندة ، والموانئ والقنارات وأحواض السفن كلها مجندة ، حتى فيما يتعلق بالمسائل التجارية التي كان يجب أن تكون خاضعة لقانون العرض والطلب ، قد جندناها وأخضعناها للأوامر العسكرية وغيرها » . ثم دعا يوسف للجندي الى انقاذ الكرامة المصرية والسمعة المصرية برفض بيع المحصول للانجليز ، وألا يقتصر ذلك على محصول ذلك العام ، بل ومحاصيل الأعوام المستقبلية قائلا ان مصلحة البلاد أن تشتري الحكومة المصرية المحصول وأن تموله بأوراق يكون غطاؤها من الذهب وسندات الدين ، وعند الاقتضاء بسندات على الخزانة المصرية ، لأن أسعار القطن

سوف ترتفع بشهادة جريدة الايكونومست والسير « لتلتون » ، ولأن العالم في حاجة قصوى الى القطن طويل التيلة ، وسيشترونه حتماً وسيخصصون السفن لنقله . واذا ما بقي ما عدا ذلك من القطن الى ما بعد الحرب ، فسيباع بأسعار مرتفعة تعود على الحكومة والمزارعين بالربح الوفير (٢٤٢) .

ويفهم مما ألقاه حسين سري باشا في مجلس الشيوخ أن الوفد كان ينوي توسيع حركته واشعال حرب ضروس ضد الانجليز والوزارة . فقد صرح بأن النحاس باشا أراد « أن يعقد في الأقاليم اجتماعات ينتقل بينها داعيا الى مثل ما دعا اليه في مصيفه برأس البر ، دافعا الناس أن يقدموا في سبيل دعوته ذواتهم وأرواحهم ، معلنا الخصومة على انجلترا لأنها - كما يقول رفعتة - تعاونت مع رجال العهد الحاضر وشجعته ، معلنا الخصومة كذلك على حكومة البلاد الشرعية المستندة على رجال هذا العهد الحاضر » ، وانه اختار الاسكندرية مكان البدء بحركته ، وأراد أن يدعو الى اجتماع فيها . وتمهيدا لهذا الاجتماع بدأ يتصل بشتى الطبقات . ولكن الحكومة - كما صرح حسين سري باشا - قررت منع الاجتماع الذي كان مزعما عقده، وقررت منع النشر لكل حركة حرصا على أمن البلاد ونظامها (٢٤٣) .

الغارات الجوية على مصر

في ذلك الحين كان السخط على الانجليز ينتشر ويمتد الى كافة الطبقات والفئات . فقد اقترن بموقف انجلترا من القطن عاملان آخران هاما : أولهما ، تعرض البلاد لقصف عنيف من طائرات المحور بسبب وقوع المعسكرات البريطانية قريبة من المدن ، وعدم مراعاة السلطات العسكرية البريطانية في توزيع قواتها صيانة أرواح المدنيين مع تحقيق الأهداف العسكرية ، والعامل الثاني ، أزمات التموين . وفيما يتصل بالعامل الأول ، فإن الهجوم الذي قام به الجنرال روميل

يوم ٣١ مارس ١٩٤١ كان قد حمل القوات الألمانية والايطالية - كما ذكرنا - الى الحدود المصرية واحتلال السلوم . وأصبحت هذه القوات بذلك في مركز قريب يمكنها من الاغارة الجوية المنتظمة على المواقع البريطانية العسكرية داخل المدن المصرية . وفي يوم ٥ مايو شنت القوات البريطانية هجوما على الحدود المصرية تمكنت به من استرداد الحلفاية ولكن روميل ، وقد دار في احتماله قيام البريطانيين بهجوم عنيف للسيطر على طبرق ، قرر استعادة الحلفاية والاحتفاظ بها حتى يصبح هذا الهجوم صعبا للغاية . وفي يوم ٢٦ مايو قام بهجوم محتاج على القوات البريطانية أجبرها على الانسحاب بثمن باهظ اذ لم يعد من دباباتها الا اثنتا صالحتان للعمل ، ثم بدأ يدعم موقعه في الحلفاية . وقد حاولت القوات البريطانية بقيادة الجنرال ويفل شن هجوم مضاد كبير في يوم ١٥ يونية وبدأت المعركة مواتية للبريطانيين في بداية الأمر ، ولكن في يوم ١٧ أخذ كل شيء ينقلب على عقبه ، ومنيت القوات البريطانية « بضربة مؤلمة » وفي يوم ٢١ يونيو قرر تشرشل نقل الجنرال ويفل الى قيادة الهند « لاستعادة أنفاسه » ، « بعد أن نزع روميل عن رأسه أكايل الغشا ومرغها في الرمال » ، وعين الجنرال أوكنلك Auchinleck مكانه في قياد الشرق الأوسط « كدم جديد سيثير الحيوية » (٢٤٤) .

ولقد أتاح مركز القوات الألمانية والايطالية على الحدود المصرية طوال أشهر الصيف والخريف ، الفرصة لها - كما ذكرنا - لشن أعنف الغارات على المعسكرات البريطانية داخل المدن المصرية . ففي يوم يونية وقعت غارة عنيفة على مدينة الاسكندرية أسفرت عن مقتل أكثر من مائة من المواطنين . وفي يومي ٧ و ٨ وقعت غارات أخرى أسفرت عن أكثر من ٦٥٠ قتيل . وقد تلى ذلك على الفور هجرة أعداد كبيرة من الاسكندرية الى داخل البلاد ، وخصوصا من الطبقات الفقيرة ، حتى بلغت حوالى ثلث مليون تقريبا ، أي حوالى ٤٠ في المائة من سكان المدينة

وقد أرسلت الحكومة المصرية احتجاجات على ألمانيا وإيطاليا عن طريق الحكومتين الإيرانية والأمريكية (٢٤٥) ، ولكن اذاعتي المحور كانتا تعلنان أن الهدف هو المعسكرات البريطانية وليس المواطنين .

وقد أثارت هذه الغارات مناقشات عنيفة في البرلمان حول وضع القوات البريطانية في داخل المدن المصرية ، فقد انتقد محمود سليمان غنام تغلغل القوات العسكرية البريطانية « تغلغلا واضحا في جميع الأحياء الوطنية الآهلة بالسكان والمدارس والشوارع والفنادق الوطنية ، بل أبرئ ذمتي وأقول ان بعض هذه القوات مرابطة الآن في مبنى على قيد أمتار من مسجد كبير في القاهرة . تصورا حضراتكم مدى هذا الخطر اذا ما وقعت الواقعة ، فان الالمان سيقولون وقتئذ اننا لا نقصد المصريين ولكننا نقصد الأهداف العسكرية » . وتساءل عن المفاوضات التي قام بها حسن صبري باشا في العام السابق لجعل القاهرة مدينة مفتوحة ، وطالب بالحاح من الحكومة المصرية أن تفاوض السلطات العسكرية البريطانية في شأن اخلاء الأحياء الوطنية من المعسكرات الخفية أو المعلنة (٢٤٦) . وفي مجلس الشيوخ طالب كل من محمود بسيوني وأنطون الجميل رئيس الوزراء بأن يستمر في المفاوضات مع إنجلترا لجعل القاهرة مدينة مفتوحة . وقد رد سري باشا بأنه قد تفاوض فعلا مع الحليفة بالنسبة للقاهرة ، « ووصلنا حتى الآن الى نتائج طيبة ، وأرجو أن نصل الى النتيجة النهائية قريبا » . وفي نفس الجلسة انتقد عبد الرحمن الرافعي بشدة اتخاذ الاسكندرية ، وهي أكبر مدينة في البحر المتوسط ، قاعدة حرية لأي اسطول ، سواء في وقت السلم أو في وقت الحرب ، وطالب رئيس الوزراء بالعمل على اجلاء الأسطول البريطاني من الاسكندرية (٢٤٧) . على أن الحكومة البريطانية لم تلبث أن وضعت حدا لهذه المناقشات في منتصف شهر سبتمبر حين أعلنت رفضها لنقل القوات البريطانية أو المخازن

العسكرية من القاهرة رفضا باتا . وبذلك بقيت المدن المصرية الرئيسية تعاني أهوال الغارات الجوية ، وتعاني معها العلاقات المصرية البريطانية .

أزمات التموين

في نفس الوقت تقريبا الذي كانت قتابل المحور تتساقط فيه على الاسكندرية ، كانت البلاد تتعرض لأزمة تموين عنيفة في القمح وغيره من مواد التموين ، على نحو آثار السخط الشديد في نفوس المصريين على الانجليز . وكانت أزمة القمح قد أخذت في الظهور منذ أواخر شهر مايو ١٩٤١ تحت تأثير عاملين هامين : أولهما سوء تقدير خطير وقعت فيه الحكومة في تقدير المحصول الجديد ، فقد قدرته وزارة الزراعة بـ ١٥٨٠٠٠٠ أردب ، أي بما يزيد عن محصول عام ١٩٤٠ بمقدار ٢٧٥٠٠٠ أردب تقريبا من يناير الى آخر ديسمبر ١٩٤٠ . ولكن لم يلبث أن ظهر أن المحصول الجديد به عجز قدره مليون ونصف أردب (٢٤٨) . اما العامل الثاني ، فهو استهلاك الجيوش البريطانية في مصر . ويقول «كيرك» ان الطابور الخامس في مصر هو الذي كان وراء هذا الاتهام للبريطانيين ، لأن مشتريات بريطانيا في عام ١٩٤١ لم تكن تزيد الا بمقدار ٢ في المائة من محصول الحبوب (٢٤٩) . على أن هذه النسبة لا يمكن التسليم بها ، لأن السلطات البريطانية ، كما هو معروف وثابت ، كانت تشتري القمح من وراء ظهر الحكومة المصرية بالاتفاق المباشر مع التجار المصريين الذين كانت تدفع لهم أعلى الأسعار التي يطلبونها ، مساهمة بذلك مساهمة خطيرة في ارتفاع أسعار القمح . وقد كشفت مناقشات مجلس النواب الكثير من جوانب هذه النقطة ، فقد ذكر النائب محمود لطيف بك أنه علم « من ثقة له قيمته المالية والتجارية ، أنه كان يوما عند

أحد كبار تجار الحبوب بروض الفرع، فاذا بتليفون يطلبه من الاسكندرية، واذا به أحد كبار رجال الانجليز الرسميين يتحدث اليه عن كمية القمح التي لديه ودرجة نظافته وثمان الأردب . فلما أجابه ، طلب اليه أن يصدرها ، وأخبره بأنه سيرسل اليه الثمن شيكا .» ثم علق النائب على هذه الرواية قائلاً : « حدث هذا والحكومة لا شأن لها به، والجمارك لا تعرف عنه شيئاً » . وقد صرح وزير التموين في ذلك الحين بأن الحكومة سوف تراقب من يتولون تموين الجيش الانجليزي، ولكن التصريح جاء متأخراً (٢٥٠) .

وقد أدلى صدقي باشا في مجلس النواب ، في جلسة ٥ و٦ يناير ١٩٤٢ ، بأرقام عن المقادير التي أخذتها السلطات البريطانية من القمح أثارت مناقشات حامية . فقد ذكر أن « وجود جيوش الحليفة من الأسباب الداعية الى عجز المقطوعيات التي لدينا الآن » ، وقال : « وأظنكم تعلمون أن الحليفة في وقت من الأوقات احتاجت الى شيء من القمح قدر بنحو نصف مليون اردب (٥٢٣ الف اردب) . ونعرف أن الجيوش البريطانية خارج الثكنات تحتاج الى ما يقدر بنحو خمسين ألف أردب من القمح على أقل تقدير في الشهر - أي ٦٠٠ ألف أردب في السنة » .

وقد تعرضت هذه الأرقام التي أذاعها صدقي باشا لتكذيب كل من حسين سري باشا ووزير التموين السعدي . وكان دفاع حسين سري باشا دفاعاً ضعيفاً ، فقد قال انه لو طبقت قواعد اعطاء الخبز للعساكر والضباط الانجليز ، لكانت كمية الـ ٦٠٠ ألف أردب تكفي مليون عسكري يأكلون خارج الثكنات . وقد أغفل حسين سري بذلك ما يستهلكه الأسرى من الاعداء ، وما تصدره السلطات البريطانية في غفلة من رقابة الجمارك . وهو ما أوضحه بعض النواب ، ففي خطاب محمود سليمان غنام قال : « أما عن استيلاء القوات البريطانية على كميات من القمح ، فاني أكاد

أصدق ان لا رقابة من مصلحة الجمارك المصرية على ما تصدره هذه السلطات من قمح أو دقيق الى فلسطين وغيرها » .

ولقد كان دفاع حامد جودة وزير التموين فريدا حقا . فقد أنكر ما ذكره صدقي باشا من أن السلطات البريطانية استولت على نصف مليون أردب من القمح . ولما جابهه صدقي باشا بأنه لو راجع الوزير كلمته (صدقي باشا) لوجد أنه اعتمد على احصاء لوزارة الزراعة كانت عرضته على المجلس الاستشاري الأعلى للزراعة ، وأن هذا الرقم « يفيد أن السلطات البريطانية استولت في اول يناير ١٩٤١ على هذا المقدار ، إما للاستهلاك ، وإما للتصدير الى بلاد قريية » . فهنا أنكر وزير التموين مرة ثانية أن السلطات البريطانية استولت على هذا المقدار من القمح . فسأله صدقي باشا : « اذن كيف تقول وزارة الزراعة إن نصف مليون أردب صدرت أو استهلكت في سنة ١٩٤١ ؟ » . ثم وجه كلامه الى النواب قائلا : « ان من بين حضراتكم من هو عضو في المجلس الاستشاري الأعلى ، وسمع هذا من الاخصائيين بوزارة الزراعة كما سمعته ! » . ولكن وزير التموين أنكر مرة ثالثة ، وفاجأ النواب بأمر غريب حقا ، فقد ذكر أن المذكرة التي بها هذا الرقم كانت خاطئة ، « وقد رجعت الى من كتبوا هذه المذكرة فاعترفوا بأنها خاطئة ! (ضجة) ولقد بحثت عن السبب في هذا الخطأ ، واقتنعت من وقع فيه بخطئه قبل أن أرد على دولة صدقي باشا ! » . وكانت هذه المفاجأة من وزير التموين — فيما يبدو — أكبر مما يمكن أن يتحمله النواب ، فقد أبدى النائب عطا عفيفي عجبه من أن « تقدم احصائيات رسمية من وزير مسئول ووزارة مسئولة الى مجلس استشاري أعلى ، وهذا الاحصاء خاص بمشكلة التموين ، ثم يأتي بعد ذلك وزير التموين ويقول ان أرقام هذه الاحصائيات ان هي الا خطأ في خطأ ! » أما محمود سليمان غنام فقد طالب باجراء تحقيق فورا لأن المجلس الاستشاري الأعلى يكون على هذا النحو قد بنى أبحاثه على احصاء خاطيء ! (٢٦٠) .

لم تجد طبعاً محاولات الحكومة انكار دور السلطات البريطانية العسكرية في الأزمات التموينية التي يعاينها الشعب ، خاصة طبقاته الدنيا . وكانت المعارضة الوفدية تحمل الكثير من العبء في كشف هذه الحقيقة للجماهير ، ففي خطاب محمود سليمان غنام في مجلس النواب يوم ٥ يناير ١٩٤٢ قال : « سبق أن قررت أنني رأيت بعيني - وهذا معروف متداول بين الجميع - أن القوات البريطانية تنزل الى الأسواق ، وتأخذ معظم ما فيها من طيور وأسماك ، كما أن هناك تعهدات بين التجار والسلطات البريطانية تستولي هذه السلطات بمقتضاها على كميات كبيرة من اللحوم وباقي المواد الغذائية كالبيض وغيره » . وكان مما قاله ، ان وزير التموين « لو تنكر كما كان يفعل بعض حكام القرن السالف ، ونزل الى الأسواق ، لرأى بنفسه سيارات اللوري الانجليزية تستولي على المواد الغذائية الموجودة بها . وفي هذا اضعاف لتموين البلاد يعاينه الغني قبل الفقير ، واذا عز على الغني فهو مستحيل قطعاً على الفقير » (٢٦١) .

• • •

جـ - الى الامام يا روميل

كان بسبب هذه الأزمات التموينية العنيفة التي قاستها الجماهير الشعبية في مصر منذ مايو عام ١٩٤١ - وهي التي ارتفعت حدتها في الأسبوع الأخير من شهر يناير ١٩٤٢ الى حد الهجوم على المخازن وتخاطف الخبز من أيدي حامليه في الطرقات - ، وبسبب ما تعرضت له البلاد من قصف المواقع المدنية الآهلة بالسكان نتيجة تغلغل الأهداف العسكرية البريطانية بينها ، ثم بسبب الهجوم المرير الذي أخذ الوفد يشنه على الانجليز ، وبخاصة منذ صيف ١٩٤١ ، والنقد اللاذع للحكومة في البرلمان والصحف لسياستها المرتجلة والعاجزة في المسائل الحيوية ، وكذلك افتضاح السياسة البريطانية وموقفها الاستغلالي من محصول البلاد الرئيسي وهو القطن ، ومن القمح وغيره من المواد الغذائية ، على يد نواب وشيوخ المعارضة في البرلمان ، ونشر هذه الخطب في الصحف ليقراها الجمهور - كان بسبب هذا كله أن ارتفعت منذ النصف الثاني من عام ١٩٤١ موجة عالية من الشعور العدائي للانجليز ، أخذت تمارس تأثيرها التخريبي في نفوس الجماهير ، حتى انفجر الموقف في أول فبراير ١٩٤٢ بالمظاهرات المشهورة التي ارتفعت فيها الصيحات بندا : « الى الامام يا روميل » ، وبعض الهتافات العدائية الأخرى .

ونظرا لما نسب لهذه المظاهرات من دور مباشر في تفجير حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، فقد كان من الطبيعي أن تختلف حولها الآراء وتفرق في مصر . وتنقسم هذه الآراء الى قسمين : قسم يقول بأنها كانت نتيجة تدبير سابق ، والقسم الثاني يعتبرها انفجارا تلقائيا . وبالنسبة للقسم الأول ، فإن الآراء تفرق فيه أيضا ، فالبعض يرى أنها نتيجة تدبير

الانجليز ، والبعض الثاني يرى أنها نتيجة تدير الوفد ، والبعض الثالث يرى أنها بتدير القصر .

ويفهم من كلام حسين سري باشا ، الذي قامت في عهده المظاهرات، أنه كان يعتبرها انفجارا تلقائيا تنج عن ظروف الكبت السياسي والاقتصادي الذي كان سائدا في عهده . فعندما سئل عنها في قضية مقتل أمين عثمان باشا ، أجاب : « لقد ذكر كثير عن هذه المظاهرات ومظاهرات صاخبة ، ولكنني أرجو أن نرجع الى الورا وتتحيل رئيس حكومة كان حاكما عسكريا، وكلكم يعلم معنى قوة الأحكام العرفية ، وأنه من حسن السياسة أن يترك بعض الأحيان صمامات الامن مفتوحة ، فاذا تأكد المسئول عن الأمن أن قيام بعض المظاهرات ليس هاما من الوجهة السياسية ، فيجب أن يتركها حتى يتنفس الناس . واؤكد أن المظاهرات لم تكن أكثر من ذلك » (٢٦٢) . على ان حسين سري بهذا القول كان يخفي رأيه الحقيقي كما سوف نرى . أما النحاس باشا فقد أبدى رأيه شخصيا بأن الانجليز قد يكونون وراء هذه المظاهرات . فعندما سئل في قضية الاغتيالات السياسية عن « من يظن أنه صاحب مصلحة في تدير هذه المظاهرات كما يعتقد هو . وهل هم الانجليز ام وزارة سري باشا أم المعارضون ؟ » ، أجاب بأنه يستبعد من هؤلاء المعارضين لوزارة سري باشا ، « ولعل الانجليز دبروها ليبرروا تدخلهم » (٢٦٣) . على ان هذا الرأي للنحاس باشا متأثر في الغالب بتخلي الانجليز عنه عند نهاية الحرب وسماحهم لفاروق باقالته .

ويعتقد أنور السادات أيضا ان الانجليز كانوا وراء مظاهرات « الى الامام يا روميل » . فهو يقول : « لقد كانت البلاد واقعة تحت حكم عرقي . والذين يقودون مظاهرات كهذه — ان كانوا من الوطنيين حقا — لا بد أن يقدروا خطورة تظاهريهم ودعائهم لروميل في بلاد يحتلها جيش الانجليز . ومع ذلك فقد سارت المظاهرات بليل ، ولم نعترف

أشخاص قادتها ، ولا قبض رجال البوليس عليهم ولا تحرش بهم جيش
الانجليز المقيم في العاصمة » (٢٦٤) •

وقد اتهم مصطفى الشوربجي بك ، في مجلس الشيوخ ، الوفد
بتدبير المظاهرات ، او أنها حدثت بتأثيره • فقد قرر أن المظاهرات هي
« عادة من أعمال رجال الأحزاب • أنا لا أقول هذه المظاهرة بالذات !
ولكني أقول ان المشاهد المعروف أن رجال الأحزاب هم الذين يقيمون
المظاهرات ، وأول من يستطيع اقامة المظاهرات وترتيبها وتجهيزها هو
الوفد بلجانه ورجاله وتشكيلاته • ان الوفد هو الذي ينظم هذه المظاهرات
ويستخدمها » • ثم وجه الاتهام الى النحاس باشا بأنه هو الذي أتيحت هذه
المظاهرات بهجماته السابقة على الانجليز، وبما قيل من فوق منبر مجلس
الشيوخ بمناسبة القطن من أن انجلترا تجيع الشعوب التي تحكمها ، ثم
بخطبة النحاس «الخطيرة الهائلة» في رأس البر، وتجولات رفعتة في
البلاد يبصر العباد بسياسة بريطانيا الخطرة • وقال : « لماذا لا نقول ان
تأثير حضرة صاحب المقام الرفيع في الأمة ومكاته وتشكيلاته في البلاد،
هي التي أتيحت هذه المظاهرات، فاندس فيها هؤلاء الذين نادوا النداءات
الخطيرة ؟ إما أن يكون للوفد ورئيسه النفوذ في البلاد، وإما ألا يكون
لهما هذا النفوذ ، فاذا قال صاحب المقام الرفيع مصطفى النحاس باشا ان
هذه الحملات الشديدة لم تحدث أثرها في البلاد ، قال في الوقت نفسه
ان نفوذه ونفوذ الوفد في خطر » ! (٢٦٥) • على أن مصطفى الشوربجي
كان يخفي الحقيقة التي يعلمها بهذا القول •

وقد استدل صالح علي عيسى السوداني على أن الوفد هو الذي
دبر المظاهرات بأن حسين سري باشا اعتقل الشاب الذي كان يقودها واسمه
عبد السلام وفاء، وأنه لما ولي الوفد الحكم أفرج عنه سراج الدين باشا وعينه
براتب استثنائي قدره ١٥ جنيتها مع أنه لا يحمل الشهادة الابتدائية (٢٦٦) •
على أن هذه الرواية ظاهر فيها الاختلاق، اذ أجمع كل من تناول هذه

المسألة من السياسيين ، سواء أكانوا من المؤيدين للوفد أم من المعارضين له ، على أن احدا لم يتعرض لهذه المظاهرات . وقد اعترف بذلك حسين سري باشا نفسه . ومعنى ذلك انه لم يقبض على أحد فيها .

بل لقد استدل مصطفى الشوربجي بك على ان هذه المظاهرات كانت مدبرة ، بعدم تعرض أحد لها . ففي خطابه السالف الذكر بجلسة ٢٩ ابريل ١٩٤٢ قال : « هناك مسألة في منتهى الغرابة في هذه المظاهرات ، هذه المسألة هي أن هذه المظاهرات اخترقت الشوارع دون أن يتعرض لها البوليس ، ودون أن يقبض الى يومنا هذا على الذين نادوا هذا النداء الأثيم . ألا يصح لي ان استنتج ان هذه المظاهرات وهذه النداءات كان مرضيا عنها ، أو كانت مقصودة بالذات ؟ ألا يكون هذا النداء مدسوسا كما حصل في تاريخ مصر لنصل الى النتائج التاريخية التي تعلمونها ؟ » (٢٦٧) . على أن نقطة الضعف في تحليل مصطفى الشوربجي بك ، أنه تناسى ان الوفد لم يكن في الحكم وقت خروج هذه المظاهرات، وانما كانت سلطة الحكم في يد حسين سري باشا وفي يد القصر . وبالتالي فان السماح بهذه المظاهرات والرضى عنها لا يمكن أن يعد دليل اتهام ضد الوفد ، وانما هو دليل تبرئة له على وجه التحقيق .

على كل حال ، فان الانجليز كانوا يعلمون أن القصر ، وجماعة علي ماهر باشا بالذات، هم الذين كانوا وراء هذه المظاهرات . وقد قرر ذلك السير والتر سمارت، المستشار الشرقي للسفارة البريطانية للصحفي « جورج بليكن » Bilainkin الذي زار مصر عام ١٩٤٧ . ففي حديثه معه قال انهم (الانجليز) كانوا يعلمون أن علي ماهر باشا كان يقف خلف الستار ، وأنه كان مدخرا لاسناد الحكم اليه ، وان فاروق كان يتلقى منه نصائحه (٢٦٨) . كما ذكر «كيرك» أن اصدقاء علي ماهر باشا في القصر استغلوا الاستياء العام والتذمر الناشئ عن أزمة التمويل، ثم انتصارات اليابان في الشرق الأقصى ، وانتصارات الألمان في برقة ،

في دفع الطلبة المتطرفين الى القيام بمظاهرات في شوارع القاهرة في أول فبراير ١٩٤٢ • وان فاروق كان يحتفظ بعلي ماهر باشا لاسناد رئاسة الوزارة اليه حين يزداد تدهور الموقف الاستراتيجي للانجليز (٢٦٩) •

فما هي الحقيقة في هذه الآراء والاتهامات ؟ • من الضروري أولا أن نستعرض موقف كل من القصر والانجليز لنستخلص ما يمكن أن يضيء لنا الطريق • ولكن قبل ان نبدأ في ذلك ينبغي أن نسلم بحقيقتين : الأولى، أن هذه المظاهرات لم تنشأ من فراغ • وبمعنى أوضح أن الظروف السياسية والاقتصادية التي قامت فيها هذه المظاهرات كانت تقتضيها فعلا، وتجعل قيامها نتيجة طبيعية لا مفتعلة • ثانيا ، أن المظاهرات ، أية مظاهرات، تحتاج عادة الى من ينظمها ويديرها ويرسم لها أهدافها وطريقها ، حتى ولو في مرحلتها الأولى ، ثم تتولى مختلف العوامل الأخرى دورها في توسيع نطاقها وانتشارها وزيادة حجمها ، ولا نستثني من ذلك - فيما نعرف - الا مظاهرات ٩ و ١٠ يونية ١٩٦٧ • ومعنى ذلك أننا نرى أن مظاهرات الاول من فبراير ١٩٤٢ كانت نتيجة تدبير سابق من جهة ما • فمن الذي دبر مظاهرات الاول من فبراير ١٩٤٢ ؟ ان اتهم الانجليز بتدبير هذه المظاهرات يبنى اساسها على رغبتهم في تبرير تدخلهم لفرض النحاس باشا • ومعنى ذلك بصورة أخرى ، أن الانجليز كانوا يريدون التخلص من حكومة سري باشا عند قيام هذه المظاهرات • فهل كان الانجليز يريدون ذلك حقيقة ؟ ان استعراض موقف الانجليز من هذه المسألة ، لأول وهلة يشير الى أدلة ايجابية وأدلة سلبية • ففيما يختص بالأدلة الايجابية ، فان العرض السابق للظروف الاقتصادية والسياسية التي كانت تسود مصر، خاصة اشتداد حملة الوفد على السلطات البريطانية ، يعتبر دليلا ايجابيا على رغبة الانجليز في نقل الحكم من يد حسين سري باشا الى يد الوفد • ومما ذكره «كيرك» في التعليق على هجوم النحاس باشا على الانجليز منذ شهر اغسطس ١٩٤١ ، انه كان

« يتضمن تهديدا للأمن البريطاني فيما لو أن السفارة البريطانية أخفقت في الاستجابة لهذا المؤشر على أن الوفد أصبح قلقا في المعارضة » (٢٧٠) .
وتشتد قيمة هذا العامل اذا نحن أضفنا اليه الظروف العسكرية الحالية التي كانت تواجبه ، والتي كانت تمر بها بريطانيا في تلك الفترة الحاسمة من تاريخها . ففي ابريل ١٩٤١ كانت ألمانيا قد هاجمت البلقان ، واكتسحت جيوشها في أقل من شهر واحد يوغوسلافيا وبلاد اليونان وكريت . وفي ٢٢ يونية بدأ هتلر عملية برباروسة لغزو الاتحاد السوفيتي ، وتقدمت جيوشه عدوا لتحصر موسكو وليننجراد وتقدم صوب آبار البترول في القوقاز . وأصبحت أوروبا بذلك تحت أقدام الاحتلال النازي من النرويج شمالا الى اليونان جنوبا ومن شاطئ الاطلنطي غربا الى نهر الفولجا وجبال الأورال شرقا . وفي ديسمبر دخلت اليابان الحرب بهجومها المفاجيء على « بيرل هاربر » ، وفتكت ببعض القطع الرئيسية للأسطول البريطاني عند سنغافورة . ثم أخذت تجتاح المعازل البريطانية في الشرق الأقصى .

أما في الشرق الأوسط ، فعلى الرغم من أن بريطانيا قد تمكنت من احباط حركة رشيد عالي الكيلاني في العراق ، وتمكنت من مهاجمة قوات فيشي في سوريا وأجبرتها على الاستسلام ، كما نجحت في ايران ، بالاتفاق مع الاتحاد السوفيتي ، في خلع شاه ايران ونفيه الى جزيرة سيشل ، وفتحت بذلك الطريق الممكن الوحيد لارسال الامدادات والذخيرة الى روسيا بسبب المصاعب في بحر الشمال - الا أن الموقف في الصحراء العربية كان يحمل كل علامات الخطر .

فقد ذكرنا كيف فشل الهجوم البريطاني المضاد الذي شنه الجنرال ويفل على القوات الألمانية والايطالية في يوم ١٥ يونية ١٩٤١ ، وما استتبع ذلك من نقل الجنرال ويفل الى قيادة الهند وتعيين الجنرال اوكنلك مكانه في قيادة الشرق الاوسط . وفي الثامن عشر من نوفمبر ١٩٤١ شن الجنرال

أوكلنك هجوما عاما على قوات روميل تمكن به ، بعد عدة معارك وحشية قاسية استمرت طوال شهر كامل ، وتبودلت فيها «سيدي رزق» ثلاث مرات ، من تصفية القوات الألمانية والايطالية على الحدود المصرية وفك الحصار عن طبرق واحتلال برقة في الشهر التالي ، وانسحب روميل الى موقع «العقيلة» الدفاعي القوي في الأسبوع الأول من يناير ١٩٤٢ • على أن النتائج التي حققتها انتصارات أوكلنك لم تكن حاسمة ، فقد دفع عودة نشاط المحور الجوي في البحر المتوسط في شهري ديسمبر ويناير ، واختفاء هيمنة البريطانيين الى حد ما على البحر لعدة أشهر ، الى حرمان أوكلنك من ثمار الفوز الذي حققه ، وكان التفاؤل الذي حالف رسم خطة لانزال جيش انجليزي أمريكي في افريقية الشمالية الفرنسية قد تلاشى • وأرجئت هذه العملية •

ففي يوم ٥ ديسمبر ، وبعد أن عرف هتلر بما تصدى له روميل من خطر بالغ ، أصدر أمرا بنقل فيلق جوي تام من روسيا الى صقلية وشمال افريقية • وقيل ذلك كان عدد من الغواصات الألمانية قد حُول من معركة الأطلنطي الى البحر المتوسط • وكان الهدف تجميد مالطة التي كانت تغير منها القاذفات والغواصات والسفن الحربية البريطانية على السفن الألمانية والايطالية التي تحمل العتاد والجنود الى شمال افريقيا • وفي ١٨ نوفمبر ١٩٤١ أصيبت حاملة الطائرات «أرك رويال» Ark Royal بطوربيد من غواصة ألمانية ، وفشلت كل المحاولات لانقاذها • وبعد أسبوعين أصيبت «برهام Barham» بثلاثة طوربيدات وغرقت وعلى ظهرها خمسمائة رجل • وفي ليلة ١٨ ديسمبر اقتربت غواصة ايطالية من الاسكندرية وقذفت بثلاثة طوربيدات حية يوجه كل منها رجلان ، ووضع الرجال قنابل زمنية انفجرت صباح اليوم التالي اسفل البارجتين «الملكة اليزابيث» ، و «فاليانت» ، وعطلتهما عن العمل شهور عديدة • وفي نفس اليوم الذي حدثت فيه كارثة الاسكندرية ، خرجت ثلاثة طرادات

وأربع مدمرات انجليزية لاصطياد قافلة للمحور في طريقها الى طرابلس ، ولكنها سقطت فريسة حقل ألغام بالقرب من الميناء، وأصيب طرادان وغرق الثالث بجارته الذين يربون على السبعمئة الا رجلا واحدا وقع في أسر العدو . ولم يبق من أسطول شرق البحر المتوسط الا ثلاثة طرادات وبعض المدمرات .

وفي تلك الأثناء أخذ الجنرال كيسلرنج يقصف مالطة ليل نهار لعدة أسابيع متواصلة . ولم يكن في طاقة الجزيرة الا أن تدافع عن نفسها بما تملك من قوة . وقد أتاح ذلك كله مرور المؤن والعتاد على السفن الحربية الألمانية والايطالية ، ووصولها سالمة الى الجنرال روميل الذي أخذ يعيد تكوين قواته واعدادها للقيام بهجوم مضاد جديد لغزو مصر .

وفي يوم ٢١ يناير ١٩٤٢ ، وفي غياب السيطرة البريطانية في البحر المتوسط ، وفي ظل السيطرة الألمانية الجوية والبحرية ، قام روميل بهجوم محتاح من مواقعه في العقيلة نهضت به ثلاث فرق . وفي سرعة شقت هذه الفرق طريقها مجتازة الثغرات بين القوات البريطانية التي تقتقر الى المدرعات ، فصدر اليها الأمر بالتراجع . ولم يلبث روميل أن برهن على تفوقه في الحروب الصحراوية ، اذ استطاع أن يسترد الجزء الاكبر من برقة ، والاستيلاء على بنغازي في يوم ٢٩ يناير ، وأفقد البريطانيين ما كانوا يعدونه من العتاد للهجوم الذي كان أوكنك يأمل في القيام به في منتصف شهر فبراير . وكانت هذه «الكارثة العسكرية» - على حد تعبير تشرشل (٢٧١) - هي التي اقترنت بمظاهرات ٢ فبراير ١٩٤٢ التي هتف فيها المتظاهرون بهتاف : «الى الأمام يا روميل» !

فهل كانت هذه الكوارث الحربية ، التي واكبت الظروف الداخلية السالفة الذكر ، هي التي دعت السلطات البريطانية الى أن تقرر التخلص من وزارة حسين سري باشا ونقل الحكم الى يد الوفد ، وبالتالي تدير مظاهرات أول فبراير لتبرير حادث ٤ فبراير . أو أن هذه المظاهرات

التي دبرتها جهة أخرى ، كانت عاملاً حاسماً في قرار نقل الحكم الى يد الوفد ؟

للرد على هذا السؤال نقول انه من الثابت من المصادر العربية والانجليزية أن حسين سري باشا كان يحظى بثقة وتأييد الانجليز الى يوم وقوع المظاهرات السالفة الذكر . فحسين سري باشا ، بشهادة وزير في وزارته هو الدكتور هيكل ، كان أقل من حسن صبري باشا مناقشة للانجليز في مطالبهم (٢٧٢) . وهو باعتراف كتابهم أنفسهم « كان على ولاء تام للمعاهدة » (٢٧٣) . وقد تولد لذلك شعور بالارتياح والاطمئنان والثقة به ، حتى لقد استنكر حسين سري باشا أن يكون للانجليز يد في استقالته ، فعندما سأله احد المحامين اثناء شهادته في قضية مقتل أمين عثمان باشا : « هل كان هناك مؤثرات خارجية لها أثر في الاستقالة ؟ » هز رأسه قائلاً انه لم يفهم بعد هذا السؤال . فوضحه له المحامي بقوله : « ألم يكن للانجليز تأثير في الاستقالة ؟ » وهنا أجاب حسين سري باشا مستنكراً : « انجلترا لها تأثير في استقالتي ؟ لم أفهم هذا السؤال لأن ! » (٢٧٤) .

لم يكن هناك اذن نية عند الانجليز الى يوم المظاهرات للتخلص من حسين سري باشا . بل سنرى أن العكس هو الصحيح ، وهو أن الانجليز قد تدخلوا لانقاذ وزارة حسين سري باشا قبل المظاهرات ، وذلك حين أوشكت على السقوط بسبب حادث قطع العلاقات الدبلوماسية مع حكومة فيشي ، وهو الحادث الذي يعتبر حاسماً في تبرئة الانجليز من تدمير مظاهرات الثاني من فبراير ١٩٤٢ .

فمن الثابت من المصادر المصرية والانجليزية أن قطع حسين سري باشا علاقات مصر السياسية بحكومة فيشي انما كان بناء على طلب الانجليز . وقد لجأ حسين سري باشا في حمل وزرائه على الموافقة على هذا القرار ، الى استخدام العبارات العنيفة في مجلس الوزراء على

النحو الذي يرويه الدكتور هيكل • وقد ترتب على هذا الانصياع لطلب الانجليز وقوع أزمة حادة بين حسين سري باشا والملك فاروق ، اذ اعتبر فاروق ان هذا التصرف من جانب سري باشا، يعتبر تجاوزا من الوزارة لحقها الدستوري فيه مساس بحقوقه ، لأن السفراء والوزراء المفوضين في البلاد الأجنبية يمثلون الملك ، فلا يجوز التصرف في أمرهم قبل عرض الأمر عليه ، وقرار قطع العلاقات مع حكومة فيشي معناه استدعاء الوزير المصري في فرنسا • وبناء على ذلك أصدر الملك فاروق أمرا الى وزير الخارجية صليب سامي باشا بأن يلزم داره • وقد ثار سري باشا لهذا الاجراء ، وهرع الى السير لامبسون الذي قابل حسين باشا يوم ٢٢ يناير ١٩٤٢ وحذره من خطورة استقالة أحد الوزراء أو احدى الوزارات بسبب هذه المسألة ، وأوضح بصراحة انها « مسألة يجب حتما ان نقف فيها وراء حسين سري » (٢٧٤ م) • ولكن القصر كان يعد العدة لنقل الحكم الى يد أخرى غير يد حسين سري باشا — كما هو واضح من كلام الدكتور هيكل ، الذي يذكر أن حسين باشا اتصل به حينذاك غير مرة ليسأله رأيه في الموقف ، « وفهمت منه أن وزارة سري باشا لم يبق لها حظ من البقاء ، بعد أن قطعت علاقات مصر مع حكومة فيشي في غياب الملك عن القاهرة » (٢٧٥) •

نحن هنا اذن أمام أزمة سياسية يقف فيها القصر في جانب ، ويقف الانجليز ووزارة حسين سري باشا في الجانب الآخر ، ومن أجل ذلك فاذا كان ثمة من هو في حاجة الى تدبير مظاهرات للتخلص من حسين سري باشا فانه القصر وليس الانجليز ! ومظاهرات الأول من فبراير هي ألزم للقصر لاسقاط حكومة سري باشا ، وليست لازمة للانجليز لفرض النحاس باشا • لأن فرض النحاس باشا لا يحتاج من الانجليز الى هذه التدابير الديماجوجية ، ولان الانجليز لا يمكن أن يخاطروا بتسيير مظاهرات معادية لهم في وقت يشتعل فيه شعور الغضب والكراهية

نحوهم ، وفي ظروف عسكرية غير مناسبة لهم ، لأن احتمال اتساع نطاق هذه المظاهرات وانتقالها الى ثورة شاملة احتمال معقول جدا في تلك الظروف . ولا ينسى الانجليز أن ثورة ١٩١٩ بدأت بمظاهرة !

أما بالنسبة للقصر ، فمن الواضح أن المظاهرات كانت تبدو الوسيلة الفعالة وربما الوحيدة التي يمكن بها اسقاط وزارة تحظى بتأييد الانجليز ويلقي هؤلاء بثقلهم من ورائها لانقاذها . وكان الانجليز قد تحركوا فعلا لحماية هذه الوزارة - كما رأينا - وقد ذهبوا في ذلك حدا بعيد ، فلم يكتف لامبسون بطلب استمرار بقاء وزارة سري باشا ، بل انتهز وحكومته الفرصة لطلب طرد الايطاليين وعبد الوهاب طلعت من القصر (٢٧٦) . وعلى ذلك فلم يكن في وسع فاروق أن يخاطر بازاحة حسين سري باشا أو دفعه الى الاستقالة ، مع كل هذا التأييد الذي يمدّه به الانجليز ، الا عن طريق حادث تبدو فيه الوزارة عاجزة عن حفظ الأمن وحماية النظام وصيانة المجهود الحربي، وهذا الحادث هو مظاهرات الاول من فبراير ١٩٤٢ . وبالفعل يذكر الدكتور هيكل أنه بعد وقوع هذه المظاهرات ، «أيقن سري باشا أن لا مفر من أن يستقيل، فتأييد البرلمان لوزارته لم يبق سندا كافيا لبقائها في الحكم ، بعد أن فقدت رضا صاحب العرش عنها ، كما فقدت طمأنينة الانجليز الى مقدرتها على كفالة الطمأنينة في البلاد وصيانة المجهود الحربي » ! (٢٧٧) .

• • •

هذه النتيجة التي توصلنا اليها ، وهي حاجة القصر الى مظاهرات اول فبراير ، تثير هذين السؤالين الهامين : أولا - من الذي قام بتدبير هذه المظاهرات ، ومن أي العناصر تكونت . ثانيا ، وهذا السؤال مترتب على الاول، هل كان فاروق ينوي اسناد الوزارة الى علي ماهر باشا، كما

تقول المصادر الانجليزية ، أو انه كان يريد تأليف وزارة قومية برئاسة النحاس باشا ، كما تشير المراجع العربية ؟ .

في الواقع أن الاجابة على هذين السؤالين تقتضي أولا توضيح علاقة فاروق بالألمان في هذه الفترة . فلقد أصبح معروفا الآن ، بعد الدراسة التي قدمها الدكتور محمد أحمد أنيس عن حادث ٤ فبراير ، استنادا الى الوثائق الألمانية الموجودة في وزارة الخارجية الألمانية ، أن اتصالات قد تمت في تلك الفترة بين فاروق وهتلر عن طريق المفاوضات الأوروبية للدول التابعة للمحور ، وبالذات المفاوضات البلغارية في القاهرة ، وعن طريق السفارة المصرية في طهران . والأمر الذي نلاحظه في هذه الاتصالات أن فاروقا كان يشعر بحاجته الى اثبات ولائه للألمان في كل مرة تقترب جيوش المحور من الحدود المصرية ، أو يتأكد مركزهم على الحدود . فيرجع تاريخ أول اتصال معروف لدينا الى يوم ١٤ ابريل سنة ١٩٤١ ، أي في ابان الهجوم الألماني الاول الذي قاده روميل يوم ٣١ مارس ١٩٤١ ووصل به الى الحدود المصرية يوم ١٢ ابريل . وفي هذا الاتصال شرح السفير المصري في طهران ، وهو يوسف ذو الفقار باشا والد الملكة فريدة ، للسفير الألماني - كما ذكرنا - وجهات نظر فاروق ، ورجاه أن يوصلها الى هتلر ، وفيها « أنه وشعبه لا يرغبون في حرب مع ألمانيا ، وان جيشه ضعيف لا يستطيع القيام في وجه انجلترا ، وأن موقفه صعب ، خصوصا أن ولي العهد الأمير محمد علي لعبة في يد الانجليز ، وأن هذا الأمير يحتفظ في بطاقته بعدد من الانجليز » ، ثم ختم رسالته بأن « فاروقا مع شعبه يأملون في رؤية القوات الألمانية منتصرة ومحررة لهم من الاحتلال الانجليزي المهين » (٢٧٨) .

وفي يوم ٢٩ يونية ١٩٤١ ، أي بعد فشل الهجوم الانجليزي الذي شنه الجنرال ويفل على الحدود المصرية يوم ١٥ يونية ، أرسل فاروق برقية الى السفير المصري في طهران ليبلغ السفير الألماني « أن لدى الملك فاروق

معلومات تشير الى أن الانجليز سيحتلون مناطق البترول الايرانية، لكي يحموها من الهجوم الألماني المحتمل من ناحية روسيا على العراق وايران (٢٧٩) •

وفي الفترة التي استطاعت فيها القوات البريطانية بقيادة أوكنلك طرد قوات المحور من الحدود المصرية واحتلال برقة ، لا نجد اتصالات قد تمت بين فاروق والالمان ، ولكن فاروق يعاود اتصالاته بعد قيام روميل بهجومه المضاد يوم ٢١ يناير ١٩٤٢ • ففي يوم ٣٠ يناير ١٩٤٢ أرسل « فورمان Wormann » ، السكرتير المساعد لوزارة الخارجية الالمانية الى هتلر يبلغه أن محادثة جرت بين وزير بلغاريا المفوض في القاهرة وسري عمر بك سكرتير وزارة الخارجية المصرية ، وقد اعرّب فيها ممثل وزارة الخارجية المصرية عن قلق فاروق من المحادثات التي وصل نبؤها اليه بين عباس حلمي والالمان » ، ويطلب ايقاف هذه العلاقة ، كما يطلب من ألمانيا أن تحميه بكل الوسائل حتى النهاية ، « لأنه يقود الصراع ضد الانجليز بكل قواه، وهو في هذا يعرض عرشه للخطر، لأن الانجليز هددوه مرارا بالطرد واحلال الأمير محمد على مكانه » (٢٨٠) • ولعلها مصادفة غريبة أن يعلم فاروق فقط بنبا هذه الاتصالات بين الخديو عباس حلمي والالمان ، إبان الهجوم الألماني، مع أن هذه الاتصالات ترجع الى سبتمبر ١٩٤١ (٢٨١) • ولربما علم بها فاروق بعد وقوعها بعد تصفية قوات المحور على الحدود المصرية على يد الجنرال أوكنلك ، ولكنه لم يجد فائدة من اثارها الا بعد أن أصبحت مصر مهددة مرة أخرى بالغزو الالمانى • وعلى كل حال فما لا شك فيه أن مخاوف فاروق من هذه الاتصالات - كما يقول الدكتور محمد أنيس - متحالفة مع الهجوم الألماني المضاد في ٢١ يناير ، تشكل العامل المباشر والرئيسي في مسئولية فاروق في أزمة ٤ فبراير - فان فاروق، كما يبدو ، كان في حاجة أكثر

الى اثبات ولائه للمحور وعدائه للانجليز ليحتفظ بعرشه اذا نجح الألمان في اختراق الدلتا والوصول الى القاهرة (٢٨٢) .

والآن نحاول الاجابة على السؤال الأول الذي طرحناه: ما هي العناصر الموجودة في القصر التي دبرت مظاهرات الأول من فبراير ١٩٤٢ ؟ وبتعبير أدق ، هل كانت جماعة علي ماهر في القصر هي التي دفعت الطلبة المتطرفين الى القيام بهذه المظاهرات في شوارع القاهرة — كما يدعي الانجليز ؟ • إن الاجابة على هذا السؤال تقتضي أولا التعرض للعلاقة بين علي ماهر باشا والملك فاروق بعد طرده من الحكم على يد التبليغ البريطاني يوم ١٩ يونية ١٩٤٠ ، كما تقتضي معرفة نشاط علي ماهر باشا في تلك الفترة .

وفيما يتصل بالعلاقة بين علي ماهر باشا والملك فاروق بعد خروجه من الحكم ، فان تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان الملكي بعد اعتلاء حسن صبري باشا الحكم بأشهر قليلة ، قد يوحي بأن زمام الأمور في القصر قد انتقل من يد علي ماهر باشا نهائيا الى يد أحمد حسنين باشا . على أن تعيين أحمد حسنين باشا في الواقع لم يكن في مخطط فاروق منذ بداية الأمر . فيذكر محمد التابعي ، الذي كان صديقا مقربا من حسنين باشا ، أن فاروقا عندما عرض عليه حسن صبري باشا اسناد رئاسة الديوان الى أحمد حسنين باشا « رفض في أول الأمر .. لأنه كان يريد أن يحتفظ بالمنصب المذكور لعلي ماهر باشا ، ولم يكن ينتظر سوى الفرصة المناسبة التي تتحسن فيها العلاقات بين الانجليز وعلي ماهر باشا ، لكي يعيده رئيسا للديوان . ولكن حسن صبري لم يسكت ، بل مضى يكرر هذا الطلب أو هذا الترشيح ، وفاروق يرفض ، حتى نشأ ما يشبه الأزمة الوزارية ، لأن حسن صبري جعل بقاءه في رئاسة الوزارة رهنا بتعيين أحمد حسنين رئيسا للديوان » (٢٨٣) .

ويمكن أن نفهم سر الحاح حسن صبري باشا بخصوص حسنين

باشا ، اذا عرفنا أن الديوان الملكي في ذلك الحين ، كان يرأسه بالنيابة عبد الوهاب طلعت باشا ، صديق علي ماهر باشا الحميم ومنفذ سياسته ، ومعنى ذلك أن علي ماهر باشا كان يتولى في الحقيقة رئاسة الديوان من وراء ستار ! وكان حسن صبري باشا يفهم هذه الحقيقة ، كما كان الانجليز يفهمونها ايضا ، ولذلك يذكر الدكتور هيكل أنهم طلبوا « ابعاد أشخاص بذواتهم من القصر الملكي ، في مقدمتهم عبد الوهاب طلعت باشا وكيل الديوان الملكي ، بحجة أنه متشبع بسياسة علي ماهر باشا مذ كان رئيسا للديوان ثم رئيسا للوزارة » (٢٨٤) .

من ذلك يظهر جليا أن تعيين أحمد حسنين باشا في رئاسة الديوان الملكي في ذلك الحين ، لم يكن يشكل أي تغيير في سياسة فاروق من ناحية الانجليز أو الألمان ، كما لم يكن على حساب نفوذ علي ماهر باشا في القصر أو نفوذ أصدقائه ، بل فرضته سياسة حسن صبري باشا الذي أراد ، بالاضافة الى أسبابه الشخصية ، ايجاد شخصية موالية للانجليز في القصر ، توازن ما كان يعرفه الانجليز عن فاروق من ميوله للمحور ، وتوازن نفوذ جماعة علي ماهر باشا في القصر كذلك .

وفي الفترة منذ تبليغ ١٩ يونية ١٩٤٠ الى ٤ فبراير ١٩٤٢ كان الصراع بين الانجليز والقصر يدور حول علي ماهر باشا . فالانجليز يطلبون رأسه ، والقصر يتدخل لحمايته بكل قوته . فقد طلب السفير البريطاني اعتقال علي ماهر باشا في عهد حسن صبري باشا « بحجة أن له نشاطا ضارا بالمجهود الحربي » ، ولكن حسن صبري باشا لم يقبل تنفيذ هذه الرغبة ، وأنهى الى السفير - كما يقول الدكتور هيكل - أنه « مستعد للاستقالة اذا تشبث بطلبه » ، فاضطر هذا الى سحب طلبه (٢٨٥) .

وفي ولاية حسين سري باشا للحكم أعاد الانجليز الكرة ، وكان حسين سري باشا أكثر استجابة لهم من حسن صبري باشا - كما

أسلفنا — فأراد التوفيق بين رغبتهم في اعتقاله ورغبة الملك فاروق في حمايته ، بتعيين علي ماهر باشا في منصب في الخارج، أو أن يغادر القاهرة الى عزبته لا يبرحها . ولكن هذه المحاولة قوبلت بمقاومة عنيفة من علي ماهر باشا انتقلت الى مجلس النواب، حيث قامت مناقشة طريفة حول هذا الموضوع على الرغم من حدتها وشدتها . فقد تبين أن حسين سري باشا قد أوفد الى علي ماهر باشا كلا من عبد القوي أحمد باشا وعبد الرحمن عزام بك ، حيث أنهى اليه عبد القوي باشا شفويا نص مذكرة بريطانية قال انه «قرأها مرارا حتى حفظها عن ظهر قلب» ، ومضمونها أنه «نظرا للظروف الحاضرة ، وما يخشى من أن يكون رفعة علي ماهر باشا مرجعا للناقمين والعابثين ، سواء أراد أم لم يرد ، فقد رأي أنه في مصلحة المحالفة أن يكلف بقبول منصب خارج القطر، أو أن يلزم عزبته ممنوعا من مبارحتها الى أي مكان آخر» . وعند ذلك سأله علي ماهر باشا : «واذا لم أتفد ؟» ، فأجاب عبد القوي أحمد باشا : «اذن يكون التنفيذ بالقوة ، لأن السلطات البريطانية طلبت تسليمك كما سلمت يوغوسلافيا رئيس وزرائها !» ، ثم قال عبد القوي باشا ان «جلالة الملك أحيط صراحة بالموضوع ، وان معالي حسنين باشا سافر الى جلالة بالاسكندرية ورفع الأمر اليه !» . ومعنى ذلك أن فاروقا قد دخل في الصورة بالنسبة لما يجري لعلي ماهر باشا . وهنا هبت العاصفة الآتية : فقد وجه رئيس مجلس الشيوخ نظر رئيس الحكومة الى خطورة الأمر ، كما قابل رئيس حزب الأحرار الدستوريين رئيس الوزراء «مرارا» ، وقال انه لا يقبل مطلقا أي اجراء يتخذ ضد علي ماهر باشا . بل ان الوزراء انفسهم اعلنوا أنه لم يؤخذ رأيهم في الموضوع . وازاء ذلك لم يجد حسين سري باشا مفر من التراجع، ولكن على نحو طريف، فقد أنكر أمام النواب أنه كانت ثمة مذكرة بريطانية ، شفوية او غير شفوية (على الرغم من أن عبد القوي

أحمد باشا كتب نصها لعللي ماهر باشا وحفظها هذا عنده) وادعى سري باشا أن الأمر كان في صورة نصيحة (٢٨٦) •

وبعد هذه المعركة حول رأس علي ماهر باشا ، يثور هذا السؤال : ما هو النشاط الحقيقي الذي كان يقوم به هذا الرجل وأحفظ عليه الانجليز ؟ ان الاشارات الى هذا النشاط ، سواء في المصادر العربية ، أو في المصادر البريطانية صاحبة الاتهام ، لا تحوي تفصيلا يشبع فضول الباحث • بل ان المصدر العربي الوحيد الذي يتحدث عن نشاط علي ماهر باشا هو مضابط البرلمان التي تحوي المناقشات التي دارت حول هذا الموضوع • فقد وجه حسين سري باشا اليه الاتهام بأنه كان يقابل طلبة الجامعة وخريجها ويلتف حوله « بعض ذوي الأغراض » ، وأنه كان يروج الأنباء المثبته للهمم (٢٨٧) • وقد أورد «كيرك» أن المخابرات البريطانية اكتشفت في الوثائق الألمانية أنه كان يحصل على مبالغ مالية من المحور عن طريق بنك « درسدنر Dresdner » (٢٨٨) ، واذا صح ما ورد في هذه الوثيقة ، فإن الأمر اذن يكون تمويل عمليات ضد الانجليز غالبا •

ولكن ما هي العناصر التي كانت تلتف حول علي ماهر باشا في ذلك الحين والتي يمكن أن يحركها أو تحركها جماعته ؟ لقد كان من الأدلة التي ساقها مصطفى الشوربجي بك على أن علي ماهر باشا لم يكن له يد في مظاهرات الاول من فبراير ١٩٤٢ ، أن المظاهرات عادة من أعمال رجال الأحزاب ، وأن المشاهد المعروف أن رجال الأحزاب وليس علي ماهر باشا هم الذين يقيمون المظاهرات (٢٨٩) • على أننا نعلم من دراسة حوادث النصف الثاني من سنة ١٩٣٧ أن علي ماهر باشا كان يستطيع تسيير مظاهرات من الطلبة لصالح القصر • وفي الاتهام الذي وجهه اليه حسين سري باشا ومر بنا منذ قليل ذكر أنه كان يقابل طلبة الجامعة وخريجها • وفي الفترة التي نحن بصددنا كان هناك عنصران من

العناصر المهيجة والمعادية للانجليز يلتفان حول علي ماهر باشا وحول القصر ، وأولهما طلبة الأزهر الشريف ، والثاني جماعة الإخوان المسلمين . وفيما يتصل بالأزهر ، فإن ولاءه وولاء شيخه المراغي للقصر أمر معروف ليس في حاجة الى تدليل . وتشير بعض المصادر الى ان المظاهرات التي قامت يوم ٢ فبراير بدأت من شارع الأزهر ، وصدر الهتاف المعروف : « الى الامام يا روميل » عن جموع الطلبة الأزهريين (٢٩٠) . وأما الإخوان المسلمون ، فإن نفوذ القصر وعلي ماهر باشا كان يمارس من خلال هذه الجماعة - كما يقول كيرك - ، وقد أشرنا الى أنه كان يُعزى اليهم الدور الأول في ايجاد تيار الدعاية والكراهية ضد بريطانيا في خريف عام ١٩٤١ ، وذكر أنه حينما طلب الانجليز من رئيس الحكومة اعتقال البناء، لم يلبث أن اطلق سراحه، « بضغط القصر فيما يظهر ، الذي قيل أنه يمدّه بمعونة سخية » (٢٩١) . وواضح أن الانجليز كانوا يهدفون من اعتقال حسن البناء وكبار أعوانه الى تقليص أظافر فاروق وعلي ماهر باشا ، وحرمانهما من أداة يمارسان من خلالها نشاطهما بين الجماهير الشعبية العريضة . مع ذلك نلاحظ أن حسين سري باشا لم يتهم الإخوان المسلمين بأي دور في تحريك المظاهرات . ففي حديثه مع المستر شون ، الوزير المفوض في السفارة البريطانية يوم أول فبراير ، والذي أبلغه فيه اعتزامه الاستقالة لأن علي ماهر وجماعة القصر يقومون بتحريك طلبة الجامعة للقيام باضطرابات، اتهم أيضا الشيخ المراغي ومصطفى الشوربجي وابن عبد الوهاب طلعت وحزب مصر الفتاة فقط ، ولم يذكر الإخوان المسلمين (٢٩١م) وان كان اتهمه حزب مصر الفتاة لا يقوم على أساس قوي ، لأن الحزب كان قد صفي بعد ثورة الكيلاني في العراق ، كما أن علاقته بعلي ماهر لم تكن قوية بعد مسألة كامل البنداري باشا . وعلى كل حال ، فمن الضروري أن تنتهي الآن الى تقرير هذه الحقيقة ، وهي أن مظاهرات يوم ٢ فبراير قد دبرها علي ماهر باشا وجماعته

في القصر لازاحة حسين سري باشا من الحكم أولا ، ولايجاد ضغط شعبي صناعي يهيء لفاروق الفرصة لاسناد الحكم الى علي ماهر باشا عند سنوح الظروف المناسبة . ونستدل على ذلك بالأدلة الآتية : أولا - أن هذه المظاهرات قد سبقتها مظاهرات أخرى يوم ٣١ يناير ضد حسين سري باشا ، وذلك في مناسبة الاحتفال بذكرى محمد محمود باشا ، وقد تردد في هذه المظاهرات هتاف : « علي ماهر رجل الساعة ! » . وقد ذكر مصطفى امين ، الذي كان يرأس تحرير مجلة الاثنين ومقربا من القصر في ذلك الحين ، أن هذه المظاهرات كانت بتدبير أصدقاء علي ماهر باشا (٢٩٢) . وقد أشار الدكتور محمد حسين هيكل الى هذه المظاهرة أيضا ، في شهادته في قضية الاغتيالات السياسية ، فروى أنه « في ٣١ يناير ١٩٤٢ كنا نقيم حفلة ذكرى محمد محمود باشا . فلما انتهت الحفلة ، حصلت مظاهرة كبيرة ضد سري باشا ، اشترك في تديرها بعض الكبراء » (٢٩٣) .

ثانيا - ان المظاهرات التي حدثت يوم ٢ فبراير وهتف فيها المتظاهرون : « الى الامام يا روميل » ، قد تردد فيها ايضا الهتاف باسم علي ماهر باشا . وقد اعترف بذلك مصطفى الشوربجي بك ، صديق علي ماهر باشا ووزير العدل في وزارته ، ولكنه ساق التبرير الآتي أمام الشيوخ : « اذا كان قد نودي يا حضرات الشيوخ باسم زفة علي ماهر باشا في هذه المظاهرات ، اذا كان قد نودي فيها بحياته وتحيته ، فلأنه يستحق هذه التحية ! . ألم يكن هو الذي ترك الطريق السلطاني الذي يعرفه كل رجال الدولة ، وهو التسليم والاستسلام ؟ » (٢٩٤) .

اما الدليل الثالث ، فهو امتناع حسين سري باشا عن ضرب هذه المظاهرات عند حدوثها . ولا نستطيع أن نقبل التبرير الذي قدمه لهذا الامتناع ، بأن هذه المظاهرات « لم تكن هامة من الوجهة السياسية » ، لأن مجرد توقعه حدوثها كان السبب المباشر في استقالته - وهو ما أثبتته

الوثائق الانجليزية (٢٩٤م) - وباعتراف الدكتور هيكل ، فكيف يعدها مع ذلك غير هامة من الوجهة السياسية ؟ لا شك أن حسين سري باشا كان يعرف اليد التي تحرك هذه المظاهرات من واقع الهتافات والشعارات التي كانت ترفعها ، ولذا تركها تمر وتطيح به ، ولو كان يعرف أن الوفد هو الذي يحركها ، لما تركها تفلت منه ، ولا ترك المسئولين عنها دون حساب .

• • •

هـ - حادث فبراير ١٩٤٢

بعد الدراسة التي قدمناها لمظاهرات الثاني من فبراير ١٩٤٢ ، نحاول الآن الاجابة على السؤال الذي طرحناه وهو : ما هي الخطوة التي كان ينتويها فاروق بعد اسقاط وزارة حسين سري باشا ، وهل كان ينوي حقا تعيين علي ماهر باشا في رئاسة الوزارة ، كما يقول الانجليز ، أو أنه كان ينوي تأليف وزارة قومية ، كما تقول المصادر العربية ؟ ان الاجابة على هذا السؤال تقتضي أولا التعرض للتيارات التي كانت تتنازع القصر في ذلك الحين . فمنذ تعيين أحمد حسنين باشا رئيسا للديوان الملكي ، وهو المعروف بـسيوله للانجليز ، أصبح في القصر تياران : الأول ، ويمثله أنصار علي ماهر باشا ، وكان يهدف لعودة علي ماهر باشا الى الحكم . والثاني ، ويمثله أحمد حسنين باشا ، وكان يعمل لتأليف وزارة قومية . وعندما وقعت أزمة الثقة بين فاروق وحسين سري باشا بسبب قطع العلاقات مع حكومة فيشي ، سارع كل من التيارين الى ركوب هذه الأزمة لخدمة أهدافه . فقيما يختص بتيار علي ماهر باشا وجماعته ، فقد كانت له اليد الطولى في حدوث الأزمة أساسا ، وفي تغذيتها بعد ذلك ، حيث كان هذا الفريق هو الذي صور لفاروق الأمر على أن حقوقه قد تجوهرت ، وكتب علي ماهر بذلك مذكرة للملك اشترك في صنعها محمد محمود خليل (٢٩٥) . وقد انتهت هذه الأزمة بالفعل تقريبا يوم ٢٧ يناير حين قبل فاروق ، تحت تدخل السفير لامبسون ، بقاء وزير الخارجية المصرية في منصبه ، وفي مقابل ذلك أرجئت مسألة خروج عبد الوهاب طلعت والايطاليين من القصر ، وعدل سري باشا عن الاستقالة (٢٩٥ م) . ولكن بعد يوم واحد من اذعان فاروق ، سقطت بنغازي في يد روميل في ٢٩

يناير ، وتغير الموقف . فقد تحركت جماعة علي ماهر فوراً للاستفادة من الهزيمة الانجليزية ، وفي الوقت نفسه أراد فاروق أن يسترد تنازله . ولما كان سري باشا قد عدل عن الاستقالة بناء على وعده له ببقاء وزير الخارجية المصرية ، ولم يكن في وسعه الرجوع في وعده ، فقد كان من الضروري إيجاد وسيلة أخرى يجبر بها سري باشا على الاستقالة ، واستطاعت جماعة علي ماهر باشا بمظاهرات الثاني من فبراير تحقيق رغبة فاروق في التخلص من وزارة حسين سري باشا ، وكان هدفها بطبيعة الحال عودة علي ماهر باشا الى الحكم ، على اعتبار أن ظروف الهجوم الألماني المظفر الجديد في برقة تتطلب وجود علي ماهر باشا على رأس الحكومة لأنه أقدر من أي سياسي آخر على التعامل مع الألمان في حالة اختراقهم الأراضي المصرية الى القاهرة .

وفي نفس الوقت ، كان أحمد حسنين باشا يسعى من جانب آخر لتأليف وزارة قومية ، وهي الوزارة التي قبل النحاس تأليفها في أواخر ابريل وأوائل مايو من العام السابق ، ولكن المحاولة فشلت حينذاك بسبب اعتراض زعماء الأقلية تشبثاً منهم بمجلس النواب القائم . واتجاه أحمد حسنين باشا الى تأليف وزارة قومية لم يكن مبعثه ميل من جانبه للوفد ، أو رغبته في مشاركته في الحكم ، وإنما كان مبعثه كراهية عميقة لعلي ماهر باشا وأنصاره في القصر ، وخوف من أن يكون البديل لهذه الوزارة عودة علي ماهر باشا الى الحكم مرة أخرى . كما كان مبعثه أيضاً أن مثل هذه الوزارة سوف تكون عنصر استقرار سياسي يخدم المجهود الحربي البريطاني ويجنب الانجليز المتاعب التي يعانونها من معارضة الوفد وهجومه ونقده - في الوقت الذي تتفق مع سياسة فاروق التي لم تكن تعارض عودة الوفد الى الحكم على رأس وزارة قومية معارضة عنيدة . وقد عبر حسنين باشا عن ذلك في عبارة وجهها الى السير

لامبسون ردا على تمسكه بوزارة سري باشا ، فقد قال له : « انكم تربطون أنفسكم بجثة » (٢٩٦) •

وفي المرحلة الأولى من الأزمة ، عندما وقع الخلاف بين فاروق ووزارة حسين سري باشا ، كانت سياسة لامبسون في منع تيار علي ماهر باشا من الوصول الى الحكم تقوم على مساندة حسين سري باشا وعدم السماح بسقوط وزارته مهما كانت الظروف ، ولكن بعد نجاح هذه الجماعة في حمل حسين سري باشا على الاستقالة بتحريك المظاهرات ضده ، فقد انتقلت سياسة لامبسون الى مساندة فكرة تأليف وزارة قومية . ففي صباح يوم ٢ فبراير ، بعد أن وقع الاضراب العام في الجامعة وخرج الطلبة في المظاهرات في الشوارع ، أبلغ سري باشا السير لامبسون بأن الأمور تتدهور بسرعة ، وأنه لذلك سوف يقدم استقالته الى الملك في الساعة ١٢.٣٠ من بعد ظهر نفس اليوم • وفي الحال طلب السير لامبسون من حسين باشا تحديد مقابلة عاجلة له مع الملك فاروق في تمام الساعة الواحدة • وقد حاول حسين باشا إثنائه عن عزمه بقوله ان محاولات تجري لتأليف وزارة قومية ، ولكن لامبسون لم يثق في هذا الكلام ، اذ كان يعلم من مصادره أن مصطفى الشوربجي قد عرض على الاحرار الدستوريين الاشتراك في وزارة برئاسة أحد اصدقاء علي ماهر باشا ، ولذلك أصر على المقابلة • وكان الموقف قد نوقش صباح ذلك اليوم في اجتماع في السفارة البريطانية حضره لامبسون والقائد العام لقوات الشرق الأوسط تحت رئاسة وزير الدولة ، واتفق في هذا الاجتماع على أن الازمة القائمة « قد تم توقيتها وتديرها بواسطة عناصر معادية للانجليز للاستفادة من متاعبنا الحالية في الشرق الأوسط وليبيا ، وانه اذا نحن فشلنا في اظهار الحزم الآن ، فان البلاد سوف تظل تحت نفوذ هذه العناصر » ، ثم تقرر ضرورة مقابلة لامبسون لفاروق في الساعة الواحدة ليقدّم اليه الطلبات الآتية : (١) تأليف وزارة تدين بالولاء للمعاهدة وتكون

قادرة على تنفيذها لفظا ومعنى مع رعاية المادة الخامسة بصفة خاصة .
(٢) أن تكون هذه الوزارة وزارة قوية وقادرة على الحكم والحصول على
تأييد شعبي كاف . (٣) أن ذلك يعني استدعاء النحاس باشا باعتباره زعيم
حزب الأغلبية في البلاد للتشاور معه في تأليف الوزارة الجديدة . (٤) أن
يتم ذلك قبل ظهر الغد . (٥) ويعتبر جلالة مسئولا شخصيا عن قيام أية
اضطرابات قد تحدث في تلك الأثناء (٢٩٦ م) .

وقد أحدث هذا التحرك من جانب لامبسون ، عندما طلب مقابلة
الملك ، تأثيره في خطة فاروق . فقد بدا واضحا أن السفارة سوف تقف
في وجه أي محاولة لتعيين علي ماهر باشا أو أحد أصدقائه ، ومن ثم فقد
اقتضت الحكمة في معالجة الأمر التخلي مؤقتا عن هذه الخطة ، مع عدم
القاء الموقف برمته في يد الوفد والانجليز في الوقت نفسه ، ومعنى ذلك
عدم السماح بتأليف وزارة وفدية ، والسعي لتأليف وزارة انتقال أو وزارة
قومية . وعلى هذا النحو فعندما قابل لامبسون فاروق في تمام الساعة
الواحدة من بعد ظهر يوم ٢ فبراير وابلغه بالنقاط الأربع السالفة الذكر،
وافق فاروق على النقطتين الأوليين ، وذكر فيما يختص باستدعاء النحاس
باشا أنه كان قد قرر ذلك بالفعل من قبل، وأنه يعمل من أجل تأليف وزارة
قومية ، ولا يعرف من هو أقدر من النحاس على تأليف هذه
الوزارة (٢٩٧) . وهكذا التقى فاروق ولامبسون حول هدف واحد ،
هو تأليف وزارة قومية ، وإن اختلف كل منهما حول سبب طلب هذه
الوزارة ، ففاروق يضع عينه على جبهة القتال ، ولامبسون يضع عينه على
الجبهة الداخلية ولا يريد أن يفقد تأييد السعديين والأحرار الدستوريين .
على أننا نلاحظ أنه عندما تقابل لامبسون مع حسنين عقب انتهاء
مقابلته مع الملك، أخبره حسنين أن خطة القصر هي تأليف وزارة انتقال
تمهد الطريق لتأليف وزارة قومية تحت رئاسة النحاس باشا في النهاية،
أي أن تأليف الوزارة القومية حسب هذه الخطة يتم على مرحلتين . على

أن فاروق — كما رأينا — لم يتعرض في حديثه مع لامبسون لفكرة وزارة الانتقال اطلاقاً ، كما أنه لم يفتح بها النحاس باشا بعد ذلك عندما استدعاه لمقابلته ، مما يدل على أنه تنازل عن هذه الخطة أثناء مقابلته مع لامبسون . وعلى كل حال فلم يفصح لامبسون عندما سمع ذلك من حسين باشا عن شعوره المعارض لفكرة وزارة الانتقال ، وإنما اكتفى بالقول بأنه يجب ترك الأمر للنحاس ليقرر ، بوصفه زعيم الأغلبية ، ما ينبغي عمله ، سواء وزارة انتقال أو وزارة قومية (٢٩٧ م) .

ومهما يكن من أمر ، فالنتيجة التي نستخلصها من ذلك كله ، هي أن الحديث بين السفارة البريطانية والقصر الملكي لم يتعرض في ذلك الحين لفرض وزارة وفدية بحتة ، وإنما كان يدور حول وزارة قومية فقط . وهذا رد على الدعوى التي أثارها زعماء الأقلية في اجتماع عابدين يوم ٤ فبراير — والتي بنوا عليها بعد ذلك هجومهم على النحاس باشا والتشهير بالوفد — بأن قبول النحاس تأليف وزارة قومية يعد تقادياً للانداز البريطاني ، لأنه يعد اجابة لطلب الملك لا لطلب الانجليز . ذلك أن فاروق — كما رأينا — كان يعد في البداية لتأليف وزارة برئاسة علي ماهر أو أحد اصدقائه ، فلما تحرك الانجليز ، بنى خطته على تأليف وزارة انتقال تمهد لوزارة قومية ، ثم تخاذل عند مقابلته للامبسون يوم ٢ فبراير فتخلى عن فكرة وزارة الانتقال وتحدث عن وزارة قومية .

أما بالنسبة للانجليز ، فقد كان الامر على العكس ، فقد قامت خطتهم اساساً على تأليف وزارة قومية ، وكان النحاس باشا يعلم ذلك جيداً ، فقد كشفت الوثائق الانجليزية لوزارة الخارجية البريطانية أن السير مايلز لامبسون حمل أمين عثمان باشا رسالة الى النحاس يوم ٣ فبراير ، أي قبل مقابلته مع فاروق التي رفض فيها تأليف وزارة قومية ، ينصحه فيها بأن يبدي استعداداًه لأن يبذل قصارى جهده لتأليف وزارة قومية . وقد عزز لامبسون وجهة نظره بأن تأليف النحاس هذه الوزارة

يقوي مركزه لدى كل من الرأي العام والانجليز ، وأن الوزارة القومية برئاسة النحاس تعتبر فكرة مثالية . وقد نصح لامبسون النحاس بألا يشترط اجراء انتخابات جديدة ، على أساس أن ذلك سوف يحدث حتما اذا تولى الحكم ، نظرا لأنه لا يملك سوى بضعة مقاعد قليلة في مجلس النواب ، وأن يخص نسبة من المتقاعد للأحزاب الأخرى عند اجراء الانتخابات (٢٩٨) . وقد رفض النحاس الانصياع لهذه النصيحة للامبسون من قبل أن يرفض الانصياع لطلب فاروق اليه تأليف وزارة قومية عندما قابله في الساعة الثامنة من مساء ذلك اليوم (٢٩٨ م) . ومن هنا فلم يكن النحاس ليصدق دعوى زعماء الأقلية في اجتماع عابدين بأنه اذا ألّف الوزارة القومية يكون قد تفادى الانذار البريطاني ويكون قد أجاب طلب الملك لا طلب الانجليز، لأنه كان يعلم أن هذا الاساس أساس غير صحيح .

وفي الحقيقة أن تأليف وزارة وفدية خالصة هو مطلب النحاس باشا وليس مطلب الانجليز . ولم يكن للانجليز خيار سوى مساندة هذا الطلب . ذلك أن اصرار النحاس على عدم تأليف وزارة قومية ، واصرار فاروق على رفض تأليف وزارة وفدية ، كان معناه أن الوزارة التالية ستكون وزارة قصر على نحو ما حدث في أزمة يونية ١٩٤٠ . ولم يخف فاروق ذلك في ذلك الحين ، فعندما قابله الدكتور هيكل ليدي رأيه في الموقف كغيره من الزعماء ، وأبدى تخوفه من أن يصر النحاس على موقفه من رفض تأليف وزارة قومية ، طمأنه فاروق قائلا : « لا تبالغ في مخاوفك . فستمر هذه الأزمة كما مرت غيرها من قبل ، وسنجد رئيس الوزارة الجديدة على نحو ما وجدنا حسين صبري ثم حسين سري » (٢٩٩) .

على أن الدلائل في هذه المرة ، في ظروف الهجوم الألماني المظفر ، كانت تشير الى أن رئيس الوزارة الجديد سوف يكون علي ماهر أو أحد

أصدقائه، ومن هنا فلم يكن مفر من تحرك لامبسون لفرض البديل الوحيد وهو الوزارة الوفدية .

ففي الساعة السابعة من بعد ظهر يوم ٣ فبراير، استدعى لامبسون إليه حسنين باشا ، وطلب إليه أن يبلغ الملك بضرورة أن يرسل في طلب النحاس ويسند إليه تأليف وزارة وفدية . وفي صباح اليوم التالي (٤ فبراير) عقد لامبسون مجلس الحرب وتم اتخاذ قرار بأنه إذا لم يرد رد مرض من القصر قبل الساعة السادسة مساء ، فانه يطلب مقابلة الملك في الساعة الثامنة مساء ويصطحب معه القائد العام للقوات البريطانية في مصر - بينما تكون الترتيبات العسكرية الضرورية قد أجريت في ذلك الحين - ويطلب الى فاروق التنازل عن العرش ، وإذا رفض الاستجابة فيبلغه السفير بأنه قد خلع عن العرش (٢٩٩م) . على أن الرد المرضي لم يصل . فقد رأى فاروق - كما يقول الدكتور هيكل - أن تصرف السفير يعتبر تدخلا في أخص خصائصه، وبناء على ذلك فلم يبلغ رئيس الديوان السفير بأن رغبته في تأليف الوزارة الجديدة قد أجيبت (٣٠٠) . وعلى ذلك ففي تمام الساعة الثانية عشرة والنصف من بعد ظهر نفس اليوم ٤ فبراير سلم السفير لامبسون لحسين باشا انذارا هذا نصه :

« اذا لم أعلم قبل الساعة السادسة مساء أن النحاس باشا قد دعي لتأليف وزارة ، فان الملك فاروق يجب أن يتحمل تبعه ما يحدث » (٣٠١) . على كل حال ، فهذا الانذار تكون الأزمة قد دخلت طورها الخطير الذي انتهى بحادث اقتحام الدبابات البريطانية قصر عابدين . والسؤال الآن هو : على من تقع مسئولية تفاقم الأحداث الى هذا الحد ؟ هل تقع على فاروق شخصيا ، أم تقع على زعماء الأقلية ، أم تقع على أحمد حسنين باشا ، أم تقع على النحاس باشا ؟ . هذا هو السؤال الذي تجيب عنه الحوادث التالية .

فعلى أثر تسلم فاروق هذا الانذار ، دعا رؤساء الأحزاب ، ورؤساء

الوزارة السابقين ، وأعضاء هيئة المفاوضة في معاهدة ١٩٣٦ ، ورئيسي الشيوخ والنواب الى اجتماع عقد قبيل منتصف الساعة الرابعة بقاعة مجلس البلاط بقصر عابدين ، حيث ألقى رئيس الديوان باسم الملك بيانا استعرض فيه فاروق تطورات الأزمة حتى انتهائها بالانذار البريطاني . وبعد أن فرغ من تلاوة الرسالة الملكية تكلم فاروق داعيا الزعماء الى أن يقصدوا بمداولاتهم الى مصلحة مصر وحدها ، زاعما أنه «مستعد فيما يتعلق بشخصه ان يضحى بكل شيء» - وهو ما سوف نرى أنه سيتراجع عنه قبل انتهاء اليوم !

وعند مناقشة الانذار ، اتفقت كلمة غالبية الحاضرين على أنه لو قبل النحاس باشا تأليف وزارة قومية فإن ذلك يعتبر حلا كريما للموقف وتفاديا للانذار البريطاني ، على أساس أنه يعتبر اجابة لطلب الملك لا لطلب الانجليز . وكان صاحب هذا الرأي الدكتور محمد حسين هيكل . ولم يكن هذا الادعاء صحيحا كما أوردنا ، كما أن الميزان الصحيح للمناقشة لم يكن تأليف وزارة قومية أو وزارة وفدية ، وانما كان رفض الانذار البريطاني أو قبوله ، لأن قبول النحاس الوزارة القومية كان يعد قبولاً للانذار البريطاني . فلما رفض النحاس باشا تأليف الوزارة القومية ولم يقتنع بما أراد الزعماء اقناعه به حيث كان يعرف أن لامبسون يتحسب لفكرة الوزارة القومية أكثر من تحسب القصر ، انتقل الزعماء الى مناقشة المسألة في وضعها الصحيح ، فناقشوا فكرة رفض الانذار على اعتبار أنه يتنافى مع استقلال مصر وسيادتها ، وعندئذ أبدى النحاس باشا موافقته قائلا - حسب المحضر التفصيلي الذي أعده القصر (٣٠٢) - « اذا طلبتم مني أن ارفض الانذار فأنا مستعد لرفض تشكيل الوزارة ، ولكني أرغب أن يدون أنني نبهتكم للخطر الجسيم الذي يقع من جراء رفض تأليف الوزارة» . ولكن المجتمعين لم يأبهوا لهذا التنبيه ، ووضعوا قرارا مكتوبا موجه الى الملك يتضمن مشورتهم اليه برفض الانذار على أساس أن توجيهه يعتبر

« اخلا لا كبيرا بالمعاهدة البريطانية المصرية واستقلال البلاد ، ومن أجل ذلك لا يسع جلالة الملك أن يقبل ما من شأنه أن يخل بالمعاهدة أو باستقلال البلاد » . على أن الملك سوف يضرب بهذا القرار عرض الحائط حالما تغير الدبابات البريطانية ، وسوف يقبل ما من شأنه أن يخل بالمعاهدة وباستقلال البلاد ! وعلى كل حال ، فإن النحاس باشا « لم يطل التفكير » - حسب كلام الدكتور هيكل - حين تليت صيغة هذا القرار ، بل قال : « أنا موافق عليه ، وأوقعه معكم » (٣٠٣) .

واضح اذن من موقف النحاس باشا أن المسألة في نظره كانت تقتضي إما رفض الانذار البريطاني مع تقبل نتائجها ، وإما قبول الانذار وعندئذ يتساوى تأليف وزارة قومية أو وفدية . وكان النحاس يرى قبول الانذار، على أساس أن عباراته تدل على أنه انذار « تنفيذي، لا تهديدي كما حصل في حوادث أخرى » (٣٠٤) . أما موقف زعماء الأقلية فهو ، في الحقيقة، قبول الانذار على النحو الذي يحقق مأرب الملك في تأليف وزارة قومية، وكان وجه المغالطة في هذا الحل الزعم بأنه يحفظ كرامة مصر واستقلالها، فلما فشلوا في فرض مأرب الملك ، رفضوا الانذار مع تقبل نتائجها . ومن هنا مسئولية هؤلاء الزعماء عن تصاعد الموقف .

وهنا يثور سؤالان حول موقف النحاس باشا : لماذا أصر على رفض تأليف وزارة قومية ؟ ولماذا قبل الانذار البريطاني ؟ . وفيما يختص برفضه تأليف الوزارة القومية ، فليس صحيحا أن هذا الرفض - كما ذهب بعض المؤرخين - « هو أحد الخطوط الرئيسية في سياسة الوفد المعروفة تماما للجميع منذ تجربته المريعة عام ١٩٢٨ » ، لان الوفد حطم هذه القاعدة الرئيسية في مايو سنة ١٩٤١ - كما مر بنا - وقبل تأليف وزارة قومية . وانما رفض النحاس باشا تأليف هذه الوزارة في فبراير ١٩٤٢ للأسباب الآتية : أولا ، أنه كان قد سحب يده الممدودة للأحزاب في مايو ١٩٤١ بعد أن رفضت هذه الأحزاب هذه اليد، تعنتا منها وتشبثا بوضعها

اللدستوري ورغبة في الاستئثار بالحكم وحرمان حزب الأغلبية منه .
وقد حانت الفرصة للنحاس باشا للرد على هذا الموقف وتقاضي حقه
الدستوري كاملا . ثانيا ، أن الحالة الاقتصادية للبلاد كانت ، في الحقيقة ،
قد تغيرت في فبراير ١٩٤٢ عما كانت عليه في مايو ١٩٤١ . ففي مايو
١٩٤١ لم تكن أزمة القمح قد ظهرت ، ولم تكن حالة التموين قد ساءت
الى الحد الذي وصلت اليه من اختفاء بعض السلع وارتفاع أسعار البعض
الآخر ارتفاعا كثيرا . وكانت مواجهة هذه الحالة تقتضي وجود وزارة قوية
متماسكة ، لا وزارة مفككة متناحرة يتربص كل فريق فيها للآخر . وقد
أشار النحاس باشا الى هذه النقطة في حديثه مع الملك عندما عرض عليه
تأليف وزارة قومية ، فحسب المحضر التفصيلي للقصر ، قال النحاس باشا
للزعماء : « عندما تشرفت بالمقابلة عرض علي جلالتك أن أؤلف وزارة قومية
برياستي ، فقلت لجلالة الملك : ان تشكيل وزارة قومية لا يتفق مع مصلحة
البلد ، والبلد حالتها سيئة ، ولا يمكنني العمل الا في وزارة وفدية . .
وقلت لجلالة الملك لا يمكن أن «أنفع» الا اذا كانت الوزارة التي أؤلفها
وفدية صرفا » (٣٠٥) . وفي شهادة النحاس باشا في قضية الاغتيالات
السياسية ، بين أنه عندما عرض عليه الملك تأليف وزارة قومية رفض قائلا :
« رأيي مسمم عليه كما قلته من قبل . فاذا عهد الي بالحكم ما الذي
أستطيع ، أعمله والبلد جعانة ؟ » (٣٠٦) . وهذا الكلام الذي رواه
النحاس باشا يتفق مع ما أوردته الوثائق البريطانية في هذا الشأن . ففي
برقية لامبسون الى حكومته يوم ٣ فبراير ١٩٤٢ كتب يقول ان النحاس
أبلغ الملك فاروق أنه يرفض تأليف وزارة قومية ، لأن « هذا الحل لا يتفق
مع الصالح العام ، فان الموقف خطير بدرجة مزعجة ، ليس فقط من
الناحية السياسية ، وانما من جميع النواحي . ان الشعب يتضور جوعا ،
ان الشعب عار ، ان الشعب يشعر بأنه لا يحكم جيدا ، وهو يلقي اللوم

على العهد الحاضر ، وعلى ذلك فلا يمكنني أن أربط نفسي برجال هذا العهد « (٣٠٧) •

أما السبب الثالث، فيرجع الى رغبة النحاس باشا في تأمين ظهر حكومته ضد أي نشاط موالي للمحور من جانب القصر • ولم يكن هذا النشاط خافيا ، وقد أشار اليه النحاس باشا في بيانه عن حادث ٤ فبراير ، فتحدث عما كان معروفا من أن « بعض رجال الانقلاب ممن تولوا الحكم فعلا يراهنون على الجواد الخاسر ، وبينون سياستهم الخارجية على هذا الاعتقاد » ، وان ذلك قد أدى « الى أزمات متتابة بينهم وبين ممثلي الحليفة في مصر ، ولم يقف الأمر عند حدود الاجراءات الحكومية والعلاقات الرسمية ، بل خرج الى الشارع وقامت المظاهرات الطائشة التي مزقت فيها الصور وديست بالاقدام ونادى فيها المنادون : « الى الامام يا روميل » (٣٠٨) •

ويبقى بعد ذلك الرد على السؤال الثاني ، وهو : لماذا قبل النحاس باشا الانذار البريطاني ؟ على الرغم من أنه يعد اعتداء صريحا على استقلال البلاد واخلالا خطيرا بالمعاهدة ؟ ان الاجابة الصحيحة على هذا السؤال تقتضي الاجابة على سؤالين آخرين : هل كان من المصلحة أن يرفض النحاس باشا الانذار البريطاني وتأليف الوزارة ؟ والى أي حد كان الانذار البريطاني متناقضا مع مصلحة الشعب وسلطته ؟

ان الحقيقة التاريخية فيما يختص بالانذار البريطاني، الذي دعمته القوة العسكرية ، أنه كان عدوانا من مغتصب على مغتصب، وصراعا بين استعمار أجنبي واستعمار محلي ! ولقد أوضحنا في فصول مضت كيف أصبح فاروق ، بانقلاب ٣٠ ديسمبر ١٩٣٧ ، صاحب الهيمنة على البلاد ومصدر كل السلطات ، وكيف زيف ارادة الأمة في انتخابات ١٩٣٨ فزيف معها وجه الحياة الديمقراطية في مصر • وكيف أن الحكم في عهد محمد محمود باشا كان في الحقيقة والواقع في يد القصر لا في يده هو ، ومع

ذلك فقد برم فاروق بهذا المظهر الدستوري المتواضع المتمثل في رئاسة رئيس الغالبية البرلمانية للوزارة ، فدفعه للاستقالة تحت مؤامرات علي ماهر باشا ، وعهد الى الأخير برياسة الوزارة ، فكان ذلك ايذانا بحكم القصر المباشر . ولقد كان تكوين وزارة علي ماهر باشا في حد ذاته دلالة هامة على انهيار الحكم الدستوري ، فقد أُلِف وزارته من غالبية من المستقلين ، وأقلية من السعديين بنسبة ٩:٥ ، مع أن عدد النواب المستقلين في مجلس النواب لم يكن يزيد على ٥٥ من ٢٦٤ . وكان قد مهد لذلك بالتخلص من الأحرار الدستوريين عن طريق عرض اشراك عضوين منهم فقط في وزارته ، مع أن عدد نوابهم في مجلس النواب كان أكبر من عدد النواب السعديين (٩٠:٨٤) ، الأمر الذي جعلهم يقررون عدم الاشتراك في الوزارة بعد أن رأوا أن هذا التفكير ينطوي على تجريح صريح للوزراء الدستوريين في وزارة محمد محمود باشا . ولقد كان ظهور عنصر المستقلين في الوزارة ، وفي هذا الحجم ، دلالة على أن سلطة الوزارة لم تعد تستمد من البرلمان ، أو من الشعب ، وإنما من القصر . وكانت تلك خطوة أولى تلتها خطوات : فعندما اختلف الوزراء السعديون في الوزارة التي خلفت وزارة علي ماهر باشا ، مع حسن صبري باشا على مسألة دخول مصر الحرب ، لم يتردد في شغل مناصبهم بأشخاص من المستقلين ، فأصبح رئيس الوزراء مستقلا ، وثلاثة أرباع الوزراء مستقلين . وعندما مات حسن صبري باشا ، عين القصر حسين سري باشا خلفا له ، مع أنه لم يكن رجل سياسة ، وإنما كان في الأصل — كما يقول محمد زكي عبد القادر (٣٠٨م) — موظفا في وزارة الأشغال ، ثم اختير لمنصب الوزارة مرتين ، حتى اختير لمنصب رئيس الوزراء . وكان معنى ذلك أن البلاد ارتفعت الى ما قبل ثورة ١٩١٩ حين كان منصب الوزارة مجرد ترقية لموظف كبير .

وكان موقف مجلس نواب ١٩٣٨ أنكى من موقف الوزارات التي

أحرزت ثقته • فقد رأينا كيف أن هذا المجلس أيد علي ماهر باشا ومنحه ثقته ، على الرغم من أنه كان مستقلا ولم تكن له أية عصبية حزبية • وكان موقف نواب الأحرار الدستوريين — كما ذكرنا — أشد خزيا ، فعلى الرغم من أنهم كانوا يعلمون علم اليقين أن رئيس حزبهم قد طرد من الحكم على يد علي ماهر باشا نفسه ، فلم تتحرك في نفوسهم أية حمية حزبية ليسحبوا منه ثقته ، بل أمدوه بهذه الثقة ، كما لو كان زعيما من زعمائهم • وقد فعلوا ذلك وهم يعلمون أنه يريد إشراكهم في الحكم بوزيرين فقط في وزارته ، وأن تفكيره هذا ينطوي على تجريح صريح للوزراء الدستوريين في وزارة محمد محمود باشا !

أما السعديون ، وهم الذين انشقوا على الوفد احتجاجا على انتهاك الدستور ، ودفاعا عن الفكرة الديمقراطية ، فقد قبلوا تزيف الانتخابات لحسابهم دون وجه حق ، وشاركوا الدستوريين جريزتهم بتأييد علي ماهر باشا رغم أنه مستقل ، وقبلوا أن يشتركوا معه في الحكم بأقلية من الوزراء الى جانب أغلبية من المستقلين • وقد استقالوا من وزارة حسن صبري باشا لاختلافهم وإياه بشأن دخول مصر الحرب، ولكنهم لم يلبثوا أن عادوا الى الاشتراك في وزارة حسين سري باشا رغم أن الحرب لم تكن قد انتهت، ولم تعلن مصر الاشتراك فيها حسب سياستهم •

على هذا النحو كان فاروق قد أصبح صاحب السلطة والهيمنة على البلاد • وكان من الواضح أن الوفد قد أصبح عاجزا عن الوقوف في وجهه • فقد كانت هناك جملة عوامل ساعدت على اضعاف قدرته على تحريك الجماهير ودفعها الى الثورة : أولاها ، أن أهم عنصر كان يستغله الوفد في تحريك الجماهير وهو قضية الاستقلال، قد اختفى بعد إبرام معاهدة ١٩٣٦ التي وصفها الوفد نفسه بأنها معاهدة الشرف والاستقلال • ثانيا ، أن الرابطة الوثيقة التي كانت تربط الدستور بالاستقلال ، والتي كانت تميز مرحلة ما قبل المعاهدة ، وكانت تجعل من وجود وزارة وقديّة

في الحكم مدخلا ضروريا لحل القضية الوطنية على النحو الذي يحقق
ارادة الشعب - هذه الرابطة كانت قد انفكت بعد ابرام معاهدة ١٩٣٦ ،
ولم يعد لها وجود الا بعد الحرب العالمية الثانية وتجدد الحركة الوطنية •
ثالثا ، على الرغم من ايمان الطبقات الشعبية بالحياة النيابية والديموقراطية ،
الا أن ما قدمته لهم هذه الديموقراطية منذ قيام أول وزارة شعبية في
عام ١٩٢٤ لم يكن يحفز على بذل التضحية والفداء من أجل الدستور ،
ولم يخفف من ذلك أن الوفد لم ينمرد بالحكم في خلال الثمانية عشر عاما
السابقة الا مدة لا تزيد على ثلاث سنوات تقريبا ، وأن الفترات التي تولى
الوفد فيها الحكم كانت من قصر المدة وجسامة المسئوليات الخارجية ،
بحيث لم تكن تكفي أو تسمح له بتحقيق برنامج للإصلاح الداخلي يتلاقى
مع حاجات الجماهير • فقد استمرت وزارته الأولى عشرة أشهر تقريبا
كانت مليئة بالأحداث الجسام في مصر والسودان • وأما وزارته الثانية
فقد استمرت لمدة خمسة أشهر تقريبا ، تخللتها مفاوضات النحاس -
هندرسن • وقد استمرت وزارته الثالثة ما يقرب من ثمانية عشر شهرا
تخللتها مفاوضات ١٩٣٦ ومفاوضات إلغاء الامتيازات • وهكذا لم تستطع
أية وزارة من هذه الوزارات أن تنفذ أي برنامج كامل للإصلاح يشد
الجماهير الى البذل والتضحية لاعادة الوفد الى الحكم عن طريق ثورة
ضد العرش ، على الرغم مما كان يحققه هذا الحكم عادة للجماهير من
حرية حقيقية واصلاحات جزئية •

على هذا النحو ، وبسبب عجز الوفد ، وخضوع أحزاب الأقلية ،
كان فاروق قد أصبح أقوى سلطة في البلاد بعد سلطة الاحتلال ، ومن
المحقق أنه كان يستطيع أن يحكم مصر لأي عدد غير محدود من السنين
حكما مطلقا دون منازع لولا الانذار البريطاني الذي كان نقطة تحول
مفاجئة في الموقف •

ذلك أن الانذار البريطاني قد رجح لأول مرة ، منذ عام ١٩٣٨ ، كفة

الحكم الدستوري على الحكم الأوتوقراطي، وهياً للشعب الفرصة ، لأول مرة منذ أربع سنوات خلت، لكي يمارس حريته و ارادته التي زينها القصر . فهل كان على النحاس باشا أن يتنازل عن حقوقه الدستورية ، ويرفض الفرصة التي تهيأت للشعب ليسترد حريته و ارادته لمجرد أن هذه الفرصة تهيأت بفضل الانذار البريطاني ؟ ان الانذار البريطاني، في الحقيقة ، لم يكن عدوانا على حرية الشعب و ارادته، وانما كان عدوانا على حرية القصر و ارادته .

والمتتبع لتاريخ الحركة الوطنية منذ ثورة ١٩١٩ يلاحظ هذه الظاهرة، وهي أن التدخل البريطاني ضد القصر ضد أوتوقراطية القصر ، كان موضع الترحيب، بل والمطالبة والالاحاح من كافة القوى الوطنية في مصر وعلى رأسها الوفد . كما أنه كان موضع حماس وابتهاج من الشعب . فقد طالبت القوى الوطنية في عام ١٩٢٥ بتدخل اللورد لويد لحمل الملك فؤاد على عزل نشأت باشا ، ثم رحبت ترحيبا حارا بذلك حين تحقق هذا في ديسمبر ١٩٢٥ . وقد حمل الحزب الوطني القصر مسؤولية هذا التدخل ، وعلق عبد الرحمن الرافعي على ما أظهره الشعب من ابتهاج لسقوط نشأت باشا - وهو يشبه الابتهاج الذي حدث بمناسبة سقوط الحكم الأوتوقراطي يوم ٤ فبراير ١٩٤٢ - بقوله : « ولم يخفف من هذا الابتهاج أن جاء اقصاؤه بناء على التدخل البريطاني . لأن الشعب ليس مسئولا عن هذا التدخل، وانما المسئول عنه هو السراي . . وليس مطلوبا من الشعب أن يتنازل عن حقوقه في سبيل تغطية أخطاء السراي ، أو في سبيل عودة الحكم المطلق » (٣٠٩) . وهذه النقطة على جانب كبير من الأهمية ، لأنها تدل على أن الشعب المصري كان يعطي الحياة الديموقراطية عند اللزوم أهمية تفوق أهمية قضية الاستقلال ، ولا لوم عليه في ذلك، لأن حريته الداخلية كانت مدخلا لحريته الخارجية، أو كانت

وسيلته لا تتزاع حريته الخارجية، ولأن قضية الحرية ، في وجدان هذا الشعب ووعيه السياسي ، كانت كلا لا يتجزأ .

على كل حال ، ففي الفترة التي نحن بصدددها ، كان هناك عنصر جديد في الصراع بين الديموقراطية والأوتوقراطية في مصر ، هذا العنصر هو أن هذا الصراع كان قد أخذ يختلط ويتشابك تشابكا معقدا بالصراع العالمي بين الديموقراطيات والفاشيات . فمن ناحية فاروق، فانه لم يكن حاكما مطلقا فحسب ، بل كان متعاطفا مع المحور متربصا بالمعسكر الديموقراطي ، لأن النظام الفاشي كان يهيء له المناخ المناسب للحكم المطلق . وأما من ناحية الوفد، فقد كانت له مصلحة خاصة محققة في انتصار النظم الديموقراطية وحمايتها من خطر الفاشية العالمية ، لأن انتصار المحور كان معناه في الواقع انتهاء دوره تقريبا ، ففي وسط المناخ الفاشي المرتقب ، سوف تبرز تلقائيا الأحزاب الفاشية ، ويسود القصر ، ويختفي الدستور ، وتختفي معه القوى الديموقراطية . ولذلك فان مصلحة الوفد في هزيمة الفاشية كانت مصلحة وجود وحياة . وقد عبر النحاس باشا عن ذلك في وضوح للملك فاروق بعد شهر من توليه الحكم . فحين سخر فاروق من تأييد الانجليز للنحاس قائلا انهم « لن يبقوا دائما الى جانبه، فهم لم يساعدوه عام ١٩٣٧ ولم يساعدوا حسين سري، رد النحاس قائلا : انه « لا يعبا بما اذا كان البريطانيون قد ساعدوه أم لا . وانه ملتزم فقط وسيتمسك بالتزامه ، ومهمته بسيطة للغاية وهي الدفاع عن الديموقراطية ومساعدة الديموقراطية . واذا كان هناك من يعرف ماذا يعني ذلك فهو النحاس باشا (٣١٠) .

وهنا يبرز سؤال : من الذي كان يرشحه الانجليز لتنصيبه مكان فاروق عند عزله أو تنازله عن العرش ؟ فلقد اختلفت في ذلك الآراء بين الروايات الانجليزية والمصرية . فيذكر «بليكن» انه عرف ان عدة اجتماعات تمت في السفارة البريطانية قبل الحادث لبحث الموقف في حالة

رفض الملك • واستقر الرأي على ان يطلب اليه التنازل عن العرش ،
« وبطبيعة الحال فان ترتيباتنا كانت تتضمن ارغامه على التنازل اذا اقتضت
الضرورة ، وتنصيب الأمير محمد علي مكانه » (٣١١) • على أن التابعي
يروي عن فؤاد حمزة بك، الذي كان في أثناء الحرب العالمية وزيرا مفوضا
للمملكة السعودية العربية لدى حكومة فيشي وحكومة الاتحاد
السويسري في برن ، ثم لدى حكومة تركيا في أنقرة ، وقد تمكن في
هذه المناصب من معرفة الكثير من أسرار حادث ٤ فبراير - ان ترشيح
الأمير محمد علي للعرش « لم يكن محل تفكير في أي وقت، لأن الانجليز
كانوا يعرفون أنه غير محبوب، وليست له أقل شعبية في مصر » ، وان
الاتجاه عند الانجليز - كما علمه فؤاد حمزة بك بعد حادث ٤ فبراير من
مدير قلم المخابرات البريطانية في سويسرا - كان الى ترشيح الخديو
عباس ، الذي كان محبوبا وكانت له شعبية • كما يذكر أن اتصالات تمت
فعلا بين الانجليز والخديو عباس في استانبول حيث تحدث معه المستر
«مرتون» الصحفي الانجليزي المعروف ، وسلمه رسالة من الحكومة
البريطانية ، وأقام الخديو ينتظر الاشارة أو الخطوة الثانية ، ولكنه لم
يلبث أن عاد الى مقره في سويسرة عندما أحس بأن عيون الالمان في
استانبول ترقب حركاته (٣١٢) •

على أن الكتاب الانجليز يتحدثون عن الخديو عباس الثاني كموال
للألمان • فينول «كيرك» انه كان على فاروق أن يدرك في ذلك الحين،
أن دعاوى الخديو عباس في العرش المصري، وهو الذي كان في ذلك
الحين يتحرك بحرية بين دول اوروبا المحايدة ، ربما وجدت تأييدا في
حالة انتصار المحور (٣١٣) • وقد أورد «وليم شيرر» رسالة كان أغاخان
قد طلب ارسالها الى القاهر ، وقد وجدت بين وثائق وزارة الخارجية
الالمانية ، وهي تظهر ولاءه وولاء الخديو عباس لألمانيا وعطفهما على
المحور ، وفيها يقول آغاخان : « لقد اتفق خديو مصر الموجود معي هنا

على أنه في اللحظة التي يصل فيها الفوهرر الى قصر وندسور لقضاء ليلة فيه ، سنشرب معا زجاجة شمبانيا نخب هذا النصر .. الخ (٣١٤) . وعلى كل حال ، فقد حسمت المراسلات السرية بين لامبسون وحكومته هذا الخلاف ، حيث لم يرد سوى ذكر الأمير محمد علي ، الذي رشحه لامبسون لخلافة فاروق . على أن هذا الترشيح لقي اعتراض وكيل وزارة الخارجية البريطانية التي رأى أنه عجوز جدا ومعتل الصحة وليس له أولاد ، وكان من رأيه تعيين مجلس وصاية برئاسة الأمير محمد علي على نحو ما كان يجري التفكير فيه عام ١٩٣٥ ، وبذلك يتاح لشعور المصريين الفرصة ليعبر عن نفسه ، وقد يتضح أنه يفضل الغاء النظام الملكي أصلا . وقد وافق وزير الخارجية البريطانية على هذا الرأي وأرسل به برقية للامبسون يوم ٤ فبراير (٣١٤م) .

نتقل الآن الى مناقشة قضية هامة تتعلق بحادث ٤ فبراير ، هي : هل كان أحمد حسنين باشا والملك فاروق يعلمان مسبقا بحادث الدبابات ؟ وبالتالي فانهما لم يفاجأ بحدوثة بل كانا يتوقعانه وينتظرانه ؟ . ان صاحب هذا الاتهام هو علي ماهر باشا ، وقد ألقاه في أثناء شهادته في قضية الاغتيالات السياسية ، وأكد مرارا في أثناء الشهادة . وقد تطوع علي ماهر باشا بالقاء هذا الاتهام عند تعرضه لعودة أحمد حسنين باشا من السفارة البريطانية بعد أن سلم قرار الزعماء للسفير البريطاني ، فقال : « رجع ، وكنا منتظرين ، وأخطرنا أن السفير أخذ القرار وقال انه جاي الساعة التاسعة مساء لمقابلة جلالة الملك . فقلنا له ، أي لحسين باشا ، : « ما أثر ذلك في نفس السفير ؟ » فلم يقل شيئا . واتضح بعد ذلك أنه كان على علم بأن الدبابات ستحضر في الساعة التاسعة مساء .

المحكمة - كيف استنتجت رفعتك علم حسنين باشا بذلك ؟

فقال - أنا سمعتها وحصل مناقشات بعد ذلك أمام جلالة الملك !

ثم كرر علي ماهر باشا الاتهام في مناسبة اخرى فقال : انه عرف أن

حسنيين باشا كان على علم بأن القصر سيحاط بالدبابات . وقد علم علي ماهر بذلك من «رجل موثوق به ، ومن أقرب المقرين» . وأضاف أنه بعد أن افضى حسنيين باشا بما سيكون في الساعة التاسعة (حضور الدبابات) « حصلت مناقشة داخل السراي . وعلشان كده لما جم الساعة التاسعة بالدبابات كانوا متوقعين ذلك ، وحكمة جلالة الملك اقتضت أن تفوت هذه الزوبعة » .

وفي جلسة أخرى دارت المناقشة الهامة الآتية :

المحكمة : سبق أن ذكرتم اسم حسنيين باشا

ج : نعم !

المحكمة : ما هي المعلومات التي كانت لدى حسنيين باشا ولم يدل بها ؟

ج : يجوز أنه ليس من المصلحة أن أدلي بها، وانما اكتفي بأن أقول بأنه . . . كان عنده علم بما سيحصل في الساعة التاسعة ، أي أنه كان عند حسنيين باشا علم بهذا . وسألناه : « لما بلغت الاحتجاج الى السفير ، ماذا كان أثره عنده » ؟ فقال : « لم تحصل حاجة ! » . مع أنه كان لديه علم بما سيحصل في الساعة التاسعة ؟

المحكمة : معنى ذلك أنه كان لديه علم بمسألة الدبابات ؟

ج : نعم ، وهو قال ان السفير سيحضر الساعة التاسعة مساءً، ومش جاي يستأذن ، بل جاي يبلغ خبر .

المحكمة : ما هو مصدر علم حسنيين باشا بواقعة الدبابات بالذات ؟
ج : لا يمكن أن أدلي به، لأنه لازم أن أقول المصدر ، وهذا لا يمكنني ان أقوله !

المحكمة : انما الباشا يقطع بأن حسنيين باشا كان لديه علم بأن الدبابات ستحضر في الساعة ٩ ؟

ج : نعم ، وذلك بعد مقابلته مع السفير ، وتقديم الاحتجاج .
الأستاذ حماده الناحل : بصفتك كنت رئيس الديوان . فاذا وصلت
إليك معلومات ، هل تبلغها للجالس على العرش وحده ، أم
تبلغها للزعماء المجتمعين ؟

ج : فيه أشياء تبلغها ، وأشياء لأ .
المحكمة : هل تعتقد أن حسنين باشا أبلغ جلالة الملك هذا العلم ؟
ج : اعتقد أنه أبلغه .

الأستاذ حماده الناحل : هل من المحتمل أن يكون حبس حسنين
باشا ما وصل إليه من معلومات عن الزعماء هو رغبة جلالة
الملك ؟

واعترضت المحكمة على هذا السؤال ، فألقاه بشكل آخر :
: هل من المحتمل أن يكون حبس حسنين باشا لما وصل إليه
من معلومات لكي يترك للزعماء حرية التفكير ؟
ج : هذه المسألة حدثت بعد عمل الاحتجاج ، فكان رأينا قد انتهى .
س : هل يفرق رفعة الباشا بين «العلم» و «التدبير» ؟
ج : مجرد علم وصل إليه ، بعيد عن كل تدبير .

وأجاب عن سؤال آخر للأستاذ علي أيوب ، بأنه لا يستطيع أن يقطع
بما إذا كان حسنين باشا قد أبلغ ما لديه من معلومات عن حضور السفير
بالدبابات إلى الملك ، بعد انصراف الزعماء أو في أثناء وجودهم (٣١٥) .
هذه الرواية الخطيرة التي أدلى بها علي ماهر باشا في شهادته
في قضية مقتل أمين عثمان باشا ، وقد نشرت على الرأي العام على أوسع
نطاق في الصحف ، وأثارت هجوما شديدا عليه من جانب أصدقاء أحمد
حسين باشا في جريدة اخبار اليوم . ويبرز منها أمران : الأول ، أن
حسين باشا كان يعلم بمسألة الدبابات من مصادر انجليزية ، بعد مقابلته
للسفير وتقديم الاحتجاج . ثانيا ، أن فاروق كان على علم بمسألة الدبابات

قبل وصولها الى قصر عابدين ، وان مناقشة قد دارت داخل القصر حول هذا الموضوع، واتفق على ترك الأمور تسير الى نهاية مجراها .
ولمناقشة هذه المسألة نطرح الملاحظات الآتية :

أولاً - اذا قيل ان أحمد حسنين باشا ، عندما أدلى علي ماهر باشا بشهادته ، كان ميتا لا يستطيع الدفاع عن نفسه ، فان رواية علي ماهر باشا قد تناولت فاروق أيضا ! وكان فاروق في ذلك الحين حيا يرزق، وصاحب أكبر سلطة في البلاد ، وكان من الممكن أن يصدر تكذيب لذلك على لسان متحدث باسم القصر، ولكن هذا التكذيب لم يصدر .

ثانياً - اننا لا نعرف سببا واحدا يدعو علي ماهر باشا الى اختلاق هذه الرواية على الملك فاروق ، في حياته وبأسه ، حتى وان كنا نعرف ما يدعوه الى الاختلاق على أحمد حسنين باشا !

ثالثاً - ان علي ماهر باشا كان في وضع يسمح له ، بواسطة أصدقائه في القصر ، وعلى رأسهم عبد الوهاب طلعت باشا ، أن يعرف ما دار في القصر ، بعد انقضاء اجتماع الزعماء الذي رفضوا فيه الانذار البريطاني .
والسؤال الذي يثور الآن هو : لماذا ترك فاروق الأمور تتفاقم وتصل الى حد اقتحام القصر بالدبابات البريطانية ، مع أنه كان في نيته الاستسلام ؟ ، ولماذا لم يعالج الأمر باخطار السفير بالقبول قبل حضور الدبابات وتهديد عرشه ؟

في الواقع ، لقد كان من مصلحة فاروق، في ظروف الهجوم الألماني، وتوقع غزو مصر، أن يبدو ضحية اعتداء جسيم من جانب الانجليز ، حتى يشفع له هذا الاعتداء أمام الغزاة اذا نجحوا في اختراق الدلتا والوصول الى القاهرة .

ثانياً - أنه كان من مصلحة فاروق في صراعه مع الوفد، على المدى الطويل، أن يعتلي الوفد الحكم على أسنة الرماح البريطانية ، حتى يستغل ذلك في تحطيم سمعته النضالية التي قامت أساسا على مقاومة

الانجليز ومعارضتهم • وهذا ما حدث فعلا، واستغل القصر حادث
الدبابات أسوأ استغلال ضد الوفد •

ويبقى هذا السؤال الذي قد يبدو غريبا : لماذا قام الانجليز بحادث
٤ فبراير ؟ • وبعبارة اخرى : « هل ساق الانجليز دباباتهم الى ساحة
عابدين يوم ٤ فبراير ليلا لفرض حكومة وفدية برياسة النحاس باشا تنفيذا
للانذار البريطاني ، كما هو الشائع والمعروف الى الآن ؟ » • والجواب هو
النفى • لقد دفع الانجليز بدباباتهم الى ساحة عابدين لخلع فاروق وليس
لفرض النحاس باشا • واذا كان الحادث قد انتهى الى تأليف وزارة وفدية
برئاسة النحاس باشا ، فقد احتاج هذا من لامبسون لأن يقدم مبرراته الى
حكومته • وهذا ما كشفتته المراسلات السرية بين لامبسون ووزارة
الخارجية البريطانية • وفي الحقيقة أن لامبسون كان قد فقد الأمل في
ان يقبل فاروق استدعاء النحاس باشا لتشكيل الوزارة بعد ان وصل اليه
قرار الزعماء في عابدين، والذي بنى عليه فاروق رفضه للانذار البريطاني •
فقد سبق ذلك كما رأينا امتناع فاروق عن الاستجابة لطلب لامبسون حين
قدمه لحسين باشا في اليوم السابق، وبذلك توضح تصميم فاروق على
المقاومة • لهذا حين تسلم لامبسون قرار الزعماء وفاروق من حسين
باشا ، قرر على الفور هو ووزير الدولة البريطاني الاستمرار في الاجراءات
وأن يطلب الاجتماع بفاروق في الساعة التاسعة كما كان مقررا من قبل
ليطلب اليه التنازل عن العرش (٣١٥م) •

يتضح من ذلك أن فكرة ارغام فاروق على استدعاء النحاس باشا
كان قد فات أوانها • فقد كانت نهاية حدود هذا الارغام هو الانذار
الانجليزي الذي رفضه الزعماء ورفضه فاروق • وليس معنى ذلك أن
لامبسون كان قد تخلى عن فكرة تأليف النحاس باشا وزارة وفدية، ولكن
الخطوة الجديدة كانت أن يؤلف النحاس هذه الوزارة بعد خلع فاروق •
لذلك حين قرر لامبسون ووزير الدولة الاستمرار في الاجراءات وخلع

فاروق ، سأل أمين عثمان عما اذا كان النحاس سوف يقبل تأليف الوزارة بعد عزل الملك، وقد اقسم أمين عثمان « بجميع الآلهة » - حسبما يروي لامبسون - على أن النحاس سوف يقبل (٣١٦) .

وفي الحقيقة ان الاتصالات كانت قد جرت بين لامبسون والنحاس باشا منذ يوم ٣ فبراير - أي في اليوم السابق - وقد رأينا طرفا منها . وكان وزير الخارجية البريطانية هو الذي طلب اقامة هذه الاتصالات عندما أبلغه لامبسون بأن سري باشا سوف يقدم استقالته وأنه (لامبسون) سوف يجتمع بالملك ويطلب اليه أن يستدعي النحاس . فقد طلب وزير الخارجية البريطانية من لامبسون أن يحصل من النحاس على موافقته على عدم اثارة موضوع اعادة النظر في المعاهدة أثناء الحرب، وعلى التخلص من العناصر المعادية في القصر ، وذلك كشرط للتدخل البريطاني لفرض حكومة وفدية على فاروق (٣١٦ م) . على أن مظاهرات يوم ٢ فبراير ضغطت على حسين سري لتقديم استقالته ظهر ذلك اليوم من قبل أن تصل برقية لندن، وبالتالي فقد نشأ موقف جديد لم يكن يسمح بفرض شروط مسبقة على النحاس ، اذ كان البديل الوحيد لوزارة يرأسها النحاس (سواء وفدية أو قومية) هو تأليف وزارة برياسة علي ماهر أو أحد أصدقائه كما كان واضحا . على أن لامبسون انتهز فرصة مقابله لأمين عثمان في اليوم التالي ٣ فبراير ، فعرض عليه النقاط التي طلب وزير الخارجية البريطانية اجراء الاتصالات مع النحاس بشأنها ، ولكنه لم يكلفه بتبليغها الى النحاس كشروط ، فحين كتب الى وزير الخارجية بهذه الرواية عقب عليها بقوله : «واذا تولى النحاس الحكم فعند ذلك سوف أعرضها عليه مباشرة» (٣١٧) . وقد رفض النحاس بعد ذلك طلب لامبسون بتأليف وزارة قومية ، كما رفض طلب فاروق اليه بتأليف هذه الوزارة في نفس اليوم، ولم يكن ثمة وقت للامبسون ليفعل شيئا الا أن يساند النحاس في تأليف وزارة وفدية، فيطلب الى حسنين باشا في نفس اليوم ابلاغ فاروق بضرورة استدعاء

النحاس ليعهد اليه بتأليف هذه الوزارة ، ثم يقدم انذاره في اليوم التالي - كل ذلك دون شروط على النحاس .

على أن فاروق رفض الانذار كما رأينا ، كما رفضه الزعماء ، واستقر رأي لامبسون على خلع فاروق أو اجباره على التنازل، وتطوع أمين عثمان فأكد أن النحاس سوف يقبل تأليف الوزارة في هذه الحالة (دون أن يجري اي اتصال به في هذا الشأن) . وعلى هذا الأساس ساق لامبسون الدبابات البريطانية الى قصر عابدين لاسقاط فاروق عن عرشه، لا لفرض النحاس عليه . وهذا ما جعل وكيل وزارة الخارجية البريطانية ينبه الى هذه الحقيقة في مذكرة الى وزير الخارجية فيقول :

« على ان لدي تنبيها خطيرا أود أن أقدمه ، واعتقد أنه ربما يغطي نقطة سوف تكلفنا كثيرا في المستقبل ، وهو أنه لم يحدث في أي وقت خلال الأزمة ، سواء فيما يتعلق بتعيين الوزارة الجديدة أو خلع الملك المحتمل ، أن السير لامبسون قد دخل في اتصال شخصي مع النحاس . والنتيجة المترتبة على ذلك هي أنه لن يكون متاحا للنحاس فقط أن ينكر علانية (وهو سوف يفعل ذلك بكل تأكيد) أنه مدين لتأييدنا بأي شيء، أو أنه ملتزم نحونا بأي التزام، وانما نحن في الحقيقة لا نملك شيئا نشهره في وجهه عندما تقع الأزمة المقبلة » (٣١٧م) .

على كل حال، فقد جرت المقابلة بين لامبسون وفاروق على نحو يؤكد ما ذكرناه من أن الغرض لم يكن فرض النحاس وانما اسقاط الملك عن العرش . وكان مع لامبسون أثناء المقابلة الجنرال ستون بينما كان حسنين باشا مع الملك فاروق . فلم يفتح لامبسون فاروق في أمر استدعاء النحاس اطلاقا ، وانما ذكر أنه اعتبر الرسالة التي تسلمها من حسنين باشا، والتي تحوي قرار الزعماء باعتبار الانذار البريطاني « مساسا خطيرا بالمعاهدة المصرية البريطانية واعتداء على استقلال البلاد » ، والتي بنى عليه فاروق عدم موافقته على الانذار - جوابا بالنفي . ثم قدم اليه

خطاب التنازل عن العرش طالبا توقيعه والا فان لديه « أشياء أخرى غير سارة » سوف يواجهها بها في حالة الرفض . وقد فوجيء فاروق ، الذي كان يتوقع أن يخيره لامبسون بين الاستجابة للانذار أو التنازل عن العرش ، بهذا الموقف ، وكاد - حسبما اعتقد لامبسون - يوقع ، لولا أن حسنين سارع بالتدخل باللغة العربية ، فتطلع فاروق الى لامبسون وسأله عما اذا كان سيمنحه فرصة أخرى ؟ وقد سأله لامبسون عن مقترحاته ، فأجاب بأنه سوف يستدعي النحاس فورا ليعهد اليه ، وفي حضوره اذا أراد ، بتشكيل الوزارة . ويقول لامبسون ان الاغراء على أن يصر على تنازل الملك عن العرش كان حادا ، خاصة وقد كان يعتقد أن بإمكانه الحصول عليه منه ، ولكن طريق الحكمة كان يقتضي - وهو يعترف بذلك على مضض - السماح لفاروق بأن يستدعي النحاس . لذلك فقد أظهر بعض التردد متعمدا ، ثم قال انه مستعد لأن يمنحه فرصة واحدة أخرى رغبة منه في تجنب تعقيدات يحتمل حدوثها في البلاد ، ولكن على أن ينفذ ذلك فورا » (٣١٨) .

وفي الواقع أن احتمال استسلام فاروق في آخر لحظة قد نوقش في السفارة البريطانية قبل عملية الدبابات . وكان الاتجاه هو أنه لن يكون من العدل أن يفقد فاروق عرشه لتأخره ثلاث ساعات عن قبول الانذار البريطاني (٣١٨ م) . وهذا يفسر لماذا وافق لامبسون على منح فاروق فرصة أخرى .

على كل حال ، فيتضح من ذلك أن اقتراح استدعاء النحاس واسناد رئاسة الوزارة اليه قد صدر عن فاروق وليس عن لامبسون . ولذلك فحين أخذ أحمد ماهر وأصدقاء القصر يروجون أن النحاس قد قبل الحكم على أسنة الحراب الانجليزية ، واجه لامبسون حسنين باشا بذلك وكان مما قاله له : « انه (حسنين) يعرف تماما ان هذا تشويه للحقائق لأنه كان

حاضرا المقابلة وان الحراب الانجليزية كانت موجودة لغرض آخر
تماما « (٣١٩) •

على كل حال ، فعلى هذا النحو يكون فاروق قد ابتلع عبارته
الحماسية التي أطلقها امام الزعماء قبل ساعات عن التضحية بشخصه وبكل
شيء ! وكانت الخطوة التالية أن يكلف النحاس باشا بأن يؤلف الوزارة،
وهي مهمة ليست يسيرة، لان النحاس كان قد وقع على قرار الزعماء برفض
الانذار ! ويصف علي ماهر باشا ما حدث فيقول : « كان كلام الملك بصوت
آخر غير صوت الصباح ، أي لا يحتمل المناقشة ، انما كان صوت الأمر
أن ننسى ما حصل كله ، وأنا موش عاوز مناقشات ، وأنا أكلف النحاس
باشا بتأليف الوزارة كما يشاء ويخرج من هنا يبلغ السفارة بأني كلفته
بذلك » (٣١٩م) • ويصف النحاس ما حدث ايضا فيقول : « دخل علينا
الملك وخاطبنا : اعتبروا كل ما حصل في اجتماعكم السابق كأن لم يكن،
وانكم لم تتخذوا أي قرار • ثم اتجه الي وكلفني بتشكيل الوزارة •
فأجبتة بأننا قد اتفقنا على الامتناع عن تأليف الوزارة ، ولا يمكن أن
اخرج على هذا الاتفاق • فقال جلالتة : ان الامر أمري وليس لأحد شأن
معي ، وانني أدعوك لتأليف الوزارة • فكبرت الاعتذار والتمسك
بالاتفاق • فألح جلالتة علي » • فقلت : انني لا أعرف ما جد من الظروف،
وأرجو أن أقف عليها لأستطيع وزن الأمور • فقال جلالتة : لم يحصل
شيء وأنا صاحب الأمر وأكلفك بتشكيل الوزارة من بادىء رأبي وأنا
الذي اخترتك بنفسني • فلما أصرت على الاعتذار، تفضل جلالتة وقال :
انك الوطني الوحيد ، وان قبولك الحكم تضحية منك تضيفها إلى
تضحياتك السابقة التي يعرفها الجميع • وهنا صاح أحمد ماهر باشا
بعبارته التي يتشدقون بها، وهي : ان قبلت الحكم فاني أقبله على رماح
الانجليز • فأسكتة الملك، ورددت عليه بكل شدة واتتهرتة ، وقلت له :
انكم انتم الذين تتولون الحكم رغم ارادة الأمة وعلى أسنة الرماح، واني

ان قبلت الحكم فبأمر جلالة الملك لأتخذ البلاد مما أوقعتموها فيه من أخطار . ثم أراد صدقي باشا أن يتكلم ، فأسكته جلالة الملك أيضا ، وتفضل جلالته مناشدا وطنيتي قائلا انها تضحية منك لخدمة الوطن » .

وقد استشهد النحاس باشا على واقعة الحاح الملك عليه ليقبل تأليف الوزارة بوثيقة رسمية هي الكتاب الذي رفعه الى الملك في مساء اليوم التالي ، والذي حرص فيه على أن يسجل أن فاروق أعرب « بلسانه الكريم ، المرة بعد المرة ، والكرة بعد الكرة ، عن ثقتكم في وطنية هذا الضعيف ، وانكاره لذاته ، مؤكداً أن هاتين الصفتين الكريمتين اللتين شاء فضلكن أن تسندوهما الي تقضيان علي أن أتقدم لانقاذ الموقف وأتحمل مسئولية تطورات علم الله أن لم يكن لي يد فيها . . الخ » (٣٢٠) .

ولقد كان قبول فاروق الانذار البريطاني ، وتكليفه النحاس باشا بتأليف الوزارة ، رغم النصيحة الرسمية التي رفعها الزعماء اليه وسجلوا فيها أنه « لا يسع جلالة الملك أن يقبل ما من شأنه أن يخل بالمعاهدة أو باستقلال البلاد » ، هو دفاع الوفد القوي الذي كان يفهم به خصومه ويفهم القصر عند اتهامه بأنه تولى الحكم على أسنة رماح الانجليز . فقد كتب الدكتور عزيز فهمي في سخرية مستترة يقول : « ان صاحب الجلالة المصرية كان في استطاعته ، لو شاء ، أن يرفض الانذار البريطاني وأن يعفي رفعة النحاس باشا من تشكيل الوزارة . ولو شاء صاحب الجلالة المصرية ان يرفض الانذار البريطاني ، لالتف المصريون حول عرشه المفدى ، يتقدمهم صاحب المقام الرفيع زعيمهم ، واعضاء الوفد ووكلاؤهم الامناء ، حتى تعتذر الحليفة ، أو تسيل آخر قطرة في دماء المصريين حول جنابات العرش المفدى !! » (٣٢٠) . وكان الدكتور عزيز فهمي يقصد بذلك ان يقول : انه لو لم يقبل فاروق الانذار البريطاني لما تألفت وزارة ، فبراير ١٩٤٢ .

• • •

٣ - الحكم الدستوري

مصر في مفترق الطرق

(أ) الوفد في الحكم

في ٦ فبراير سنة ١٩٤٢ تألفت وزارة ٤ فبراير المشهورة • وقد شاء النحاس باشا في جواب تأليف الوزارة الا أن يبرز نقطتين هامتين : الأولى، أن تأليفه الوزارة انما كان «لانتقاذ الموقف» ، و «لانتقاذ البلد» من نتائج تطورات جلبتها عليها أعمال خصوم الوفد ثانيا، معالجة آثار الانذار البريطاني : فقد بين النحاس باشا أن خطورة الموقف قد دفعته الى عدم الاكتفاء بمعالجته بكلمات أو صيحات أو وعود ، وانما يجب لوضع الأمور في نصابها أن يصدر تصريح من الجانبين المصري والبريطاني « يحفظ للوطن استقلاله وحقوقه، وتقطع لنا الحليفة عهدا رسميا يمحو ما عكر، أو ما من شأنه أن يعكر صفو الجو بين الحليفتين » ، وبناء على ذلك، فقد بين أنه اجتمع بالسفير البريطاني واتفق معه على تبادل كتابين (أثبت نصيهما) ، وفي الكتاب الأول أخطر السفير بأنه كلف بمهمة تأليف الوزارة من الملك بما له من الحقوق الدستورية، (وأن الأساس الذي قبلت عليه هذه المهمة هو أنه لا المعاهدة البريطانية المصرية ، ولا مركز مصر كدولة مستقلة ذات سيادة يسمحان للحليفة بالتدخل في شؤون مصر الداخلية ، وبخاصة في تأليف الوزارات أو تغييرها ! » • وفي الكتاب الثاني رد السفير بأنه يؤيد « وجهة النظر التي عبر عنها خطاب رفعتكم المرسل منكم بتاريخ اليوم • وأؤكد لرفعتكم أن سياسة الحكومة البريطانية قائمة على تحقيق التعاون باخلاص مع حكومة مصر كدولة مستقلة وحليفة في تنفيذ

المعاهدة البريطانية المصرية ، من غير أي تدخل منها في شئون مصر الداخلية ولا في تأليف الحكومات أو تغييرها » . أما النقطة الأخيرة والهامة التي ضمنها النحاس باشا جواب تأليف الوزارة، فهي أنه «سيكون في طليعة ما تعنى به الوزارة ، اثر صدور الأمر الكريم بتأليفها، أن تعرض على جلالتك مشروع مرسوم بحل مجلس النواب الحاضر ، لكي يكون للأمة ممثلة في ناخبها ، الكلمة الفاصلة في تقرير مصيرها وتدير أمورها في هذه الظروف الخطيرة التي تجتازها البلاد . وسيحدد للانتخابات العامة أقرب أجل ممكن في حدود الدستور ، بحيث لا يتجاوز الشهرين المقررين في نصوصه » (٣٢١) .

ومنذ اليوم التالي لاسناد رئاسة الوزارة الى النحاس باشا ، نشط معسكر القصر وأحزاب الاقلية لمهاجمة الوفد . فقد صدرت المنشورات التي وزعت على الجماهير بأن النحاس باشا جاء على أسنة رماح الانجليز . وانطلق بعض الانصار والمؤيدين يهتفون ضد الانجليز (٣٢٢) . على أن ذلك لم يحدث أي تأثير ايجابي بين الجماهير التي استقبلت عودة الوفد الى الحكم وانقضاء عهد الانقلاب بالفرحة العارمة والترحاب البالغ . وفي تلك الأثناء ظهر اتجاهان داخل الوفد بازاء زعماء الانقلاب والقصر : اتجاه متشدد يطالب بالانتقام ، و « الضرب بعصا من حديد » ، واتجاه مهادن يدعو الى التسامح . وكان على رأس الاتجاه الأول محمود أبو الفتح الذي طالب في صراحة بأن « تكون الحوادث التي وقعت منذ يناير ١٩٣٨ موضع بحث وتحقيق ، لأن الجرائم التي ارتكبت اذا تركت بدون حساب ، وترك مرتكبوها بدون عقاب ، ما تيسر أن يطمئن أحد الى توطيد أركان الحكم النيابي الصحيح » . « ولذلك يجب أن يعرف الوزير والمدير والمأمور أن النظام النيابي مقدس لا تمتد اليه يد دون أن تضرب بعصا من حديد » . ثم قال : ان دعوة الحكومة الى إجراء انتخابات حرة لبرلمان يمثل الأمة تمثيلا صحيحا لا تكفي ، « لأن التجربة

دلت على أن قيام مثل هذا البرلمان لا يكفي إذا لم يحظ بسياس من الضمانات ، وإذا لم تسبقه وتلحقه سلسلة اجراءات لتطهير الأداة الحكومية من الأوشاب والأوصاب التي لحقتها بها حكومات الانقلاب « (٣٢٣) .

على ان هذه الدعوة الصائبة لم تلق تأييدا من النحاس باشا الذي نسي سريعا دروس عام ١٩٣٧ ، وبدلا من ان يبدأ من حيث انتهى الموقف عند اقالته ، منتهزا الظروف المهيأة لتدعيم الحياة الدستورية عن طريق اصدار التشريعات اللازمة ، مثل قانون محاكمة الوزراء ، وتحديد حقوق الأمة وحقوق العرش تحديدا واضحا حاسما ، وازالة عيوب الدستور في المواضع التي تضع في يد الملك سيفه المصلت على عنق الوفد، وهو حق الاقالة ، وغيره من المواضع - فان النحاس باشا اتجه اتجاها غريبا الى محاولة كسب ود الملك وازالة ما يساوره من شكوك من ناحية اخلاص الوفد له، وانتهاز فرصة عيد ميلاد الملك في ١١ فبراير لحشد أنصاره في مظاهرات ولاء كبيرة تمتلئ بها الشوارع وساحة عابدين !

وقد جرت محاولة من النحاس باشا للتفاهم مع أحزاب الأقلية حول الانتخابات . فقد عرض عليها ربع مقاعد مجلس النواب، أي ٦٦ مقعدا (٣٢٤) ، ولكنها أصرت على أن يترك لها الثلث . وكان غرض النحاس باشا من الاحتفاظ بثلاثة أرباع المقاعد أن يضمن كل الأغليات المقررة في الدستور ، وخصوصا أغلبية الثلاثة الأرباع التي فرضها الدستور لاسقاط عضوية أي نائب بأية حجة تراها هذه الأغلبية . وكان غرض أحزاب الأقلية حرمان الوفد من هذه الأغليات !

وعندما أحس الأحرار الدستوريون بشبح الهزيمة المنكرة في الانتخابات قرروا مطالبة الحكومة بأن ترفع الأحكام العرفية أثناء المعركة الانتخابية ، فان لم تستجب يقاطعون الانتخابات . ومن الطريف أنهم وضعوا من الشروط ما يحمل الحكومة على الرفض . فيذكر الدكتور هيكل أن لجنة من ابراهيم دسوقي أباطة باشا وأحمد عبد الغفار باشا قد

ذهبت الى النحاس باشا، وتباحثت معه في هذه المسألة ، وطلبت أن تكون
المعركة حرة تعقد أثناءها الاجتماعات وتلقى خلالها الخطب أيا كانت !
« وضرب الرجلان مثلا أن يشرح من شاء ما حدث يوم ٤ فبراير، وكيف
تألفت الوزارة بعد احاطة قصر عابدين بالدبابات » ! ولما كان المقصود من
ذلك الباس الملك ثوب البطولة واظهاره في مظهر الرجل الوطني الذي
يعامر بعرشه دفاعا عن حقوق البلاد ، فقد رفض النحاس باشا ما طلب
الرجلان « في حماسة ودون تردد » - على حد قول الدكتور هيكل -
وأفهمهما أنه لن يسمح بشيء من ذلك (٣٢٥) *

أما الدكتور أحمد ماهر، فقد وجه كتابا هجوميا الى النحاس باشا
طالبه فيه برفع الأحكام العرفية في كل ما له علاقة بتوجيه الرأي العام في
الانتخابات وفي اجرائها ، مستندا في ذلك « الى ما كان من اعتراض الوفد
الشديد واحتجازه الدائم على آثار الحكم العرفي ورقابة الصحف خاصة
في حرية الرأي » . وقد أثار هذا الاستناد النحاس باشا اثارة شديدة .
فرد قائلا انها « مقارنة واضحة البطلان تناسيتم فيها أنني كنت أنكر باسم
الأمة مجلس نوابكم الذي أهدرت فيه مشيئتها وزيفت بالوسائل المعروفة
ارادتها تزييفا .. وكانت الأحكام العرفية والرقابة الصحفية تتخذان ذريعة
لتدعيم الانقلاب وتوطيده » . واتهم الدكتور ماهر بالتحريض على الاخلال
بالنظام وتعكير الأمن العام فيما يوزعه من النشرات وما يعقده من
الاجتماعات ، « ثم تجيئون الآن تطلبون وقف الأحكام العرفية والرقابة
الصحفية لتهدئ لكم الحكومة بأيديها جوا تفرخ فيه الدسيسة » ! ثم
قال : « لو كان الأمر على أشخاصنا لما رحبنا بشيء قدر ترحيبنا بأن
نخوض المعركة الانتخابية مع من يشاء منكم في الميدان والظروف
وبالأسلحة التي تختارون، لننظر أينما أعز قبيلنا وأصح للأمة تمثيلا . ولكن
الأمر يدور على سلامة الدولة ومستقبل الوطن، وهما حرم مقدس لا
يستطيع وطني أن يسمح بتعريضهما للأخطار وأهواء اللاعبين بالنار » (٣٢٦) *

وهذا الرفض من جانب النحاس باشا لرفع الأحكام العرفية ، مع سابق اعتراضه واحتجابه الدائم عليها أثناء وجوده في المعارضة ، يثير هذا السؤال وهو : الى أي حد كان الوفد يتمسك بسياسته التي يعلنها أثناء المعارضة ، عندما ينتقل الى دست الحكم ؟ وما هو مقدار الجدية أو المناورة في هذه السياسة ؟ • ونعني بهذا القول مذكرة الوفد المشهورة في أول ابريل سنة ١٩٤٠ ، التي طالب فيها الى جانب تنازل الحكومة البريطانية عن الأحكام العرفية ، أن تصرح أيضا من الآن « انه عندما تضع الحرب العالمية أوزارها ويتم عقد الصلح بين الأمم المتحاربة ، ستسحب من الأراضي المصرية القوات البريطانية جميعها » • وقد رد النحاس باشا على هذه النقطة في مجلس النواب عندما أثارها خصومه بقوله : « انكم لتعلمون أن الوفد ، وقد كان بعيدا عن مراكز المسؤولية سواء في الحكم أو في البرلمان ، ما كان له الا أن يطالب الحكومات التي تولت الحكم في تلك الظروف بما طالب به ، لأنه بعيد عن الاتصال بالحليفة او بالحكومة • أما الآن وهو في مركز المسؤولية ، فانه يعمل لهذه الغاية في ظروف تسمح له أن يقدر مبلغ حسن نية الحليفة وعظيم استعدادها • والحكومة البريطانية تعلم مقدار تمسك الوفد بمطالبه ، والبلاد تعلم مبلغ حرصنا في حمل أمانها » (٣٢٧) • ومعنى هذا الكلام أن الوفد يفرق بين واجبه في المعارضة ، « وما كان له الا أن يطالب الحكومات التي تولت الحكم في تلك الظروف بما طالب به » ، وواجبه في مركز المسؤولية ، وهو العمل لهذه الغاية في اطار الظروف التي يقدرها •

فهل كانت الظروف التي تولت فيها الحكومة الوفدية الحكم تحتم عليها التمسك ببقاء الأحكام العرفية ؟ لقد وقع الخلاف حول هذه النقطة ، ليس فقط بين الحكومة والمعارضة ، بل وفي داخل المعارضة نفسها • فمن ناحية الحكومة ، فقد قرر النحاس باشا أنه « اذا كانت الأحكام العرفية قد أعلنت في وقت جاء اعلانها فيه محل بحث أو تردد ، فلا شك أن الحوادث

التي جدت بعد ذلك، وان موقفنا الحاضر يبرر قيامها « (٣٢٨) • وكان النحاس باشا يشير بعبارته « الحوادث التي جدت بعد ذلك » الى النشاط الموالي للمحور ومظاهرات « الى الأمام يا روميل » بصفة خاصة وما ترتب عليها من آثار • ومعنى ذلك أن احتفاظ النحاس باشا بالأحكام العرفية كان جزءا من الظروف التي أدت الى حادث ٤ فبراير •

على أن مصطفى الشوربجي بك كان يرى أن الظروف التي تولت فيها الوزارة الوفدية الحكم هي أحسن كثيرا من ظروف جميع الوزارات السابقة • • فمن الوجهة الخارجية تحسن الموقف كثيرا ، اذ دخلت أمريكا الحرب بمواردها الكبيرة ، كما استعدت روسيا استعدادا كبيرا ، واستولت انجلترا على الحبشة وارتريا وغيرها • وفي ليبيا بعد أن كانت الجيوش في السلوم وبرقة أصبحت في بنغازي • كما أن بعض المسائل التي وزدت في المحالفة وكانت محل أخذ ورد أخيرا ، استتبت أمورها واستقرت « (٣٢٩) • على أنه يلاحظ أن السعديين والأحرار الدستوريين كانوا يعترفون أنفسهم بأن الظروف التي تخوضها البلاد تبرر بقاء الأحكام العرفية! بدليل أنهم حين وجهوا مطالبهم الى النحاس باشا بشأن الانتخابات لم يطالبوا بإلغاء الأحكام العرفية ، وانما « برفعها في كل ما له علاقة بتوجيه الرأي في الانتخابات وفي اجرائها » •

ومع ذلك ، فإن الحكم الصحيح على هذه المسألة يكون بملاحظة الآتي : أولا، أن الوفد لم يكن بحاجة الى الأحكام العرفية لفرض حكمه أو تثبيت نظامه • لأن الأغلبية الساحقة التي حصل عليها في الانتخابات (٨٩ في المائة في مجلس النواب ، و٤٥ في المائة في مجلس الشيوخ) كانت تتيح له من حرية التصرف ما كان يصفه خصومه بأنه « دكتاتورية برلمانية » • وقد أشار النحاس باشا الى هذه النقطة في مجلس الشيوخ فقال : « اذا كانت هذه الأحكام قد استخدمت في يد بعض الوزارات السابقة أداة لتثبيت نظام أو ترسيخ أقدام أو دعم حكومة، فإني بحمد

الله في غنى عن ذلك بما اجتمع لدي من ثقة الشعب وتأيد البرلمان» (٣٣٠) .
ثانياً ، أن الحياة الديمقراطية في عهد حكومة الوفد لم تتأثر بوجود
الأحكام العرفية ، الا بمقدار ما كان يهدد هذه الحياة نفسها من جانب
خصوم الديمقراطية والارادة الشعبية من أخطار . ولتوضيح هذا
القول نضرب مثلين متناقضين : الأول، الافراج عن عزيز المصري باشا
وزمليه الضابطين الطيارين ، وسلسلة الافراجات التي تمت في عهد الوفد .
والمثل الثاني، اعتقال علي ماهر باشا يوم ٨ ابريل ١٩٤٢ ، « لاعتبارات
تتعلق بسلامة الدولة وأمنها » .

وبالنسبة للمثل الأول، فقد بدأ النحاس باشا عهده بالافراج عن
عزيز المصري باشا وحسين ذو الفقار صبري وعبد المنعم عبد الرؤوف في
يوم ٥ مارس ، أي بعد شهر واحد من توليه الحكم . ولم يكتف بذلك بل
أمر بشطب القضية ، أي الغاء المحاكمة التي كانت قد جرت أمام مجلس
عسكري وتأجلت ثلاث جلسات (٣٣١) . وقد لقي هذا الاجراء نقداً
خفيفاً من السعديين في مجلس الشيوخ، فقال محمد خطاب بك : « لما
قبض على عزيز المصري باشا ورفيقه ، كانت الطائفة التي تقلهم قد وقعت
في مكان خارج القاهرة على الرغم منهم !، واختفى ثلاثتهم، وقبض عليهم
في مكان اختفائهم . ونحن جميعاً نشكر النحاس باشا على افراجه عن
المصري باشا ورفيقه ، ولكننا أمام إحدى حالتين : فلما أن يكون دولة
حسين سري باشا ، وهو لا يقل نزاهة عن رفعة النحاس باشا مخطئاً، أو أن
يكون النحاس باشا هو المخطيء ! » (٣٣٢) .

كذلك فقد أطلق النحاس باشا سراح محمد علي الطاهر المجاهد
الفلسطيني وصاحب جريدة الشورى ، الذي لجأ اليه في ٧ مارس ١٩٤٢ .
وكان قد قبض عليه في عهد حسن صبري باشا بطلب من الانجليز ، ثم
هرب من المعتقل وظل مختفياً حتى سلم نفسه للنحاس باشا . وكان هذا
الافراج دون الرجوع للانجليز، فيذكر محمد علي الطاهر انه سمع النحاس

باشا يقول لأمين عثمان باشا : « قل للانجليز انني اطلقت الطاهر فعلا ، وسيخرج من عندك حرا . » وان اعترض الانجليز على ذلك فقل لهم ألا يفتحوا لي هذه السيرة ، فأنا قد أطلقته وانهى الأمر » (٣٣٣) . وسرى أن هذه اللفتة «العربية» ليست غريبة الصلة عن المحاولات التي سيبدلها بعد عام واحد لتكوين وحدة عربية .

وكان قد آل الى حكومة الوفد عن الحكومة السابقة ٢٨ معتقلا، فتولى النحاس باشا بحث حالاتهم وأفرج عن خمسة منهم وبقي في الاعتقال ثلاثة وعشرون ، منهم خمسة عشر مصرية وثمانية من المتصرين (٣٣٤) . وفي عهد وزارة الوفد أفرج عن جميع أعضاء حزب مصر الفتاة تباعا، وكان آخرهم محمد صبيح سكرتير عام الحزب، وأحمد حسين الذي أقام فترة اعتقاله في منزل أحد الضباط ونقلت اليه أسرته لتخفيف الاجراء (٣٣٥) .

ومع ذلك فان النحاس باشا لم يستطع أن يتحمل ممارسة علي ماهر باشا نشاطه السياسي مستندا الى حماية القصر . ولذلك فلما تحدى التنبيهات التي وجهها اليه النحاس باشا بالكف عن أي نشاط والبقاء في عزبته لا يرحها ، ثم تمكن علي باشا من الهرب الى القاهرة والتجأ الى مجلس الشيوخ، لم يتردد النحاس باشا في اعتقاله . وقد برر هذا الاعتقال أمام البرلمان في بيان طويل أشار فيه بوضوح الى ما سبق توليه رئاسة الوزارة « من أمور جسام عرضت سلامة الدولة وأمنها للأخطار » ، وما اقترنت به هذه الأمور من اسم علي ماهر باشا « قبل وقوعها وفي أثناء وقوعها وبعد وقوعها » . وقال انه عندما قبل مهمة الحكم في تلك الظروف الدقيقة لدرء الخطر ، « لم يكن بد من العمل فورا لتطهير البلاد من جرائم هذا الخطر ، وخصوصا ان من بذروا هذه الجرائم ، ظلوا على مسلكهم يتعهدون بذورها بكل ما في وسعهم من جهد ، فقصد الى من هو « معتبر - في الواقع - الأصل الأول للداء، وهو حضرة صاحب المقام الرفيع

علي ماهر باشا « ، وطلب اليه أن يمتنع عن أي نشاط ، أو أن يسافر الى خارج البلاد » ، ولكن علي ماهر باشا رفض وطلب اجراء تحقيق معه ، « فقلت له بصريح العبارة : أنا لا أريد أن أحقق معك ولا أن أحقق عنك ، ولكن كل ما أريده هو الاحتياط لا أكثر ولا أقل » . ثم قال النحاس انه حصل على وعد من علي ماهر باشا بالكف عن نشاطه ، ولكنه أخل بوعده ، « فراجعت له لعله يرجع الى الصواب ، فلما أصر ، قدرت الضرورة بقدرها ، واكتفيت باصدار الأمر بمنعه من مغادرة عزبته ومنع غيره أن يتصل به » ، « فلما ذهب الى أبعد الحدود ، لم أجد بدا من اصدار أمر الاعتقال حماية لمصلحة الوطن العليا » (٣٣٦) .

وقد أثار اعتقال علي ماهر باشا تساؤلين هاميين في ذلك الحين : التساؤل الأول حول دور الانجليز في الاعتقال ، والتساؤل الثاني حول صلة هذا الاعتقال بسياسة تجنب مصر ويلات الحرب . وبالنسبة للتساؤل الأول ، فقد دفع اليه ما سبق للسلطات البريطانية أن طلبته من اعتقال علي ماهر باشا في عهدي حسن صبري باشا وحسين سري باشا . وقد نفى النحاس باشا تقديم هذا الطلب من جانب السلطات البريطانية نفياً باتاً ، فقال بالحرف الواحد : « اذا كان البعض قد أشار الى مطالب معينة كانت قدمت الى وزارات أخرى بشأن علي ماهر باشا ، فاني أؤكد لكم اني لا أسمح لأية سلطة اجنبية أيا كانت بالتداخل في مثل هذه الامور . نعم يا حضرات الشيوخ المحترمين ، وانكم لتعلمون ، كما يعلم حضرة المستجوب مصطفى الشوربجي بك ، أن مصطفى النحاس ليس من طراز رجال الدولة الذين يضعفون أو يستسلمون أو يستسلمون » (٣٣٧) . أما بالنسبة للتساؤل الثاني ، فقد أشار بعض الشيوخ الى أن علي ماهر باشا هو رمز سياسة تجنب مصر ويلات الحرب ، « وعلى ذلك يكون أخشى ما نخشاه أن ما وجه الى علي ماهر باشا قد يساء تفسيره ، وقد يظن إن حقاً وإن باطلاً أن له علاقة بالبعد عن هذه السياسة » (٣٣٨) . وقد

رد النحاس باشا على هذا التساؤل ردا حاسما ، فقد نفى أولا أن علي ماهر باشا كان رمزا لسياسة تجنب مصر ويلات الحرب ، « لأن رفعتة وافق في وقت ما على اشتراك مصر في الحرب » ، وقال : « وانني أنتهز هذه الفرصة فأعلن هنا مرة أخرى بصفة كوني زعيم هذه الأمة ، فضلا عن رياستي لحكومتها ، أنني لن أعمل أو أوافق أو أسلم بجر مصر الى الاشتراك في الحرب ، أو تقديم جنود من أبناء هذه البلاد فيها مهما كانت الظروف والأحوال . ولكنني في الوقت نفسه أحرص ما أكون على تنفيذ معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى نصا وروحا . ولن أسمح لأحد من أبناء مصر أو ساكنيها بأن يأتي أي عمل من شأنه الاخلال بما يجب للحليفة من تمام الاطمئنان في الوقت الذي تدافع فيه عن كيان الديموقراطية والحرية » (٣٣٩) .

وهنا يثور هذا السؤال : الى أي حد غير الانجليز ، في عهد الوفد، من سياستهم الاقتصادية التي استجلبوا بها غضبه وهجومه ؟ في الواقع، أنه يبدو أنه لم يكن هناك مناص أمام الانجليز من تعديل بعض أخطائهم والنزول عن بعضها الآخر ، في تلك الفترة الحاسمة من تاريخ الحرب ، وذلك لسببين : السبب الأول ، تسهيل مهمة الوفد في الحكم، وقد تولى السلطة بناء على تدخلهم . والثاني، تعبئة الشعور الداخلي الى جانبهم، بعد أن طال تحوله ضدهم منذ بداية الحرب . وقد تمثل هذا التغيير في أمرين : الأول ، القمح . وكانت هذه المسألة من أخطر المسائل التي ورثتها حكومة الوفد عن وزارة حسين سري باشا ، حتى كان الناس في أواخر عهده يتخطفون الخبز في الطرقات، وحتى ان المخزون من القمح في المدن الكبيرة لم يكن يكفيها الا لبضعة أيام (٣٤٠) . وقد أولت الحكومة تلك المسألة الهامة كل عنايتها، فقررت أولا شراء القمح بسعر الأردب ٣٠٠ قرش بزيادة قدرها ١٠٠ قرش على السعر السابق، وشراء الذرة بسفر ٢٠٠ قرش للأردب بزيادة ٥٠ قرشا ، على أن تتحمل الحكومة فرق السعر دون

المستهلك ، اغراء للمنتجين والتجار على اظهار ما يخزنونه من القمح ، وارضاء للمستهلكين ، وفي الوقت نفسه طالبت الحكومة السلطات البريطانية بقرض من مئونة جيشها لاجتياز الأزمة المستحكمة . وقد هدد مكرم عبيد الانجليز بأنه سوف يقدم استقالته اذا لم يوافقوا على هذا الطلب ، وجاءه الرد من المستشار المالي البريطاني في آخر فبراير بأن السفير قبل أن يقرض الحكومة من مئونة الجيش ٢٠ ألف طن (٣٤١) .

أما المسألة التي عدل فيها الانجليز عن سياستهم جزئيا ، فهي القطن . فقد أعلن مكرم عبيد في مجلس النواب سروره لأن الحكومة البريطانية كانت قد عرضت أن تشتري كمية من صنف جيزة ٧ من رتبة جود فما فوق ، يبلغ مقدارها نحو نصف مليون قنطار ، وقد أسفرت المفاوضات التي دارت في هذا الشأن عن قبول الحكومة البريطانية شراء هذا المقدار بسعر يزيد خمسة ريالات ونصف الريال على الأسعار التي حددتها لجنة الشراء البريطانية سنة ١٩٤٠ ، أي بسعر ٢١ ريالا ونصف الريال . وقد علق مكرم عبيد على ذلك بقوله : « وما من شك في أن شراء هذا الصنف من القطن بهذا الثمن ، يتفق مع حالة العرض والطلب في السوق من الناحية الاقتصادية ، كما يتفق مع مصلحة الخزانة المصرية وتخفيف العبء عن دافعي الضرائب المصريين » (٣٤٢) .

وعلى كل حال ، فإن سياسة حكومة الوفد في مسألة القطن كانت تقوم على استقلال الحكومة بتمويله بأكمله (٣٤٣) . توقعا لاتتعاش أسعاره بعد الحرب ، ولحرمان الانجليز من شرائه بثمان بخس . ولذلك فإن هذه المسألة لم تكن محل احتكاك بين حكومة الوفد والانجليز .

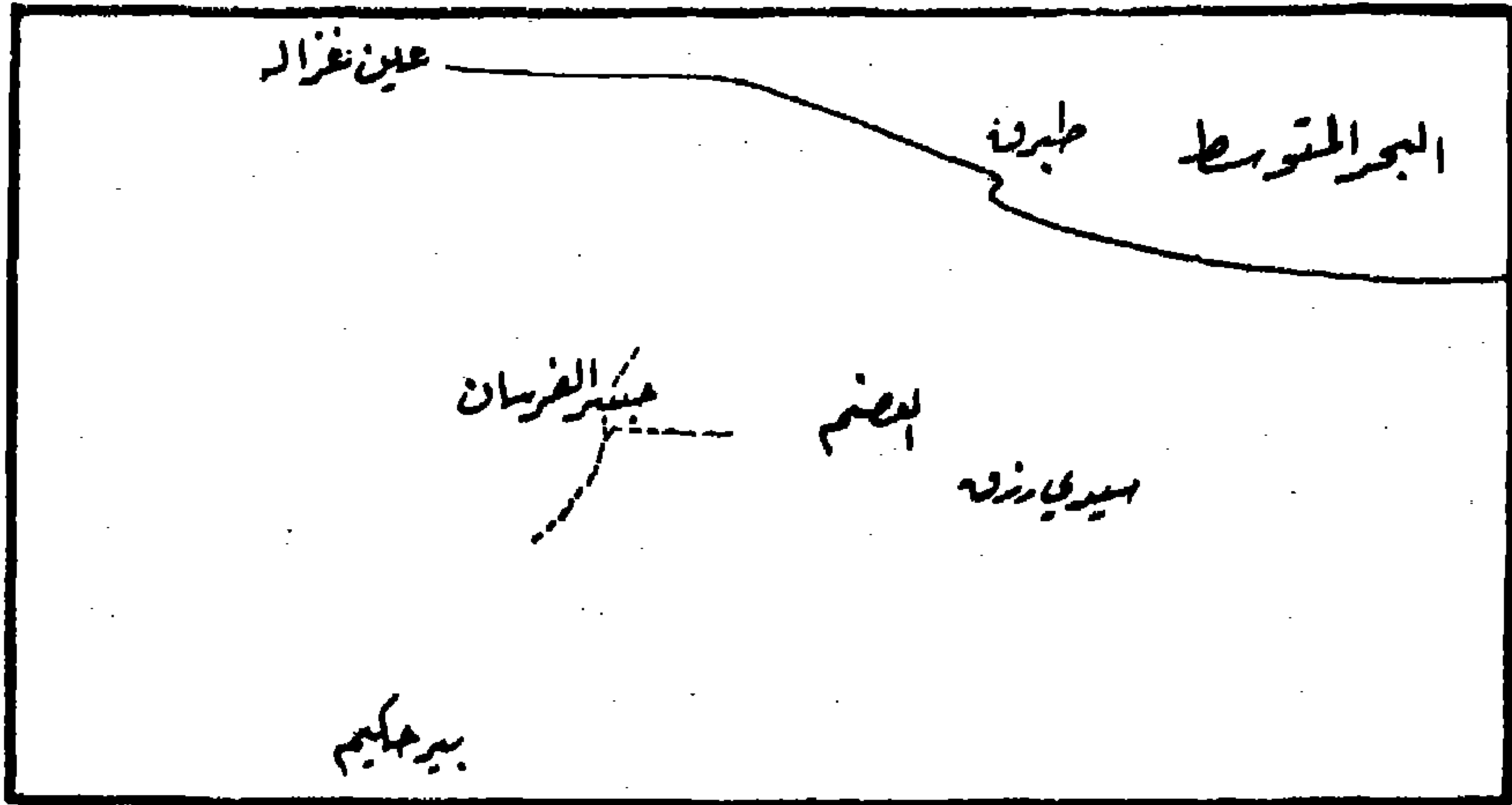
• • •

ب - العلمين : مصر بين شقي الرحي

١ - الهجوم الالمانى المظفر (٢٦ مايو - ٣٠ يونية ١٩٤٢)

أشرنا آنفا الى الهجوم الالمانى الكبير الذى ارتبط به حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ، والذى قام به الجنرال روميل فى ٢١ يناير واستعاد به الجزء الأكبر من برقة ، وأجبر البريطانيين على التراجع مسافة ثلثمائة ميل ، وأضاع عليهم بنغازي وكل المستودعات التى أعدوها لهجومهم المقرر فى أواسط فبراير . ومنذ ذلك الحين أخذ التسابق يجري بين الطرفين من أجل المعركة القادمة . أما الانجليز فقد أقاموا خط دفاع قوى يمتد من الغزالة شمالا على الساحل ، الى بير حكييم جنوبا على بعد أربعين ميلا فى قلب الصحراء . ويتكون من نقط محصنة استهلكت كميات هائلة من الأسمنت المسلح والأسلاك الشائكة والألغام ، وأمامها خط طويل من الألغام ، ووراء هذه الخطوط كان السلاح البريطانى المدرع والقيلق الثلاثون على أهبة الاستعداد . وأما روميل فقد أمكنه تعويض جميع ما خسره من دبابات وغيرها من المعدات ، بفضل قصف طائرات الجنرال « كيسلرينج » Kesselring المتواصل لجزيرة مالطة ، التى كانت تعترض طريق التموين المحوري الى شمال افريقيا . وكانت الخطة تقوم على احتلال الجزيرة بعد تحطيم دفاعاتها ، ثم يقوم روميل بالهجوم للاستيلاء على طبرق . ولكن ظهر أن الايطاليين لن يتمكنوا من الغزو قبل نهاية شهر يونية ، فاقترح روميل الاستيلاء على طبرق أولا بحجة أن البريطانيين أعادوا تنظيم وتسليح قواتهم من أجل هجوم حقيقي فى الصيف ، وأنه من الضروري أن يسبقهم الى الهجوم . وقد نجح فى

اكتساب تأييد القيادة العليا الألمانية في أواخر ابريل ١٩٤٢ ، وأخذ من
ثم يتهياً للهجوم التاريخي الكبير .



وكان أمام روميل احتمالان للهجوم على طبرق : الأول أن يقوم
بالهجوم بالمواجهة على المواقع المحصنة لاخترق الاستحكامات ثم تدمير
مدرعات العدو ، والثاني ، أن يلتف جنوباً حول بير حكيم ويندفع
بمدرعاته الى قلب المواقع الدفاعية ، ويعزل بذلك القوات البريطانية بها
عن المدرعات الموجودة في الخلف ، ثم يدمر قوات العدو الضاربة جزءاً
جزءاً . وقد اختار الحل الثاني على أن يقوم بهجوم مخادع بالمواجهة .
وفي الظهر من يوم ٢٦ مايو بدأ بالهجوم المخادع ، وبعد عدة ساعات
تحركت القوات المدرعة بالهجوم الرئيسي ليلاً في ضوء القمر لاتمام حركة
الالتفاف . ولكنه فوجئ بدبابات جنرال جرانت الأمريكية ونوع جديد
من المدافع يمكنه اختراق الدبابات الألمانية بسهولة . وهكذا فشلت
خطته في الاستيلاء على طبرق في اليوم التالي من الهجوم .
وقد عدل روميل خطته على أثر ذلك ، على أساس الاستيلاء على
بير حكيم باعتبارها نقطة الارتكاز الجنوبية لخط الغزاة التي تحمي

طبرق ، فاذا سقطت تداعى خط الغزاة كله . وقد تمكن بذلك فعلا ، بعد قتال مرير دام عشرة أيام ، وسقطت به بير حكيم يوم ١١ يونية . وأخذ الموقف يتحول لصالح روميل ، فقد أخذ على أثر ذلك يدفع بقواته شمالا الى منطقة جسر الفرسان ، مركز المواصلات في تلك المنطقة ، وآخر الحصون البريطانية قبل طبرق حيث حشد الجنرال ريتشي Ritchie قواته المدرعة . ودارت معركة عنيفة يومي ١٢ ، ١٣ يونية ، فقد فيها البريطانيون معظم دباباتهم ، واضطروا الى التخلي عن جسر الفرسان والانسحاب الى طبرق . وخشي الجنرال ريتشي أنه لو استمرت القوات البريطانية في الدفاع في أقصى الشمال عن خط الغزاة ، واستطاع الألمان الوصول الى البحر ، فان ذلك يعرضها حتما لخطر الحصار والأسر ، فأصدر أوامره بسحبها يوم ١٤ يونية ، وبذلك باتت معركة طبرق تلوح في الأفق (٣٤٤) .

وفي الفترة من ١٤ يونية الى ٢١ يونية (تاريخ سقوط طبرق) ، كانت التعليمات الصادرة من تشرشل الى القيادة العليا في القاهرة تحذر من سقوط طبرق بأي حال . فقد أرسل الى الجنرال أوكنلوك في يوم ١٤ يونية يسأله عن الموقع الذي سيسحب اليه الجنرال ريتشي قوات الغزاة ، وقال انه « يفترض أن مسألة التخلي عن طبرق ليست واردة اطلاقا ، لأنه طالما أن طبرق في يدنا ، فلن يكون هناك احتمال لتوغل العدو في الأراضي المصرية » (٣٤٥) . وعندما أحس بعدم ارتياح للأوامر التي أصدرها أوكنلوك الى الجنرال ريتشي والتي لم تطلب اليه « بصورة حاسمة » الدفاع عن القلعة ، كتب اليه يؤكد هذه الناحية قائلا : « سرنا تأكيدك لنا أنك لا تعتزم التخلي عن طبرق ، وقد فهمت وزارة الحرب من برقيتك أنك تعني أن الجنرال ريتشي سيترك قوات كافية للدفاع عنها بكل تأكيد » . وقد وصله الرد من الجنرال أوكنلوك وهو لا يدع مجالا للشك في ذلك (٣٤٦) . وعند ذلك أحس المستر تشرشل بأنه

يمكنه السفر الى الولايات المتحدة كما كان مقررا من قبل • ولكن في يوم ٢٠ يونية ، وبينما كان تشرشل في واشنطن ، وصلته برقية تحمل سطرًا واحدًا يقول : « استسلمت طبرق ، وأسر خمسة وعشرون ألفًا من حاميتها » • وبعد دقائق ، وصلته برقية أخرى من الأميرال هاروود Harwood تقول : « سقطت طبرق ، وتدهور الوضع الى حد كبير ، بحيث أصبح هناك احتمال لوقوع غارات عنيفة على الاسكندرية في القريب العاجل • ونظرًا لأن البدر قد اقترب ، فقد قررت ارسال جميع وحدات الأسطول الى الجنوب من قناة السويس في انتظار الأحداث •• » (٣٤٧) •

• • •

كان سقوط طبرق حدثًا هائلًا ارتجت له مصر وبريطانيا وأجزاء كثيرة من العالم • وفيما يتصل بمصر ، فقد نشطت الاشاعات على الفور عن طلب الحكومة البريطانية تجنيد المصريين واعلان الحرب • وقد نفى النحاس باشا ذلك نفياً تامًا في تصريح هام أدلى به يوم ٢٤ يونية ، وأضاف اليه أنه أصبح بعد مباحثاته مع ممثلي بريطانيا وقواتها يوم ٢٢ يونية مطمئنًا الى أن الحالة مع ما يكتنفها من صعوبات ، مرضية ! وأن مركز الحليفة في هذا العام أفضل بكثير مما كان في مثل تلك الظروف في العام السابق (٣٤٨) •

ولم يكن هذا القول صحيحًا • لأن سقوط طبرق قد أزال الشوكة القائمة في جنب قوات روميل ، وأصبح الطريق مفتوحًا الى السويس دون عائق • وقد عبر الجنرال أوكنلوك عن ذلك في نفس اليوم في برقية له الى تشرشل في واشنطن قال فيها : « اني لأخشى أن أقول ان الوضع الحالي هو أشبه بالوضع الذي كنا عليه منذ عام مضى حين توليت القيادة

العامه ، فيما عدا أن العدو الان أصبح يملك طبرق » (٣٤٩) • أما تشرشل فيذكر بالحرف الواحد أن سقوط طبرق « كان ضربة من أقسى الضربات التي أذكر أننا تلقيناها منذ قيام الحرب • ولم يكن تأثيرها قاصرا على النتائج العسكرية المحزنة ، بل تجاوزها الى التأثير على سمعة الجيوش البريطانية ، ففي سنغافورة استسلم ٨٥ ألف رجل لعدد أقل منهم من اليابانيين • وها نحن في طبرق نشهد حامية مؤلفة من ٢٥ ألف رجل (في الحقيقة ٣٣ ألف) من خيرة الجنود المدربين ، يستسلمون لعدو يقل عن نصف عددهم ! واذا كان هذا هو أنموذج الروح المعنوية عند جيش الصحراء ، فليس في وسعنا أن نتكهن بالكوارث التي ستحل بنا في شمال شرقي افريقيا • ولم أحاول أن أخفي عن الرئيس (روزفلت) الصدمة التي أصابتني • كانت لحظة شديدة المرارة ، فالهزيمة شيء ، والعار المغيب شيء آخر » (٣٥٠) •

أما بالنسبة للمحور ، فإن سقوط طبرق قد أحدث ثورة في خطته نظرا لأنه تم دون حصار طويل ! وكانت الخطة تقضي بالتوقف عند الحدود المصرية (خطة عايده) ، ثم تنفذ خطة هرقل (الاستيلاء على مالطة بواسطة المظليين) ثم اتمام خطة عايده • فلما سقطت طبرق ، اقترح روميل بعد يوم واحد متابعة التقدم وراء القوات البريطانية لتدميرها قبل أن تصل اليها امدادات جديدة ، أو تتمركز في أي خط دفاعي • وقد عزز رأيه بما غنم من ذخائر ومؤن وبترول وسيارات ، بالإضافة الى روح جنوده العالية وضعف مركز القوات البريطانية • وقد وافق هتلر على ذلك وكتب الى موسوليني يطلب اليه تأجيل الهجوم على مالطة ويقول : « شاءت الأقدار أن تمنحنا فرصة لن نتكرر على مسرح الحرب ذاته • • • فقد تحطم الجيش الانجليزي الثامن تحطيمًا تامًا ، وما زالت تجهيزات الميناء في طبرق سليمة • وها أنت تملك أيها الدوتشي قاعدة اضافية لها أهمية بالغة ، لأن الانجليز مدوا منها سكة حديدية الى مصر نفسها •

واذا لم تقم في هذه اللحظة بمطاردة الجيش البريطاني الى آخر رجل
ونفس ، فسيتكرر ما حدث للبريطانيين عندما حرموا من ثمار نصرهم ،
فلم يصلوا الى طرابلس ، وتوقفوا فجأة ليعثوا بقواتهم الى اليونان ••
ان آلهة المعارك لا تزور المحاربين الا مرة واحدة •• « • على أن هذا
التعديل في الخطة لم يلق رضى من المارشال كسلرنج ومعه الأميرال
رايدر والجنرال كفاليرو الايطالي ، فقد رأوا أن مركز المحور في
الصحراء لن يصبح سليما قط الا باحتلال مالطة ، وأن مساعدة القوات
المتقدمة في مصر سوف تضعف المجهود الحربي الجوي والبحري ضد
مالطة ، مما يسمح للبريطانيين بحرية العمل وقطع خط التموين بين
ايطاليا ومواني شمال افريقيا (٣٥١) • وقد أثبتت الأحداث صحة هذا
الرأي •

على كل حال ، فبموافقة هتلر وموسوليني على خطة روميل ، أخذ
هذا ينظم قوات المطاردة بسرعة ، وبدأ يتقدم بقواته شرقا يوم ٢١ يونية •
وفي الرابع والعشرين عبر الحدود المصرية دون أن يلقي مقاومة تذكر •
وفي يوم ٢٦ يونية وصل الى جنوب دفاعات مرسى مطروح التي كانت
تعد الى ذلك الحين خط الدفاع الطبيعي عن مصر • على أن الجنرال
أوكتلر ، الذي كان قد وصل في اليوم السابق الى هذا الموقع بعد أن
تولى القيادة بنفسه من الجنرال ريتشي ، لم يتردد طويلا بعد دراسة الموقف
في اتخاذ قرار بعدم الدفاع عن مرسى مطروح ، وكتب في نفس اليوم
الى المستر تشرشل يقول : « لقد تحققت أننا من الضعف في الدبابات
وبطارية الميدان ، وهما أهم عناصر النجاح في الصحراء ، لدرجة انه من
المشكوك فيه اننا سوف نصمد في مرسى مطروح » ، وقال : « ان خسارة
مرسى مطروح سوف تكون صدمة للروح المعنوية في مصر ، وسوف
تهلل له دعاية المحور كعنصر جديد • ولكن هذا الضرر يبدو بسيطا اذا
قارناه بخطر الهزيمة والتمزق شذرا • انه على الرغم من أن انسحابا آخر

سوف يضع العدو على أعتاب الدلتا، الا أن العلمين سوف تقدم لنا أقوى موقع في الصحراء الغربية » (٣٥٢) • مع ذلك فيذكر «كيرك» أن الجنرال أوكنلك أخذ في ذلك الحين يتدبر ما ينبغي عمله لو فشل في إيقاف روميل عند العلمين ، واصبح من الضروري التخلي عن مصر السفلى كلها (٣٥٣) •

• • •

الانجليز والانسحاب من مصر

والسؤال الآن هو : ما الذي كان يعتزمه الانجليز لو أجبروا على الانسحاب من العلمين ثم من مصر بأسرها ؟ هل كانوا ينوون الدفاع عن مصر شبرا شبرا ، أو أنهم كانوا ينوون الانسحاب دون دفاع ؟ لقد انتشرت الاشاعات في ذلك الوقت بأن السلطات البريطانية العسكرية قد طلبت بالحاح من الحكومة المصرية اغراق غرب الدلتا أو مديرية البحيرة وما الى جنوبها ، لكي تحول هذه الأراضي الى بحر من الطين تغوص فيه الدبابات المعادية وغيرها من العربات والمصفحات ، وتغرقل زحف روميل على دلتا النيل (٣٥٤) • وفي القصر الملكي كان الاعتقاد أن الانجليز سيدمرون خزان أسوان وقناطر محمد علي لكي يفرقوا أراضي الدلتا منعا لتقدم الألمان (٣٥٥) • وقد أورد الدكتور هيكل أن صدقي باشا أخبره بأنه علم بوصفه رئيسا لاحدى شركات البترول، أن الانجليز يعتزمون الهاب النار بآبار البترول الموجودة في مصر ، اذا اضطروهم الألمان للانسحاب منها • وان مثل هذا العمل يصيب الاقتصاد المصري بكارثة لا يسهل تعويضها الى عشرات السنين • وذكر صدقي باشا أن تجنب هذه الكارثة لن يكون الا بتفاهم صريح بين الحكومة المصرية والقوات البريطانية على العدول عنها، وبتفاهم صريح معهم أيضا على ألا يخربوا

مصر أو يغرقوها أثناء انسحابهم أمام العدو » . وقد توجه الدكتور هيكمل موفدا من صدقي باشا وحسين سري باشا للتحدث مع النحاس باشا في هذا الخطر . ولكن الأخير أكد له أنه متنبه لهذا كله، مدرك ما يصيب مصر اذا انسحب منها الانجليز أو دخل الألمان اليها (٣٥٦) .

فما هي الحقيقة في كل هذا ؟ ان الحقيقة الكبرى في هذا الموضوع هي أن الانجليز كانوا يعتزمون الدفاع عن مصر شبرا شبرا . وهذا ثابت من الأوامر والتعليمات التي أصدرها المستر تشرشل الى قائد القوات البريطانية في مصر ووزير الدولة فيها . ففي يوم ٢٥ يونية ١٩٤٢ ، وهو اليوم التالي لعبور القوات الألمانية والايطالية الحدود المصرية الى مرسى مطروح ، كتب الى الجنرال أوكنلك يقول : « انني آمل أن هذه الأزمة سوف تؤدي بكل فرد يرتدي البزة العسكرية في الدلتا، وبكل ما تحت أيدينا من القوى البشرية الموالية ، الى الارتفاع الى أعلى مستوى قتالي . ان لديك أكثر من ٧٠ ألف رجل في الشرق الأوسط . فكل رجل صالح يجب أن يهيا للقتال والموت في سبيل النصر . انك في نفس الموقف تماما كما لو أن انجلترا هي التي تتعرض للغزو، فيجب أن تسود نفس الروح القوية والمؤثرة (٣٥٧) .

وحين أكملت القوات البريطانية انسحابها الى موقع العلمين ، كتب المستر تشرشل الى المستر كيزي Casey وزير الدولة في يوم ٣٠ يونية يقول : « في الوقت الذي يحارب فيه أوكنلك في ميدان القتال ، عليك أن تعبىء للمعركة في حزم كل القوات الموجودة في الجبهة الخلفية . فكل شخص يرتدي الزي العسكري يجب عليه أن يقاتل كما لو كانت كنت Kent أو ساسكس sussex هما اللتان تتعرضان للغزو . . . الدفاع حتى الموت عن كل منطقة محصنة وكل بناء قوي، وليكن كل موقع موقع فوز ، وكل حفرة هي الحفرة الأخيرة . هذه هي الروح التي عليك أن تثبتها في كل فرد . فلا جلاء عام ، ولا حساب للسلامة ، فمصر يجب

الاحتفاظ بها بأي ثمن « (٣٥٨) •

وقد كشفت أوراق هاري هوبكنز Harry Hopkins ممثل الرئيس روزفلت الشخصي ومستشاره، شيئاً جديداً حقاً، هو أن الانجليز كانوا يعتزمون تعطيل الملاحة في قناة السويس وسدها • ففي يوم ٣٠ يونية ١٩٤٢ ، وتحت تأثير اليأس من الموقف الحربي في مصر ، أرسل الرئيس روزفلت برقية الى الجنرال مارشال يطلب فيها الاجابة على الأسئلة الآتية: في حالة افتراض أن الدلتا سيتم الجلاء عنها في خلال عشرة أيام ، وأن القناة ستسد ، فاني أسأل الأسئلة التالية :

— ما هي الضمانات التي لدينا عن أن القناة سوف تسد فعلاً ؟ وهل نعرف نحن الخطة الخاصة بذلك؟ هل يمكنك الاتصال فوراً بـ«دیل» (٣٥٩) للتحديث في هذا الأمر فوراً ؟ • ان سد القناة بشكل فعال لأمر أساسي !
— من أي موقع أو مواقع في أفريقيا أو آسيا الصغرى سوف يقوم البريطانيون بعملياتهم الجوية والبرية والبحرية ؟

— ما هي الخطوة التالية لروميل أو لألمانيا ؟ هل تعتقد أنها ستكون قبرص وسوريا ؟ وهل الهدف حقول البترول في الموصل ؟

وقد وصل رد الجنرال مارشال دون ابطاء وهو يتضمن : بالنسبة لقناة السويس ان البريطانيين يستطيعون اغلاقها بشكل فعال ، حتى لقد قدر الوقت اللازم لاعادة فتحها بستة أشهر • وبالنسبة للمواقع التي ستحارب منها بريطانيا ، فان البريطانيين سوف يكون عليهم الانسحاب الى النيل الأعلى • أما بالنسبة لخطة روميل المقبلة ، فان هدفه الأول هو تدمير الجيش البريطاني ، ثم احتلال قبرص وسوريا ، ثم الاستيلاء على الموصل والبصرة ، ويحتمل أن يقطع الخط الجوي الأمريكي الذي يعبر افريقيا الى الشرق الاوسط والى الاتحاد السوفيتي والى الشرق الاقصى (٣٦٠) •

وفي الواقع أن الجنرال اوكنلك كان يعد في ذلك الحين العدة

للدفاع عن الدلتا والاسكندرية في حالة الانسحاب من العلمين • ففي يوم ٢٩ يونية أعد الترتيبات اللازمة لارسال بعض القوات الفائضة عن حاجة خطة الدفاع عن العلمين الى الاسكندرية ، وذلك لاعداد الدفاعات الخارجية عن الميناء • وفي يوم ٣٠ يونية بعث بالجنرال هولمز ومعه قيادة الفيلق العاشر لتنظيم الدفاع عن الدلتا • وفي أول يولية أصدرت قيادة الجيش الثامن والفيلق العاشر التعليمات المنظمة لعملية الانسحاب من العلمين • وكانت الخطة أن تتقهقر قوات جنوب افريقيا الى الاسكندرية ، أما بقية الجيش الثامن فتتقهقر بالطريق الصحراوي الى وادي النطرون (غرب الدلتا) (٣٦١) •

وفي ١٩ أغسطس زار المستر تشرشل مصر حيث اتخذ بنفسه — على حد قوله — وبالاتفاق الكامل مع القيادة العسكرية البريطانية ، « سلسلة من الاجراءات المتطرفة للدفاع عن القاهرة والخطوط المائية التي تجري شمالا الى البحر المتوسط • وقد أقيمت استحكامات البنادق ومراكز المدافع الرشاشة ، وبثت الألغام في الكباري والجسور ، وأطلقت المياه لتغمر كل الجبهة العريضة ، واعطي كل الموظفين البريطانيين في القاهرة ، ويبلغ عددهم الألوف من ضباط الأركان والكتاب العسكريين البنادق ، وأمروا باتخاذ مواقعهم على طول خط النهر المحصن عند اللزوم • ولم تكن الفرقة الجبلية الحادية والخمسون قد تهيأت بعد لحرب الصحراء ، فعهد الى قواتها الممتازة بالدفاع عن جبهة النيل الجديدة • وكان مركزنا على جانب عظيم من المنعة، وذلك بسبب الندرة النسبية للجسور التي تعبر أراضي الدلتا التي تشققها الترع، ويغمرها الفيضان أو يمكن أن يغمرها الفيضان • ولقد بدا أنه من الممكن عمليا ايقاف هجوم مدرع على طول هذه الجسور • وكان الدفاع عن القاهرة من اختصاص الجنرال البريطاني الذي يتولى قيادة الجيش المصري الذي كانت قواته أيضا قد اصطفت للدفاع، على أنني رأيت من الأفضل أن أعهد بالمسئولية — اذا

حدث طارئ - للجنرال ميتلاند ولسن . . الذي كان قد عين لقيادة العراق - إيران ، وكانت قيادته - في خلال تلك الأسابيع الحرجة - في مرحلة التكوين في القاهرة ، وقد أصدرت إليه توجيهها بالاطلاع على خطة الدفاع كاملة ، وحمل المسئولية من اللحظة التي يبلغه فيها الجنرال ألكسندر أن القاهرة قد أصبحت في خطر » (٣٦٢) .

• • •

ولقد كثرت التكهنات في القاهرة بين المراقبين حول الموقف الذي سيققه الشعب المصري مع اقتراب قوات المحور . وقد اتخذ البعض وجهة النظر المتطرفة بأن صوت مدافع الماريشال روميل سوف يكون بمثابة إشارة البدء لقيام ثورة موالية للمحور . وقد استند هؤلاء في تعزيز وجهة نظرهم الى الفتور الذي ذكروا أنه اعتري المساعدة التي كانت تقدمها الحكومة المصرية الى المجهود الحربي البريطاني، والى وجود معسكر قوي موال للمحور داخل القصر ، وميول كثير من أعضاء الوفد الى المحور ، ووجود الطابور الخامس . . الخ (٣٦٣) . وكان قدر كبير من الأهمية معلقا على موقف طلبة الجامعة على اعتبار أنهم يمثلون «بارومتر» الضغوط السياسية . وكانت التقارير تشير الى أن هؤلاء الطلبة على غير استقرار . وقد وصلت بعض الأنباء من الاسكندرية يوم ٢ يولية عن تمزيق بعض شعارات النصر التي تحمل حرف (V) بالانجليزية . وبناء على هذا التوجس صدرت الأوامر للضباط البريطانيين بحمل مسدساتهم أينما ذهبوا ابتداء من يوم ٢٨ يونية ، كما تكونت وحدات للطوارئ من الكتبة العسكريين والضباط في هيئة الأركان (٣٦٤) .

ولم يكن هذا التوجس من قيام ثورة قاصرا على البريطانيين ، بل كان كبار الملاك المصريين يخشون من استيلاء الفلاحين على الأراضي عند

دخول القوات الغازية • وقد أكد «كيرك» بالاستناد الى مصدر وصفه بأنه «عليه جدا» أن احد كبار الملاك المصريين زار عزبته في تلك الأثناء فوجد أن الفلاحين قد وضعوا الأحجار على الحدود التي تفصل بين أنصبتهم المتوقعة عند وقوع الغزو ! (٣٦٥) • ويبدو أن الفلاحين المصريين كانوا يعتقدون أن الروس هم القادمون !

فهل كان خوف البريطانيين من وقوع ثورة له ما يبرره ؟ في الواقع لقد تمت اتصالات في ذلك الحين بين بعض الجواسيس الألمان (أبلروساندي) وبين أنور السادات وعزيز المصري عن طريق عبد المغني سعيد ، ولكنها لم تكن خاصة بترتيب نوع من المقاومة أثناء انسحاب البريطانيين ، كما أن محاولة قامت من جانب أنور السادات مع الشيخ حسن البنا للاشتراك في توجيه ضربة الى الجنود البريطانيين أثناء تقهقرهم ، ولكن البنا راوغ ولم يجب بجواب شاف • ولم يمض وقت طويل حتى قبض على الجاسوسين الالمانيين، ثم على أنور السادات وعزيز المصري (٣٦٦) • وعلى ذلك فلا يمكننا القول بأن مقاومة مصرية، منظمة أو غير منظمة ، كانت تنتظر الانجليز لو انسحبوا من مصر أمام الالمان • وان كان محمد صبيح يروي أن بعض وحدات الجيش المصري التي كانت مكلفة بالدفاع عن خط البراجيل وامبابة وكوبري امبابة ، وهو المر الوحيد الذي يصل سكة حديد الوجه القبلي بالقاهرة - لم تكن تنوي نسف الكباري والطرق والسكة الحديد حسب التعليمات الصادرة اليها (٣٦٧) •

• • •

والسؤال الآن هو : ما هو موقف حكومة الوفد في تلك الظروف الدقيقة ؟ ان تتبع محاولات النحاس باشا في ذلك الحين يدل بوضوح على أنه كان يحاول عبثا ان يحتفظ بتوازن مصر بين المعسكرين المتحاربين •

تطور الحركة الوطنية جـء

ففيما يختص بمعسكر المحور ، فتجمع المصادر العربية على أن النحاس باشا كان ينوي استقبال قوات روميل بوصف مصر دولة محايدة . فقد أورد الدكتور هيكل أن النحاس باشا قد أبلغه أنه أصدر أوامره وتعليماته الى محافظ الاسكندرية « ليتلقى جيوش الألمان باسم الحكومة المصرية لقاء حسنا » (٣٦٨) . وأضاف الدكتور هيكل أنه عندما أراد أن يقف على ما اتخذه رئيس الوزراء الوفدي من اجراءات غير ما أصدره لمحافظ الاسكندرية من تعليمات، « اذا هو يضمن علي بها ولا يذكر لي شيئا عنها . . . وشعرت من تحفظه أنه آسف لما ذكره لي عما أصدره من تعليمات لمحافظ الاسكندرية ١ » (٣٦٩) .

وقد أورد التابعي مضمون كتاب وجهه النحاس باشا الى المارشال روميل ليتسلمه من محافظ الاسكندرية عند دخولها، وفيه أن مصر دولة غير محاربة ، وأن جميع الاجراءات العسكرية التي اتخذتها السلطات العسكرية البريطانية في مصر قد تمت كرها أو على غير رغبة من الحكومة المصرية ، وأن مصر حكومة وشعبا تحب السلام وتتمسك به ، وأن حكومة مصر قد اتخذت جميع الاجراءات لحفظ الأمن والحيولة دون وقوع اضطرابات (٣٧٠) .

أما فيما يختص بالانجليز وما كانوا يعتزمونه من تدمير مرافق البلاد واغراقها عند انسحابهم ، فتشير المصادر العربية الى أن النحاس باشا كان يبذل نفوذه لديهم لتحقيق أمرين : الأمر الأول، الامتناع عن تدمير المرافق والمنشآت ، والأمر الثاني ، اعلان القاهرة مدينة مفتوحة . وفيما يختص بالأمر الأول، فيذكر التابعي أن النحاس باشا قد تلقى فعلا وعدا بذلك من الانجليز ، ولكن في يوم ٢ يولية قابل السفير النحاس باشا لمدة أربع ساعات، وعقد مجلس الوزراء بعدها ، « وسمعنا أن النحاس باشا هائج ساخط على الانجليز لأنهم لم يفوا بعهودهم ووعودهم له . . . وكان رفعتة قد أعلن في الجلسة السرية التي عقدها البرلمان أنه قد أخذ وعدا بذلك ،

ولكن يبدو أن السفير مايلز لامبسون عاد وراوغ في الوعود التي كان أعطاها « (٣٧١) . . ونلاحظ ان هذا التاريخ الذي يذكره التابعي يأتي بعد البرقيتين اللتين أرسلهما المستر تشرشل الى الجنرال أوكنلك والمستر كيزي في يومي ٢٥ ، ٣٠ يونية يطالبهما فيهما « بالاحتفاظ بمصر بأي ثمن » ، وانه « لا جلاء عام » ، « ولا حساب للسلامة » . . (الخ) .

أما الأمر الثاني، وهو اعلان القاهرة مدينة مفتوحة ، فتشير التقارير المرفوعة من مخابرات القصر الى الملك عن مباحثات النحاس باشا مع السلطات العسكرية البريطانية الى أن النحاس طلب في هذه المباحثات اعلان القاهرة مدينة مفتوحة، ولكن الجانب الانجليزي قال ان «الظروف لا تسمح بذلك» (٣٧٢) وهذه التقارير تؤكد ما أورده التابعي في هذا الخصوص ، فيقول ان النحاس باشا أعلن في جلسة سرية عقدها البرلمان أن الانجليز قد رفضوا اعلان القاهرة مدينة مفتوحة ، وأنه قد أعد الاجراءات اللازمة لتأمين المدنيين وحمايتهم (٣٧٣) . وواضح أن المغزى الوحيد لعدم الموافقة على جعل القاهرة مدينة مفتوحة ، هو أن الانجليز كانوا ينوون الدفاع عنها شبرا شبرا .

• • •

سياسة المحور تجاه مصر

وعند هذا الحد من البحث، وبعد أن عرفنا ما كان ينتويه الانجليز لمصر في حالة الانسحاب منها، فيبقى هذا السؤال وهو : ما الذي كانت تنتويه دولتا المحور عند احتلالهما لها؟ هل كانتا تنويان احترام استقلالها، ثم الجلاء عنها بعد الحرب، أم كانت لهما ، أو لاحدهما ، أطماع خاصة في مصر ؟ .

من الضروري أولا أن نبرز الملاحظة الآتية وهي أن علاقات مصر بهاتين الدولتين قبيل الحرب وطوال السنتين الأوليين منها ، كانت علاقات طيبة ، فبالنسبة لاطاليا ، وعلى الرغم من أن سمعتها بين الجماهير المصرية كانت سمعة سيئة كدولة استعمارية ، بسبب جغوب وبسبب غزوها للحبشة وبسبب سوء حكمها في طرابلس ، إلا أن الصلات التي كانت تربطها بالقصر الملكي في مصر كانت صلات طيبة ، وقد انعكس ذلك في الاتصالات التي جرت بينهما وأشرنا إليها، ثم من الأزمة التي جرت بعد اعلان ايطاليا الحرب، والتي وقف فيها علي ماهر باشا موقفا مجاملا للايطاليين ، ورفض اهانتهم والتنكيل بهم كطلب الانجليز . وهذا كله كان يعوض الايطاليين عن تقور الشعب منهم ، وبمعنى آخر أن علاقات مصر الرسمية كانت تعوض علاقات مصر الشعبية . أما بالنسبة للألمان ، فإن غالبية الشعب المصري كانت تتجه بعواطفها اليهم دون تحفظ، وتتطلع اليهم كمحررين لهم من ربة الاحتلال البريطاني العنيد . كما أن القصر قد أثبت ولاءه لهم في عدة مواقف وظروف . فهل كان لهذا الموقف من جانب مصر صدى في خطط ونيات دولتي المحور بازائها ؟

بالنسبة لاطاليا ، فهناك بعض الأمور المحيرة في المراجع والمصادر الأجنبية التي تناولت موقفها من مصر . فقد أورد «كيرك» أن الكونت شيانو أعرب لريينتروب ، في لقاءه معه في ميونيخ يوم ١٩ يونية ١٩٤٠ ، عن مطمع ايطاليا في أن تحل محل بريطانيا في المعاهدة المصرية الانجليزية والحكم الثنائي للسودان (٣٧٤) . وقد استند الى « أوراق شيانو الدبلوماسية » المنشورة (الأصل الايطالي والترجمة الانجليزية) . وقد عاد «كيرك» فأكد هذه النقطة في موضع آخر ، فذكر ان الكونت شيانو عندما تقابل مع هتلر في برلين يوم ٧ يولية ١٩٤٠ ، قدم له خطة موسوليني لاعادة تنظيم الشرق الاوسط ، وفيها « ان ترث ايطاليا بريطانيا في وضعها السياسي والعسكري والقانوني في مصر ، وحل شركة قناة السويس،

وانشاء نظام خاص للادارة في منطقة القنال « a special regime » (٣٧٥) •
وفي الفصل الذي عقده « كاترين داف Katherine Duff » عن
ايطاليا في الكتاب الذي أصدره المعهد الملكي للشئون الدولية في بريطانيا
تحت عنوان : Hitler's Europe | أوروبا الهتلرية » ، أوردت أن شيانو
قدم لرينتروب في لقائه معه يوم ١٩ يونية ١٩٤٠ عرضا للمطالب الايطالية
على حساب فرنسا وبريطانيا ، ويشمل ، فيما يختص ببريطانيا ، التنازل عن
مالطة ، وأن تحل ايطاليا محلها في معاهدتها مع مصر ونظام الحكم الثنائي
في السودان ، وقد أجاب رييتروب بأن هتلر يوافق على معظم مطالب
ايطاليا ، ولكنه قدم بعض التحفظات بالنسبة للجزائر ومراكش ، وقال ان
لألمانيا مطالب تاريخية في هذه الأخيرة • وقد أشارت كاترين داف الى
المصادر التي استقت منها هذه المعلومات وهي الأصل الايطالي والترجمة
الانجليزية لكل من «يوميات شيانو» (يوما ١٩ ، ٢٠ يونية ١٩٤٠) ،
و «أوراق شيانو الدبلوماسية» (ص ٣٧٣-٤) • وقد عادت المؤرخة
فأوردت ان مقابلة ٧ يولية بين شيانو وهتلر قد أشير فيها أيضا الى المطالب
الايطالية بخصوص مصر • واستندت الى نفس المصدرين (٣٧٦) •
على أنني يرجوعي الى الترجمة الانجليزية (الأصل الايطالي غير
موجود) لأوراق شيانو الدبلوماسية وليوميات شيانو ، المشار اليهما ،
لم أجد بهما أية اشارة الى الأطماع المذكورة لايطاليا في مصر • ففما
يختص بأوراق شيانو الدبلوماسية ، فإن الحديث المشار اليه بين شيانو
ورييتروب يوم ١٩ يونية ١٩٤٠ قد خلا من أية اشارة الى مصر في هذا
الصدد • فقد ورد به أنه عندما سأل رييتروب شيانو عن مطالب ايطاليا،
اجاب الاخير بأنه يعتبر الحد الأدنى لهذه المطالب : نيس وكورسيكا
وتونس والصومال الفرنسي • كما تكلم ايضا عن الجزائر ومراكش مشيرا
الى حاجة ايطاليا الى منفذ على المحيط ! (٣٧٧) • وأما مقابلة شيانو بهتلر
في ٧ يولية ١٩٤٠ ، وهي التي أشار اليها كيرك وكاترين داف، فقد خلت

أيضا من أية اشارة الى الاطماع المنسوبة لاييطاليا (٣٧٨) • أما بالنسبة ليوميات شيانو، فقد صدرت منها طبعتان : الأولى أمريكية عام ١٩٤٦ ، والثانية انجليزية عام ١٩٤٧ ، وهي طبعة منقحة • وكلتا الطبعتين لا تحويان اطلاقا أية اشارة الى ما نسبته كاترين دف من اطماع لاييطاليا في مصر • على أنني برجوعي للترجمة الفرنسية « لأوراق شيانو الدبلوماسية » وجدت أنها سجلت في تقرير شيانو عن مقابلاته مع رييتروب يوم ١٩ يونية ١٩٤٠ أنه قال هذه العبارة : « وقد أضفت اننا نطمع في أن نحل محل انجلترا في المعاهدة الانجليزية المصرية وفي الحكم الثنائي في السودان » ، وأن رييتروب قد وافق على ما طلبه شيانو من تصفية الوجود العسكري لبريطانيا في البحر المتوسط ، ولكنه فيما يختص بمصر والسودان « لم يرد ، وقال ان ذلك سوف يتعين بحثه حسب تطورات الحرب المستقبلية » (٣٧٩) • على أن هذه الترجمة الفرنسية لم تتضمن شيئا عما أورده « كيرك » و « كاترين دف » بخصوص مقابلة ٧ يولية بين هتلر وشيانو وتقديم مطالب فيها عن إدارة قناة السويس والمعاهدة الانجليزية المصرية •

ونظرا لأن الأصل الايطالي ليس متيسرا، فلا مفر لنا من تقديم التوضيحات والملاحظات الآتية :

أولا - من الغريب حقا أن تتفق الترجمتان الانجليزيستان للمصدرين المذكورين في اسقاط كل ما ورد خاصا بمطامع ايطاليا في مصر ، مع أن الطبعة « الانجليزية » ليوميات شيانو هي طبعة مراجعة ومنقحة •

ثانيا - من الغريب - في الوقت نفسه - أن يتفق الكتاب الانجليز في الاشارة الى هذه الأطماع بالاستناد الى المصدرين السالفي الذكر • وقد يقال ان الكاتبين قد رجعا الى الأصل الايطالي فقط ، ولكنهما اشارا في الوقت نفسه الى الترجمة الانجليزية ، بل ان « كاترين دف » حددت أرقام الصفحات ا

ثالثا — من الغريب أن الترجمة الفرنسية ، وهي الترجمة الوحيدة التي أوردت حديث شيانو عن مطامع ايطاليا في مصر في مقابلة ١٩ يونية ١٩٤٠ ، قد أسقطت كل اشارة الى ذلك في مقابلة ٧ يولية ! متفقة في ذلك مع الترجمة الانجليزية .

والسؤال الآن هو : هل هناك اختلاق من جانب «كيرك» و «كاترين دف» في نسبة أطماع لايطاليا في مصر بخصوص المعاهدة المصرية الانجليزية والحكم الثنائي في السودان وادارة قناة السويس ؟ في الواقع أن اثبات الاشارة الى ذلك في الترجمة الفرنسية ، يقلل من هذا الاحتمال ، لأنه اذا نسب الغرض الى الباحثين الانجليزين ، فلا يجب نسبته الى المترجم وهو محايد . ورأيي أن استناد «كيرك» و «كاترين دف» الى الترجمة الانكليزية للمصدرين الايطاليين ، دون التثبت من مطابقتها للاصل الايطالي ، وهو في متناول ايديهما ، عمل غير دقيق . اما فيما يختص بخلو الترجمة الانجليزية للمصدرين الايطاليين من كل ما ورد خاصا بالاطماع الايطالية في مصر ، وخلو الترجمة الفرنسية كذلك من الاشارة لهذه الاطماع (بالنسبة لمقابلة ٧ يولية) ، فقد يكون مجرد دليل على سوء حال الترجمة في الولايات المتحدة وانجلترا وفرنسا ، حتى ان فقرات بأكملها تسقط دون الاشارة الى أن الطبعة مختصرة ، بل ومع الاشارة الى أن الطبعة كاملة !

وعلى كل حال ، فسواء صح الاهمال من جانب المترجمين الانجليزي والفرنسي ، أو صح الغرض من جانب المؤرخين الانجليزين ، فيهمنا أن نسجل هنا أهم ما ورد بمذكرات شيانو خاصا بمصر . ففي يوم ٣ مايو ١٩٤٠ ، وحين كانت ايطاليا على وشك اعلان الحرب ، سجل شيانو أن وزير مصر المفوض قد تكلم «على مسئوليته» في أن تعلن الحكومة المصرية حيادها . وذكر شيانو أنه قد شجعه على ذلك ، « وأن كنت لا أعتقد أن الامر سوف يختلف كثيرا باعلان الحياد المصري ، ومع ذلك فربما كانت

له فائدة ما « (٣٨٠) • وفي ٢٦ يونية ١٩٤٢ ، حين كانت الدلائل تشير الى أن غزو مصر قد أصبح مسألة وقت، سجل شيانو أن الدوتشي كان يأمل في دخول الاسكندرية قبل خمسة عشر يوما • وقال : «وقد أعد ضباطنا تصريحات بخصوص استقلال مصر، وبخصوص التغييرات في الحكومة • الخ، وسوف نتحدث في كل ذلك بعد الاستيلاء على مرسى مطروح » (٣٨١) •

وقد حصل الكلام فعلا بالنسبة لهذه المسائل في ٢ يولية ١٩٤٢ • فكما يقول شيانو، فإن الدوتشي أصدر تعليماته في ذلك اليوم للاتصال بالالمان حول مسألة الحكومة السياسية المستقبلية في مصر ، واقترح أن يكون روميل حاكما عسكريا ، وأن يعين الى جانبه مندوب مدني ايطالي • وقد استشير شيانو فيمن يقترحه لهذا المنصب ، فاقترح الكونت ماتزوليني الذي كان آخر وزير مفوض لاييطاليا في مصر • على أن هتلر رد في اليوم التالي بأنه يوافق فيما يختص بروميل، ولكنه يؤجل اجابته بالنسبة للمندوب الايطالي، وانه على كل حال «لا يعتبر أن المسألة ملحة» (٣٨٢) •

• • •

هذا هو موقف ايطاليا من واقع الوثائق الايطالية المنشورة • أما فيما يختص بالمانيا ، فلدينا الملاحظات الآتية نطرحها في البداية : أولا - أن اطماع المانيا كانت تتركز في اوروبا ووسط افريقيا (٣٨٣) • ثانيا ، أن المانيا كانت تعترف لاييطاليا بالنفوذ في ميدان البحر المتوسط وتعلن عزوفها عن التدخل في الشئون المتعلقة به • وهذا مما أورده شيانو عن مقابلته مع رييتروب وهتلر في يومي ١٩ يونية و ٧ يولية ١٩٤٠ ، فقد سجل عن المقابلة الأخيرة أن هتلر قد أكد له في أثناء الحديث أنه، فيما يتعلق بالبحر المتوسط فانه يعتبره «مسألة ايطالية بحتة» ، وأنه « لا ينوي التدخل في

شئونه ، ويوافق مسبقا على أي قرار أو عمل يتخذ فيه » (٣٨٤) . ثالثا -
انه لا يوجد في الأحاديث التي رواها شيانو عن هتلر ورييتروب، أو في
مذكراته ، ما يشير الى وجود أطماع لألمانيا في مصر . وهذا واضح أيضا
مما دار من مباحثات في برلين بين عثمان كمال حداد، السكرتير الخاص
للمفتي، ووزارة الخارجية الألمانية، فقد ذكر أن الخارجية الألمانية «أفهمتي
صراحة أن ألمانيا لا تضرر الا الخير للبلاد العربية، وهي من ناحيتها الخاصة
مستعدة لاعطاء التعهدات ، ولكنها مرتبطة باتفاقات مع إيطاليا، فمن
الضروري أخذ موافقة روما في جميع الامور (٣٨٥) .
وقد روى لي محمد كامل البنداري (باشا) في حديث شخصي معه،
أنه حين كان بالسفارة المصرية في باريس بعد دخول الألمان اليها، عقد
الألمان اتفاق « مونتوار Montoire » مع فرنسا في أكتوبر ١٩٤٠ ، وقد
اتصل به من أخبره بأن وكيل وزارة الخارجية الألمانية يريد مقابلته، وتمت
مقابلة رسمية بينهما فعلا ، وقد أبلغ فيها وكيل الخارجية الألمانية البنداري
باشا بما ورد في الاتفاق المذكور خاصا بمصر، ويتضمن الاعتراف باستقلال
مصر، واعتبارها بلدا محايدا، والاعتراف بحقها في الاستيلاء على قناة
السويس مع تسوية التعويضات الخاصة بالشركة بعد الحرب ، واحترام
اعلان القاهرة مدينة مفتوحة اذا توصلت مصر الى الاتفاق مع بريطانيا على
ذلك . ثم طلب وكيل الخارجية الألمانية من البنداري باشا الاتصال
بحكومته للدخول في مفاوضات مع بريطانيا حول الجلاء بعد الحرب وضم
القناة الى الادارة المصرية وارسال فرقة مصرية الى الصحراء الغربية .
ويقول البنداري (باشا) انه سافر الى مصر بمساعدة الألمان وعرض الأمر
على حسين سري باشا طالبا اليه الدخول في مفاوضات مع انجلترا وهي
مهمومة ، والمصارعة الى احتلال القناة وضمها الى الادارة المصرية، وارسال
جنود الى الصحراء الغربية . ولكن حسين سري باشا لم يبد استعدادا
لتقبل هذه المهمة (٣٨٦) .

وقد حاولت تحقيق هذه المسألة الهامة بالاطلاع على نصوص اتفاق مونتوار في الوثائق الألمانية المنشورة تحت عنوان : Documents on the german foreignpolicy ولكن ما وجدته منها لم يتضمن هذا الاتفاق . وقد وجدت اشارة ضئيلة اليه في كتاب السير جون همرتون : «الحرب العظمى الثانية» اذ ذكر انه عقد اجتماع في يوم ٢٤ أكتوبر ١٩٤٠ بين هتلر وبيتان، حضره كل من رييتروب ولافال، وأتفق في هذا الاجتماع على الخطوط الأساسية للتعاون بين الدولتين . وعرفت هذه السياسة بسياسة مونتوار (٣٨٧) . على أني وجدت اشارة أكثر تفصيلا في كتاب وليم شيرر : « نشأة وسقوط الرايخ الثالث » ، فقد ذكر أن نص اتفاق مونتوار موجود بين وثائق وزارة الخارجية الألمانية المصادرة ، وأن وزارة الخارجية الأمريكية لم تكن قد نشرت هذا النص عندما وضع هو كتابه، ولكنه اورد ان «وليم لانجر» قد روى في كتابه : «مغامرتنا في فيشي» النص الآتي ، كما استقاه من الوثائق الألمانية التي وضعتها وزارة الخارجية تحت تصرفه ، وهو بخط بيتان ويقول : « لدولتي المحور وفرنسا مصلحة مشتركة متماثلة في تحقيق هزيمة انجلترا في أسرع وقت ممكن . ولهذه الغاية، فان الحكومة الفرنسية ستؤيد في حدود مقدراتها الاجراءات التي قد تتخذها دولتا المحور للوصول الى هذا الهدف » ، وقد تقرر أن تعطى فرنسا في هذا الاتفاق المكانة التي تستحقها في أوروبا الجديدة ، وتعطى في افريقيا تعويضات من أراضي الامبراطورية البريطانية مقابل ما قد ترغم على التنازل عنه للدول الأخرى . وقد قرر الجانبان الألماني والفرنسي بقاء هذا الاتفاق «سريا للغاية» (٣٨٨) .

وقد وجدت تفصيلات أكثر عن اتفاق مونتوار في الفصل الذي عقده الفريد كوبان Alfred cobban في كتاب : «أوروبا هتلر» عن فرنسا . ويتضمن الفقرة التي أوردها وليم لانجر مع تفصيلات أوسع عن المكافآت والتعويضات التي ستأهلها فرنسا في مقابل تعاونها مع ألمانيا، ومن بينها

الاحتفاظ بقوات عسكرية في شمال افريقيا تزيد عما حددته شروط الهدنة . وقد نص على أن الاجراءات العملية لتطبيق الاتفاق يترك تحديدها لاتفاق آخر (٣٨٩) .

ونظرا لعدم ورود شيء بخصوص مصر في النصوص السابقة - كما رأينا - فقد يساعد على تذييل مهمتنا أن نوضح أن مقدمات اتفاق مونتوار تشير الى أن مقابلة هتلر لبيتان إنما كانت لبحث اقتراح الأميرال رايدر الألماني لبحث مواجهة ألمانيا وحكومة فيشي لأية خطة محتملة من جانب إنجلترا والولايات المتحدة للنزول في شمال غرب افريقيا (٣٩٠) . ونلاحظ أن تعليقات شيانو على مقابلة مونتوار تفيض بالتذمر من هذه المحاولة لضم فرنسا الى دول المحور ، نظرا لدعاوى ايطاليا ضدها (٣٩١) .

لنا إذن أن نشك فيما أبلغه وكيل الخارجية الألمانية لمحمد كامل البنداري باشا عن مصر، خصوصا أن تأكيد هتلر لشيانو في يوم ٧ يولية ١٩٤٠ بعدم التدخل في شئون البحر المتوسط واعتبار هذا البحر مسألة ايطالية ، لم يكن قد مضى عليه سوى ثلاثة أشهر فقط، ولم يكن قد جد ما يدعو هتلر الى تعديل هذه السياسة ونقض هذا التأكيد ، وفي الوقت نفسه جرت مقابلة أخرى بين موسوليني وهتلر في اليوم الثامن والعشرين من نفس الشهر، أي بعد مقابلة هتلر مع بيتان بأربعة ايام، وعلق عليها شيانو قائلا انها أثبتت أن «تأييد الألمان لنا ما زال باقيا» (٣٩٢) .

وهذا يدعونا الى تتبع تطور اهتمام ألمانيا بمصر منذ قيام الحرب حتى وصول المارشال روميل الى العلمين . وكنا قد ذكرنا أن اطماع هتلر كانت تتركز في أوروبا ووسط افريقيا ، وقد ظل هتلر طيلة الوقت عاجزا عن تصور أهمية الحرب في ميدان البحر المتوسط وشمال افريقيا ، ولم يعتبرها الا ثانوية بالنسبة لهدفه الرئيسي وهو أوروبا . ولكنه لم يلبث أن اضطر الى الاهتمام بهذا الميدان تحت عاملين : الأول عجز ايطاليا عن الوفاء بدورها في ميدان البحر المتوسط ، مما جعل تصدي ألمانيا لهذا

الدور أمرا لا مناص منه . والأمر الثاني ، تطورات الحرب نفسها ،
وخصوصا الدور الذي لعبه المارشال روميل في الحروب الصحراوية ،
وقد ظل الخلاف ناشبا بين هتلر والأميرال رايدر حول أهمية ميدان
الشرق الأوسط ، فبينما كان هتلر يرى ان أوروبا هي الميدان الحاسم
للتغلب على بريطانيا ، ومن أجل ذلك ، ولسد باب الأمل في وجهها ،
وحماية ظهره في الوقت نفسه ، فقد دبر عملية برباروسة ضد الاتحاد
السوفيتي - فان رايدر كان يرى أن ميدان البحر المتوسط ميدان هام
آخر يستطيع الألمان فيه ارغام بريطانيا على الركوع . ومنذ نوفمبر ١٩٤٠
أخذ رايدر يلحف على هتلر للاهتمام بهذا الميدان . ففي مذكرة سلمها
اليه في ١٤ نوفمبر ١٩٤٠ أوضح أن ايطاليا لن تتمكن ابدا من تحقيق
الهجوم العام على مصر ، وأن القيادة الايطالية في وضع تعس للغاية ،
وأن على ألمانيا والحالة هذه أن تحمل أعباء هذه المهمة على عاتقها . ولكن
هتلر كان مرتبطا باتفاقه مع موسوليني على ألا يقدم له المساعدة الا في
المرحلة الثالثة من الهجوم على مصر (من مرسى مطروح الى الدلتا
والنيل) . فلما طردت القوات الايطالية من الأراضي المصرية شر طردة
في ديسمبر من نفس العام ، وأخذ مركز ايطاليا ينهار في شمال افريقيا ،
رأى هتلر في يناير ١٩٤١ أنه من الأمور الحيوية بالنسبة لنتيجة الحرب
الا تنهار ايطاليا في هذا الميدان ، حتى لا يؤثر ذلك على هبة وسمعة
المحور ، وقرر تعزيز القوات الايطالية بقوات ألمانية بقيادة الجنرال
روميل . ولم يكن الغرض من ارسال هذه القوات المحدودة الاستيلاء
على مصر لأن ذلك كان يتطلب تجهيزات أعظم - وانما كان الغرض حماية
ايطاليا من السقوط . ولقد سنحت فرصة نادرة لهتلر للاستيلاء على مصر
سنة ١٩٤١ بعد الهجوم المظفر الذي شنه الجنرال روميل في ٣١ مارس
١٩٤١ واخترق به الحدود المصرية واحتل السلوم يوم ١٤ ابريل . ففي
الشهر التالي مباشرة وقعت الانتصارات الألمانية المذهلة في يوغوسلافيا

واليونان وكريت ، وأصبحت سمعة بريطانيا بضربة قاصمة • وقد سارع الأميرال رايدر في ٣٠ مايو فناشد هتلر أن يعدّ العدة لهجوم حاسم على مصر والسويس قائلا ان هذه الضربة « سوف يكون أثرها القاتل على الامبراطورية البريطانية أشد من احتلال لندن » ، كما أرسل روميل بندات مماثلة • ولكن هتلر ، الذي كان يشعر بأن عملية بارباروسا قد تأخر تنفيذها بسبب الاستيلاء على يوغوسلافيا واليونان وكريت ، وكان يخشى أن يدهمه الشتاء الروسي قبل انتهاء خطته ، رفض الاستجابة لنصيحة رايدر ومناشدات روميل ، وأعلن أنه لا يمكن اتخاذ قرار نهائي بشأن قناة السويس وإخراج بريطانيا من مراكزها من البحر المتوسط والخليج الفارسي ، قبل الانتهاء من عملية بارباروسا (٣٩٣) •

وقد ظل موقف هتلر من الجبهة المصرية على هذا النحو حين طار إليه روميل في فبراير ١٩٤٢ بعد انتصاره في برقة • فقد استمع دون اهتمام الى تقرير روميل الطويل عن الهجوم البريطاني الشتوي والهجوم الألماني المضاد والموقف في شمال افريقيا ، وعندما سأله روميل عما هي خطط القيادة الألمانية العليا بالنسبة لسير الحرب في شمال افريقيا في المستقبل خلال ١٩٤٢ ، رد هتلر بقوله : « اذا قررنا أن نقوم بهجوم في منطقة البحر المتوسط فلن ندخر جهدا لوضع الأمور في نصابها على أساس سليم » (٣٩٤) •

ولكن الموقف تغير تماما بعد استيلاء روميل على طبرق دون حصار طويل ، فقد وافق هتلر على الفور على الاقتراح الذي قدمه روميل بمتابعة السير الى القاهرة ، على الرغم من معارضة الجنرال كسلرنج والأميرال رايدر ، لأن الاستيلاء على مصر ، في الواقع ، لم يعد يشكل عبئا على مجهوده الحربي في روسيا • ومن الغريب أنه حين أخذ هتلر يهتم بالجبهة المصرية ، كانت الفرصة قد ضاعت ، فان تأجيل الاستيلاء على مالطة قد أثبت أنه كان غلطة قاضية ، فبفضل استمرارها في يد

البريطانيين غرقت ثلاثة أرباع سفن التموين المرسلة الى روميل (٣٩٥) ،
بينما كانت الامدادات تنهال على مصر من سوريا والهند والعراق .
وبذلك تقرر نهاية الوجود الالماني في مصر وشمال افريقيا .

والسؤال الآن هو : ما هو تأثير تحول هتلر الى الاستيلاء على
مصر في السياسة الالمانية نحوها ؟ لقد رأينا أن هتلر قد قبل تعيين
روميل حاكما عسكريا لمصر ، بينما رفض مناقشة مسألة تعيين المندوب
المدني الايطالي وأرجأها الى وقت آخر . فهل كان ذلك اشارة الى ان
ألمانيا لم تعد ترغب في تسليم الموقف في مصر الى ايطاليا ؟ في الواقع
أن ألمانيا لم تكن تنوي منذ بداية الامر التسليم لايطاليا بأطماعها في
مصر . فقد رأينا ان رييتروب قد وافق على معظم مطالب شيانو في
البحر المتوسط ، ولكنه بالنسبة لمصر والسودان أرجأ بحث هذه المسألة
وتركها لتطورات الحرب . فلما جاءت هذه التطورات بما وضع الجيوش
الالمانية والايطالية على أبواب الاسكندرية ، رفض هتلر بحث طلب
موسوليني تعيين مندوب ايطالي مدني الى جانب روميل . فهل كان ينوي
حماية مصر من أطماع الايطاليين أم أنه كان ينوي الاستئثار بمصر وهدم
استقلالها ؟

لا بد لنا من الاسترشاد بالتصريحات الالمانية التي تبين سياسة
ألمانيا في هذا الخصوص . ففي يوم ٣ ابريل ١٩٤١ أصدر وكيل وزارة
الخارجية الالمانية الى كل من رشيد عالي الكيلاني ومفتي فلسطين كتابا
ورد فيه : « أن ألمانيا التي لم تحتل قط أرضا عربية ، لا تستهدف أن
تستولي على أي جزء من البلاد العربية . وهي ترى أن الشعب العربي ،
وهو شعب ذو ثقافة قديمة ، وقد برهن على لياقته الادارية وفضائله
العسكرية ، لجدير بأن يحكم بلاده بنفسه . ولهذا فان ألمانيا تعترف
باستقلال البلاد العربية استقلالا تاما ، وبحق البلاد العربية التي لم
تستقل حتى الان بأن تنال استقلالها التام » (٣٩٦) . وقد أكد هتلر في

أمره رقم ٣٠ بشأن الشرق الاوسط الصادر في ٢٣ مايو ١٩٤١ أن
« انتصار المحور من شأنه أن يؤدي الى تحرير بلاد الشرق الاوسط من
غير الانجليز ، وبالتالي الى حق هذه البلدان في تقرير مصيرها » .
واعتبر حركة التحرير العربية في الشرق الأوسط « هي حليفنا الطبيعي
ضد بريطانيا » . وعندما أخذت الجيوش الألمانية تتوغل في الحدود
المصرية أصدرت اذاعة برلين تصريحات متتالية تؤكد « أن جيوش المحور
جاءت لتحرير البلاد من الاحتلال البريطاني ، وأنها تؤيد استقلال مصر
استقلالاً تاماً » . وقد تساءل الدكتور صلاح العقاد عما اذا كان اسراف
الامان في بذل هذه الوعود بالاستقلال في هذه الحقبة ، لأنهم كانوا
يشعرون بابتعاد الأمل في النصر النهائي بعد دخول الولايات المتحدة
الحرب ؟ أم لأن الأمر أصبح يتعلق بألمانيا وحدها ، وأن إيطاليا فقدت
كل حساب بالنسبة لحليفها ؟ (٣٩٧) .

في الواقع أن اسراف الألمان في الوعود بالاستقلال بالنسبة لمصر
لا مثيل له - فيما نعلم - في كل الغزوات التي قاموا بها في أوروبا .
ففي بولندا وتشيكوسلوفاكيا وهولندا وبلجيكا وفرنسا ويوغوسلافيا
واليونان وكريت والاتحاد السوفيتي ، لم يصدر الألمان وعوداً باحترام
استقلال هذه الدول قبل غزوها . ونلاحظ أن هذه الوعود والتصريحات
بالنسبة لمصر قد تبرعت بها ألمانيا دون مقابل منتظر من جانب الشعب
المصري ، ودون أن تطلبها مصر . فهي على هذا النحو تختلف عن وعود
بريطانيا للشریف حسين في الحرب العالمية الأولى التي صدرت مقابل
اشتراك العرب في الحرب . يضاف الى ذلك أن الوثائق الألمانية قد
أوردت الكثير عن أطماع ألمانيا بالنسبة لبقع كثيرة من العالم ، ولكنها لم
تورد شيئاً من هذه الأطماع بالنسبة لمصر .

واذا كان ذلك صحيحاً ، فهل كان من مصلحة مصر نجاح الغزو
الألماني ؟ ان الاجابة على هذا السؤال بالنفي دون تردد لعدة أسباب :

أولها أن دخول الالمان والايطاليين مصر كان سترتب عليه انتقال الحكم الى يد حاكم عسكري ألماني وحاكم مدني ايطالي - ولو لفترة الحرب فقط - بينما كان الحكم في أثناء الحرب في أيدي الوطنيين • ثانيا أن انتصار المحور ، حتى ولو حرر مصر من الاحتلال البريطاني ، الذي كان في طريقه الى الزوال حتما ، فانه كان سيسلبها النظام الديموقراطي الذي خاضت من أجله معارك دامية ، وسيفرض المناخ الفاشي الذي تينع فيه عناصر الفاشية والقصر في مصر • ثالثا ، أن انتصار المحور كان من شأنه أن يقضي على كل الاحتمالات لقيام نظام اشتراكي تقدمي في البلاد في المستقبل ، تنتقل به ملكية وسائل الانتاج من يد الفرد الى يد الشعب • وهذه النتيجة وحدها ربما كانت أسوأ النتائج بالنسبة لنجاح الغزو الألماني لمصر •

ج - انسلاخ مكرم عبيد من الوفد

عندما أُلِف النحاس باشا وزارته في ٥ فبراير ١٩٤٢ ، عهد الى مكرم عبيد باشا بوزارتي المالية والتموين ، وهما « محور الوزارة ونقطة ارتكازها » ، فكان ذلك دليلا على ثقة رئيس الوفد بسكرتيه العام . ولكن في يوم ٢٦ مايو ١٩٤٢ أعاد النحاس باشا تأليف وزارته بعد أن استبعد منها مكرم عبيد باشا . وفي يولية ١٩٤٢ قرر الوفد فصل مكرم عبيد وراغب حنا من الوفد . وبعد يومين ، قررت الهيئة الوفدية فصل سبعة عشر عضوا من هيئة الوفد . وفي ٢٣ مايو ١٩٤٣ أصدر مجلس النواب قرارا اعتبر فيه مكرم عبيد باشا « أسوأ مثل للنائب منذ قامت في البلاد الحياة النيابية سنة ١٩٢٤ » . وبجلسة ١٢ يولية ١٩٤٣ قرر مجلس النواب بأغلبية ٢٠٨ ضد ١٧ صوتا ، « فصل حضرة نائب قنا مكرم عبيد باشا » (٣٩٨) . وعلى هذا النحو طرد من الوفد « ابن سعد البكر » و « المجاهد الكبير » ، وأكثر زعماء الوفد شعبية وحظوة لدى الجماهير بعد سعد زغلول ومصطفى النحاس . وتم انفصال أشهر صديقين سياسيين في تاريخ مصر المعاصر .

فما هي حقيقة هذا الانسلاخ الجديد في الوفد ؟ ان مصادرنا للإجابة على هذا السؤال الكبير هي : أولا - ما أفضى به فؤاد سراج الدين (باشا) لمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر من معلومات . ثانيا - ما أورده مكرم عبيد في الكتاب الأسود من اتهامات . ثالثا - مذكرات التابعي . رابعا - مذكرات الدكتور هيكل . خامسا - بيانات الحكومة وقرارات مجلسي البرلمان بشأن الأسئلة والاستجابات عما ورد في عريضة مكرم عبيد باشا الى الملك .

ويفهم مما أدلى به فؤاد سراج الدين من معلومات ، أن مكرم باشا قد بدأ يحس ببعض التغيير في سياسة رئيس الوفد نحوه منذ تألفت الوزارة . « ولم يكن هذا التغيير » — كما يقول فؤاد سراج الدين — « مقصودا به شخص مكرم ، بل كان مقصودا به حفظ التوازن الى حد ما بين مكرم وبين باقي أعضاء الوفد والوزراء الوفديين . فقد أراد النحاس باشا أن يتفادى في حكومة ١٩٤٢ ما وقع في حكومة ١٩٣٦ ، وما وقع قبل ذلك في حكومة ١٩٣٠ — أراد ألا تتكرر مأساة خروج بعض أعضاء الوفد في كل وزارة يشكلها الوفد بسبب نفوذ مكرم وإيثار النحاس باشا له على باقي الأعضاء جميعا . لقد أراد النحاس باشا أن يشعر أعضاء الوفد منذ اليوم الأول أنهم جميعا لديه سواء ، ابقاء منه على وحدة الوفد . »

« وكان هذا غريبا على مكرم » — كما يقول سراج الدين — « فقد اعتاد دائما أن يؤثره النحاس باشا بكل آرائه وأفكاره وأسراره . . . ويبدو أنه أعتقد ، أو أدخل في ذهنه من بعض المحيطين به ، أن هذا التحول هو نتيجة خطة مرسومة تهدف الى التخلص منه » ، وأن سراج الدين ، ان لم يكن هو واضع الخطة فمن العاملين على تنفيذها . وبناء على ذلك رسم مكرم بنفسه سياسة مضادة ، فقد « فتح بيته لكل عضو من أعضاء الهيئة الوفدية ، وأخذ يستدعي من لا يحضر اليه من تلقاء نفسه ، وأخذ يكيل التهم جزافا للوزراء الوفديين ولأقارب النحاس باشا وأصحابه » ، وفي الوقت نفسه أخذ يحارب سراج الدين ، فقد رفض ترشيح عبدالفتاح الطويل له وكيلا لوزارة الداخلية ، بحجة أنه « لا يزال حديث السن وحديث العهد في الهيئة الوفدية ، اذ لم يمض عليه بها أكثر من سبع سنوات ، في حين أنه يوجد أعضاء أكبر سنا منه وأقدم في عضوية الهيئة ويطمعون في مثل هذا المنصب » .

وقد نفى سراج الدين وجود دور له في الاطاحة بمكرم عبيد باشا

طمعا في سكرتارية الوفد ، قائلا : انه في ذلك الحين ، لما يكن قد أصبح بعد عضوا في الوفد ، اذ أنه دخل الوفد في عام ١٩٤٧ ، وتولى سكرتاريته العامة في أوائل عام ١٩٤٩ - فكيف يطمع في الحلول محل مكرم باشا في سكرتارية الوفد ؟ . وقال ان مكرم حين حاربه كان يعتقد أنه بهذه المحاربة يعمل على ابعاد عنصر يعتقد هو أنه قد يكون له قوة بجانب مصطفى النحاس ، وقد يقلل من قوته أو من نفوذه لديه » .

ثم أضاف سراج الدين أن مكرم عبيد كان يعتقد ، « لصلته الوثيقة الدائمة بأعضاء الهيئة الوفدية ، اذ ترك له النحاس هذا المجال بوصفه سكرتيرا عاما للوفد - ولثقتة التي لا حد لها به ، أن النحاس لا يقوى على خصومته ، وانه اذا جد الجد واحتكم الاثنان لأعضاء الهيئة الوفدية ، فلن يفلح النحاس في الحصول على قرار منها ضده » . وقال : ان مكرم كان يعتقد أن الوفد « سيضع في اعتباره عامل تمثيله للأقباط » ، وهو العامل الذي كان وراء سياسة مكرم باشا ألا يدع لعضو قبضي الفرصة ليتفوق بنفوذه عليه ، وقد أبقى فهمي ويصا في عضوية الوفد ، « لعدم خطورته السياسية على مركزه الشخصي » .

وقال سراج الدين ان رئاسة الوفد ورئاسة الوزارة الوفدية ، لم تكونا بعيدتان عن مطامح مكرم عبيد باشا ، وأنه كان يعتقد انه يستطيع أن يكون رئيسا للحكومة كما كان بطرس غالي باشا من قبل ، « وقد ساعد على تكوين هذه العقيدة في نفسه ما حبه به السراي في ذلك الوقت اثناء خلافه مع النحاس من تشجيع » . وكانت هناك اتصالات سرية كثيرة بينه وبين رجالها ، وعلى الأخص أحمد حسنين رئيس الديوان اذ ذاك .

ثم أوضح سراج الدين دوره في الرد على هجوم مكرم عبيد باشا ، بعد ما وجه من الاتهامات للوزراء وأقارب النحاس وأصهاره ، فقال : « وعندما رأيت هذا الجو الخائق ، أشرت على النحاس باشا بأن يجمع

أعضاء الهيئة الوفدية كل مديرتين معا ، ويجلس اليهم يحدثهم عن موقف
مكرم وعن تصرفاته ، ويستمع الى ما يبدونه من أقوال ، ويجب على
ما لديهم من استفسارات . وساعد على تنفيذ هذه الفكرة أن النحاس
في ذلك الوقت كان يقيم معي في بيتي نظرا لتوالي الغارات الجوية على
مصر الجديدة ومطارها ، وما كان يتهده من خطر فسي اقامته في داره
هناك . فنفذنا فعلا هذه الفكرة ، وكان لها أثر كبير في تنوير أعضاء
الهيئة الوفدية ، وايقافهم على الحقائق وعلى تجني مكرم .

وبين سراج الدين أن تقديره وتقدير النحاس باشا لموقف الأقباط ،
كان مختلفا عن تقدير مكرم عبيد . « لأننا نعلم أن من سينضم له من
الأقباط في الهيئة الوفدية عدد محدود جدا ، وخاصة أن النواب الأقباط
يعلمون بذكائهم مصير مكرم . . حتى جاء اليوم الذي كان محددًا
لاجتماع الهيئة الوفدية في النادي السعدي للنظر في هذا الخلاف ،
وحضره النحاس ومكرم ، فوقفت الهيئة كلها فيما عدا نفر قليل منها في
جانب النحاس تنصره ، ولم ينضم الى مكرم سوى ثلاثة أو أربعة أشخاص
من النواب الأقباط . ولم يخرج من الشيوخ الوفديين الأقباط الا ثلاثة
أو أربعة . وبذلك فشل مكرم في استخدام هذا السلاح » (٣٩٩) .

هذه هي أقوال فؤاد سراج الدين (باشا) عن انسلاخ مكرم عبيد
من الوفد ، ونستخلص منها النقاط الآتية :

- ١ - أن النحاس باشا ، وليس مكرم عبيد ، كان هو الذي بدأ في
تغيير سياسته نحو سكرتير الوفد ، وذلك بحجة حفظ التوازن بين مكرم
وبين باقي أعضاء الوفد - كما يقول فؤاد سراج الدين .
- ٢ - كان رد الفعل من جانب مكرم عبيد كيل التهم للوزراء
الوفديين ولأقارب النحاس باشا وأصهاره ومحاربة فؤاد سراج الدين .
- ٣ - كان للسراي دور في الأزمة ، وخصوصا أحمد حسنين باشا ،
وكان الهدف من ذلك استغلال مكرم عبيد في ضرب الوفد .

الجليل » ، فأمر النحاس باشا ألا ينشر أي خبر عن أي وزير من الوزراء الاسود . وتتفق هذه الرواية مع رواية سراج الدين في النقطة الأولى ، وهي حدوث التغيير من جانب النحاس باشا وليس من جانب مكرم . ولكنها تختلف في أسباب هذا التغيير . ففي رواية مكرم أن أهل النحاس باشا وأنسابه رأوا في مستهل عهد الوزارة ، « أن يغتنموها فرصة لطلب الثراء على يد صديق النحاس في الضراء ، فكيف في السراء ! » ، وذلك عن طريق طلب « الاذن بتصدير كميات هائلة من الزيت والجلود يكسبون من وراء تصديرها أكثر من نصف مليون جنيه . ولكنه رفض الترخيص لهم بالتصدير ، رغم أن النحاس باشا نفسه أيد هذا الطلب وألح فيه » . وقال مكرم : ان جرثومة الداء سرت الى رئيس الوزراء ، فكان هو شخصيا « يتصل من وراء ظهري بالمرءوسين لي ، أو بجهات أخرى غير مختصة ، ملحا في اعطاء أنسابه السكر والأرز الخ ، من غير علمي . كما حاول رفعته جهده أن يمنعني من تحقيق جنحة تهريب غزل ضد أنسابه وتقديمهم الى المحاكمة العسكرية . الى غير ذلك من محاولات، فشاعات ، فمحسوبيات ، فتعهدات ، فتصرفات ترمي كلها الى استغلال الحكم لمصلحة الحاكمين، وتجعل من أسلوب الحكم ألعوبة ومفسدة معا! » ثم قال مكرم : انه بسبب موقعه هذا « بدأ النحاس باشا وأهله يقلبون ظهر المجن للصديق القديم الذي أراد للحكم ولهم خيرا » . وتمثلت مرحلة الانقلاب الاولى في الصحافة ، التي كانت حينذاك تعنى بالكتابة عنه ، ونشر « الشيء الكثير من الاجراءات التي اتخذها او سيتخذها ازاء المهريين أو المختزنين أو لتوفير مئونة الشعب ولباسه » . فصدرت الأوامر الى الصحفيين ألا يكتبوا مقالات أو اخبارا تنطوي على الاشادة بوزير التموين أو الثناء على جهوده ، وألا تبرز أحاديثه . وكانت الجرائد الوفدية تنشر أخبار مكرم عبيد باشا تحت عنوان «المجاهد الكبير» ، في عامود مجاور للعامود الذي تنشر فيه استقبالات « الرئيس

الجليل » ، فأمر النحاس باشا ألا ينشر أي خبر عن أي وزير من الوزراء في هذين العامودين • « وفعلنا نفذت الأوامر بدقة متناهية ، منذ ذلك الوقت حتى خروجي من الوزارة » •

ثم قال مكرم ان النحاس باشا بعد ذلك عمل على الاتقاص من سلطته بتعيين وزير جديد للتموين لا خبرة له بهذه الشؤون (أحمد حمزة)، رغم أنه كان يقوم بهذه الشؤون بنفسه وبكفاية ، وأنقذ البلاد من المجاعة، وكان الثناء عليه عاما بين الناس وفي الصحافة • ومضى يقول انه حذر النحاس باشا من عواقب تعيين وزير جديد ، ولكنه لم يستجب ، وأعلن (النحاس) في مجلس الوزراء أنه عرض على الملك أمر إعادة وزارات التموين والشؤون الاجتماعية والوقاية ، فوافق • وهنا سجل مكرم احتجاجه على التصرف الذي اعتبره اعتداء مقصودا عليه •

ويقول مكرم عبيد انه لم يمض وقت طويل ، حتى تلت هذه الازمة أزمة الاستثناءات ، وقد أسماها « الأزمة الفاصلة » ، لأنها كانت السبب المباشر في اخراجه من الوزارة وبعد ذلك من الوفد • ومع ذلك فقد تم التعاهد بعدها بينه وبين النحاس باشا في النادي السعودي على الاحتفاظ بوحدة الوفد رغم الاختلاف في الحكم ، ولكن النحاس أصدر تعليماته للصحف بعدم الاشارة اليه بوصفه سكرتيرا للوفد أو المجاهد الكبير • وأخذ يجمع الهيئة الوفدية البرلمانية مجزأة في ممثلي كل مديرية من المديريات ويشرح لهم أسباب الخلاف ، « ناسيا ما قطعه على نفسه من عهد صريح في اجتماع الهيئة الوفدية في النادي السعودي » •

ومضى مكرم يقول ان حالة الحكم ساءت بعد ذلك ، وتفشت المحسوبية والمحاباة في أسوأ مظاهرها بين الموظفين والأهلين ، فرأى وبعض اخوانه من النواب التقدم الى المجلس بعريضة يطلبون فيها مناقشة هذه التصرفات • « وقد أردنا أن نكون أمناء للنظام الحزبي ، فاتصلت بحضرة سكرتير عام مجلس الوزراء وطلبت منه أن يرجو من رفعة النحاس

باشا عقد الهيئة الوفدية لمناقشة العريضة في الهيئة قبل تقديمها الى البرلمان ، عسى أن تقنع الحكومة بأخطائها فتعالجها ، أو نقتنع بخطأ مأخذنا عليها ، فنعدل عنها من غير ما حاجة الى مناقشة البرلمان . ولكنه رفض عقد الهيئة قائلا : أمامكم طريق الاستجواب في البرلمان ! ولم يكن بد اذن من تقديم العريضة الى البرلمان لمناقشتها ، ولكن العريضة استبعدت بعد تلاوتها في جلسة سرية . وتلى ذلك في نفس الليلة أن اجتمع الوفد وقرر فصل مكرم عبيد ومعه راغب حنا ، كما قرر فصل الشيوخ والنواب الذين ثبتوا مع مكرم وعددهم سبعة عشر ، رغم أن هؤلاء قدموا استقالتهم من الوفد .

ثم يقول مكرم عبيد في الختام : « هذه يا مولاي نظرة عامة الى أسباب الخلاف الوزاري وتنتأجه حتى خروجي من الوزارة ومن الهيئة السياسية التي يرأسها رئيس الوزراء . وأما ما تلا ذلك من مساوئ الحكم والعبث بالحريات على اختلاف أنواعها ، فسيأتي الكلام عنه ضمن القسم الثاني من هذه العريضة ، وهو القسم الذي سيتناول تفصيل الوقائع والأدلة عليها منذ أن دخلت الوزارة حتى الآن . . . فهل يقول قائل بعد ذلك اننا تعجلنا المعارضة ؟ أم أننا تمهلنا الى أبعد حدود التمهّل ، وتحملنا الأذى والاضطهاد فوق طاقة التحمل ! على العكس يا مولاي ، فأنني لأتهم نفسي بأنني تمهلت عليه أكثر مما وجب التمهّل . . . أليست هي صداقة العمر ؟ وأليست هي ذكريات « غاليات » صحبتنا في النفي وفي الأسر ، وفي الهزيمة وفي النصر . . . فهل من عجب اذا أشفقت وامتد بالاشفاق جبل الصبر ! » (٤٠٠) .

هذه هي أسباب الخلاف كما رواها مكرم عبيد باشا في كتابه الأسود . وعند موازنتها برواية فؤاد سراج الدين نجد أنهما تتفقان في أن النحاس باشا هو الذي بدأ يغير سياسته نحو مكرم عبيد بعد تأليف الوزارة ، وأن مكرم أخذ يكيل الاتهامات لأقارب النحاس باشا وأضهاره .

وتختلف الروايتان في أسباب تغير النحاس باشا على مكرم باشا : فبينما يقول سراج الدين ان السبب هو رغبة النحاس في حفظ التوازن بين مكرم وباقي أعضاء الوفد، فان مكرم يقول ان السبب هو منع أذون التصدير عن أنساب النحاس ووقوفه في وجه مصالحهم، بالإضافة الى الاستثناءات . وفيما عدا ذلك يغفل مكرم مسألتين : الأولى، دور سراج الدين، والثانية ، دور السراي . وهنا نستعين بذكرات التابعي لالقاء بعض الأضواء على هذا النزاع . وكان التابعي في ذلك الحين يقف موقفا محايدا بين مكرم باشا والنحاس باشا من جهة، وبين الوفد والقصر من جهة أخرى .

ويصور التابعي الخلاف الاساسي على أنه كان خلافا بين السيدة زينب الوكيل ومكرم عبيد باشا . « فقد كان مكرم عبيد صاحب السيطرة والنفوذ ، الى أن زحزحته أو أزاحتها السيدة زينب الوكيل . وكان طبيعيا أن تتطور المنافسة بين الاثنين الى عداوة أو ما يشبه العداوة ، وأن يطلق كل من الاثنين لسانه في صاحبه . وامتلات المجالس والأندية بالاشاعات والتشنيعات . . . وسمع الجمهور لأول مرة أن السيدة حرم رئيس الوفد ورئيس الوزراء تستغل نفوذ زوجها ونفوذ الوزارة من أجل الثراء السريع، وأنها ليست وحدها ، بل ومعها عدد من أقاربها وأصحابها » . ويمضي التابعي قائلا : ان الحقيقة المنصفة هي أن السيدة حرم النحاس باشا وأقاربها أرادوا أن يحملوا نزاهة مكرم عبيد فوق ما تطيق، ولكنه وجد أن المطلوب منه، أو الحمل على نزاهته ثقيل وفوق ما تطيق ، فرفض ، ثم تشدد بعد أن اشتد الخلاف ، وراح يتعنت ويرفض الطلب الصغير اليسير ، كما يرفض الموافقة على الطلب الكبير الخطير » .

ثم يذكر التابعي العوامل المساعدة التي وسعت شقة الخلاف ، وهي تنحصر في عوامل ثلاثة : الأول ، أن كثيرين من أعضاء الوفد كانت صدورهم قد ضاقت بالنفوذ الأكبر الذي يتمتع به « زميلهم » مكرم عبيد دونهم جميعا عند رئيسهم مصطفى النحاس ، وبالسلطات الواسعة التي

كانت له في كل شأن من شئون الوفد، وخصوصا بعد خروج أحمد ماهر والنقراشي من الوفد . وأن هؤلاء الأعضاء رأوا أن الخلاف بين مكرم عبيد وزينب الوكيل فرصة طيبة أو فرصة سانحة يحسن بهم أن ينتهزوها لكي يتخلصوا من مكرم عبيد ومن نفوذه الطاغى في الوفد . او كما قال أحدهم للتابعي : نريد أن نكون أرقاما صحيحة . لا أصفارا الى اليسار !

ثانيا - دور أحمد حسنين باشا في توسيع شقة الخلاف . فيذكر التابعي أن خطة حسنين باشا ، بعد حادث ٤ فبراير، كانت تقوم على « التوقيع » بين النحاس باشا ومكرم باشا ، وبين أمين عثمان باشا « لينزع من رئيس الوفد ذراعيه الاثنين اللذين يستند اليهما في ادارة شئون البلاد الداخلية والخارجية » . وقد فشل حسنين باشا مع أمين عثمان باشا ، ولكنه نجح مع مكرم باشا نجاحا فوق ما كان يأمل، فقد هيا مقابلة بين مكرم وفاروق، خرج بعدها مكرم عبيد يزجي المديح الى فاروق في عبارات أثارت النحاس الذي وصفها بقوله : « ده كلام ما يكتبوش الا العبيد ! » . وقد برر مكرم باشا كلامه بأن النحاس وغيره يقولون مثله ! ولكن النحاس أجاب بقوله : « أيوه لكن لما أقوله أنا بقوله في مقابل شيء ، بأقوله وآخذ حاجة في مقابل كدة . لكن انت تقوله ليه ؟ » .

ثالثا - الخلاف حول الاستثناءات (٤٠١) . ويتلخص هذا الخلاف في أن النحاس باشا كان قد اختار لمعاونته في وزارة الداخلية ثلاثة من الموظفين هم : ابراهيم فرج مسيحة ، وتوفيق مرسي القاضي ، ومحمد خيرى عثمان (وكان الأخيران يمتان له بصلة القرابة) ، ولما كان الثلاثة ممن اضطهدوا في عهد وزارات الانقلاب، فقد طلب النحاس لاضطلاعهم بوظائفهم ، معاملتهم معاملة استثنائية . وقد انتهز مكرم الفرصة ليماطل بقصد المناورة لاسترداد نفوذه، ولما راجعه النحاس باشا، أحال المسألة الى اللجنة المالية التي رفضت الطلب، واقترحت منع كل استثناء لاية مناسبة من المناسبات ، سواء من وزارة الداخلية او غيرها من الوزارات .

وتسرب نبأ المذكرة الى الصحف قبل بحثها في مجلس الوزراء، الأمر الذي اعتبره النحاس باشا دليلا على سوء نية مكرم عبيد باشا ورغبته في التشهير به شخصيا . ولما رفض مجلس الوزراء مذكرة اللجنة المالية ، أصر مكرم عبيد على نشرها كاملة ، فكانت القضية وأخرج النحاس مكرم من الوزارة .

• • •

والسؤال الآن هو : هل كانت مسألة منع أذونات التصدير وغيرها من المغانم عن أقارب السيدة زينب الوكيل ، هي الفعل الذي ترتب عليه ردود الفعل التالية : الدس على مكرم لدى النحاس ، حتى تغيرت سياسته نحوه ، ومقابلة مكرم هذا التغير بالتشنيع على النحاس وحرمه وأقاربها، ثم تبادل ردود الفعل بين الطرفين حتى خروج مكرم من الوزارة والوفد ثم من مجلس النواب ؟ - أم أن سياسة النحاس باشا الجديدة في حفظ التوازن بين مكرم عبيد باشا وأعضاء الوفد هي الفعل الذي تداعت بعده ردود الفعل الأخرى .

في الواقع أننا لا نستطيع أن نعتبر مسألة منع أذونات التصدير وغيرها عن أقارب حرم النحاس باشا هي الفعل الذي ترتبت عليه ردود الأفعال التي انتهت بانسلاخ مكرم عبيد من الوفد، لسبب هام : هو أن الخلاف شجر في الأسبوع الأول لتأليف الوزارة ، باعتراف طرفي الخلاف : ففؤاد سراج الدين يقول ان مكرم كان قد بدأ يحس ببعض التغير في سياسة رئيس الوفد نحوه منذ تألفت وزارة الوفد في عام ١٩٤٢ ، وأن النحاس أراد ان يشعر أعضاء الوفد منذ اليوم الأول أنهم جميعا لديه سواء . وجلال الدين الحمامصي الذي كان له دور رئيسي في وضع الكتاب الأسود وطبعه وتوزيعه يقول : بدأ الخلاف بين النحاس

ومكرم منذ اليوم الأول لتشكيل الوزارة الوفدية « (٤٠٢) • ويقول
مكرم : اننا لم نكد نستهل عهدنا في الحكم متصافين متضامين ، حتى بدا
لأهل النحاس باشا وأنسبائه ان يغتنموها فرصة لطلب الثراء على يد
صديق النحاس • الخ « (٤٠٣) • ونحن لا نستطيع أن نصدق أن ضغط
أنسباء النحاس من أجل أذونات التصدير وغيرها قد بلغ في تلك المرحلة
المبكرة الدرجة التي دفعت مكرم عبيد الى الوقوف موقفه الصلب على
النحو الذي يعرض مركزه في الوفد والوزارة، وعلاقته بالنحاس للخطر .
كذلك ليس من المعقول، بعد أن وقف مكرم عبيد هذا الموقف في تلك
المرحلة المبكرة ، وبعد أن لجأ الى التشنيع والتشهير، أن يستمر ضغط
هؤلاء الأنسباء والأقارب من أجل المغانم : أولا ، لعدم جدوى الضغط،
وثانيا ، خوفا من اثبات التهم التي يروجها مكرم باشا •

هذا من ناحية أذونات التصدير والحصول على مواد التموين • أما
من ناحية الاستثناءات، فإن موقف مكرم عبيد منها يستحق النظر • ذلك
أن وزارات ذلك العهد كانت قد دأبت في أثناء وجودها في الحكم على
تقليدين : الأول ، اضطهاد خصومها من الموظفين بفصلهم أو إهمالهم عند
الترقية ، والثاني، تعويض أنصارها من الموظفين بترقيتهم ترقية استثنائية •
وفي عام ١٩٣٧ أثبتت هذه المسألة في عهد حكومة الوفد، فرد النحاس
باشا بأحصائية طريفة بين فيها أن النسبة الشهرية للاستثناءات في عهده
هي أقل من نسبتها الشهرية في عهود خصومه • ففي عهد صدقي باشا
الذي استمر ٣٩ شهرا بلغ متوسط الحالات شهريا ٣٢ حالة ، وفي عهد
علي ماهر ٣٠ حالة ، وفي عهد عدلي باشا ٢٠ حالة ، وفي عهد نسيم ١٦
حالة شهريا ، وفي عهد محمد محمود باشا ١٤ حالة ، وفي عهد عبد الفتاح
يحيى باشا ١٤ حالة كل شهر • أما في عهد النحاس فهي ١٢ حالة كل
شهر فقط !

ومعنى ذلك أن النحاس باشا لم ينكر وجود استثناءات في عهده ،

وانما كان مجال الدفاع هو في عدد الحالات وقلتها بالنسبة لعدد الحالات في عهد خصومه ، على الرغم من أن أنصار الوفد يدفعون عادة ثمنا أفدح واضطهادا أطول مدى . وعندما تألفت وزارة الانقلاب ١٩٣٨ ، ألف محمد محمود باشا لجنة برئاسة عبد العزيز فهمي باشا للنظر في مسائل الاستثناءات والمحسوبيات . وقد رأت الوزارة أن تكون مهمة اللجنة مقصورة على عهد الوزارة الوفدية، ولكن اللجنة رأت مما اطلعت عليه من مستندات رسمية أن في عهود الوزارات السابقة، وفي مقدماتها وزارات محمد محمود باشا واسماعيل صدقي باشا حالات أفدح في المحسوبيات والاستثناءات ، فامتدت مهمة اللجنة الى عهود تلك الوزارات ، و انتهت الى أنه ليس من العدل والانصاف قصر الغاء الاستثناءات على عهد دون عهد ، وانها اذا ألغت الاستثناءات في كل العهود كان ذلك مدعاة لاغضاب كثير من أنصار الوزارة القائمة . فبقيت الاستثناءات السابقة واللاحقة، وطويت صفحة هذه اللجنة دون أن ينشر تقريرها . ويقول الرافعي، وهو عمدة الرواية السالفة، ان وزارة محمد محمود باشا ، وهي في صدد التشهير بوزارة الوفد لاستثناءاتها، قد لجأت هي أيضا الى الاستثناءات في ترقية بعض أنصارها وتسوية حالات بعضهم ، وأخذت تكيل لطائفة من الموظفين ممن عرفوا بأنهم من أنصار الوزارة السابقة ، وسلكت في ذلك مسلكا لا يقره عدل ولا انصاف (٤٠٤) .

واذا كانت مسألة الاستثناءات على هذا النحو، فمن العسير تقبل موقف مكرم عبيد منها على أنه صادر عن حرص على المصلحة العامة، وليس عن رغبة في التشنيع واحراج النحاس باشا بالذات . ذلك أن مكرم عبيد يعد مسئولا في الواقع عن الاستثناءات التي جرت في عهد حكومة الوفد عام ١٩٣٧ بوصفه وزيرا للمالية . وقد دافع دفاعا بليغا عن هذه الاستثناءات في مجلس النواب، فقال بجلسة ١٠ نوفمبر سنة ١٩٣٧ : « يجب أن يلاحظ أن هناك فارقا بين استثناء واستثناء ، فقد كانت

الاستثناءات في العهد الذي عطل فيه الدستور ، أو استبدل به غيره ،
ترمي كلها أو جلها الى مكافأة الموظفين الذين استخدموا لهدم الحريات
والتنكيل بالأبرياء ، بينما كانت الاستثناءات في عهد الدستور لرفع المظالم
عن بعض من أبت نفوسهم ووطنيتهم أن يكونوا أداة مسخرة للظلم
والاستبداد ! » (٤٠٥) •

لذلك فعندما أصدرت اللجنة المالية قرارها في مايو ١٩٤٢ برفض
الاستثناءات استنادا الى مبادئ العدل والانصاف ، وطلبت أن يوصد
بابها ، رفض مجلس الوزراء الوفدي هذه المذكرة باجماع الآراء فيما عدا
رأي مكرم باشا • وقد شرح النحاس باشا في المجلس الأسباب التي
تدعوه الى رفض المذكرة في بيان طويل يعد - خاصة من وجهة نظر علم
الادارة العامة - من أهم الوثائق التاريخية التي توضح مدى اشتباك
السياسة في بلد حزبي بالجهاز البيروقراطي فيها، وأثر ذلك في شل
الحكومة أو تمكينها من العمل والانتاج • فقد بين النحاس باشا أن «أداة
الحكم في البلاد - واعني كثرة الموظفين وبخاصة كبارهم - كانت في كل
وقت ، قبل الدستور وبعد الدستور ، بعيدة كل البعد عن تمثيل روح
الشعب • ولم تستطع الحكومات الوفدية المختلفة تغيير هذه الحال •
وكانت هذه الحكومات كما تعلمون تتولى الحكم دائما عقب فترات طويلة
من حكم الانقلاب يُقصي فيها الموظفون الذين يمكن أن تعتمد عليهم ،
وتملأ الوظائف - وبخاصة الرئيسية منها - بغيرهم من خصوم الوفد
وكارهيه • فتجد الحكومة الوفدية نفسها في حالة صعبة لا يمكن معها أن
تنظم الأعمال ما دامت الوظائف الرئيسية في أيدي لا تطمئن الحكومة اليها،
وما دامت هذه الأيدي تستطيع افساد الأمور •

ثم مضى النحاس يقول : « فلما قبلت الحكم، كانت هذه المسألة في
مقدمة الصعوبات التي أشفقت منها • ولكنني أملت أن يقدر كبار الموظفين
الموقف ، وأن ينزعوا من أنفسهم اتجاهاتهم الحزبية الخاصة ضد حكومة

الشعب • وبهذا الأمل توخت الوزارة القصد في الالتجاء الى حقها في فصل الموظفين ، ولكن دون جدوى ، حتى أصبحت الحالة سيئة للغاية ولا يمكن الصبر عليها • وهذه الحالة السيئة لا علاج لها الا احدى وسيلتين :

١ - فصل هؤلاء الرؤساء بالجملة •

٢ - أو أن نجعل بجانبهم موظفين آخرين يمكن الاعتماد عليهم في القيام بالأعمال • (وفي هذه الحالة) ولكي يستطيع هؤلاء الموظفون الاضطلاع بمسئولياتهم الشاقة، ولكي تكون لهم كلمة مسموعة بجانب الآخرين ، يجب أن يرقوا الى الدرجات الكبيرة ، وألا يحول حائل دون هذه الترقية المرة بعد الأخرى، مهما كان فيها من استثناءات • وهذا حق مقرر لمجلس الوزراء مراعاة للمصلحة العامة ، وحكمته ظاهرة ، وهي أكثر وضوحا بالنسبة للوزارات الوفدية ، كما سبق البيان •

واستطرد النحاس باشا : « ولقد كان ممن وقع عليهم الاختيار لمعاونتي في وزارة الداخلية ، حضرات الموظفين الثلاثة الذين اقترحت معاملتهم معاملة استثنائية • ولكن اللجنة المالية مع الأسف الشديد ردت على ذلك بمذكرتها المطروحة على حضراتكم ، والتي ترمي - كما هو ظاهر - الى أربعة أمور :

١ - نسبة المحسوبية والمجاملة الي شخصا ، وبخاصة بالنسبة للشخصين اللذين تربطهما صلة بي •

٢ - اثاره نفوس الموظفين المعبأين ضدنا في الوظائف الرئيسية، وهم المحظوظون الذين نالوا دائما من الاستثناء الشيء الكثير ، فيشعر هؤلاء الموظفون بأنهم في جانب، وأن موظفينا في جانب آخر • وليس هذا من المصلحة في شيء •

٣ - اثاره نفوس البعض من موظفينا المختارين أنفسهم •

٤ - اثاره نفوس الوفديين على وجه العموم، باظهارنا في مظهر من يختص بالمعاملة الاستثنائية بعضهم دون البعض الآخر •

ثم قال النحاس انه باعتبار كونه « مهيمنا على جميع المسائل الكبرى » ، « لا يستطيع بأية حال أن يوافق على رأي اللجنة المالية » ، ليس فقط بالنسبة للوزارتين التابعتين لي وبالنسبة لديوان الرئاسة، ولكن أيضا بالنسبة لجميع الوزارات • « لأن الموافقة على هذا الرأي لا نتيجة له الا تعجيزنا عن العمل ومساهمتنا في الافساد ، بدلا من أن تتمكن من تحقيق ما نعمل له من الاصلاح » •

وذهب النحاس باشا الى حد أن قال : « واذا كانت توجد هناك اعتبارات بالميزانية ، فان الميزانية لا تصعب موازنتها بطريقة من الطرق • ولا يجب بأية حال أن تقف حائلا دون تحقيق المصلحة الكبرى التي أوضحتها ، وهي تمكين الحكومة من العمل والانتاج • بل يجب علينا قبل أن تفكر في الميزانية وموازنتها ، أن تفكر في أداة الحكم واصلاحها ، اذ لو فكرنا في موازنة الميزانية دون اصلاح أداة الحكم، لفسدت الأمور وساء المصير • وما جدوى الميزانية المتوازنة اذا كانت الحكومة لا تستطيع أن تعمل وتنتج ؟ من أجل ذلك أتمسك بمقترحات وزارة الداخلية ولا أقبل اقتراح اللجنة المالية » (٤٠٦) •

دارت هذه المناقشة داخل مجلس الوزراء في يوم ٢١ مايو ١٩٤٢ • وقد عرف فيها مكرم، مما تحدث النحاس به في الجلسة، مدى استيائه لتسرب أنباء المذكرة الى الصحف (قبل مناقشتها في مجلس الوزراء) • ولكن بعد يوم واحد من المناقشة بادر مكرم عبيد الى نشر المذكرة كاملة في صحيفة المصري، مهددا بالاستقالة اذا لم تنشر ! فنشرتها المصري فعلا في يوم ٢٣ مايو (٤٠٧) • وكانت حجة مكرم عبيد في الاصرار على نشر المذكرة كاملة ، أن الصحف قد نشرت نأ رفض مجلس الوزراء لمذكرة اللجنة المالية باجماع الآراء فيما عدا رأي وزير المالية ، وأن هذا النشر لم يكن له الا حكمة واحدة ، « هي اخراج مركز الوزير أمام الرأي العام والزامه بتقديم استقالته » (٤٠٨) • وازاء هذا التحدي من جانب مكرم

عبيد ، رأى النحاس أن التعاون بينه وبين مكرم لم يعد ممكنا ، فطلب اليه الاستقالة ، ولكنه رفض ، فأعاد النحاس باشا تأليف وزارته بدون مكرم (٤٠٩) •

والسؤال الآن هو : كيف جازف مكرم عبيد بتحدي النحاس على هذا النحو بنشر مذكرة اللجنة المالية كاملة رغم استياء النحاس من مجرد تسرب أنبائها ، مع احتمال خروجه من الوزارة ؟• في الواقع أن مكرم عبيد كان مدفوعا الى الوقوف هذا الموقف تحت عاملين : الأول، شعوره بأن نفوذه في الوفد يتدهور • والثاني ، يقينه بأن القصر يستطيع أن يعوضه عما يفقده بخروجه من الوزارة أو من الوفد •

وفيما يختص بالعامل الأول، فتشير الدلائل الى أن السيدة زينب الوكيل لم تكن بعيدة عن سياسة حفظ التوازن بين مكرم عبيد وبقية أعضاء الوفد • فقد أورد التابعي نقلا عن الدكتور محمد صلاح الدين أنه سمع منها في الأسبوع الاول من الوزارة قولها : « لازم تتعظ بأخطاء الماضي ونمشي في الحكم كويس ، وأنا سأستعمل نفوذي عند الباشا من أجل هذا » • والسيدة زينب الوكيل باعتراف الخصوم قبل أصدقاء الوفد، سيدة « لمأحة الذكاء شديدة الطموح » - كما يقول جلال الدين الحمامصي - ، وهي « ذكية الفؤاد وشاطرة جدا وواسعة الأفق » - كما يقول التابعي نقلا عن أحمد حسنين باشا • وقد يكون تدخلها لحفظ التوازن أو إعادة التوازن بين مكرم عبيد باشا وبقية أعضاء الوفد، نابعا من استجابة مخلصه لشكوى بعض أعضاء الوفد من نفوذ مكرم عبيد المتزايد وإيثار النحاس له ، وقد يكون ذلك ناجما عن رغبة خالصة في الحفاظ على وحدة الوفد وحمايته من الانشقاقات ، ولكن فكرة إعادة التوازن - كما نعتقد - هي فكرة خاطئة لسببين : الأول ، أنها لم تحل دون وقوع انشقاقات في الوفد، بل عجلت وأدت فعلا الى وقوع الانشقاق • ثانيا ، أن كلمة «المساواة» ، و «حفظ التوازن» ، وغيرها، هي كلمات

مضللة ، لأن مكرم عبيد لم يكن كأي عضو عادي في الوفد، فقد كان رجلا عظيم الكفاية، جهم النشاط، وعلى درجة فائقة من المقدرة والذكاء ، فضلا عن أنه كان بحكم مركزه في الوفد كسكرتيه العام، يرأس أعضاء الحزب الآخرين ، بالإضافة الى سابق جهاده وتضحياته - فاعادة التوازن بينه وبين بقية أعضاء الوفد ومساواته بهم، هو تنزيل له عن مركزه ومكاته، وليس فيه معنى المساواة، اذ كيف يتساوى رئيس بمرووس ، وكيف يتساوى المجاهدون السابقون بالمجاهدين اللاحقين ؟ من المحقق اذن أن فكرة حفظ التوازن كانت فكرة غير صائبة ، وقد انساق وراءها النحاس باشا توهمًا منه بأنها تحقق العدل وتصون وحدة الوفد ، ولكنها لم تحقق عدلا، ولم تصن وحدة الوفد ، لأن مكرم عبيد رفض - وهو محق - سياسة النحاس باشا الجديدة ، ولمح من ورائها السيدة زينب الوكيل، وهذا سبب اختصاصها وأقاربها بالنصيب الأوفى من حملته .

أما العامل الثاني في تحدي مكرم عبيد للنحاس باشا وقبوله بمخاطرة خروجه من الوزارة ومن الوفد، فهو - كما ذكرنا - يقينه بأن القصر يستطيع أن يعوضه بسخاء عما يمكن أن يفقده بخروجه من الوفد وما قد يلحقه من أضرار . ولقد أشرنا الى ما قاله فؤاد سراج الدين من أن كرسي رئاسة الوزارة لم يكن بعيدا عن مطامح مكرم عبيد باشا، وفي الواقع أن الدكتور هيكل ، الذي أصبح حليفا لمكرم باشا بعد فصله من الوفد ، يؤكد ذلك . فقد روى - في مناسبة تأليف أحمد ماهر باشا وزارته التي خلفت وزارة فبراير - أنه سمع من مكرم باشا «غير مرة»، انه «أحق من ماهر ومن النقراشي بالتقدم ، لأنه كان رئيسهما في الوفد بوصفه سكرتير الوفد العام، حين لم يكونا الا عضوين كغيرهما من الأعضاء ! » . وأضاف الدكتور هيكل : « سمعت هذا منه غير مرة أثناء اصطيفنا جميعا برأس البر، وسمعت منه أكثر من ذلك أنه لا يرى قبليته مانعة من رياسته الوزارة ، وأن تفكير ماهر والنقراشي في التقدم

عليه، فيه من الافتيات على مكاتبه السابقة وعلى تقدير الشعب له، ما لا يرضاه هو ولا يسلم به « (٤١١) • ومعنى هذا أن تقدير مكرم باشا لما يمكن أن يكافئه به القصر نظير خروجه على النحاس ، لم يكن يقل عن رئاسة الوزارة • يضاف الى ذلك ما أثبتته التجربة الدستورية في مصر منذ عام ١٩٢٤ من أن وزارات الانقلاب أطول عمرا وأدوم عهدا من وزارات الوفد ، الأمر الذي يجعل من مخاطرة مكرم عبيد بخروجه من الوزارة ومن الوفد، مخاطرة محسوبة مضمونة النتائج •

الكتاب الأسود

يعتبر الكتاب الاسود عربون الانتقال من صفوف الوفد الى صفوف القصر، وثمره من ثمار التآمر البعيد بين مكرم عبيد باشا وأحمد حسنين باشا ، ومأساة خلقية سبق أن ادانها مكرم عبيد باشا نفسه أثناء دفاعه عن النحاس باشا في قضية سيف الدين ١٩٢٨ • وهو على كل حال حلقة في سلسلة المؤامرات التي كان يدبرها القصر ضد الوفد كلما أراد التخلص منه وهو في الحكم، وأولها مؤامرة سيف الدين سنة ١٩٢٨ ، والثانية مسألة توليد الكهرباء من مساقط المياه بأسوان عام ١٩٣٧ ، والثالثة الكتاب الأسود ١٩٤٣ ، وآخرها حريق القاهرة ١٩٥٢ •

وسوف ندع الحديث عن التآمر مع أحمد حسنين باشا لاجراء الكتاب الاسود ، لجلال الدين الحمامصي الذي خرج مع مكرم عبيد مفصولا من الوفد ومن مجلس النواب ومن جريدة المصري التي كان يعمل بها، فيقول : « وقصة الكتاب الاسود تبدأ في صيف عام ١٩٤٢ • وكان مكرم يقضي الصيف في الاسكندرية ، وكنت في ذلك الوقت ممنوعا من العمل : تركت عملي في جريدة المصري بخروج مكرم من الوفد، وفصلت من مجلس النواب، ولم يكن هناك مجال لأي عمل صحفي • واجتمعت في ليلة من ليالي الصيف بأحمد حسنين رئيس الديوان، وتحدثت عن

فضائح الحكم، وكيف بدأت تتراكم حتى أصبحت بحيث يراها ويعجزها الجميع الا الشعب! .. وقال أحمد حسنين انه لا سبيل الى وقف هذا التيار . وقلت : بل يجب أن تسجل هذه المخازي في وثيقة ترفع الى الملك . ورد بأنه لن تكون لها قيمة في الوقت الحاضر . وكان أحمد حسنين يعني أن هذه الوثيقة أو العريضة سترفع الى الملك ، ثم لا يقوى الملك على تحريكها او اثارتها ، ثم يكتفي الديوان الملكي بتحويلها الى الوزارة! .. واتفق على ألا تقدم العريضة الا بعد أن يكون الجو مرضيا لعمل ما من جانب السراي . وذهبت الى رأس البر وبحثت الفكرة مع مكرم باشا، فلم يتردد في الموافقة عليها، وبادر في اليوم التالي الى شرفة عشته برأس البر، ثم جلس يضع الأسس التي ستقوم عليها هذه العريضة . وبدأ مكرم يكتب مقدمة العريضة .. وظل يكتبها بقية الصيف .. فلما عاد الى القاهرة بعد أن انتهى الصيف ، كانت مقدمة العريضة هي كل ما كتب .

« وفي القاهرة بدأت الفضائح تتجمع، وأخذ موظفو الحكومة يختلسون لحظات من ساعات الليل يجتمعون فيها بمكرم، ويمدونه بالوثائق والمستندات والمعلومات .. قال لي ذات ليلة : ان العريضة تتسع! قلت : فلتكن كتابا ! قال : وما رأيك في طبعه وتوزيعه في نفس الوقت الذي يقدم فيه الى الملك ؟ .. وكانت فكرة عظيمة رائعة .. وكان علينا بعد هذه الخطوة أن نشترى المطبعة والورق ، وأن نختار عمالا يكتمون السر .. وكانت الملازم التي ينتهي طبعها تنقل في فترات معينة من الليل الى جهات مجهولة لتحفظ فيها .. وكان تقديرنا في البداية ان يكون الكتاب صغيرا ، ثم أخذ يتضخم أسبوعا بعد أسبوع بفضل ما كان يتلقاه مكرم يوما بعد يوم من فضائح . ولقد كانت فكرة أحمد حسنين الاكتفاء بالقليل منها حتى لا يكون ثمة سبيل الى أخذ حقائقها بأي مأخذ مهما قل شأنه . ولكن مكرم لم يوافق على ذلك لأنه كان مطمئنا الى صحة ما يكتب . وانتهى مكرم من اعداد الكتاب، وانتهت المطبعة من طبعه . وهنا

طراً لرئيس الكتلة الوفدية فكرة أن يطبع فهرست يسهل على القارىء الرجوع الى محتويات الكتاب .. وطبع الفهرست فعلاً ، ولكنه سقط في يد البوليس .

« واتصلت بأحمد حسنين، وأطلعته على هذه التطورات الخطيرة . وكانت النسخة التي سترفع الى الملك مكتوبة بخط اليد فعلاً ومعها حافظة بالوثائق الأصلية . ورؤي في تلك الليلة أن يحدد موعد تقديم العريضة بعد أيام ، وأن تودع العريضة بوثائقها في احدى خزائن قصر عابدين ، وأن تسلم الى أحمد حسنين في اليوم التالي، ثم يتولى نقلها الى عابدين . أما الكتاب الأسود فقد رؤي نقل ملازمه من الأماكن التي كان مبعثراً فيها الى مكان مأمون لتضم بعضها الى بعض ثم يغلف الكتاب فوراً .. وفي الساعة صباحاً غادر مكرم منزله الى مكان مجهول ، على ان يقابل اخوانه في قصر عابدين في الموعد المحدد لتسليم العريضة ظهر يوم ٣١ مارس ١٩٤٣ » (٤١٢) .

والقضية الهامة الآن هي : ما هي قيمة محتويات الكتاب الأسود في ميدان الحقائق التاريخية ؟ ان الامر الهام الذي نلاحظه هو أن هناك شبه اجماع بين جميع من تناول هذا الكتاب بالاشارة ، من السياسيين والكتاب على شجبه وتجريحه . فالرافعي يأخذ على مكرم أنه هاجم النحاس والوفد مهاجمة عنيفة ، « فضاعت الحقائق في ضجة العنف والخصام » . ولو بقي بعد انفصاله يستنكر مساوئ حكومة الوفد في اعتدال، و « بأسلوب غير أسلوب الكتاب الاسود » ، لكان محتملاً أن يجتذب اليه فريقاً من الوفديين » (٤١٣) . ويعترف جلال الدين الحمامصي نفسه بما وقع الكتاب فيه من الأخطاء ، ويعزو السبب في ذلك الى « التوسع في سرد الفضائح » (٤١٤) . ويتحدث الدكتور هيكل عن الكتاب فيعطي الانطباع بجو التلقيق فيه ، فيقول : كان طبعياً أن تتجه معارضة مكرم عبيد باشا الى النيل من نزاهة الوزارة ومن نزاهة رئيسها بالذات . فقد كانت شهرة

النحاس باشا قائمة في نفس الجمهور الى يومئذ على أنه رجل «نزیه طاهر الید ، وأنه ظل لذلك فقيرا لم یفد من الحكم شیئا • ولقد طالما نعی علیه خصومه عدم الکفاية السیاسية • • فكان رد صحف الوفد • • ان الرجل النزیه هو الرجل الذی تحتاج الیه مصر فی جهادها لحریتها واستقلالها • وقد کان مکرم باشا صديق النحاس باشا حین كانت هذه الدعاية أساس الزعامة لرئيس الوفد وأساس قدسیته ، فاذا ارتقت الشبهة الی نزاهة الرجل، لم یبق له من الصفات ما یؤهله للزعامة ، ثم کان ذلك دعاية لمکرم باشا نفسه بأنه کان المهيمن على النزاهة فی حکم الوفد، الى أن فصله النحاس باشا لحرصه علیها • ولقد کان هذا الاتجاه الذی اختاره مکرم باشا للمعارضة بارعا • • » ثم يأخذ الدكتور هیکل على الکتاب الاسود أنه « تناول عددا کبیرا جدا من وقائع استغلال النفوذ ، وبعضها تافه کارسال شحنه من الفول من جهة الى أخرى بالسکه الحديد من غیر أجر، لأنها مرسله باسم أحد الوزراء » ، وان ضخامة هذا العدد من الوقائع جنت على الکتاب الاسود أكثر مما أفادته، ذلك أن بعض هذه الوقائع أصابه التحریف ، وبعضها لم یکن دقیقا کل الدقة » (٤١٥) •

والکتاب یتلخص فی الأبواب الآتية :

- الباب الأول : « استغلال النفوذ للحصول على الثراء عن طریق التنظر على الأوقاف ، والشراء والبيع والتأجير » • وهو یبحث فی تلطیخ سمعة النحاس باشا وسمعة قرینته وسمعة الأهل والأنساء •
- الباب الثاني : « الاتتفاع الشخصي من أملاك الدولة ضد المصلحة العامة والقانون » • وهو یبحث فی تلطیخ سمعة رئیس الوزراء وأنسبائه ووزراء المواصلات والدفاع والأشغال والعدل •
- الباب الثالث : « التستر على التهم المنسوبة لبعض الأصهار والأنصار » • وهو واضح من عنوانه •
- الباب الرابع : « رخص التصديق وصفقات التموين » • ویختص

بمحاولات تصدير زيوت وجلود وسكر وأرز وسردين ، وصفقات سكر
وغلال وخشب وأسمنت وورق لمصلحة بغض الأثهار والمتعهدين
والأنسباء .

الباب الخامس : «تفشي الوساطات وتفشي الرشوة معها في الصفقات
التجارية والوظائف الحكومية وغيرها، والغاء الأحكام العسكرية، وتعيين
العمد وفصلهم وقبول الطلبة في المدارس الخ .. »

الباب السادس : «الاستغلال الصغير» . ويبحث في ارسال زهور
وورود يوميا للمنزل وزير الزراعة ورئيس الوزراء على عربات وموتوسيكلات
حكومية الخ .. »

الباب السابع : « فضائح المحسوبيات والاستثناءات » . وهو
يتحدث عن الاستثناءات على أساس أن الاحتساب فيها يرجع الى القرابة
أو الاتساب لرئيس الحكومة ووزرائها والمحسوبين عليها (٤١٦) .

وقد ذكر مكرم عبيد أمام مجلس النواب أن العريضة التي قدمها الى
الملك وكررها في كتابه الأسود تنطوي على قسمين : قسم ينطوي على
أدلة الحاسمة التي ليس في حاجة الى تدليل عليها جديد ، أما القسم
الثاني فتتقصه الأدلة ، ولكن عنده مصادره ، ويطلب التحقيق فيه على يد
هيئة تحقيق بعيدة عن الوزارة وعن البرلمان ، وفي غير بقاء الوزارة
في الحكم ا (٤١٧) .

وليس في عزم الباحث مناقشة الوقائع التي تضمنها الكتاب الاسود
لسببين : الأول، أن مكرم عبيد قد سد الطريق في وجه هذه المحاولة
أمام المؤرخين ، وذلك بحشد هذا العدد الهائل من الوقائع الكبيرة
والصغيرة . فاذا خاض الباحث في مناقشة الوقائع الصغيرة أسف وشوه
عمله ، واذا اقتصر على مناقشة الوقائع الكبيرة ، بقيت الوقائع الصغيرة
تلقى ظلالة من الشك على عمله . أما السبب الثاني، فهو أن هذه الوقائع،
كبيرة وصغيرة ، قد نوقشت فعلا في البرلمان ، وأفضت الحكومة فيها

بالبينات والمستندات التي اطلع عليها الشيوخ والنواب واقتنعوا بها
وادلوا بكلمتهم فيها .

ومع ذلك فسأعرض أنموذجين من الوقائع التي تضمنها الكتاب
الأسود ، مما قد يكون لهما مغزى ، فيما لا يزيد عن النصف الصفحة
بقليل :

فقد اتهم مكرم عبيد باشا النحاس باشا بأنه استغل نفوذه عن طريق
تأجير منزله في مصر الجديدة من باطنه . وقد بنى واقعة استغلال النفوذ
على أن شركة مصر الجديدة لا تبيح التأجير من الباطن ، كما أن النحاس
أجر المنزل بإيجار عال ! وقد رد النحاس باشا ، فاعترف بأن الشركة
تعامله معاملة خاصة ، ناظرة الى منزلته في الأمة سواء أكان في الحكم
أم خارج الحكم ، فلا تضن عليه بما يكفل راحته ، علما منها « بأن لا
مطمح لي في ابتزاز أموال ، أو ابتغاء ثراء من رئاسة شركة ، أو قبول
عضوية في المصارف والبيوت المالية » . وقال انه عندما استأجر داره في
جاردن سيتي ، استأذن الشركة في التأجير من الباطن « لأكمل مصاريفي
من طريق الحلال المشروع » ، فأذنت له . ولم يكن في ذلك شاذا عن
غيره ، لأن الشركة أباحت لكثيرين من مستأجريها التأجير من الباطن ،
نظرا لظروف الحرب التي ترك فيها هؤلاء بلادهم ، ومعاملة للحلفاء
بتمكين جنودهم وضباطهم من السكنى نظرا لقلة المساكن (٤١٨) .

اما الواقعة الثانية، فقد اتهم مكرم عبيد النحاس بأنه عمل على إسقاطه
في انتخابات نقابة المحامين . وقد ثبت عن بيانات الحكومة أن محكمة النقض
والابرار التي قدم اليها الطعن في صحة الانتخابات كانت قد قضت
بتاريخ ١٥ فبراير ١٩٤٣ ، أي قبل تقديمه العريضة بشهر ونصف للملك ،
برفض دعوى التزوير ، وجاء في حيثياتها انه مما يبعد كل شبهة في
سلامة أوراق الانتخاب ، أن فرز الأوراق أسفر عن فوز مكرم عبيد فعلا،
بالانتخاب لمجلس النقابة ، اذ حاز ٥٧ صوتا ، في حين أن منافسه حاز

على ٤٧٠ صوتا • وتلك النتيجة لا تختلف عما أسفرت عنه عملية انتخاب النقيب التي حاز فيها مكرم باشا من الأصوات ٤٠٩ ، وحاز فيها محمود بسيوني ٤١٥ صوتا (٤١٩) •

وبقي هذا السؤال : لماذا لم يبلغ النحاس باشا القضاء المختص بمحاكمة مكرم عبيد باشا بتهمة القذف لحسم هذه القضية وإراحة المؤرخين ؟ لقد كان رأي المعارضة أن الوزارة في موضوع الكتاب الأسود بين أمرين : إما أن تبلغ النيابة لتحقيق ما احتواه ، وترفع دعوى القذف على مكرم باشا إذا كان ما احتواه الكتاب غير صحيح - وإما أن تسكت ، فتقبل ما اتهمها به وتقر بصحته (٤٢١) • وقد رد النحاس باشا على ذلك ردا قويا بالاستناد الى الدستور • فقد أوضح أن المادة ٦٦ من الدستور المصري تنص على « أن لمجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء فيما يقع منهم من الجرائم في تأدية وظائفهم » ، ويستتبع تخويل مجلس النواب وحده حق اتهام الوزراء أن قواعد الاجراءات الجنائية لا تتبع في هذا الصدد ، فلا يكون للنياحة العمومية الحق في مباشرة الدعوى الجنائية من تلقاء نفسها ، أو بناء على شكوى يتقدم بها أحد الأفراد • كذلك لا يكون لهؤلاء الحق في رفع دعوى الجنبعة المباشرة • وعلى ذلك فاذا آثر الوزير الذي أسندت اليه جرائم اتهم بارتكابها في أثناء تأدية وظيفته ، رفع الأمر الى المحاكم العادية في صورة تهمة قذف ، بدلا من الاتجاه الى البرلمان ، يكون قد خالف روح الدستور • لأن تقديم القاذف الى النيابة العمومية والسلطة القضائية العادية ، من شأنه سلب البرلمان حقه في الرقابة على أعمال الوزراء وتفويت الأغراض التي توخاها الدستور من تقرير نظام خاص لاتهامهم ومحاكمتهم • « أمام هذا كله » - كما قال النحاس باشا - « ما كان لي ولا لغيري أن يخرج على حكم الدستور ، فينقل اختصاص البرلمان الى القضاء » •

ثم تناول النحاس المسألة من زاوية أخرى هامة فقال : « واذا جاز

لمجرد اقدم كاتب - أيا كانت صفته - على اتهام وزارة في تصرف من تصرفاتها - إذا جاز رفع الأمر فوراً إلى القضاء ، توصلنا إلى القول بأنه متى رفع الأمر إلى القضاء وجب تنحي الوزارة الحائزة على ثقة البرلمان بمجلسيه ، حتى لا يؤثر قيامها في سير التحقيق - أليس معنى هذا أن تصبح الوزارة مسئولة ، لا أمام البرلمان ، ولا أمام القضاء ، بل أمام كل قاذف وطاعن ، حيث تهيأ له لمجرد أنه كتب أو كذب أو افترى أو قذف ، أن يصل إلى تخلي ممثلي الأغلبية عن كراسي المسئولية . وهذا هو بيت القصيد يا سيدي (مشيراً إلى الدكتور هيكل) .

ومضى النحاس يقول : « ماذا يكون مصير الحكم في البلاد ، إذا تم هذا ، وجاءت وزارة ثانية فاتهمها نفس الكاتب ، أو أي كاتب آخر ورماها بافك جديد ، ألا يجب عليها هي الأخرى ، أخذاً بهذه الخطة ، تبليغ القضاء والاستقالة لترك القضاء حراً ؟ وهكذا لا يكون الحكم في البلاد للأمة مصدر السلطات ، ولا للبرلمان الرقيب على الوزارات ، ولا للوزارات المسئولة أمام البرلمان . وإنما يكون الحكم للقاذفين والمفترين وأصحاب الأهواء من الكاذبين والطاعنين . فهل هذا هو المصير الدستوري الذي تريد المعارضة أن تصل بالبلاد إليه ؟ اني لأربأ بوطنتي أن أساهم في الوصول بالبلاد إلى مصير كهذا » (٤٢٢) .

وبناء على هذه الخطة أبدت الحكومة استعدادها لأن تفند أمام البرلمان كل ما جاء في الكتاب الأسود ، وأعلنت أنها ترحب بكل سؤال أو استجواب يقدم في البرلمان لهذا الغرض ، سواء من مكرم باشا أو من غيره من المعارضين والمؤيدين . ولما لم يتقدم مكرم عبيد باشا ، أوجت الحكومة لأئصارها بتقديم الاسئلة عن الوقائع التي وردت في الكتاب ، وأخذ الوزراء يجيبون عليها (٤٢٣) .

ولكن قضية الكتاب الأسود قد حسمت بصورة أخرى . فقد تولى مكرم عبيد باشا الحكم في وزارة الدكتور أحمد ماهر التي خلفت وزارة

النحاس باشا ، وقد شكل لجنة لتحقيق ما ورد في الكتاب الاسود من وقائع ، وبعثت اللجنة بتقريرها الى مجلس النواب الذي ألف لجنة خاصة لمراجعة التقرير • ولندع جلال الدين الحمامصي ، الذي اختير عضوا في اللجنة ثم استقال منها لأن وجوده فيها يفقدها صفتها كلجنة تحقيق ويجعلها لجنة اتهام — يروي لنا قصة هذه اللجنة ، فيقول : « لقد كنت أعتقد أن أمر لجنة التحقيق كان جديا ، وأنه لم يكن تمثيلية • ولكن الواقع أن اللجنة ما كادت تبدأ اجتماعاتها ، وأخذت تنظر ما أمامها من اتهامات ، حتى أخذت تطيل البحث ، وأخذ عدد الجلسات يتناقص ، ولم تلبث أن توقفت عن الاجتماع ، ووضع التقرير على الرف » (٤٢٤) • وليكن هذا هو القول الفصل في قضية الكتاب الاسود •

• • •

هـ - حكومة الوفد

بين مؤامرات القصر ومؤامرات الانجليز

في الوقت الذي كانت حكومة الوفد تعاني من التفسخات داخل الحزب ، ومن ضغط الأخطار الخارجية ممثلة في الغزو ، كانت تسعى جاهدة لابرار طابعها البورجوازي الاصلاحى . فأصدرت قانون استعمال اللغة العربية في مكاتبات الشركات ومحرراتها ومسجلاتها ودفاتها ، محقة مطمع الائتلاتجنتسيا المصرية في تولي الوظائف التي يحتلها العنصر الأجنبي في الشركات . ثم قررت أن يكون التعليم الابتدائي بالمجان ، في الطريق الى مجانية التعليم الثانوي عام ١٩٥١ . وأصدرت قانون عقد العمل الفردي ، لحماية الأجور ومعالجة حالات المرض والعجز والشيخوخة والوفاة . كما أصدرت قانون التأمين الاجباري ضد اصابات العمل ، وبه أمكن الاحتفاظ للعامل بحق التعويض . ثم أقرت قانون الاعتراف بنقابات العمال ، فأصبحت الصفة الشرعية على نضال العمال ضد استغلال أصحاب الأعمال . كذلك أنشأت لجان التوفيق بين العمال وأصحاب الأعمال ، وهي الوسيلة البورجوازية العتيقة التي لقيت في العشرينات الأولى من هذا القرن أشد التنديد من الحزب الشيوعي المصري . وفيما يتصل بالفلاحين ، خففت الضريبة عن صغار الملاك الزراعيين ، وأعفت من لا تتجاوز الضريبة المربوطة على جميع أطيانه خمسين قرشا من هذه الضريبة . وأقامت مشروع المجموعات الصحية الذي وضعه الدكتور عبد الواحد الوكيل ، وكانت كل مجموعة تشمل عيادة طبية مجانية أشبه بمستشفى ودارا للخدمة الصحية ودارا لرعاية

الأمومة والطفولة • الخ • وكذلك انشأت ديوان المحاسبة ، وجعلته هيئة مستقلة تماما عن السلطة التنفيذية محاطا بسياسات من الضمانات • كما أصدرت قانون استقلال القضاء ، الذي كفل للقاضي مبدأ عدم العزل • الى غير ذلك من الاصلاحات التي صدرت في أشد الظروف الداخلية صعوبة •

في ذلك الحين ، كانت العلاقات بين الوزارة والقصر تدخل في خصومة شديدة مستحكمة ، وأخذ القصر يعد لعبته البغيضة ، وهي الاقالة ، ليحكم البلاد حكما مطلقا • وكانت مؤامرة الكتاب الأسود هي المؤامرة الأولى للتخلص من النحاس باشا • فلم يكد فاروق يتسلم من مكرم عبيد باشا عريضة الكتاب الأسود في ٢٨ مارس ١٩٤٣ ، وكان الخطر العسكري الفاشي قد ابتعد عن مصر ، حتى أراد أن يضرب ضربته • ولكن السفير كيلرن سارع الى التدخل مصرا على أن النحاس « لا بد أن يملك فرصة الدفاع عن نفسه ، وألا يقال على الفور » • وقد أراد حسنين باشا ، الذي رأينا دوره التأمري في اعداد الكتاب منذ البداية ، الضغط على السفير ، فقام بحركة مسرحية يوم ١٤ ابريل ورفع استقالته الى الملك بحجة أنه لا يستطيع ان يستمر في منصبه بسبب تدخل السفير ، لأن استمرار الحكومة في الحكم سوف يؤثر حتما على هيئة الملك (٤٢٤ م) • وكان رد فعل السفير كيلرن أن قابل فاروق في اليوم التالي أي في يوم ١٥ ابريل ، وحذره من اتخاذ أي اجراء متهور • وفيما يبدو فان فاروق قبل هذا التحذير بصفة مبدئية ، فيذكر كيلرن أنه (فاروق) أبدى استعدادا لتجنب اتخاذ مثل هذا الاجراء على الرغم من اقتناعه بفساد الحكومة (٤٢٥) ، ولكن في يوم ١٨ ابريل ، عندما قابل كيلرن حسنين باشا ، أبلغه الأخير أن فاروق يعتزم اتخاذ اجراءات صارمة ضد رئيس الوزراء • وهنا — وعلى حد قول كيلرن — « أعدت

على مسامحه تحذيري الصارم بأن أي إجراء متهور من جانبه قد تكون له عواقب ليست في الحسبان ، وأن عليه أن يعمل ما في وسعه للحيلولة دون ذلك » (٢٥ م) . وقد أراد زعماء الأقلية في ذلك الحين القيام بضغط على السفير كيلرن فحاول كل من مكرم عبيد وأحمد ماهر والدكتور محمد حسين هيكمل مقابلته لمفاتحته في الأمر ، فرفض ، فأرسلوا مذكرة للسفارة يوم ١٨ أبريل سجلوا فيها احتجاجهم على ما اعتبروه تدخلا لا مبرر له من جانب السفارة في الشؤون الداخلية المصرية بعد أن ابتعد الخطر الفاشي عن الأراضي المصرية (٢٦ م) ولكن هذه المذكرة لم تحدث أي أثر . و انتهت مسرحية استقالة حسنين باشا حين رفض فاروق قبولها وأمره بالاستمرار في عمله «في خدمة وطننا وعرشنا بما عهدناه فيكم من اخلاص لشعبنا ولنا» (٢٦ م) .

وقد استمر مفعول هذا الانذار البريطاني مدة عام كامل ، ولكن العلاقات بين فاروق والوزارة الوفدية انقطعت في أثناء ذلك ، وتمثل ذلك عندما عقد مؤتمر القمة بالقاهرة في نوفمبر ١٩٤٣ وحضره كل من المستر روزفلت والمستر ونستون تشرشل والمارشال شيانج كاي شيك ، فقد استدعى الملك اليه رؤساء المعارضة حيث كان يستشفى في القصاصين على أثر الحادث المعروف الذي وقع له يوم ١٥ نوفمبر ١٩٤٣ ، وطلب اليهم اجراء الاتصالات بالثلاثة الكبار لابلاغهم مطالب مصر القومية لقاء معاوتتها الحلفاء في الحرب . وقد أعد هؤلاء مذكرة بمطالب مصر في أعقاب الحرب ، قدموها الى الأقطاب يوم ٢٩ نوفمبر ١٩٤٣ ، وتضمنت المطالبة بالاستقلال التام وجلاء جميع القوات الأجنبية عن مصر بعد نهاية الحرب ، واسترداد مصر كامل سلطاتها وحدها على قناة السويس، والاعتراف قانونا بالروابط العديدة بين مصر والسودان والتي « جعلت منهما وحدة غير منفصلة » ، وأن تتبوأ مصر مقعدها في مؤتمر

السلام كدولة مستقلة متمتعة بكامل سيادتها (٤٢٧) •

وقد هلل الرافي. لهذه المذكرة التي وصفها بأنها « أقوى من مذكرة النحاس باشا الى الحكومة البريطانية سنة ١٩٤٠ » (٤٢٨) • وفي الحقيقة أن غرض فاروق من تقديم هذه المذكرة لم يكن خدمة القضية الوطنية ، وانما كان الغرض محاربة وزارة الوفد واظهارها في عين الشعب في مظهر المقصر والعاجز عن الدفاع عن حقوق البلاد ، وفي الوقت نفسه احراج الانجليز أمام حلفائهم على اعتبار أنهم يساندون وزارة لا تمثل الشعب ولا يرضى عنها • فقد تضمنت المذكرة التي أعدها زعماء المعارضة ، ومنهم حافظ رمضان رئيس الحزب الوطني ، أنهم يعتبرون أنفسهم « ترجمانا لمجموع الرأي العام في بلادهم » ، « وقد اضطروهم ما يحسونه من جلال المسؤولية الملقة على عاتقهم أن يتكبدوا الطرق الرسمية ليشعروا ضيوفهم الأكرمين أن مصر تنوء تحت أثقال حكم عسكري شاذ ورقابة فادحة تحولان دون تكشف آراء الأمة من ناحية ، ويمنع الاسراف في تطبيقهما عن الحكومة - التي تحتمي وراءهما تحقيقا لأغراضها الخاصة ، كل صفات النيابة او التمثيل » (٤٢٩) •

كذلك يدل على صحة ما ذهبنا اليه ، أن الملك بحكم الدستور كان يتولى السلطة التنفيذية (مادة ٢٩) وكان يتولاها بواسطة وزرائه (مادة ٤٨) ، والوزراء هم وكلاء الملك في ولاية السلطة التنفيذية ، ومن ثم فقد كان من حق الملك ، لو أنه كان جادا في سعيه ، خالصا لوجه مصر وحدها ، أن يلفت رئيس وزرائه ووزراءه الى هذا الأمر ، ويعهد اليهم بما عهد به الى زعماء الأقلية • وعندئذ فان الوزارة كانت « أقدر من المعارضة » - باعتراف الدكتور هيكل - على الاتصال بالأقطاب الثلاثة والتحدث اليهم في هذه المطالب ، باعتبارهم ضيوفها ، فضلا عن أنها مطالبة بحكم مركزها بأن تتولى هذا الامر (٤٣٠) • ولكن فاروق

آثر أن يتولى سلطته الشرعية عن طريق وكلاء غير شرعيين ، لأن الهدف لم يكن خدمة مصر ، وإنما خدمة مآرب القصر (١) .

وبعد عام كامل من هذا التاريخ ، أي في ابريل من العام التالي (١٩٤٤) ، اعتقد فاروق أن الظروف أصبحت مواتية، فعاد الى محاولة التخلص من حكومة الوفد. وقد أراد ألا يفاجيء السفير البريطاني، فأبلغه يوم ١٢ ابريل أنه قرر اقالة النحاس وتشكيل وزارة جديدة برئاسة حسنين باشا ، ثم عرض عليه فتح صفحة جديدة في علاقاتهما تقوم على الفهم المتبادل (التحالف ١١) ولكن كيلرن اعترض قائلاً انه لا يتصور وقتاً غير مناسب لاتخاذ هذا الاجراء كمثل ذلك الوقت ، بينما مصير مصر والعالم ما يزال معلقاً في كفة الميزان . وحذر فاروق من الاقدام على هذا العمل قبل أن تتاح له فرصة التشاور مع حكومته . ثم أرسل الى حكومته يوصي باتباع خط متشدد لا يستبعد استخدام القوة .

على أن السلطات العسكرية البريطانية في مصر لم توافق على استخدام أسلوب القوة . ففي اجتماع لجنة الدفاع عن الشرق الاوسط يوم ١٨ ابريل ١٩٤٤ تحت رئاسة اللورد موين ، أوضح الجنرال باجت (قائد عام منطقة الشرق الاوسط) ومستشاروه أنهم لا يملكون الوسائل اللازمة لتنفيذ هذه السياسة « حتى ولو صدرت اليهم من لندن » ، وأنهم، فضلاً عن ذلك، يعارضونها لأسباب تتعلق بالظروف ودواعي الحكمة .

ولكن في نفس اليوم ، اتصل حسنين باشا بالسفارة البريطانية ليبلغها أن الملك فاروق قد وقع بالفعل مرسوماً باقالة النحاس باشا . فسارع كيلرن الى مقابلة فاروق على الفور ، وقدم له رسالة من المستر تشرشل

(١) لم يكن للوزارة ان تخاطب الاقطاب الثلاثة في هذه المطالب ، لان المعاهدة المصرية - البريطانية كانت تنظم هذه المطالبة ، ولم تكن حكومة الوفد في حالة خصومة مع الحكومة البريطانية حتى تشكوها الى الاقطاب في ذلك الحين .

يحذر فيها فاروق من اتخاذ أي إجراء عنيف قبل أن يعرض النزاع بينه وبين النحاس على حكومة الحرب ، ويقول انه أصدر تعليماته الى السفير للعمل على ألا يتخذ النحاس أيضا مثل هذا الاجراء، وان الحكومة البريطانية سوف تقف ضد من يبدأ بالعدوان . وفي اليوم التالي أبلغ تشرشل كيلرن مسبقا بأن حكومة الحرب سوف « تؤيد الادارة الديموقراطية ضد عصاة قصر يقودها طاغية شرقي أثبت فسي كل المناسبات أنه صديق هزيل لبريطانيا » وقال ان القادة العسكريين - على عكس ما يدعون - « لديهم القوات الكافية للتعامل مع أي مصريين متعبين » . وقد وضعت هذه البرقية القادة العسكريين في مصر أمام الأمر الواقع . وفي الاجتماع الذي عقد في اليوم التالي أثار الجنرال باجت احتمال تدخل الجيش المصري والبوليس ، فرد كيلرن بأن الجنرال باجت لا يستطيع ان يتنبأ بدقة تامة بهذا الموقف . وقال ان فكرة خلع فاروق بعيدة عن ذهنه، ولكن اذا أصر فاروق على رأيه، واتخذت الحوادث هذا الدور ، فانه لا يعتقد أن الجيش المصري والبوليس سوف يعارضان في تغيير الجالس على العرش . وفي يوم ٢١ ابريل وصلت تعليمات المستر تشرشل ، وقد هاجم فيها مخاوف العسكريين التي أثبتت أزمة العام السابق أنه لم يكن ثمة مبرر لها، وطلب الى كيلرن ابلاغ فاروق اعتراض حكومة الحرب على اقالة النحاس الذي تحظى حكومته بالغالبية في مجلس النواب، وأنه اذا اراد فاروق اجراء انتخابات عامة عاجلة ، واقتنع رئيس الوزراء بذلك، فلا يجب أن يتم ذلك على يد رئيس وزراء من رجال القصر أو من رؤساء الأقلية . وبطبيعة الحال، فلم يملك فاروق الا الإذعان، وفي يوم ٢٤ ابريل أبلغ كيلرن أنه « قد قرر الابقاء على الحكومة الحالية في الحكم في الوقت الحاضر » (٤٣١) .

على ان الفرصة حانت أخيرا في سبتمبر ١٩٤٤ . وكان فاروق قد أمر مدير الأمن العام بازالة لاقتات تحمل عبارة : « يحيا الملك ويحيا

النحاس « من شوارع القاهرة ، وأطاع مدير الأمن أوامر الملك ، ورد
النحاس باشا على ذلك بأن أمر بإيقاف مدير الأمن عن عمله ، فأصر فاروق
على اقالة النحاس باشا (٤٣٢) . وما حدث بعد ذلك يعد من صفحات
التاريخ الخفية ، فيقول محمد التابعي أن أحمد حسنين انتهر الفرصة
وواتاه الحظ أن مايلز لامبسون سافر في أجازة قصيرة الى جنوب افريقيا،
وكانت مسرحية مثيرة ، ومن فصولها : تعليمات سرية الى الدكتور أحمد
ماهر بالألا يغادر داره يوم ٨ اكتوبر، بل يبقى فيها ينتظر رسالة من الملك
فاروق ، وأوامر سرية الى حكمدار بوليس القاهرة ومدير الأمن العام بأن
تكون قوات الامن على استعداد لحفظ النظام وقمع أية حركة تقوم للاخلال
بالامن والنظام . وكانت هذه الأوامر السرية صادرة مباشرة من السراي،
لأن السراي كانت مصدر جميع السلطات . ويمضي التابعي فيقول : ان
ذلك كله جرى والوزراء ورؤسهم ، وكانوا في رمل الاسكندرية ، لا
يعرفون شيئاً ، وان عنصر المفاجأة كان تاماً حتى ان امين عثمان باشا حين
علم بنبأ اقالة الوزارة ، « وكانت في يده سلسلة ذهبية يعبث بها ..
سقطت السلسلة من يده ! » (٤٣٣) .

على أن المصادر الانجليزية تزودنا بمعلومات أخرى وتفصيلات
أوسع . وهي تشير بوضوح الى أن النحاس باشا كان يعلم انه سيقال ،
وان السلطات البريطانية كانت قد كفت عن مساندة وزارته ضد القصر .
فقد كتبت «التايمز» ، بعد الاقالة ، تقول : ان السفارة البريطانية كانت
قد بذلت محاولات ودية - ولكن بصورة غير رسمية - لتهدئة النزاع،
ولكن مساعيها لم تكلل بالنجاح . وان اقالة الوزارة أرجئت الى ما بعد
اتهاء جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي في الاسكندرية ، لأن
الملك ورئيس الوزراء كانا مهتمين بالمؤتمر (٤٣٤) . أما «كيرك» فقد
أورد أن الملك فاروق حمل على الاذعان لكف يده حتى ينتهي اجتماع
اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي بالاسكندرية ، الذي كان النحاس

منشغلا بالاعداد له منذ ربيع سنة ١٩٤٣ ، وكان يرأسه في ذلك
الحين (٤٣٥) •

ومعنى هذا الكلام واضح لا يحتمل اللبس ، وهو (أولا) أن التدخل
البريطاني في هذه المرة لم يكن رسميا كما كان في المرتين السابقتين ،
وانما كان بصفة ودية • (ثانيا) أن هذا التدخل لم يكن لمنع الاقالة، وانما
لارجائها • (ثالثا) أن الهدف من التدخل هو عدم عرقلة جلسات اللجنة
التحضيرية للمؤتمر العربي، وكانت السياسة البريطانية تعمل على انجاح
هذا المؤتمر • (رابعا) أن النحاس باشا كان يعلم بأن اقالة الوزارة أرجئت
الى ما بعد انتهاء جلسات اللجنة التحضيرية ، وهذا واضح من كلام
«التايمز» السابق ذكره •

ويبقى بعد ذلك أن نعرف كيف واجه النحاس باشا هذه الاقالة
المنتظرة • ان ما اورده «كيرك» يشير الى محاولة كتلك التي قام بها
النحاس باشا في يونية ١٩٣٠ ، حين قدم استقالته الى الملك فؤاد بعد
فشل مفاوضاته مع هندرسون ، ثم أعلنها بطريقة مؤثرة في البرلمان أثارت
هياج النواب ، بينما كان الحزب يعد لمظاهرات تجتاح البلاد وتجبر الملك
على عدم قبول الاستقالة (٤٣٦) • وهذا ما حدث في ٨ اكتوبر ١٩٤٤ -
وهو اليوم التالي لانتهاج جلسات اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي - ،
فيذكر كيرك أن فاروقا علم أن النحاس باشا قد اعتزم تقديم استقالته اليه،
ثم الانطلاق بعد ذلك في الأقاليم في حملة عنيفة يوجهها ضد القصر وضد
الانجليز ، ولكنه سارع الى افساد خطته قبل تنفيذها ، وأرسل قبل
ساعات قليلة بكتاب الاقالة الى النحاس باشا (٤٣٧) • وعلى هذا النحو
سقطت وزارة ٤ فبراير ١٩٤٢ ، كما قامت، بموافقة الانجليز • ودفع
النحاس باشا غاليا ثمن مهادنته للملك وركونه الى الانجليز في حماية
وزارته ، دون تدعيم الدستور بالتعديلات والتشريعات اللازمة التي تحول
دون العبث به •

والسؤال الآن هو : كيف تخلى الانجليز عن وزارة الوفد في ٨ أكتوبر ١٩٤٤ بعد طول تشبث بها ؟ وما هي أسباب هذا التحول الكبير ؟ .

في الواقع ان تتبع العلاقات بين حكومة الوفد والانجليز في الفترة التي تولت فيها الحكم ، لا يشير الى أن هذه العلاقات كانت منا وعسلا ، كما قد يبدو لأول وهلة . واذا كانت ظروف الحرب المعقدة قد جمعت بين مصلحة الانجليز ومصلحة الوفد في التخلص من الخطر الفاشي ، الا أن القاعدة هي أن الحكم الوطني والاستعمار قطبان متنافران وضدان لا يجتمعان . وفي الفترة التي تولى فيها الوفد الحكم ، ظهرت أمور كثيرة برز فيها التباين الشديد في وجهات النظر بين الفريقين . فقد رأينا كيف أطلق النحاس باشا في مستهل حكمه ، سراح عديد من الشخصيات المعادية للانجليز والموالية للمحور تحت ضمانه الشخصي ، ومن الطبيعي ألا تلقى هذه الافراجات ترحيبا من الانجليز ، ولكنهم قبلوها على مضض حتى لا تسوء العلاقة بينهم وبين الوزارة التي أصروا على مجيئها في بداية حكمها . فلما تهددت جيوش المارشال روميل الدلتا وقناة السويس ، وأعد الانجليز خططهم لتدمير مرافق البلاد قبل الانسحاب ، لم تلق هذه الخطة الا السخط والغضب من النحاس باشا ، وقد روى أحمد حسنين باشا لمحمد التابعي أنه تقابل مع النحاس باشا ، « فأخذ هذا يتحدث عن الانجليز قائلاً انهم خانوه وكذبوا عليه وحنثوا في عهودهم له » ، ولما أراد حسنين باشا أن يستدرج النحاس باشا في الحديث قائلاً : انه يستبعد صحة الاشاعات بأن الانجليز ينوون التدمير ، صاح النحاس في وجهه : « بل هي الحقيقة يا حسنين باشا ، التدمير التام والخراب التام » (٤٣٨) .

وقد دخلت العلاقات بين حكومة الوفد والانجليز مرحلة جديدة بعد ابتعاد الغزو الفاشي عن أرض مصر ، وبعد أن أخذت هزيمة المحور تبدو في الأفق . فلم يترك النحاس باشا مناسبة الا وأعلن فيها أنه يعتزم تعديل المعاهدة بعد الحرب ، ففي خطابه الذي ألقاه في المؤتمر الوفدي الكبير

الذي عقد في نوفمبر ١٩٤٣ ، راح يعدد ما قدمته مصر لبريطانيا من مساعدات وما أدته من خدمات تنفيذاً للمعاهدة ، ثم قال : « ان حوادث الحرب قد غيرت الموقف تغيراً كبيراً حتى أصبح هذا التعديل ضرورة لا بد منها ، ونتيجة لا ريب فيها .. واني الآن أكاد أُلح بأذن الله فجر اليوم الذي تأخذ فيه مصر المستقلة استقلالاً تاماً لا تشوبه أية شائبة ، مكاناً محموداً في طليعة الشقيقات العربيات وسائر الدول الديموقراطية المحبة للحرية » . وفي هذا الخطاب تعرض للسودان ، فقال : « من منكم يجهل موقف الوفد من مسألة السودان ، وتمسكه بالسودان ، وجهاده لأجل السودان ، وما قطع من محادثات ومفاوضات بسبب السودان ؟ ومن منكم يجهل أن معاهدة الصداقة والتحالف التي وقعناها كانت خيراً من جميع المشروعات السابقة ، وأنها احتفظنا فيها بحرية عقد اتفاقات في المستقبل لتعديل اتفاقيتي ١٩ يناير و ١٠ يولية ١٨٩٩ ، كما احتفظنا فيها بمسألة السيادة على السودان » . ثم قال ان حكومته « منذ أمد غير قصير دائبة الاتصال بالحليفة وبالحاكم العام النائب عن الدولتين مصر وبريطانيا العظمى في ادارة شئون السودان ، للمحافظة على حقوق مصر ومصالحها ، وكفالة هذه الحقوق عند التنفيذ بما في ذلك معالجة الأحوال الناشئة حسب ظروف الحرب » ، واستطرد قائلاً : انه عندما يقول حقوق مصر ومصالحها ، لا يعني أنه يعتبر علاقة مصر بالسودان علاقة المسود بالسيد أو التابع بالمتبوع ، « فانما نحن والسودان أمة واحدة ، لأبنائه ما لنا وعليهم ما علينا » (٤٣٩) .

وفي ٢٨ ديسمبر ١٩٤٣ أعلن النحاس باشا تمسكه بمذكرة أول ابريل ١٩٤٠ ، ووصفها بأنها « بكل مطلب من المطالب القومية المدونة بها ، وفي مقدمتها الجلاء والسودان ، هي فخرنا ، وهذه المطالب الوطنية التي كان لنا شرف المناذاة بها ونحن خارج الحكم في سنة ١٩٤٠ لا تزال ولن تزال مطالبنا نعمل لها جهد امكاننا .. والحكومة البريطانية الحليفة تعلم

حق العلم مقدار تمسك الوفد بمطالب مصر الوطنية ومبلغ تصميمه عليها » (٤٤٠) • وعاد النحاس باشا فكرر ذلك يوم ١٢ يناير ١٩٤٤ امام مجلس النواب (٤٤١) • ولم يكن من شأن هذه التصريحات — كما هو واضح — ان تطمئن الانجليز الى بقاء هذه الوزارة الى ما بعد استنفاد اغراضها دقيقة واحدة •

وفي مايو ١٩٤٤ انفجرت مسألة السودان • ففي يوم ٣ ابريل ١٩٤٢ كان مؤتمر الخريجين قد تقدم بمذكرة لحاكم عام السودان طالب فيها « باصدار تصريح مشترك في اقرب فرصة من الحكومتين الانجليزية والمصرية بمنح السودان بحدوده الجغرافية حق تقرير مصيره بعد الحرب مباشرة ، واحاطة ذلك الحق بضمانات تكفل حرية التعبير عن هذا الحق حرية تامة ، كما تكفل للسودانيين الحق في تكييف الحقوق الطبيعية مع مصر باتفاق خاص بين الشعبين المصري والسوداني » • ثم طالب « باعطاء السودانيين فرصة الاشتراك الفعلي في الحكم بتعيين سودانيين في وظائف ذات مسئولية سياسية في جميع فروع الحكومة الرئيسية » (٤٤٢) • وكان من أثر هذه الحركة التي لقيت تأييدا واسعا في السودان ، أن عمدت حكومة السودان الى مواجهتها بهجوم مضاد ، فأصدر الحاكم العام قانونا في سبتمبر ١٩٤٣ بانشاء مجلس يسمى المجلس الاستشاري لشمال السودان ، وورد في ديباجته أن الغرض منه تمكين الحاكم العام، فيما يتعلق بادارة شمالي السودان ، من استشارة أشخاص لهم صفة تمثيلية عن الشعب السوداني • ولكن المشروع في الواقع كان يستهدف ايهام الشعب السوداني باشتراكه في الحكم، وقطع الطريق على المؤتمر بانشاء هيئة يكون لها دون غيرها حق التعبير عن السودانيين والفصل في مصير السودان (٤٤٣) •

غير أن انشاء هذا المجلس الاستشاري أثار غضب الوطنيين سواء في السودان أو في مصر • فبالنسبة للسودانيين ، فقد ثبت لهم بوضوح

سوء نية الانجليز في المشروع، اذ رأوه قاصرا على شمال السودان دون جنوبه، فقرر المؤتمر مقاطعة المجلس واعتبار كل من يتقدم لعضويته أو يقبلها خارجا عليه ومنفصلا عنه . وكان هذا القرار ضربة قاصمة للمجلس، فقد جرده من مظاهر التمثيل التي كانت ترجوها له الحكومة (٤٤٤) .

أما بالنسبة للوطنيين في مصر، فإن انشاء هذا المجلس قد اعتبر دليلا على نية الحكومة البريطانية في فصل شمال السودان عن جنوبه، وفصل السودان كله عن مصر . ولهذا فقد علت بعض الأصوات في ذلك الحين بأن الحكومة الوفدية كان ينبغي أن تصدر بيانا قبل الافتتاح . وتعجب البعض أن المجلس قد تكوّن بغير علم مصر . وقيل انه كان من الأجمل أن يوجد مصري كبير في حفل الافتتاح في ١٥ مايو ١٩٤٤ ، وأن وكيل رئيس المجلس يجب ان يكون مصرية (٤٤٥) .

وفي ٦ سبتمبر ١٩٤٤ ، أدلى السكرتير الإداري لحكومة السودان بتصريح لندوبي الصحف في الخرطوم، نفى فيه ما رددته الصحف في مصر من أن حكومته تتخذ خطوات لفصل السودان عن مصر . وكان مما قاله ان « اتفاقي ١٨٩٩ و ١٩٣٦ جملا من السودان وحدة حكومية وإدارية قائمة بذاتها . فالسودان لا يعد من الوجهة الدستورية جزءا من مصر ولا من بريطانيا ، ولكن تقوم بإدارته الحكومة السودانية ؟ وهي تعمل تحت سيطرة الدولتين الشريكتين » . ومضى يقول : « ان حكومة السودان تعمل على تعليم السودانين وتدريبهم ليكونوا أهلا للحكم الذاتي، ففي المجالس البلدية ومجالس المديريات والمجلس الاستشاري لشمال السودان، يتدرب السودانيون على الاضطلاع بشئونهم ، وذلك تنفيذا للمادة ١١ من معاهدة ١٩٣٦ » .

وقد علقت جريدة الاهرام على هذا الكلام بقولها انه كلام صحيح الى حد كبير من الوجهة النظرية، « وان كان السودان جزءا من مصر وليس «جزءا من بريطانيا» ! ولكن من الوجهة العملية يحق لنا أن نتساءل:

هل ما سماه صاحب الحديث «سيطرة الدولتين الشريكتين» ، هي سيطرة متكافئة ، أم أن هناك سيطرة فعلية راجحة وسيطرة اسمية مرجوحة ؟ .
ثم قالت الجريدة ان حكومة السودان تعلن أنها تعمل على تعليم السودانين وتدريبهم ليكونوا أهلا للحكم الذاتي تنفيذا للمادة ١١ من معاهدة ١٩٣٦ ، ولكن هذه المادة الحادية عشرة تنص على أن الغاية الأولى للإدارة المشتركة هي «رفاهية السودانين» ، وليس «الحكم الذاتي» ، « فمتى كان معنى «رفاهية السودانين» التدريب على الحكم الذاتي » ! . هل إذا عين مدير لقنا أو أسوان بعد نكبة الملايكا، وجاء في أمر التعيين أن على المدير أن يعمل على رفاهية الأسوانيين أو القنائيين، يؤخذ من ذلك أن يعمل على تدريبهم على الحكم الذاتي ؟ » . ومضت الجريدة تقول : « ولا يتوهمن واهم أننا تنازع في الحكم الذاتي لآخواننا السودانين . فنحن نطمع لهم في أكثر من ذلك، نحن نطمع لهم في الاستقلال التام كمصر ومع مصر، فتكون لهم حقوق كحقوق المصريين، وواجبات كواجباتهم في مملكة واحدة » . وتساءلت الأهرام قائلة : « لماذا اختص المجلس الاستشاري بشمال السودان دون جنوبه ؟ ، فهل رفاهية السودانين الواردة في المعاهدة ، والتي يفسرونها اليوم بالحكم الذاتي، مقصورة على شطر دون شطر » ؟ (٤٤٦) .

كان سماح الرقيب بنشر هذا الهجوم على حكومة السودان في الأهرام ، معناه رضا حكومة الوفد عنه . ولذلك فقد سارع مراسل التايمز الى مقابلة النحاس باشا للحصول على رأيه في المسألة . وقد رد النحاس باشا بنفس ما ردت به الجريدة تقريبا . فقد ذكر أن ما يقال بأن المعاهدة تنص على شيء من الحكم الذاتي للسودانيين غير صحيح ، «لأن الحكم الذاتي - أو أي اصلاح آخر - هما من المسائل التي يجب أن يتم الاتفاق عليها بمفاوضات تدور بين مصر وانجلترا ، فان المعاهدة لا تتحدث الا عن رفاهية السودانين ، . . . ولقد قيل ان انجلترا تستعد لشطر

السودان شطرين ، وأن تدمج الجزء الجنوبي منه في أوغندا، وأقول ان أحدا لا يستطيع أن يشطر السودان شطرين، فالسودان لا يقبل التجزئة، وهو الآن تحت الادارة المشتركة بين مصر وانجلترا » (٤٤٧) •

جرت هذه المساجلات حول السودان والاستقلال التام وتعديل المعاهدة في السنة الأخيرة من حكم الوفد، أي منذ المؤتمر الوفدي الذي عقد في نوفمبر ١٩٤٣ • وقد انتهز فاروق الفرصة ليقيل النحاس باشا في ابريل ١٩٤٤ ، ولكن الحكومة البريطانية ردت بأن «لا تغيير» ، لأن الجبهة الثانية لم تكن قد فتحت بعد، ولم يكن مصير الحرب قد تحدد بشكل حاسم، وكانت أوروبا كلها تحت أقدام الألمان • ولكن الموقف أخذ يتغير بعد ٦ يولية ١٩٤٤ ، فقد نزل الحلفاء الى البر الفرنسي في أكبر حملة عسكرية شهدتها التاريخ، وأخذت الجيوش الألمانية تنسحب من الدول الأوروبية التي تحتلها واحدة وراء أخرى، حتى اذا ما كان سبتمبر ١٩٤٤، أصبح معروفا أن الحرب ضد ألمانيا قد وصلت الى خاتمتها تقريبا •

وفي تلك الظروف ساد الاتجاه في مصر بأن الأوان قد آن لمصر لتطالب انجلترا بجلاء قواتها ، ويكتب مراسل التايمز في القاهرة يقول : ان الدوائر المصرية يسودها شعور زائف بأن الحرب بصفة عامة أوشكت على النهاية، وأنه ما دام الأمر كذلك، فان الوقت قد حان لجلاء قوات الحلفاء عن البلاد » • ثم رد على ذلك بقوله : « ان الذين يقولون هذا يغفلون عن حقيقة هي أنه سيبقى على الحلفاء أن يستمروا في الحرب ضد اليابان، وأن مصر ستكون قاعدة هامة بالنسبة للعمليات الحربية في الشرق الاقصى، ان لم تصبح أهم مما هي عليه الآن ! » (٤٤٨) •

وهكذا بدا في الافق شبح مطالبة الحكومة الوفدية لبريطانيا بدفع الحساب ، وكان معنى ذلك بالنسبة للسياسة البريطانية أن هذه الحكومة لم تستنفذ أغراضها فحسب، بل وأصبح وجودها في الحكم يمثل خطرا على المصالح البريطانية ، ولكن الدور كان ما يزال به مشهد واحد لم ينته

بعد، وهو توقيع بروتوكول الاسكندرية أول وثيقة في ميلاد جامعة الدول العربية، لذلك فحين أراد فاروق اقالة النحاس باشا طلب اليه الإرجاء، حتى تتم فصول الرواية ، وهو ما حدث فعلا، وسافر السفير البريطاني الى جنوب افريقيا حتى لا يشهد الخاتمة المفجعة !

وباقالة الوفد وبدء عهد انقلاب جديد، تنتهي مرحلة هامة من تاريخ مصر ، وتبدأ مرحلة جديدة . لقد كانت الفترة التي تولي الوفد فيها الحكم من فبراير ١٩٤٢ الى أكتوبر ١٩٤٤ ، مفترق الطرق في حياة مصر، فقد شهدت هذه الفترة سنوات الحسم في تاريخ الحرب العالمية الثانية، وكانت معركة العلمين ، التي كانت مصر ميدانها، احدى معركتين حددتا مصير الحرب لحد كبير (والأخرى ستالنجراد) ، وقد تأرجحت فيها مصر بين نصر محوري يعرض حياتها واستقلالها ونظامها للخطر، وهزيمة بريطانية تخرب مدنها وقراها . كما شهدت هذه الفترة تجمع الظروف والعوامل التي ساعدت على اتجاه مصر وبصورة حاسمة نحو الوحدة العربية، بعد طول تردد بين وحدات ظلت تتجاذبها على طول العشرينيات والثلاثينيات، وقد حسم هذا الاتجاه مصير مصر ليس فقط بالنسبة للمرحلة التاريخية التالية ، بل وبالنسبة لجميع المراحل التالية . وقد شهدت تلك الفترة أيضا استنفاد معاهدة ١٩٣٦ لأغراضها ، بتجربة المحالفة أثناء الحرب من ناحية، وبزوال خطر الفاشية الذي كان عاملا رئيسيا في ابرامها من ناحية أخرى، وأخيرا بدخول العلاقات الدولية مرحلة جديدة يحكمها ميثاق الأمم المتحدة وتوازن القوى العالمية الجديد .

. . .

حواشي الفصل الرابع

- ١ - Marlowe, John, Anglo - Egyptian Relations 1800-1953
P. 312 (London. The Cresset Press 1954).
- ٢ - انظر ملحق المادة الثانية من معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى ، وكذا خطاب النحاس باشا في مجلس النواب (قانون رقم ٨٠٠ . الخ ص ١١ - ١٤ ، ٢٥)
- ٣ - الدستور في ٢ يولية ١٩٣٨ ، المصري في ٢١ اغسطس ١٩٣٩
- ٤ - المصري في ١٩ اغسطس ١٩٣٨
- ٥ - مصر الفتاة في ٢١ مايو ١٩٣٩ ، دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ١٤٤ - ١٤٥ ، مجلس الشيوخ : المرجع المذكور ، جلسة ٣٠ ابريل ١٩٤٠ ص ٥٨١ - ٥٨٢ ، الرافعي : المرجع المذكور ص ٦٧-٦٨
- ٦ - F.O. 407/223, Bateman to Halifax, Aug. 24, 1939 No. 10
- ٦م - الحكومة المصرية ، وزارة العدل : مجموعة القوانين والمراسيم والاوامر الملكية للثلاثة الاشهر الثالثة من سنة ١٩٣٩ ص ٥٢٣-٥٣١
- ٧ - نفس المصدر ص ٥٣٤ - ٥٣٥ (٨) نفس المصدر ص ٥٣٨-٥٣٩
- ٩ - نفس المصدر ص ٥٤٠ - ٥٤٤ (١٠) الاهرام في ٢١ ، ٢ سبتمبر ١٩٣٩
- ١١ - مجموعة القوانين والمراسيم . الخ ص ٥٤٥ ، المصري في ٢١ ، ٢ ، ٣ سبتمبر سنة ١٩٣٩ ، الرافعي : المرجع المذكور ص ٧٣ .
- ١٢ - كيرك الشرق الاوسط في الحرب ص ٣٤
- ١٣ - الاهرام في ١٤ سبتمبر ١٩٣٩ . في الواقع ان هناك فارقا بين حالة الحياد الدائم وحالة الحياد التي تعلنها دولة لا ترغب في الاشتباك في القتال في حالة نشوب الحرب . فان الحالة الاولى تتم عن طريق

أبرام معاهدة بين الدولة التي ترغب في الحياد ودول أخرى ينص فيها على أن تضمن هذه الدول سلامتها واستقلالها ولا تعتدي عليها، وفي مقابل ذلك تتعهد الدولة الموضوعة في حالة حياد دائم ألا تدخل في حرب إلا دفاعاً عن نفسها، وألا تدخل في تعهدات دولية قد يؤدي تنفيذها إلى اشتباكها في حرب . وعلى ذلك فإن الدولة المحايدة حياداً دائماً لا تملك الدخول في معاهدات تحالف ، وإن تكون طرفاً في معاهدة ضمان ، ولا في اتحاد قد يجرها إلى الحرب دفاعاً عن باقي دول الاتحاد . كذلك تلتزم الدولة المحايدة حياداً تاماً بالامتناع عن مساعدة الدول المتحاربة . ومن الأمثلة على حالة الحياد الدائم سويسرا وبلجيكا .

وبالنسبة للدول المتحاربة ، فإنه يترتب على قيام الحرب قطع جميع مظاهر الاتصال السلمي كتبادل التمثيل السياسي والقنصلي والمعاهدات والعلاقات التجارية ، كما يترتب عليها اتخاذ الإجراءات الخاصة في مواجهة رعايا العدو المقيمين في أراضيها ، كما تبيع الحرب للدول المحاربة حقوقاً خاصة على الأموال المعادية الموجودة في أقليمها . هذا بالإضافة إلى أعمال القتال . (دكتور أحمد عبد القادر الجمال : بحوث ودراسات في القانون الدولي العام ج ٢ ص ٨٢-٨٤ ، عبد العزيز علي جميع وعبد الفتاح عبد العزيز وحسين درويش : قانون الحرب ص ١١٩-١٣٦ (الانجلو المصرية ١٩٥٢) . وفيما يتصل بمصر، فقد اتخذت بحكم المعاهدة كافة الإجراءات تقريباً التي تتخذها الدول التي تعتبر نفسها في حالة حرب، فيما عدا أعمال القتال الهجومي، وقد جعلها ذلك إلى حالة الحرب أقرب . وقد اعترفت بذلك جريدة المانشستر جارديان . فعندما طلب موسوليني إلى مصر أن تلتزم الحياد بعد إعلانها الحرب على فرنسا، كتبت الجريدة البريطانية تقول : أن ذلك متعذر ، لأن مصر منحتنا حق استعمال الاسكندرية وغيرها من الموانئ المصرية، وهي لا تستطيع أن تناقض ما جاء في المعاهدة (المصري في ١٦ يونية ١٩٤٠)

١٤ - انظر خطاب يوسف الجندي في مجلس الشيوخ يوم ١٧ أكتوبر ١٩٣٩، المضبطة ص ٥٩-٦٠ ، مذكرة الوفد إلى الحكومة البريطانية يوم أول أبريل ١٩٤٠ (الأهرام في ٢ أبريل ١٩٤٠)

١٥ - تقرير لجنة الأحكام العرفية لمجلس الشيوخ (مجلس الشيوخ : دور

- الانعقاد غير العادي من ٢-١٧ أكتوبر ١٩٣٩ ص ٢٧-٤٢ .
- ١٦ - نفس المصدر (١٧) نفس المصدر (١٨) نفس المصدر (١٩) نفس المصدر
- ٢٠ - تصريح لمصدر رسمي بريطاني نقله رويتر في ٢١ يونية ١٩٤٠ (المصري في ٢١ يونية ١٩٤٠)
- ٢١ - تصريح لعللي ماهر باشا نشرته المصري في ٢٥ يونية ١٩٤٠ ، انظر ايضا شهادة علي ماهر باشا في قضية الاغتيالات السياسية (لطفى عثمان : المحاكمة الكبرى في قضية الاغتيالات السياسية ص ١٣٨ . دار النيل للطباعة)
- ٢٢ - من حديث لعللي ماهر باشا نشرته الاهرام في ١٧ يناير ١٩٤٠
- ٢٣ -
- Lord Wilson; Eight years over seas 1939-1947 P. 24
(Huchinson and Co. Second enpression)
- ٢٤ - نفس المصدر ص ١٩
- ٢٥ - فؤاد كرم : النظارات والوزارات المصرية ج١ ص ٣٨٢
- ٢٦ - محمد صبيح : صفحات من الحرب العالمية الثانية، الكتاب الثاني : طريق الحرية ص ٢٩ (كتاب الشهر ، سلسلة التاريخ الحديث، دار القاهرة للطباعة . وقد علمت من الاستاذ صبيح اثناء مقابلتي معه بتاريخ ١٢ ديسمبر ١٩٦٨ ان هذه الوثيقة احدى الوثائق التي كانت في قصر القبة ، وقد فحصها بنفسه ونشر بعضها في جريدة الجمهورية عام ١٩٥٤ .
- ٢٧ - نفس المصدر ص ٢٩ - ٣٠
- ٢٨ -
- Lampson to Halifax, Sep. 4, 1939, Tel. 527
- ٢٨ م -
- Lampson to Halifax, Sep. 8, 1939, Tel. No. 570
- ٢٩ -
- Lampson to Halifax, Sep. 8, 1939, Tel. No 56.
- ٢٩ م -
- Lampson to Halifax, Sep. 46, 1939 Tel. No 599
- ٣٠ - شهادة علي ماهر باشا في قضية الاغتيالات السياسية (لطفى عثمان : المرجع المذكور ص ١٣٧ ، المصور في ٣ فبراير ١٩٣٩)
- ٣١ - المصري في ٢ يناير ١٩٣٩ . وقد تم فعلا عقد اتفاق بين ابجلترا

وايطاليا في منتصف شهر ابريل ١٩٣٨ وورد به في البروتوكول الذي وقع تصريح عن قناة السويس ليكون ملحقا ثامنا وينص على : « ان حكومة المملكة المتحدة البريطانية والحكومة الإيطالية تؤكدان هنا مرة اخرى عزمهما الدائم على احترام الشروط الواردة في الاتفاقية التي امضيت في الاستانة في يوم ٢٩ اكتوبر سنة ١٨٨٨ ، وعلى العمل بها ، وهي الاتفاقية التي تضمن في جميع الاوقات ولجميع الدول حرية استخدام قناة السويس » . وقد وقع في نفس الوقت اتفاق حسن جوار بين وزير مصر وسفير انجلترا ووزير خارجية ايطاليا ، وورد به : « تتعهد هذه الحكومات بأن تتعاون في جميع الاوقات على حفظ علاقات حسن الجوار بين الممتلكات السابقة الذكر (كينيا والصومال البريطاني والسودان) ، وان تسعى بكل ما في مقدورها لمنع الاغارات او غيرها من اعمال العنف غير القانونية التي تقع فيما وراء حدود أي بلد من البلدان المذكورة » (الاهرام في ١٧ ابريل ١٩٣٨) . وكانت ايطاليا قد احتجت على انجلترا بسبب نص المادة الثامنة من معاهدة ١٩٣٦ المتعلقة بقناة السويس ، اذ اعتبرتها مخالفة صريحة لاتفاق عام ١٨٨٨ ، وطالبت بضرورة اعادة النظر في شأن القناة وضرورة جعلها دولية . وقد جاء التصريح السالف الذكر فأكّد على أهمية اتفاقية ٢٩ اكتوبر ١٨٨٨ (انظر محمد رفعت : التيارات السياسية في حوض البحر المتوسط ص ١٥٦) ومع ذلك فسئري ان بريطانيا لن تلتزم بهذه الاتفاقية في اثناء الحرب ، ولن تبيع لدولتي المحور استخدام القناة انظر : دكتور محمد مصطفى صفوت : انجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥١ (القاهرة، مطابع رمسيس ١٩٥٢)

٣٢ - مجلس النواب : مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي الثاني، الهيئة النيابية السابعة ، المجلد الاول، جلسة يوم ٢٠ ديسمبر ١٩٣٨ ص ٢٥٥ - ٢٧٨

٣٣ - نفس المصدر ، المصور في ٣ فبراير ١٩٣٩

٣٤ - المصري في ٢ يناير ١٩٣٩

٣٥ - الاهرام في ٣ يناير ١٩٣٩

٣٦ - مصر الفتاة في ١٩ سبتمبر ١٩٣٨

٣٧ - نفس المصدر في ١٣ ابريل ١٩٣٩

٣٨ - نفس المصدر في ٣١ اغسطس ١٩٣٩

٣٩ - نفس المصدر في ٢٨ اغسطس ١٩٣٩

- ٤٠ - حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية ص ٢٨٢
- ٤١ - روت المصور القصة الطريفة التالية عن مقابلة تمت بين اسماعيل صدقي باشا وعبد الحميد سليمان باشا : « سأل صدقي باشا : كيف حال حزب الاتحاد الشعبي ؟ فأجاب سليمان باشا على الفور : « لقد استقلت من عضويته ، لأنني اعتقد انه لم يعد هناك لزوم لوجوده . بل ان احدا من الاعضاء لا يذهب الى داره مطلقا ، اللهم الا معالي رئيسه واحد الاعضاء ، حيث يقضيان الوقت في « لعب الطاولة » تحت اشراف طه بك ابو زيد ، الذي يمثل دور الحكم ! » . سأل صدقي باشا مرة اخرى : « هل يواظب اعضاء حزب الشعب على الذهاب الى الحزب الجديد ؟ » فأجاب سليمان باشا : لا ، لم اشهد منهم احدا (المصور في ١٠ فبراير ١٩٣٩)
- ٤٢ - الدستور في ٢٧ سبتمبر ١٩٣٨
- ٤٣ - نفس المصدر في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٨
- ٤٤ - نفس المصدر في ٣٠ سبتمبر ١٩٣٨
- ٤٥ - الدستور في ٣٠ سبتمبر ١٩٣٨
- ٤٦ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ١٤٧ - ١٤٨
- ٤٧ - نفس المصدر (٤٨) محمد صبيح : المرجع المذكور ص ٢٨-٢٩
- ٤٩ - الاهرام في ٨ اكتوبر ١٩٤٠ من حديث لعبد الرحمن عزام بك
- ٥٠ - الجهاد والاهرام في ١٠ نوفمبر ١٩٣٧ من حديث للنحاس باشا مع مندوبة وكالة «بريتش يونيتد برس»
- ٥١ - المصري في ١٣ مايو ١٩٣٩ (٥٢) المصري في ١٧ يولية ١٩٣٩
- ٥٣ - المصري في ١٨ اغسطس ١٩٣٩ (٥٤) نفس المصدر في ١٤ اغسطس ١٩٣٩
- ٥٥ - نفس المصدر في ٢٩ مارس ١٩٣٩ (٥٦) نفس المصدر في ٤ سبتمبر ١٩٣٩
- ٥٧ - نفس المصدر في ١٤ سبتمبر ١٩٣٩
- ٥٨ - من تصريح لمصدر مسئول في وزارة الحربية لندوب المصور في ١١ ديسمبر ١٩٣٦ ، آخر ساعة في ٤ يولية ١٩٣٧
- ٥٩ - من تصريح لمصدر مسئول في وزارة الحربية لندوب المصور ، المرجع المذكور ، حديث للجنرال مكريدي رئيس البعثة العسكرية البريطانية لندوب الاهرام في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩
- ٦٠ - المصور في ١١ ديسمبر ١٩٣٦ للمصدر سالف الذكر
- ٦١ - آخر ساعة في ٣١ يناير ، ٣١ فبراير ١٩٣٧
- ٦٢ - نفس المصدر في ١١ ابريل ، ١٦ مايو ١٩٣٧

- ٦٣ - الاهرام في ١٩ سبتمبر ١٩٣٧
- ٦٤ - نفس المصدر في ٢٩ مارس ١٩٣٩
- ٦٥ - نفس المصدر في ٢٢ ديسمبر ١٩٣٨
- ٦٦ - نفس المصدر في ٢٩ ديسمبر ١٩٣٨
- ٦٧ - نفس المصدر في ٢ مايو ١٩٣٩ من تصريح حسين سري باشا لندوب الاهرام عن البعثة العسكرية البريطانية .
- ٦٨ - نفس المصدر في ٧ ابريل ١٩٣٩
- ٦٩ - لورد ولسن : المرجع المذكور ص ١٩
- ٧٠ - الاهرام في ٢٩ اكتوبر ١٩٣٩ (٧١) نفس المصدر في ٧ يناير ١٩٤٠
- ٧٢ - من حديث للجنرال مكريدي (نفس المصدر في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩) ، انظر ايضا الاهرام في ٢٧ نوفمبر ١٩٣٩ ، ١٠ ابريل ١٩٤٠
- ٧٣ - المصور في اول ديسمبر ١٩٣٩
- ٧٤ - الاهرام في ١٧ ابريل ١٩٤٠ (٧٥) نفس المصدر في ٢٢ ، ٢٩ ابريل ١٩٤٠
- ٧٦ - نفس المصدر في ٥ ديسمبر ١٩٣٩ (٧٧) نفس المصدر في ٧ ابريل ١٩٤٠
- ٧٨ - نفس المصدر في ٧ مايو ١٩٤٠ (٧٩) نفس المصدر في ١١ مايو ١٩٤٠
- ٨٠ - نفس المصدر في ٨ مايو ١٩٤٠ (٨١) نفس المصدر في ٢٥ مايو ١٩٤٠
- ٨٢ - مذكرة الوفد المصري الى الحكومة البريطانية في اول ابريل ١٩٤٠ (الاهرام في ٢ ابريل ١٩٤٠) ، خطاب فكري ابازة في مجلس النواب يوم ٢٧ نوفمبر ١٩٣٩ (المضبطة ض ٤١) ، الاهرام في ٣ ، ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩ ، دكتور يوسف نحاس : القطن في خمسين عاما ص ٤٢٩ - ٤٣٥ (دار النيل للطباعة ١٩٥٤)
- ٨٣ - تقرير النقابة الزراعية المصرية العامة الى رئيس مجلس الوزراء في ٢٤ سبتمبر ١٩٣٩ (الاهرام في ٢٠ نوفمبر ١٩٣٩)
- ٨٤ - الرافي : المرجع المذكور ص ٧٦-٧٧
- ٨٥ - الاهرام في ٢ ابريل ١٩٦٨
- ٨٦ - مجلس الشيوخ : مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي الخامس عشر ، مضبطة جلسة يوم ٣٠ ابريل ١٩٤٠ ، خطاب يوسف الجندي ص ٥٨١ - ٥٨٢
- ٨٧ - نفس المصدر ، جلسة ٣٠ ابريل ١٩٤٠ ص ٥٨٩
- ٨٨ - نفس المصدر ص ٥٩٣ (٨٩) نفس المصدر ص ٥٩٤ - ٥٩٥
- ٩٠ - الرافي : المرجع المذكور ص ٧٨
- ٩١ - مجلس الشيوخ : المرجع المذكور ، جلسة ٣٠ ابريل ١٩٤٠

- ٩٢ - الاهرام في اول مايو ١٩٤٠
- ٩٣ - لطفي عثمان : المرجع المذكور ص ١٣٤ ، وتكشف احدى وثائق قصر القبة (مكتب حسن يوسف) كيف ان علي ماهر باشا كان يناور الايطاليين . فتروي ان الكونت ماتزولينى قد ابدى تأثره لعلي ماهر باشا في يوم ١٣ مايو ١٩٤٠ من التدابير التي اتخذت بخصوص الاوامر العسكرية الخاصة بالسلاح . ولكن علي ماهر باشا رد عليه بأن لديه اخبارا وثيقة بأن اليونانيين سيقضون على الايطاليين المقيمين في مصر اذا ما اعتدت ايطاليا على اليونان ، « ولذلك أردنا تجريد الايطاليين واليونانيين » وسأطبق هذا على الانجليز وعلى الجميع » (رئاسة الجمهورية - قصر القبة - مكتب حسن يوسف ، ٥٥٤٤ سري)
- ٩٤ - مجلس النواب : الهيئة النيابية السابعة ، مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي الثالث ، المجلد الثالث ، الجلسة السرية يوم ١٢ يونية ١٩٤٠ ، المصري في ١٤ يونية ١٩٤٠ . وقد نشرت بيانا لعلي ماهر باشا يتضمن خلاصة البيان الذي القاه في مجلس الشيوخ والنواب يوم ١٢ يونية في الجلسة السرية والذي وافق عليه المجلسان .
- ٩٥ - نفس المصدر ، جلسة يوم ٢١ اغسطس ١٩٤٠ ص ٢٧٢٨ - ٢٧٣٣ ، ٢٧٣٨ - ٢٧٣٩
- ٩٦ - كيرك : الشرق الاوسط في الحرب ص ٣٤
- ٩٧ - المصري في ٢١ اغسطس ١٩٣٩
- ٩٨ - لورد ولسن : المرجع المذكور ص ٢٤
- ٩٩ - مجلس الشيوخ : دور الانعقاد العادي الحادي والعشرون ، جلسة ٢٢ يولية ١٩٤٦ ص ٩٩٥ - ٩٩٦ .
- ١٠٠ - كيرك : المرجع المذكور ص ٣٦
- ١٠١ - لورد ولسن : المرجع المذكور ص ٢٤
- ١٠٢ - كيرك : المرجع المذكور ص ٣٦ ، الاهرام في ٦ فبراير ١٩٤٠
- ١٠٣ - بيان اسماعيل صدقي باشا امام مجلس الشيوخ بجلسة ٢٢ يولية ١٩٤٦ ، وبيان علي ماهر باشا في نفس الجلسة (المضبطة ص ١٩٤ - ١٩٦) . وقد اورد اللورد ولسن قصة العثور على الخطاب المذكور ، وقال انه كان بخصوص « سياسة متفق عليها بشأن الدفاع عن سيوة وتعزيز حاميتها » ولكنه لم يورد اسم الجنرال الايطالي الاسير » (لورد ولسن : المرجع المذكور ص ٥٣)

- ١٠٤ - شهادة علي ماهر باشا في قضية الاغتيالات السياسية (لطفى عثمان : المرجع المذكور ص ١٣٤)
- ١٠٥ - كيرك : المرجع المذكور ص ٣٦ ، المصور في ٨ مارس ١٩٤٠
- ١٠٦ - شهادة علي ماهر باشا في قضية الاغتيالات السياسية (لطفى عثمان : المرجع المذكور ص ١٣٤ ، ١٣٦ ، ١٤٦)
- ١٠٧ - نفس المصدر ص ١٧٩ - ١٨٠
- ١٠٨ - لورد ولسن : المرجع المذكور ص ٣٩ ، شهادة علي ماهر باشا في قضية الاغتيالات السياسية (لطفى عثمان : المرجع المذكور ص ١٣٩)
- ١٠٩ - مجلس الشيوخ : المرجع المذكور ، جلسة يوم ٢٤ يونية ١٩٤٠
- ١١٠ - المصري في ٢٥ يونية ١٩٤٠
- ١١١ - نفس المصدر في ٢١ يونية ١٩٤٠
- ١١٢ -
- F.O. 407/224 Lampson to Halifax, May 25 1940 Tel. 382
- ١١٣ -
- Lampson to Halifax, June 2, 1940 Tel. No 429
- ١١٤ -
- Halifax to Lampson, June 5, 1940 Tel. No 401
- ١١٥ -
- Lampson to Halifax, June 5, 1940 Tel. No 447
- ١١٦ -
- Halifax, to Lampson, June 10, 1940 Tel. 435
- ١١٧
- Lampson to Halifax, June 11, 1940 Tel. 488
- ١١٨
- Lampson to Halifax. June 11, 1940 Tel. 491
- ١١٩ -
- Lampson to Halifax. June 12, 1940 Tel. 498
- ١٢٠ -
- Lampson to Halifax. June 12, 1940 Tel. 502
- ١٢١ -
- Ibid
- ١٢٢ - مجلس النواب ، الهيئة النيابية السابعة ، مجموعة مضابط دور

الانعقاد العادي الثالث، جلسة يوم ١٩ يونية ١٩٤٠ ص ٢٥٦٨ -

٢٥٦٩

١٢٣ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ١٩٩ ، وقد ذكر الدكتور هيكل ان بين السلوم ومرسى مطروح قرابة الـ ٣٠٠ كيلومترا ، وصحتها ٢٣٠ كيلومترا .

- ١٢٤

Lampson to Halifax, June 13, 1940 Tél. 514

- ١٢٥

Lampson to Halifax, June 13, 1940 Tel. 515

- ١٢٦

Lampson to Halifax, June 15, 1940 Tél. 525

- ١٢٧

Lampson to Halifax, June 15, 1940 Tel. 530

- ١٢٨

Halifax to Lampson, June 16, 1940 Tel. 468 Dipp

- ١٢٩

Lampson to Halifax, June 16, 1940 Tél. 532 Dipp

- ١٣٠

Lampson to Halifax, June 17, 1940 Tél. 536

١٣١

Halifax to Lampson, June 20, 1940 Tel. 483

- ١٣٢

Halifax, to Lampson, June 20, 1940 Tel. 475

- ١٣٣

Lampson to Halifax, June 19, 1940 Tel. 544 Dipp

- ١٣٤

Lampson to Halifax, June 19, 1940 Tel. 555

- ١٣٥

Halifax. to Lampson, June 19, 1940 Tel. 475

- ١٣٦

Lampson to Halifax. June 20, 1940 Tel. 483

- Halifax, to Lampson, June 20, 1940 Tel. 485 — ١٣٧
- Lampson to Halifax, June 23, 1940 Tel. 592 Dipp — ١٣٨
- Halifax, to Lampson, June 20, 1940 Tel. 483 — ١٣٩
- Lampson to Halifax, June 21, 1940 Tel. 573 Dipp — ١٤٠
- Lampson to Halifax, June 21, 1940 Tél. 574 Dipp — ١٤١
- Halifax, to Lampson, June 22, 1940 Tel. 493 Dipp — ١٤٢
- المصري في ٢٣ يولية ١٩٤٠ ، الرافعي : المرجع المذكور ص ٨٤ — ١٤٣
- Lampson to Halifax, June 23, 1940 Tel. 590 Dipp — ١٤٤
- Ibid — ١٤٥
- Lampson to Halifax, June 23, 1940 Tel. 592 Dipp — ١٤٦
- ١٤٧
- Lampson to Halifax, June 24, 1940 Tél. 599 — ١٤٨
- Lampson to Halifax, June 26, 1940 Tel. 613 — ١٤٩
- جرت هذه المقابلة بعد ظهر يوم ٢٦ يولية ١٩٤٠ (المصري ٢٧ يولية ١٩٤٠)
- ١٥٠ — محمد التابعي : المرجع المذكور ص ١٨٦
- ١٥١
- Lampson to Halifax, October 8, 1940 No 938
- Shirer, 25, The Rise and Fall of the Third Reich, A History of Nazi Germany — ١٢٦ م
- لزيد من التفاصيل انظر
- ١٢٧ م — دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ١٩١ — ١٩٢
- ١٢٨ م — نفس المصدر
- ١٢٩ م — رائد عزيز محمد مصطفى . موجز العمليات الحربية في شمال افريقيا ص ٦-٩ ،
- Churchill, W. ; The Second World war, and anepilogue on The Years 1945-1957. PP. 376-79 (London 1957)
- ١٣٠ م — مجلس النواب : المرجع المذكور جلسة ٣ يولية ١٩٤٠ ص ٢٦٠٦
- ١٣١ م — نفس المصدر ، جلسة ١٧ يولية ١٩٤٠ ص ٢٦٣١
- ١٣٢ م — خطاب احمد ماهر باشا في حفل التكريم الذي اقامه له نواب مصر العليا يوم ٧ اغسطس ١٩٤٠ (محمد ابراهيم ابو رواع، الشهيد احمد ماهر ، مجلد ١ ص ٢٢٧ — ٢٢٨)

- ١٣٣م - خطاب احمد ماهر باشا في حفل التكريم الذي اقامه له السيد عبد الهادي القصبي بك في عزبته بضواحي طنطا يوم ٢٢ اغسطس ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٣٢)
- ١٣٤م - خطاب احمد ماهر باشا في نادي الهيئة السعدية بالاسكندرية يوم ١٦ اغسطس ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٦٠)
- ١٣٥م - خطاب احمد ماهر باشا في نادي محمد علي يوم ١٣ اغسطس ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٣٥)
- ١٣٦م - خطاب احمد ماهر باشا في نادي الهيئة السعدية بالاسكندرية يوم ١٦ اغسطس ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٥٩)
- ١٣٧م - خطاب احمد ماهر باشا في المأدبة التي اقامها لتكريم شيوخ ونواب الاسكندرية والبحيرة في ٥ اغسطس ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٢٥)
- ١٣٨م - خطاب احمد ماهر باشا في مدينة الزقازيق يوم ٢٦ ابريل ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٢٢)
- ١٣٩م - خطاب احمد ماهر باشا يوم ١٦ اغسطس ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٦٠)
- ١٤٠م - خطاب احمد ماهر باشا يوم ١٩ سبتمبر ١٩٤٠ بسراي الشناوي بك (نفس المصدر ص ٢٣٩)
- ١٤١م - خطاب احمد ماهر باشا يوم ١٧ اكتوبر ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٤٦)
- ١٤٢م - دكتور صلاح العقاد : العرب والحرب العالمية الثانية ص ٢٨-٢٩ (معهد الدراسات العربية العالية ١٩٦٦)
- ١٤٣م - كيرك : (المرجع المذكور ص ١٩٤)
- ١٤٤م - خطاب الدكتور احمد ماهر باشا يوم ١٩ سبتمبر ١٩٤٠ بسراي الشناوي بك (نفس المصدر ص ٢٣٧-٢٣٨)
- ١٤٥م - نفس المصدر ص ٢٤٥
- ١٤٦م - خطاب احمد ماهر باشا في نادي الهيئة السعدية بالاسكندرية يوم ١٦ اغسطس ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٥٨)
- ١٤٧م - كانت انجلترا ، تحت الضغط الشديد، قد عقدت صفقة قطن مع مصر .
- ١٤٨م - مجلس النواب : المرجع المذكور جلسة ٢١ اغسطس ١٩٤٠ مجلد ٣ ص ٢٧٢٨
- ١٤٩م - نفس المصدر ص ٢٧٣٠ (١٥٠م) نفس المصدر ص ٢٧٣٣
- ١٥١م - نفس المصدر ص ٢٧٣٨ - ٢٧٣٩

١٥٢ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ١٩٤ - ١٩٥

١٥٣ - نفس المصدر ص ١٩٧ - ١٩٨

١٥٣م -

Lampson to Halifax, Oct. 8, 1940 No 938

١٥٤ - المصري في ٢ اكتوبر ١٩٤٠ (١٥٥) نفس المصدر في ١٥ اكتوبر ١٩٤٠

١٥٦ - نفس المصدر في ١٦ اكتوبر ١٩٤٠ (١٥٧) نفس المصدر في ١٧ اكتوبر ١٩٤٠

١٥٨ - نفس المصدر في ١٧ اكتوبر ١٩٤٠ (١٥٩) نفس المصدر في ٢٧ سبتمبر ١٩٤٠

١٦٠ - وقد كتب مصطفى امين مقالا في مجلة آخر ساعة المصورة في ٢٩

سبتمبر ١٩٤٠ ، اقتبس فقرات منه كيرك في كتابه : الشرق

الاوسط في الحرب ص ١٩٦ ، ادعى فيه تشابه موقف الاحرار

الدستوريين مع الوفد في ضرورة الحصول على وعد من الانجليز

بجلاتهم عن مصر والسودان بعد الحرب . ولم اعثر على شيء من

هذا التشابه في تصريحات الاحرار الدستوريين او مذكرات

الدكتور هيكل .

١٦١ - كتاب حسن صبري باشا بقبول استقالة الوزراء السعديين في

٢١ سبتمبر ١٩٤٠ (الرافعي : المرجع المذكور ص ٩٤)

١٦٢ - اتخذ البرلمان المصري هذا القرار مع مناسبة نجاح الهجوم البريطاني

المضاد في ٩ ديسمبر ١٩٤٠

١٦٣ - المصور في ١١ اكتوبر ١٩٤٠

١٦٣ مكرر - خطاب الدكتور احمد ماهر في ٧ اكتوبر ١٩٤٠ ، وخطابه في ١٩

اكتوبر (نفس المصدر ص ٢٤٦-٢٤٧ ، ٢٥٣)

١٦٤ - الدكتور هيكل : المرجع المذكور ص ١٩٧

١٦٥ - الاهرام في ٢٣ سبتمبر ١٩٤٠

١٦٦ - المصور في ٢٧ سبتمبر ١٩٤٠

١٦٧ - دكتور هيكل : المرجع السابق ص ١٩٦ - ١٩٧

١٦٨ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ١٩٦-١٩٧

١٦٩ - خطاب احمد ماهر باشا في ٧ اكتوبر ١٩٤٠ (نفس المصدر ص ٢٤٧)

١٧٠ -

Lampson to Halifax, Oct. 8, 1940, No 938

١٧٠م -

Halifax to Lampson, Dec. 10, 1940, Tel. 1492

Halifax, to Lampson, Dec. 12, 1940, Tel. 1504

١٧١ -

Lampson to Halifax, Dec. 13, 1940, Tél. 1726

- ١٧١ م -
١٧٢ - مارلو : المرجع المذكور ص ٣١٥
١٧٢ م - محمد شوقي زكي : المرجع المذكور ص ١٢٤-١٢٧ نقلا عن تقرير
عن النشاط الكشفى لعبد الغنى عابدين السكرتير العام المساعد
لجمعية الكشافة المصرية ووكيل عام جواله الاخوان .
١٧٣ - احمد حسين : مذكرة بدفاع المتهمين من السابع الى الخامس عشر
في قضية اغتيال المرحوم محمود فهمي النقراشي باشا ص ١٤ ، ٤٥ ،
الرافعي : المرجع المذكور ص ٦٤
١٧٤ - انور السادات : اسرار الثورة المصرية ، بواعثها الخفية واسبابها
السيكولوجية ص ٦١ (سلسلة كتاب الهلال يولية ١٩٥٧)
١٧٥ - محكمة الشعب : محاكمة محمود عبد اللطيف ، اعداد كمال كيرة ص ٢٣
١٧٦ - احمد حسين : المرجع المذكور ص ٤٥-٤٦
١٧٧ - محكمة الشعب : المضبطة الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الشعب ،
المحاكمات التي تمت في المدة من ٢٥ الى ٣٠ نوفمبر ١٩٥٤ ، ج ٥
ص ٢٨ - ٣٠
١٧٨ - محمد شوقي زكي : المرجع المذكور ص ٢٠
١٧٩ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٠٨ - ٢٠٩
١٨٠ - مجلس الشيوخ ، مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي السابع عشر ،
جلسة ٩ ديسمبر ١٩٤١ ص ٣١
١٨١ - احمد حسين : المرجع المذكور ص ٤٠
١٨٢ - مجلس الشيوخ : المرجع المذكور
١٨٣ - كيرك : موجز تاريخ الشرق الاوسط ص ٣١٤
١٨٤ - الاهرام في ٢٨ سبتمبر ١٩٤٠
١٨٥ - احمد حسين : الدكتور خالد ، الحلقة الثانية من قصة ازهار ص
١٥٢ - ١٦٧ (دار القلم ١٩٦٤)
١٨٦ - محمد صبيح : المرجع المذكور ، الكتاب الاول : من العلمين الى
سجن الاجانب ص ٢٠ - ٢٤ ، ٣٦ ، مقابلي مع الاستاذ محمد صبيح
يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٨
١٨٧ - نفس المصدر ، احمد حسين : ايماني ، الطبعة الثانية ص ٣٦٣
١٨٨ - احمد حسين : الدكتور خالد ص ١٥٢ - ١٦٧
١٨٩ - احمد حسين : ايماني ص ٢ ، ٣ ، وراء القضبان ص ٥ (سلسلة
كتب للجميع)

- ١٩٠ - أحمد حسين : وراء القضبان ص ٧٣ ، ٧٧ ، ١٢٨ ، ١٣٤
- ١٩١ - وسيم خالد : مذكرات وسيم خالد ، الكفاح المسلح ضد الانجليز ، الفصل الاول والثاني (مطبعة الشعب ١٩٦٣)
- ١٩٢ - كمال الدين رفعت : مذكرات .. الخ
- ١٩٣ - البلاغ في ١٥ يناير ١٩٣٨ (١٩٤) الاهرام في ٢٢ يناير ١٩٣٩
- ١٩٥ - المصور في ٣ ، ١٧ فبراير ١٩٣٩ ، الرافعي : المرجع المذكور ص ٦٣-٦٤
- ١٩٦ - دكتور محمد انيس : دراسة خاصة عن ٤ فبراير (الاهرام ٧ فبراير ١٩٦٧)
- ١٩٧ - نفس المصدر
- ١٩٨ - انور السادات : المرجع المذكور ص ٣٠-٣٤ (١٩٩) نفس المصدر ص ٣٦-٣٧
- ٢٠٠ - نفس المصدر ص ٦٥ ، ١١١ (٢٠٠م) دكتور محمد انيس : المرجع المذكور
- ٢٠١ - نفس المصدر ص ٦٥
- ٢٠٢ - لورد ولسن : المرجع المذكور ص ١٢٩
- ٢٠٣ - انور السادات : المرجع المذكور ص ٣٥-٣٦
- ٢٠٤ - نفس المصدر ص ٣٧-٤١
- ٢٠٦ - حسن عزت ، قائد السرب : اسرار معركة الحرية ص ٢٣-٢٤ (١٩٥٣)
- ٢٠٧ - نفس المصدر (٢٠٨) انور السادات : المرجع المذكور ص ١٤٥
- ٢٠٩ - حسن عزت : المرجع المذكور ص ٢٥-٢٦ (٢١٠) نفس المصدر ص ٢٧
- ٢١١ - انور السادات : المرجع المذكور ص ٤٤-٤٧ (٢١٢) نفس المصدر ص ٥٨
- ٢١٣ - نفس المصدر ص ٦١-٦٢ (٢١٤) نفس المصدر ص ٦٠
- ٢١٥ - نفس المصدر ص ٩١-٩٢ (٢١٦) نفس المصدر
- ٢١٧ - حسن عزت : المرجع المذكور ص ٢٧-٢٩
- ٢١٨ - نفس المصدر ص ٢٩
- ٢١٩ - بيان لكريم ثابت بك في الرد على اتهامات السير الكسندر كادوجان في مجلس الامن (اخبار اليوم في ٦ سبتمبر ١٩٤٧)
- ٢٢٠ - دكتور محمد انيس : المرجع المذكور (الاهرام في ٧ فبراير ١٩٦٧)
- ٢٢١ - نفس المصدر (٢٢٢) انور السادات : المرجع المذكور ص ٩٧-٩٨
- ٢٢٣ - محمد صبيح : المرجع المذكور ج١ ص ٢٨-٢٩ ، ٣٢
- ٢٢٤ - نفس المصدر ص ٢٤
- ٢٢٥ - انظر مذكرات عثمان كمال حداد المنشورة تحت عنوان حركة رشيد عالي الكيلاني (المكتبة العصرية - صيدا) ، دكتور صلاح العقاد : العرب والحرب العالمية الثانية ص ٥٠-٨٥

- ٢٢٦ - الاهرام والوفد المصري في اول مايو ١٩٤١
- ٢٢٧ - الاهرام في اول مايو ١٩٤١
- ٢٢٨ - نفس المصدر في ٣ مايو ١٩٤١ ، الوفد المصري في ٣ مايو ١٩٤١
- ٢٢٩ الاثنين في ٧ يولية ١٩٤١ (٢٣٠) نفس المصدر في ٣٠ يونية ١٩٤١
- ٢٣١ - الاهرام في ٥ مايو ١٩٤١ (٢٣٢) الوفد المصري في ٦ مايو ١٩٤١
- ٢٣٣ - نفس المصدر
- ٢٣٤ - الاثنين في ٧ يولية ١٩٤١ (٢٣٥) التابعي : المرجع المذكور ص ١٩٥
- ٢٣٦ - المصري في ٤ اغسطس ١٩٤١ . ويعتبر غير صحيح ما اورده التابعي عن خلفيات خطبة النحاس باشا في رأس البر . فهو يذكر ان تحسين العلاقات بين الملك فاروق والنحاس قد حدث بينما كان النحاس باشا ومكرم عبيد باشا في رأس البر ، وان النحاس دعي حينذاك لمقابلة الملك في القاهرة وبعدها بأيام اقيمت حفلة تكريم في رأس البر حيث القى فيها النحاس خطابه المشهور . على انه قد تبين لنا في المتن ان سياسة الوفاق ترجع الى ما قبل ذلك بثلاثة شهور . (انظر التابعي : المرجع المذكور ص ١٩٣ - ١٩٦)
- ٢٣٧ - خطاب يوسف الجندي في مجلس الشيوخ يوم ٨ سبتمبر ١٩٤١ (مجلس الشيوخ : مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي السادس عشر ١٩٤٠ - ١٩٤١ ص ٨٢٢ - ٨٢٤)
- ٢٣٨ - دكتور يوسف نحاس : القطن في خمسين عاما ص ٤٣٧ - ٤٣٨ (دار النيل للطباعة ١٩٥٤)
- ٢٣٩ - دكتور عبد المنعم فوزي : مذكرات في تطور مصر الاقتصادي والمالي في العصر الحديث ص ١٧٦ (دار المعارف ١٩٥٦) ، دكتور جمال الدين محمد سعيد : التطور الاقتصادي في مصر منذ الكساد العالمي الكبير ص ٩١
- ٢٤٠ - الوفد المصري في ٢٣ اغسطس ١٩٤١ تحت عنوان «مقال الاجيشان ميل ، رد الدكتور يوسف نحاس بك» .
- ٢٤١ - عثمان كمال حداد : حركة رشيد عالي الكيلاني سنة ١٩٤١ ص ٤٣
- ٢٤١م - خطاب يوسف الجندي السالف الذكر
- ٢٤٢ - نفس المصدر (٢٤٣) مضبطة مجلس الشيوخ، جلسة ١٣ اكتوبر ١٩٤١ ص ٩٩٥ - ٩٩٦
- ٢٤٤ Churchill : المرجع المذكور ص ٤٤٤ - ٤٤٥ ، الرائد عزيز محمد مصطفى : موجز العمليات الحربية في شمال افريقيا ص ٣٣ - ٣٥

- ٢٤٥ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٠٠-٢٠١ ، الاهرام في ٦ يونية ١٩٤١ والاعداد التالية .
- ٢٤٦ - مجلس النواب : مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي الرابع ١٩٤٠ - ١٩٤١ ص ١٤٥٩ ج٢
- ٢٤٧ - مجلس الشيوخ : مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي السادس عشر ١٩٤٠ - ١٩٤١ جلسة ٢٤ يونية ١٩٤١ ص ٥٢٥ - ٥٢٧
- ٢٤٨ - مجلس النواب : المرجع المذكور ج٣ ص ٢٢٥٣ جلسة ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ سبتمبر ١٩٤١
- ٢٤٩ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٠٥
- ٢٥٠ - مجلس النواب : المرجع المذكور ص ٣٢٥٤
- ٢٦٠ - نفس المصدر ج٤ جلسة ١٢ ، ١٣ يناير ١٩٤٢ ص ١٨٨ - ١٨٩ ، الاهرام في ١٣ ، ١٤ يناير ١٩٤٢
- ٢٦١ - نفس المصدر ج٣ ص ٢٢٥٥ - ٢٢٥٦ جلسة ٨ ، ٩ ، ١٠ ، ١٥ ، ١٦ سبتمبر ١٩٤١ ، ج٤ جلسة ٥ ، ٦ يناير ١٩٤٢
- ٢٦٢ - لطفي عثمان : المرجع المذكور ص ١٦٨ شهادة حسين سري باشا
- ٢٦٣ - نفس المصدر ص ٥٥ شهادة النحاس باشا
- ٢٦٤ - انور السادات : المرجع المذكور ص ٦٢
- ٢٦٥ - مجلس الشيوخ : مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي السابع عشر ١٩٤١ - ١٩٤٢ جلسة ٢٩ ابريل ١٩٤٢ ص ١٩٥
- ٢٦٦ - صالح علي عيسى السوداني : الاسرار السياسية لابطال الثورة المصرية وآراء الدكتور محجوب ثابت ص ٣٢٤ ، ٣٤٧
- ٢٦٧ - مجلس الشيوخ : المرجع المذكور ص ١٩٥ - ١٩٦
- ٢٦٨ -

Bilainkin, George, Cairo to Riadh Diaries PP. 52-53

(London, Williams and Norgate LTD 1950)

- ٢٦٩ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٠٧ - ٢٠٨ ، ص ٢٠٩ حاشية ٢
- ٢٧٠ - نفس المصدر ص ٢٠٩
- ٢٧١ - وليم شيرر : المرجع المذكور ص ٨١٣ ، ٨١٨ - ٨٢٠ ، تشرشل : المرجع المذكور ص ٤٨٧ - ٤٩٠ ، ٥١٦
- ٢٧٢ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٠٤
- ٢٧٣ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٠٧ ، ٢٠٩
- ٢٧٤ - شهادة حسين سري باشا (لطفي عثمان : المرجع المذكور ص ١٦٤)

٢٧٤م -

Lampson to Foreign office, Jan. 22, 1942, Tel. 290

٢٧٥ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢١٩

٢٧٦ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٠٧ ، ٢٠٩ . كان حسين سري باشا زوجا لخالة الملكة السابقة فريدة ، وعلى الرغم من هذه الصلة العائلية كان فاروقا يرى فيه مواليا للانجليز ولم يكن يستريح له (التابعي : المرجع المذكور ص ١٩٠)

٢٧٧ -

Lampson to Foreign office, Jan. 26, 27, 1942 Tel. 362, 389

٢٧٨ - دكتور محمد انيس : المرجع المذكور (الاهرام في ٩ فبراير ١٩٦٧) نقلا عن : خطاب ايتل الى ريبنتروب وزير الخارجية الالمانية في ٥ ابريل ١٩٤١ - الارشيف الخاص بمصر التابع لسكرتير وزارة الخارجية .

٢٧٩ - نفس المصدر نقلا عن : خطاب ايتل الى وزارة الخارجية في ٣ يولية ١٩٤١ - مجموعة الوثائق المذكورة . وقد تحدث كريم ثابت عن هذه الوثيقة ، ولكن بتحريف اتاح له مهاجمتها . فقد ذكر انها عبارة عن تقرير من سفير المانيا في طهران بتاريخ يوليو ١٩٤١ يبلغ فيها حكومته ان يوسف ذو الفقار باشا سفير مصر في ايران قابله وذكر له انه مكلف من الملك فاروق بابلاغ الشاه وبابلاغه (السفير الالمانى) ان الانجليز قرروا احتلال منطقة آبار البترول في ايران ، وكذلك منطقة كركوك في العراق ، لينحدروا منها الى اذربيجان . وان الغرض من هذا التبليغ التدبر واتخاذ الاحتياطات اللازمة . وقد اتخذ كريم ثابت من عبارة احتلال منطقة كركوك ، التي تخلو منها البرقية التي اوردها الدكتور انيس نقلا عن مجموعة الوثائق الالمانية ، مادة لاثارة الشبهات حول صحة الوثيقة، اذ تساءل : كيف يقول الملك فاروق ان الانجليز سيحتلون منطقة كركوك في العراق ، وقد كانوا في العراق فعلا ؟ (انظر بيان كريم ثابت في الرد على اتهامات السير الكسندر كادوجان) (اخبار اليوم في ٩ سبتمبر ١٩٤٧)

٢٨٠ - نفس المصدر للدكتور محمد انيس

٢٨١ - نفس المصدر ، عن تقرير فورمان Wormann في ١٨ سبتمبر ١٩٤١

٢٨٢ - نفس المصدر

- ٢٨٣ - التابعي : المرجع المذكور ص ١٨٧ - ١٨٨
- ٢٨٤ - دكتور هيكل : ص ١٩٩ - ٢٠٠
- ٢٨٥ - نفس المصدر ص ١٩٩
- ٢٨٦ - مضبطة مجلس النواب يوم ٩ يولية ١٩٤١ ص ١٦٨٦ - ١٦٨٨
- ٢٨٧ - نفس المصدر
- ٢٨٨ - كيرك : المرجع المذكور ص ٣٤ حاشية ٣
- ٢٨٩ - مجلس الشيوخ : مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي السابع عشر
١٩٤١ - ١٩٤٢ جلسة ٢٩ ابريل ١٩٤٢ ص ١٩٥
- ٢٩٠ - احمد حسنين : الدكتور خالد ص ٣٥٥
- ٣٩١ - كيرك : المرجع السابق ص ٢٠٧ حاشية ١ ، موجز تاريخ الشرق
الاولى ص ٣١٤
- ٢٩٢ - اخبار اليوم في ١٧ يناير ١٩٤٨ مقال بقلم مصطفى امين : « هل
اتصل امين عثمان بعلي ماهر ؟ » المصري في ٩ ديسمبر ١٩٤١ «
- ٢٩٣ - لطفي عثمان : المرجع السابق ص ١٧٦
- ٢٩٤ - مجلس الشيوخ : المرجع المذكور ص ١٩٥
- ٢٩٥ -
- Lampson to Foreign office, Jan. 22, 1942, Tél. 290
- Lampson to Foreign office, Jan. 27, 1942, Tél. 389 - ٢٩٥م
- Lampson to Foreign office, Jan. 27, 1942, Tél. 380 - ٢٩٦م
- Lampson to Foreign office, Feb. 1, 1942, Tél. 442 - ٢٩٦م
- Lampson to Foreign office, Feb. 2, 1942, Tél. 449 - ٢٩٧م
- Lampson to Foreign office, Feb. 2, 1942, Tél. 449 - ٢٩٧م
- ٢٩٨ -
- Lampson to Foreign office, Feb. 3, 1942, Tél. 461
- ٢٩٨م -
- Lampson to Foreign office, Feb. 3, 1942, Tél. 462
- ٢٩٩ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٢٩
- ٢٩٩م -
- Lampson to Foreign office, Feb. 4, 1942, Tél. 480
- ٣٠٠ - دكتور هيكل : نفس المصدر (٣٠١) نفس المصدر
- ٣٠٢ - انظر نص المحضر المنشور في مصطفى مؤمن : صوت مصر ص ٩٠١
- ٣٠٣ - دكتور هيكل : ص ٢٣٤ - ٢٣٨

- ٣٠٤ - شهادة النحاس باشا في قضية الاغتيالات السياسية (لطفى عثمان :
المرجع المذكور ص ٤٤ - ٤٥)
- ٣٠٥ - محضر القصر المنشور في كتاب مصطفى مؤمن : المرجع المذكور ص ٩٥
- ٣٠٦ - لطفى عثمان : المرجع المذكور ص ٤٣ شهادة النحاس باشا في قضية
الاغتيالات السياسية
- ٣٠٧ - Lampson to Foreign office, Feb. 3, 1942, Tel. 466
- ٣٠٨ - الوفد المصري في ٢١ نوفمبر ١٩٤٥ بيان النحاس باشا عن حادث
٤ فبراير ١٩٤٢
- ٣٠٨ م - محمد زكي عبد القادر : محنة الدستور ص ١٠٦ ، ١١٢ ، ١١٣
- ٣٠٩ - الرافعي : المرجع المذكور ج ١ ص ٢٤٩ (مكتبة النهضة ١٩٤٧)
- ٣١٠ - Lampson to Foreign office, Mars 5, 1942, Tel. 720
- ٣١١ - بليكن : المرجع المذكور ص ٦٥
- ٣١٢ - التابعي : المرجع المذكور ص ٢١٢ - ٢١٤
- ٣١٣ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢١١
- ٣١٤ - وليم شيرر : المرجع المذكور ص ٧٥١ حاشية . وقد علق شيرر على
هذه الوثيقة قائلا انه يجب ان يوضع في الذهن ان هذه الوثائق
عبارة عن تقارير المانية ، وانه من الجائز الا تكون صحيحة !
- ٣١٤ م - تعليق وكيل وزارة الخارجية البريطانية على برقية لامبسون رقم
٤٥١ في ٢ فبراير ١٩٤٢ . انظر ايضا برقية وزارة الخارجية
البريطانية الى لامبسون رقم ٦١٨ في ٣ فبراير سنة ١٩٤٢
- ٣١٥ - شهادة علي ماهر باشا في قضية الاغتيالات السياسية (لطفى عثمان :
المرجع المذكور ص ١٤٢ ، ١٤٤ ، ١٧٨ ، ١٧٩ ، الاهرام والمصري
في ١٣ ، ١٥ يناير ١٩٤٨)
- ٣١٥ م - Lampson to Foreign office, Feb. 4, 1942, Tel. 487
- Ibid - ٣١٦
- ٣١٦ م - Foreign office to Lampson, Feb. 2, 1942, Tel. 572
- ٣١٧ - Lampson to Foreign office, Feb. 3, 1942, Tel. 461
- ٣١٧ م - F.O. 371/315 67, 7402, Egypt

- ٣١٨
Lampson to Foreign office, Feb. 5, 1942, Tél. 491
- ٣١٨ م
The Killearn Diaries
- ٣١٩
Lampson to Foreign office, Feb. 12, 1942, No 550
- ٣١٩ م شهادة علي ماهر باشا في قضية الاغتيالات السياسية (لطفى عثمان :
المرجع المذكور ص ١٤٤ - ١٤٥)
- ٣٢٠ - الوفد المصري في ٢١ نوفمبر ١٩٤٥ ، بيان النحاس باشا عن حادث
٤ فبراير
- ٣٢٠ م - الوفد المصري
- ٣٢١ - فؤاد كرم : المرجع المذكور ص ٤٠٧ - ٤١١
- ٣٢٢ - كلمة النحاس باشا في وفود التهنئة برياسته للوزارة (الاهرام في ٦
فبراير ١٩٤٢) وقد وجدت صور بعض هذه المنشورات في قصر
القبّة (انظر مكتب حسن يوسف ، ملف حادث ٤ فبراير)
- ٣٢٣ - محمود ابو الفتح : الامة ووزارة الامة ، مقال بجريدة المصري عدد
٨ فبراير ١٩٤٢
- ٣٢٤ - المصري في ٢٦ مارس ١٩٤٢
- ٣٢٥ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٥٠ - ٢٥١
- ٣٢٦ - انظر الكتب المتبادلة بين كل من الدكتور احمد ماهر باشا والدكتور
حسين هيكل وبين النحاس باشا حول موضوع الانتخابات ورفع
الاحكام العرفية (المصري في ٢٣ فبراير ١٩٤٢)
- ٣٢٧ مجلس النواب : الهيئة النيابية الثامنة ، مجموعة مضابط دور
الانعقاد العادي الثالث جا سنة ١٩٤٣ - ١٩٤٤ ، جلسة ١٢ يناير
١٩٤٤ ص ٤٠٠ - ٤٠١
- ٣٢٨ - مجلس الشيوخ : مجموعة مضابط دور الانعقاد العادي السابع عشر
١٩٤١ - ١٩٤٢ ص ٢١٩
- ٣٢٩ - نفس المصدر جلسة ٢٩ ابريل ١٩٤٢ ص ١٩٤
- ٣٣٠ - نفس المصدر ص ٢١٩
- ٣٣١ - المصري في ٦ مارس ، و ٢٠ مايو ١٩٤٢ . وقد روى محمد علي الطاهر
ان الصدف جمعته بعبد الحميد حافظ باشا رئيس المحكمة
العسكرية التي كانت تحاكم عزيز المصري باشا بسبب فراره

بالطائرة ، فقال له انه نصح الحكومة بان تسحب تلك الدعوى من المحكمة ، لانه لا يوجد قوانين عندنا تعاقب على مثل هذا الحادث الذي يحاكم من اجله . (محمد علي الطاهر : ظلام السجن، مذكرات ومفكرات ص ٥٥٥ - ٥٥٦) (عيسى البابي الحلبي ١٩٥١)

٣٣٢ - مجلس الشيوخ : المرجع المذكور جلسة ٢٠ مايو ١٩٤٢ ص ٣١١

٣٣٣ - محمد علي الطاهر : المرجع المذكور ص ٤٩٤

٣٣٤ - نفس المصدر ص ٣١٠ ، مجلس النواب : المرجع المذكور جلسة ١٣ ابريل ١٩٤٢

٣٣٥ - احمد حسين : وراء القضبان ص ١١٩ - ١٣٤

٣٣٦ - مجلس النواب : المرجع المذكور ج١ جلسة ٢٠ ، ٢١ ابريل ١٩٤١ ،

مجلس الشيوخ : المرجع المذكور جلسة ٥ مايو ١٩٤٢ ص ٢١٧ .

وفي شهادة علي ماهر باشا في قضية مقتل امين عثمان قال ان

النحاس باشا اتهمه بأنه و جلالة الملك والشيخ المراغي يدبرون عمل

ثورة في الازهر (لطفى عثمان : ص ١٣٩)

٣٣٧ - مجلس الشيوخ : المرجع المذكور جلسة ٥ مايو ١٩٤٢ ص ٢١٧

٣٣٨ - نفس المصدر جلسة ٢١ ابريل ١٩٤٢ ص ٧٥ من كلمة لمحمد محمود جلال

٣٣٩ - نفس المصدر

٣٤٠ - خطاب مكرم عبيد باشا في المجلس الاستشاري للتموين يوم ١٧

مارس ١٩٤٢ (المصري في ١٨ مارس ١٩٤٢)

٣٤١ - خطاب مكرم عبيد باشا في مجلس النواب ، جلسة اول يونية ١٩٤٢

(المرجع المذكور ص ٣٦١)

٣٤٢ - خطاب مكرم عبيد باشا في مجلس النواب جلسة ٢٧ ابريل ١٩٤٢

(المرجع المذكور ص ١٢٤)

٣٤٣ - دكتور جمال الدين محمد سعيد : التطور الاقتصادي في مصر

والكساد العالمي الكبير ص ٩١ - ٩٢ ، دكتور محمد فوزي : المرجع

المذكور ص ١٧٦ - ١٧٧

٣٤٤ - تشرشل : المرجع المذكور ص ٥٦٠ وما بعدها، بول كارل : ثعالب

الصحراء، الجزء الثاني ، تعريب كمال عصمت الشريف (الانجلو

المصرية) ص ٢٢١ - ٢٨٢ ، رائد عزيز محمد مصطفى : المرجع

المذكور ص ٥١ - ٧٠

٣٤٥ -

Churchill, W.; The Second World War Vol IV The Hinge
of Fate (London, Cassell & LTD 1951) P. 331

- ٣٤٦ - تشرشل : المرجع المذكور ، الطبعة المختصرة ص ٥٦١ - ٥٦٢
٣٤٧ - نفس المصدر ص ٥٦٤ - ٥٦٥
٣٤٨ - المصري والاهرام في ٢٥ يولية ١٩٤٢
٣٤٩ - تشرشل : المرجع المذكور ج٤ ص ٣٤٨
٣٥٠ - نفس المصدر ، الطبعة المختصرة ص ٥٦٥
٣٥١ - تشرشل : المرجع المذكور ، الطبعة المختصرة ص ٥٣٧ - ٥٧٨ ، رائد
عزيز مصطفى : ص ٧٧-٧٩
٣٥٢ - تشرشل : نفس المصدر ص ٥٧٨
٣٥٣ - نفس المصدر ص ٥٧٨ ، كيرك : المرجع المذكور ص ٢١٨
٣٥٤ - التابعي : المرجع المذكور ص ٢٧٦ - ٢٧٧
٣٥٥ - نفس المصدر ص ٢٧٩
٣٥٦ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٦١ - ٢٦٢
٣٥٧ - تشرشل : المرجع المذكور ج٤ ص ٣٤٩
٣٥٨ - نفس المصدر ص ٣٨٣
٣٥٩ - فيلد مارشال سير جون ديل ، رئيس اركان حرب الامبراطورية
البريطانية حتى وقوع الهجوم الياباني على بيرل هاربور ، ثم نقل
الى واشنطن على رأس بعثة عسكرية بريطانية لشرح وتفسير
وجهات نظر الحكومة البريطانية لهيئة اركان حرب الولايات المتحدة
وتذليل العقبات والصعوبات التي قد تعترض وجهات النظر بين
الحليفتين (تشرشل : المرجع المذكور ج٦ ص ٢٦٢ - ٢٦٣)

٣٦٠ -

Sherwood, Robert E. ; White House Papers of Harry L.

Hopkins (London, Eyre & Spottiswoode Vol. II P. 598-599

٣٦١ -

Agar - Hamilton and Turner Crises in the Desert P. 273-274

- ٣٦٢ - تشرشل : المرجع المذكور ، الطبعة المختصرة ص ٦١٥ ، ٦١٦
٣٦٣ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٢٠ نقلا عن مراسل جريدة الكرسيتيان
ساينس مونيتور
٣٦٤ - اجار وترنر : المرجع المذكور ص ٢٨٣

- ٣٦٥ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٢٠ حاشية ١
- ٣٦٦ - انور السادات : المرجع المذكور ص ٦٨ - ٩٣
- ٣٦٧ - محمد صبيح : المرجع المذكور ، الكتاب الاول ص ٤١-٤٢
- ٣٦٨ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٦٢ - ٢٦٣
- ٣٦٩ - نفس المصدر والمكان
- ٣٧٠ - التابعي : المرجع المذكور ص ٢٧٨ - ٢٨٠
- ٣٧١ - نفس المصدر ص ٢٩١ (٢٧٢) محمد صبيح : المرجع المذكور ص ٥٨
- ٣٧٣ - التابعي : المرجع المذكور ص ٢٨٨ - ٢٨٩
- ٣٧٤ - كيرك : المرجع المذكور ص ٣٩ حاشية ١
- ٣٧٥ - نفس المصدر ص ٤٢
- ٣٧٦ -
- R.I.I.A. ; Hitlers Europe, Surney of International Affairs
1939-1946 Part III Stels, by Katherine Duff P. 287
(London, Oxford University Press 1954)
- ٣٧٧ -
- Ciano, Count Galeazzo, Ciano's Diplomatic papers (London,
Odhams Press 1948) P. 490
- ٣٧٨ - نفس المصدر ص ٣٧٥ - ٣٧٩
- ٣٧٩ -
- Ciano, Comte Galeazzo, les Archive Secrètes du Comte Ciano
1939-1942, P.P. 377-8 (Paris 1949)
- ٣٨٠ -
- Ciano; Ciano's Diary 1939-1943 (London 1947)
- ٣٨١ - نفس المصدر ص ٤٨٥ (٣٨٢) نفس المصدر ص ٤٨٦
- ٣٨٣ -
- Harewits, J.C. ; Diplomacy in the Near and Middle East
Vol II P. 218-219
- ٣٨٤ - اوراق شيانو الدبلوماسية ص ٤٩٠
- ٣٨٥ - عثمان كمال حداد : المرجع المذكور ص ٤١
- ٣٨٦ - حديث شخصي مع محمد كامل البنداري (باشا) يوم ١٧ ، ٢٠
سبتمبر ١٩٦٩

٣٨٧ - Hummerton, Sir John, The Second Great War Vol IV (London
The Amalgamated Press LTD) P. 1770

٣٨٨ - وليم شيرر : المرجع المذكور ص ٨١٥ ، ١١٦٧

٣٨٩ - R.I.I.A. ; Hitler's Europe P. 287

٣٩٠ - وليم شيرر : المرجع المذكور ص ٨١٣

٣٩١ - يوميات شيانو ص ٣٠٠ - ٣٠١

٣٩٢ - نفس المصدر ص ٣٠١

٣٩٣ - وليم شيرر : المرجع المذكور ص ٨١٣ ، ٨١٨ - ٨٢٠ ، ٨٢٧ ، اوراق

شيانو الدبلوماسية ص ٣٩٨ مقابلة موسولينى وهتلى يوم ٤

اكتوبر ١٩٤٠

٣٩٤ - بول كارل : المرجع المذكور ج ٢ ص ٢٢٣

٣٩٥ - وليم شيرر : المرجع المذكور ص ٩١٣

٣٩٦ - عثمان كمال حداد : المرجع المذكور ص ١٠٦ - ١٠٩

٣٩٧ - دكتور صلاح العقاد : المرجع المذكور ص ٨٣ - ٨٤ ، ٤٠

٣٩٨ - الكتاب الابيض ، بيانات الحكومة وقرارات مجلسي البرلمان بشأن

الاسئلة والاستجابات عما ورد في العريضة المرفوعة الى حضرة

صاحب الجلالة الملك من حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا

وما يتعلق بها من مسائل سبق اثارها في مجلسي البرلمان (القاهرة،

المطبعة الاميرية ١٩٤٣) ص ٥٩٧ ، ٦٠٠ - ٦٠١ ، فؤاد كرم :

النظارات والوزارات المصرية (ص ٤١١ ، ٤١٣ - ٤١٧ ، جلال الدين

الحمامصي : معركة نزاهة الحكم ، فبراير ١٩٤٢ - يوليو ١٩٥٢

ص ٧٦ - ٧٨ (مطابع دار الكتاب المصري ١٩٥٧)

٣٩٩ - من اقوال فؤاد سراج الدين لمركز وثائق مصر المعاصر يوم ١٩ مايو

١٩٦٩

٤٠٠ - نص العريضة اورده جلال الدين الحمامصي في : المرجع المذكور

ص ٤٣ - ٨١

٤٠١ - التابعي : المرجع المذكور ص ٢٢٦ - ٢٣٧ ، المصري في ١٣ مارس ١٩٤٢

٤٠٢ - جلال الدين الحمامصي : المرجع المذكور ص ٤٢

٤٠٣ - من اقوال مكرم عبيد في الكتاب الاسود (نفس المصدر ص ٥٠)

٤٠٤ - الرافعي : المرجع المذكور ج ٣ ص ٦٩ ، المصري في ٢٧ يولية ١٩٣٨

- ٤٠٥ - مجلس النواب، الهيئة النيابية السادسة، مجموعة مضابط دور
الانعقاد غير العادي جلسة ١٠ نوفمبر ١٩٣٧ ص ١٥١
- ٤٠٦ - نشرت الاهرام في يوم ٢٤ مايو ١٩٤٢ نص المحضر الرسمي للجلسة
التي عقدها مجلس الوزراء يوم الخميس ٢١ مايو ١٩٤٢ وناقش
فيها مسألة الاستثناءات . وقد وصل الاهرام نص هذا المحضر
الرسمي من سكرتارية مجلس الوزراء .
- ٤٠٧ - محمد التابعي ، المرجع المذكور ص ٢٣٦
- ٤٠٨ - جلال الدين الحمامصي : المرجع المذكور ص ٦٧
- ٤٠٩ - التابعي : المرجع المذكور ص ٢٤١ - ٢٤٢
- ٤١١ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٩٤ - ٢٩٥
- ٤١٢ - جلال الدين الحمامصي : المرجع المذكور ص ٣٤ - ٤٠
- ٤١٣ - الرافعي : المرجع السابق ص ١٢٠
- ٤١٤ - الحمامصي : المرجع المذكور ص ٣٨
- ٤١٥ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٧٦ - ٢٧٧ ، ٢٨٥
- ٤١٦ - الكتاب الابيض : ص ٤٤١ - ٤٥١
- ٤١٧ - نفس المصدر ص ٤٥٦ - ٤٥٧
- ٤١٨ - نفس المصدر ص ٤٦٥ - ٤٦٩
- ٤١٩ - الكتاب الابيض ص ٧٠ - ٨٨
- ٤٢١ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٨٣
- ٤٢٢ - الكتاب الابيض ص ٣٥ - ٤٧
- ٤٢٣ - نفس المصدر ص ٢ ، دكتور هيكل : المرجع السابق ص ٢٨٣ - ٢٨٤
- ٤٢٤ - الحمامصي : المرجع المذكور ص ٩٦ - ٩٧
- ٤٢٤ م -

From Cairo to Foreign office, April 16, 1943, No 375

٤٢٥ -

Ibid

٤٢٥ م -

From Cairo to Foreign office, April 22, 1943, No 393

٤٢٦ -

The Killearn Diaries, April 18, 1943

٤٢٦ م -

From Cairo to Foreign office, April 22, 1943, No 393

- ٤٢٧ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٧٥-٢٧٦، وقد اورد الرافي
نص مذكرة المعارضة في كتابه السالف الذكر ص ١٣٥-١٣٧
٤٢٨ - الرافي : نفس المصدر ص ١٣٥
٤٢٩ - نفس المصدر ص ١٣٦-١٣٧ مذكرة المعارضة .
٤٣٠ - دكتور هيكل : المرجع المذكور ص ٢٧٥
٤٣١ -

The Killearn Diaries, PP. 289-303

- ٤٣٢ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٦٢، المصور في ١٣ اكتوبر ١٩٤٤
٤٣٣ - التابي : المرجع المذكور ص ٣٢٤-٣٢٦
٤٣٤ - الاهرام في ١٣ اكتوبر ١٩٤٤ نقلا عن التايمز، انظر ايضا كيرك :
المرجع المذكور ص ٢٦٣ ح ٣
٤٣٥ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٦٣
٤٣٦ - انظر عبد العظيم رمضان و: المرجع المذكور ص ٧٢٠ - ٢
٤٣٧ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٦٣
٤٣٨ - التابي : المرجع المذكور ص ٣٠٥
٤٣٩ - المؤتمر الوفدي : مستقبل مصر كما رسمه الزعيم مصطفى النحاس
واقطاب الوفد المصري في نوفمبر ١٩٤٣ ص ٤٠ ، ٥٠ - ٥١
٤٤٠ - مجلس النواب : الهيئة النيابية الثامنة ، مجموعة مضابط دور
الانعقاد العادي الثالث مجلد ١ ، ١٩٤٣ - ١٩٤٤ جلسة ١٢
يناير ١٩٤٤
٤٤١ - نفس المصدر
٤٤٢ - من رئيس مؤتمر الخريجين الى حاكم السودان العام في ٣ ابريل
١٩٤٢ (احمد خير الحامي : كفاح جيل، تاريخ حركة الخريجين
وتطورها في السودان ص ١٤٤-١٤٦)
٤٤٣ - نفس المصدر ص ٨١-٨٢ (٤٤٤) نفس المصدر
٤٤٥ - كيرك : المرجع المذكور ص ٢٦١ والمصور في ٢٦ مايو ١٩٤٤
٤٤٦ - الاهرام في ١٠ سبتمبر ١٩٤٤
٤٤٧ - المصري في ٢١ سبتمبر ١٩٤٤
٤٤٨ - نفس المصدر

الفصل الخامس



تطور الأيديولوجية العربية في مصر وميلاد جامعة الدول العربية

- ١ - الفكرة العربية في مصر قبل الحرب العالمية الأولى
- ٢ - الفكرة العربية بين الحريين
- ٣ - بريطانيا ودورها في قيام جامعة الدول العربية
(حواشي الفصل الخامس)

في الوقت الذي كانت تجري فيه أحداث الحرب العالمية الثانية على مسرح العالم العربي ، كانت الظروف قد أخذت تتهاى ، والعوامل تتجمع لميلاد أول تجسيد لأيدولوجية القومية العربية على أرض مصر ، وهي جامعة الدول العربية . وقيام جامعة الدول العربية هو قبل كل شيء وبعد كل شيء ، وليد عاملين أساسيين : العامل الأول ، انتصار الأيدولوجية العربية في مصر ، والثاني ، تحالف المصالح البريطانية مع المصالح العربية في قيام الجامعة إبان الحرب . وبالنسبة للعامل الأول ، فمن المحقق أن نزول مصر الى حقل العمل العربي الموحد ، يعد أول ثمرة لانتصار أيدولوجية القومية العربية في مصر ، وبداية الطريق الطويل الحافل بالآلام والعذاب الى الوحدة العربية الشاملة . أما العامل الثاني ، فتتمثل أهميته في أن غيابه - وبمعنى أدق ، تناقض المصالح البريطانية مع المصالح العربية في الوحدة - كان سببا رئيسيا في تمزيق الوطن العربي الى وحدات سياسية تقوم بينها الحواجز المصطنعة .

وأيدولوجية القومية العربية في مصر حديثة جدا ، الى حد أنه يمكن القول في اطمئنان تام انها كانت مجهولة تماما في مصر حتى نهاية الحرب العالمية الأولى . ويرجع ذلك لجملة عوامل هامة سوف نعالجها كل على حدة : أولا ، اختلاف الظروف التاريخية التي تكونت فيها مقومات القومية العربية عن ظروف تكوين مقومات القومية المصرية . ثانيا ، غلبة الأيدولوجية الاسلامية في مصر على كل الاعتبارات القومية ، سواء كانت مصرية أو عربية ، منذ الفتح العربي لمصر الى ولادة الحركة القومية العربية . ثالثا ، النمو التاريخي المتميز لمصر منذ بداية القرن التاسع عشر .

وبالنسبة للعامل الأول ، وفيما يتصل بمصر ، فإن النيل قد اختصر الطريق الى تكوين المقومات القومية للشعب المصري . فقد فرض على المجتمع الزراعي القائم على ضفافه الوحدة ، بما كان يحمله في وقت واحد من خطر يهدد الجميع وقت الفيضان ، ومن فائدة مشتركة ونفع عام يمكن أن يصيب الناس اذا نظموا الافادة من حياة النهر . وبالتالي جعل الحكومة المركزية ضرورة من ضرورات الحياة الأولى . كما أقام الدولة التي تبسط ظلها وتفوذها على الجميع . وقد ظل هذا الكيان الموحد قائما منذ القدم ، وعبر مختلف العصور وتعاقب الغزاة والعهود ، فتكونت مقومات القومية المصرية منذ القدم ، واستمرت الوحدة القومية السياسية والاجتماعية للشعب المصري دون تمزق عبر جميع الحقب التاريخية .

وقد اختلف الأمر تماما بالنسبة للقومية العربية . فمع أن شبه الجزيرة العربية كان وحدة جغرافية ، الا أنه كان وحدة صحراوية ممزقة الأوصال . وكان من شأن ذلك وجود المجتمع القبلي الذي يحول بطبيعته دون نمو الشعور القومي العام . ولقد كان قيام الكيان السياسي الموحد في عهد الرسول ، وانضواء جميع العرب في الجزيرة تحت لواء دين واحد ، خليقا بتكوين شعور قومي يربط بين جميع القبائل في وحدة قومية متميزة ، ولكن الوحدة التي أتى بها الاسلام لم تكن وحدة عربية، بل وحدة اسلامية ، والأخوة التي نادى بها الاسلام لم تكن أخوة عربية بل أخوة اسلامية ، والمفهوم الاسلامي للامة لم يكن مفهوما قوميا عربيا ، بل مفهوما دينيا اسلاميا . ومن هنا فقد حل الشعور بالرابطة الاسلامية محل الشعور بالرابطة القبلية دون أن يمر بالمرحلة القومية . وبمعنى آخر، أن الشعور القبلي لأهل شبه الجزيرة العربية قد انتقل في عهد الرسول من مرحلة الشعور القبلي الى مرحلة الشعور الاسلامي العالمي دون أن يمر بمرحلة الشعور القومي .

ومع أن حسا عربيا عاما كان قد بدأ بعد ان اختلط البدو مع

الحضر في الايمان بالدين الجديد وحمل ألويتته في مشارق الأرض ومغاربها ، وبعد أن أصبحوا عماد الدولة الاسلامية العظيمة ، الا أن هذا الحس العربي لم يكن ليصلح أساسا للوعي القومي العربي ، لتأثره بالشعور الاسلامي العالمي من جهة ، ولسيطرة الشعور القبلي عليه من جهة اخرى . وقد قام أول شعور قومي عربي مختلط بالمؤثرات القبلية الموروثة والمؤثرات الاسلامية المكتسبة في عهد الدولة العربية ، ولكنه توقف بعد زوال الحكم الأموي العربي لأسباب عديدة ، أولها ، غلبة العناصر الاسلامية غير العربية على الحكم وتعاقبا عليه منذ عهد المعتصم العباسي . ثانيا ، تغلب المفهوم الاسلامي للجماعة على كل مفهوم قومي ، ثالثا ، أن الأمة العربية نفسها كان يعاد صوغها وبناءها من جديد في ذلك الحين : فقد ترتب على حركة الفتوح الاسلامية العظيمة ان المنطقة الممتدة من الخليج الى المحيط شهدت منذ القرن الأول الهجري وحتى القرن الخامس ، عملية نقل دم كبيرة من القلب العربي الكبير فسي شبه الجزيرة ، الى الأطراف النائية التي دخلت في حكم العرب . وفي الوقت نفسه ، فقد صحب انتشار الاسلام عن طريق الفتوح العربية ، انتشار اللغة العربية بشكل أوسع مما انتشرت به الديانة ، حتى اذا كان القرن الحادي عشر الميلادي ، كانت اللغة العربية قد أصبحت لغة التعبير الرئيسية في تلك المنطقة الشاسعة ، كما أصبحت الأداة الرئيسية للثقافة ، وحلت محل لغات الثقافة القديمة ، كاللغة القبطية والآرامية واليونانية واللاتينية .

وعلى هذا النحو تكونت أمة عظيمة مكتملة الصفات القومية من المحيط الى الخليج ، ولكنها لا تعرف بعد أنها أمة متميزة ، وانما تحس بأنها جزء من المحيط الاسلامي الأوسع الذي تسبح فيه . وفي الوقت نفسه ، فإن مدلول كلمة « عربي » ، الذي انتشر في العصر الأموي ، وأصبح يشمل كل من انتسب الى شبه الجزيرة العربية ، سواء بقي فيها

أو خرج منها في الجاهلية أو الاسلام ، قد ارتد الى معناه القديم ، أي التصق بسكان البادية فقط ، اذ لم يعد في الامكان اطلاق هذا اللفظ على الجيل المستعرب ، بعد أن فقد نقاوة الدم الغربي ، كما لم يعد في الامكان اطلاق اللفظ على كل من يتكلم العربية ، لأن اللغة العربية صارت تتكلمها عناصر كثيرة وشعوب كثيرة غير عربية . فأصبح اللفظ من ثم قاصرا على العناصر البدوية التي عرفت به أصلا ، أو أصبح دلالة على رفعة النسب دون ان تكون له قيمة من الناحية الاجتماعية او السياسية (١) .

وعلى ذلك ، فعلى الرغم من الروابط القومية التي كانت تجمع الشعوب الاسلامية التي تسكن المنطقة العربية ، الا ان الشعوب التي كانت تقطنها كانت تفتقد الاسم الذي يدل عليها . اذ لم يكن من الممكن أن يطلق عليها اسم « الأمة العربية » ، لأن لفظة « عربي » كانت قاصرة فقط على العناصر البدوية القاطنة في شبه الجزيرة فقط . وفي الوقت نفسه فان احساسها بالروابط القومية العربية كان غائبا ، لأن المفهوم الاسلامي للجماعة كان يوحد بينها وبين أقوام أخرى لا تتكلم لغتها ولا تختلط دماؤها بها ، ولكن تربطها العقيدة وتجمعها الجامعة الاسلامية .

لذلك ، فعندما استيقظ الشعور القومي في مصر في أواخر القرن الثامن عشر ، لم يستيقظ على « العربية » ، وانما استيقظ على « المصرية » ، لسبب بسيط هو أن القومية المصرية كانت قد تكونت منذ بداية التاريخ بينما كانت القومية العربية لم تتميز بعد داخل الجامعة الاسلامية الكبرى .

• • •

هذا فيما يختص بأثر اختلاف ظروف تكوين القومية العربية عن ظروف تكوين القومية المصرية في تأخر الوعي القومي العربي في مصر . أما فيما يتصل بالسبب الثاني ، وهو غلبة الرابطة الاسلامية على كل

الروابط القومية في مصر ، فيرجع ذلك لجملة أسباب : أولها ، أن الفتح العربي لمصر لم يكن فتحاً عربياً بالدرجة الأولى ، وإنما كان فتحاً إسلامياً . ثانياً ، أن المفهوم الإسلامي للأمة — كما رأينا — كان يقضي باعتبار المسلمين جميعاً أمة واحدة مهما كانت جنسياتهم . وقد ترتب على ذلك تراجع الاعتبارات القومية أمام الاعتبارات الإسلامية . ثالثاً ، على الرغم من أن الإسلام قد انتشر في مصر على يد العرب ، إلا أن السيادة العربية ذاتها لم تستمر ، فقد انتقلت إلى عناصر إسلامية أخرى : انتقلت إلى يد الأتراك والمماليك والعثمانيين . فكانت الصبغة الإسلامية ، وليست الصبغة العربية هي السائدة ، وكان إحساس مصر إسلامياً لا عربياً . رابعاً ، أن لفظة عربي نفسها — كما ذكرنا — كانت قد فقدت مدلولها الذي انتشر في العصر الأموي ، ورجعت إلى معناها القديم الذي يلتصق بالبادية . وعلى ذلك فعلى الرغم من كل المقومات التي كانت تجعل من شعب مصر جزءاً لا يتجزأ من الأمة العربية ، إلا أن الإحساس بالعروبة كان غائباً في مصر ، لأنه كان غائباً في الأمة العربية جميعها .

• • •

وهنا نتقل إلى العامل الثالث في تأخر الشعور القومي العربي في مصر ، وهو النمو التاريخي المستقل لمصر منذ بداية القرن التاسع عشر . وأهمية هذا العامل أنه مسئول عن نمو الشعور القومي في مصر مستقلاً عن الشعور القومي العربي العام في حقبة تاريخية حاسمة ، هي الحقبة التي انتشرت فيها الأفكار القومية مع انتشار مبادئ الثورة الفرنسية والثقافة الغربية في العالم العربي خلال القرن التاسع عشر .

وكان نزول الحملة الفرنسية في مصر مفترق الطرق بين مصر والبلاد العربية الأخرى . فإن الظروف التي أعقبتها ، بما تمخض عنها

من قيام محمد علي ، ومحاولاته في توطيد الكيان المصري واخراج مصر من نطاق الولاية التابعة للسلطنة الى شبه دولة ذات استقلال ذاتي وذات قوة عسكرية وسياسية واقتصادية يشعر بها العالم وتحسب لها أوروبا والسلطنة حسابا ، ثم قضائه على طبقة المماليك وتكوينه الجيش الوطني الحديث من أبناء الفلاحين ، وحروبه في بلاد العرب وفي قلب أفريقيا وفي أوروبا وضد الدولة العثمانية ذاتها . ثم الوضع الذي صار لمصر بمقتضى تسوية لندن ١٨٤٠ التي أقرت لمصر بامتيازها عن أية ولاية عثمانية أخرى . وما حدث من احتكاك علمي وحضاري بأوروبا في عهده وعهد اسماعيل . ثم ظهور طبقة مثقفة متأثرة بالأفكار الأوروبية ، وتطور حياة الأرض من نظام الالتزام الى نظام الاحتكار الى نظام الملكية الخاصة - كل ذلك قد أدى الى صياغة مجتمع متميز في بحر العالم الاسلامي الذي يسبح فيه ، والى شعور هذا المجتمع بنفسه كشيء يختلف عن المجتمعات الأخرى ، اسلامية كانت أو غير اسلامية ، وبمعنى آخر تكون الوعي القومي المصري متميزا عن الوعي القومي العربي .

ولقد أخذت مظاهر هذا الوعي القومي المصري تبرز شيئا فشيئا من خلال يعقوب ، أو الجنرال يعقوب - ومن خلال رفاعة الطهطاوي ، ومن خلال علي مبارك ، ومن خلال حسين المرصفي ومن خلال عرابي (٢) . وتمثل أول مظهر سياسي لهذا الوعي القومي في تأليف الحزب الوطني القديم الذي نص برنامجه على انه « حزب سياسي لا ديني » مؤلف من رجال مختلفي العقيدة والمذهب . لا ينظر لاختلاف المعتقدات ، ويعلم أن الجميع اخوان ، وأن حقوقهم في السياسة والشرائع متساوية . ثم تمثل المظهر الثاني في الجيش المصري الذي شهد أكبر حركة قومية بين الضباط المصريين ضد العناصر الاسلامية الأخرى من تركية وشركسية وغيرها ، لاحتكارها المناصب العليا واستئثارها بالمرتبات الضخمة والترقيات . وحصل أول تأزر بين الوطنيين من المدنيين والعسكريين في

مظاهرة ١٨ فبراير ١٨٧٩ التي أقيمت على أثرها وزارة نوبار ، ثم تفجرت الثورة العراقية التي كانت أقوى تعبير عن « القومية المصرية » الى ذلك الحين .

• • •

وبفشل الثورة العراقية واحتلال إنجلترا لمصر ، دخل الوعي القومي المصري مرحلة خطيرة تتميز بوقوع التناقض بين القومية المصرية والقومية العربية . فبسبب الظروف الدولية التي أحاطت بالقضية الوطنية ، وهي الظروف المرتبطة بالتوازن الدولي في البحر المتوسط والمحافظة على كيان الدولة العثمانية ، ومرتبطة بالصيغة الدولية للمسألة المصرية ، التي كانت تستند من الناحية القانونية الى معاهدة لندن ١٨٤٠ والقرمانات المؤكدة لهذه المعاهدة - فقد اقتضت المصلحة الوطنية المصرية ، لاكره إنجلترا على الجلاء ، الاعتماد على ما لتركيا من حقوق دولية في مصر تكفلها هذه المعاهدة ، وبالتالي التقرب من الدولة العثمانية والتعلق بها ، بينما كانت الظروف السياسية في البلاد العربية الأخرى الواقعة تحت الحكم العثماني المباشر ، تجعل الصراع الوطني يدور أساسا مع الدولة العثمانية . وعلى ذلك ، ففي الوقت الذي كانت تتململ فيه الشعوب العربية تحت وطأة الحكم العثماني وسوء الادارة العثمانية ، وبينما كان أحرار العرب يتآمرون على السلطان عبد الحميد ، ويشتركون مع حزب الاتحاد والترقي في التمهيد للثورة عليه - كان مصطفى كامل في مصر ينعت السلطان بأنه « أعظم سلطان جلس على أريكة ملك آل عثمان » وكان يضرع الى الله فاطر السموات والارض « أن يحفظ للدولة العثمانية حامي حماها ، وللإسلام إمامه وناصره ، جلالة السلطان الأعظم والخليفة الأكبر الغازي عبد الحميد الثاني » (٣) . وبينما كان أحرار العرب لا يرون في السلطان عبد الحميد سوى وجهه الاستبدادي ولا يحسون الا بمطاردته

لهم ولا ينفون سوى التخلص من حكمه القائم على التجسس والارهاب، كان الشعراء في مصر يتسابقون في نظم قصائد المديح والولاء له ، وكان مصطفى كامل لا يرى فيه الا وجه الخليفة الاسلامي الذي يرفع شعار الجامعة الاسلامية في مواجهة الغزو الاستعماري الأوروبي ، وكان عبد الله النديم يسب الذين يذمون سوء الادارة وقسوة الحكام في الدولة العثمانية ويصفهم « بالمغفلين » ويقول : « ولو أنصفوا لقالوا انها اعظم الدول ثباتا ، وأحسنها تبصرا ، وأقواها عزيمة ، فانها في نقطة ينصب اليها تيار أوروبا العدواني ، لانها دولة واحدة اسلامية بين ثمانى عشرة دولة مسيحية غير دول امريكا » (٤) . بل لقد نصح شوقي السلطان عبد الحميد بالضرب على أيدي هؤلاء الناقمين وعدم التسامح معهم : « لا تجزهم منكم حلما واجزهم عتتا » ! (٥) . أما محرم ، فقد أعلن رأيه بأن الترك أحق من العرب وغيرهم بالقيام على خلافة المسلمين ورعاية شعوبهم : « ما للخلافة الا الترك تحرسها » (٦) . وقد ندد مصطفى كامل « بالأفراد القليلين الذين قاموا من المسلمين ضد جلالة السلطان الأعظم » ، وهاجم فكرة « الخلافة العربية » ، باعتبارها فكرة انجليزية ، واعتبر المسلمين الخارجين عن واجب الالتفاف حول عرش السلطان في مواجهة الانجليز من « الخونة والخوارج والدخلاء » (٧) . وحتى أحمد لطفي السيد ، الذي كان يهاجم فكرة الجامعة الاسلامية وينادي باستقلال مصر عن تركيا وانجلترا ، لم يعترف بوجنود مسألة عربية تستأهل النظر في حلها قائلا انه « لا يستطيع أن يفهم » ذلك . ثم قال : « واذا كان للمسألة العربية ظل من الوجود ، فحلها بيد العثمانيين من غير مضارة أحد .. وخير للعرب الذين يريدون خدمة عنصرهم وبلادهم وخدمة العثمانية جميعا ، ألا يكثروا القول المفرق لقلوب الجماعات ، وأن يداووا الغلطات العملية بعلاج عملي من غير أن يوسعوا أمرها ويجعلوها في عداد النظريات الدائمة » (٨) . ومن

الطريف أنه اعتبر وحدة مصر وسوريا في ذلك الحين « في غير مصلحة مصر » ، فقد روى القصة الغريبة الآتية : « في نحو سنة ١٩١١ ظهرت لأول مرة بوادر ما يسمونه « البانلأريزم » أو « الجامعة العربية » ، وفي هذا الحين وفد على مصر رجلان من أعيان الشام ولبنان ، هما السيد شكري العسلي من دمشق ، والسيد ثابت من أعيان بيروت ، وكانا نائبين في مجلس المبعوثان باستامبول . وكان الغرض الذي جاء من أجله السعي لضم سوريا الى مصر ، وقد لقياني مرارا فيمن لقيانا من المشتغلين بالسياسة وأهل الرأي ، ولم أكن متفقا معهما في هذا الرأي ، لا لتعذر هذا الطلب فحسب ، بل لأنني لم أره في مصلحة مصر » . وكانت وجهة نظره أن « مصرتنا تقضي علينا ان يكون وطننا هو قبلتنا ، وأن نكرم أنفسنا ونكرم وطننا فلا نتسب الى وطن غيره » (٩) .

الى جانب هذه التناقضات السياسية ، كانت هناك تناقضات اجتماعية واقتصادية ، فعندما أراد اسماعيل صبح الادارة المصرية بالصبغة الأوروبية ، وعجز عدد المصريين الذين يعرفون اللغات الأجنبية عن سد الحاجة ، لم يجد بغيته الا في السوريين ، الذين سرعان ما نجحوا في تصدر المناصب الكبرى بحكم طموحهم ، وامتلاكهم خاصة التكيف مع البيئة في المجتمعات التي هي خليط من كل الأجناس . فلما احتل الانجليز مصر ، ساعدت الظروف أيضا على احتضانهم للسوريين . فقد رأوا أنهم لا يستطيعون الاعتماد على المصريين من المسلمين بحجة أنهم لا فائدة منهم في ذلك الوقت ، كما رأوا أن الأقباط لا يفضلون المسلمين الا في القليل . ومن ثم فلم يبق أمامهم سوى السوريين . وهكذا أصبح السوريون ، ومعظمهم من المسيحيين ، يمثلون في مصر طبقة متحالفة مع الاحتلال تحجب الطبقة المثقفة وتحول بينها وبين احتلال المناصب . وقد عبر عبد الله النديم عن شعور الألم الذي يجتاح المصريين لهذا التحالف بين السوريين والاحتلال بقوله : « أنا أخوك فلم أنكرتني ؟ ما الشام ومصر

الا توأمان أبوهما واحد • يسوء الاثنين ما ساء أحدهما • فلم تنافر
أبناؤهما وانحاز السوريون في جانب بعيد عن المصريين وان ساكنوهم
في مصر ؟ • أبراتب قدره عشرون جنيها يبيع المرء منا أخاه ووطنه بل
جنسه ودينه ؟ أم بكلمة تغرير نصرف حياتنا في خدمة الأجنبي لنعينه على
أخواننا لينتقم منهم بغير ذنب ، ويجني على غير جان ؟ • وآسفاه على
رجال قضى آباؤهم الدهور الطويلة يتبادلون العمران والاستيطان لا
يفرق بينهم دخیل ، ولا يقطعهم عن بعضهم أجنبي ، فجاءوا من بعدهم
وخالفوا سيرهم ، وحالفوا غيرهم ، وخدموا الأجنبي بمساعدته على
التداخل في بلادهم بل على الاستيلاء عليها » • (١٠) •

• • •

على هذا النحو ، بلغت التناقضات بين مصر وبلاد الشام في تلك
الفترة أقصى مداها • وباتهاء الحرب العالمية الاولى ظهرت تناقضات
جديدة وسقطت التناقضات القديمة ، فقد مزق الاستعمار وحدة بلاد
الشام التي كانت في العهد العثماني وحدة سياسية وجغرافية ، وأقام
بينها حواجز كرتونية لم تلبث أن اكتسبت صلابة فولاذية مع مرور
الوقت بحكم المصالح المحلية التي نشأت فيها ، وبحكم النظم السياسية
والاقتصادية المختلفة باختلاف النفوذ الاستعماري المسيطر • ولكن في
الوقت نفسه سقطت دولة الخلافة التي كانت محور الدعوة للجامعة
الاسلامية ، فسقطت معها استراتيجية التعلق بالدولة العثمانية في مصر ،
وفي الوقت نفسه سقط تحالف العرب مع بريطانيا ، بعد أن غدرت
بالحركة العربية وطعننها بالتقسيم ووعدهم بلفور طعنة نجلاء • ثم خضع
العالم العربي في معظم أجزائه للنفوذ الاستعماري ، فتماثلت ظروف
الشعوب العربية • وأخذت الثورات تنشب تباعا في كل بقعة من بقاعه :

في مصر وفي العراق ، وفي سوريا ، وفي فلسطين ، وفي تونس ، وفي المغرب ، فقربت روح الجهاد بين كل هذه الشعوب ، ووثقت بينها الآلام والآمال . ثم برزت مشكلة فلسطين ، فكان لها الأثر الحاسم في تجميع المجهود العربي ، وفي اجتذاب مصر خاصة الى حقل القومية العربية .

وفي الفترة الممتدة على طول الثلاثين سنة التالية (١٩٢٠ - ١٩٥٠) أخذت الأيديولوجية العربية تشق طريقها في مصر وسط بحر أيديولوجي متلاطم . ففي تلك الفترة التي تميزت بسيادة « المصرية » ، برزت تيارات وحدوية كبرى تحت تأثير عاملين : الاول ، التماس القوة في مواجهة الخطر الاستعماري الرابض على أرض الوطن . والثاني ، احساس الشعب المصري بما يربطه بالشعوب الواقعة وراء حدوده من روابط مادية ومعنوية . وكان الشعب المصري في تلك الفترة يحس بأنه جزء من عوالم عديدة تحيط به . فهو من ناحية جزء من العالم الاسلامي بحكم الرابطة الدينية المقدسة التي تجمع به . وهو من ناحية ثانية جزء من العالم الشرقي الذي يقف في مواجهة العالم الغربي الاستعماري . وهو من ناحية ثالثة جزء من عالم البحر المتوسط الذي تربطه به صلات حضارية على مدى التاريخ . وهو من ناحية رابعة جزء من وادي النيل الذي يعتمد على النهر العظيم في حياته ومعاشه . ثم هو جزء من العالم العربي الذي تربطه به أكثر من رابطة مادية ومعنوية .

وتعتبر « الرابطة الشرقية » - من بين الروابط الوحدوية السالفة الذكر - هي جسر الانتقال بين فكرة الجامعة الاسلامية السائدة قبل الحرب وفكرة القومية العربية . وقد ظهر أول تعبير عن هذه الرابطة في قيام « جمعية الرابطة الشرقية » في مارس ١٩٢٢ على يد عناصر اسلامية وشرقية ، فقد كان رئيسها هو السيد عبد الحميد البكري ، وكان الشيخ محمد بخيت نائب أول ، والسيد محمد رشيد رضا نائب ثان . وكان أحمد زكي باشا كاتم السر العام ، والشيخ محمد الغنيمي التفتازاني

مساعدًا عربيًا لكاتم السر العام ، ونور الدين بك مصطفى مساعدًا تركيا
لكاتم السر العام ، ومحمد رضا قزويني أفندي مساعدًا فارسيا لكاتم
السر العام ، وميرزا مهدي بك رفيع مشكي أمين التجار أمينًا للصندوق .
وكان صالح جودت بك والدكتور محجوب ثابت وأحمد شفيق باشا
والشيخ مصطفى عبد الرازق والأمير حبيب لطف الله واميل زيدان
والشيخ عبد المحسن الكاظمي أعضاء .

« قد ذكرت الجمعية من أغراضها التي حددتها في صلب قانونها ،
توثيق روابط التعارف والتضامن بين أمم الشرق على اختلاف أجناسها
وأديانها . ووصفت نفسها بأنها « جمعية علمية اجتماعية تقوم بترقية
الأمم الشرقية : بالعلم الذي هو أساس كل فلاح ، وباحكام الروابط
بين هذه الأمم ، وبأحياء حضارة الشرق وارجاعه الى فضائله ، مع الأخذ
بما في مدنية الغرب من المحاسن التي لا تتنافر مع الروح الشرقية » .
ونصت في قانونها على أن « المجادلات الدينية والمنازعات السياسية
خارجة عن حدود وظيفتها » .

ويتبين مما أذاعته الجمعية ، أن الأسباب التي دعت الى قيامها هي :
« أحوال التخاذل والانحطاط التي آلت اليها الأمم الشرقية » ، و « شعور
أبناء الشرق بافتقارهم الى جمعية تؤلف بينهم وتربط شعوبهم وتعمل على
اعلاء كلمتهم » ، والرغبة في « ضم الجهود وتوجيهها وجهة صالحة
متكاثفة متضامنة » .

وقد ذكرت مجلة « الرابطة الشرقية » أنه بعد تأليف الجمعية ، اندمج
في عضويتها كثيرون من أهل المكانة والفضل ، بعضهم من أعضاء العائلة
المالكة في مصر ، والبعض من رجال الدين وأهل الأدب ونواب البلاد
ورجال القانون والصحفيين ومن موظفي الحكومة المصرية والتجار ، ومن
المستشرقين ، ومنهم بحسب أجناسهم : المصري ، والسوري ، والفارسي ،

والهندي ، والعراقي ، والمغربي ، والتركي ، والأفغاني ، وبعض أهل الشرق الأقصى .

ويظهر طابع الجمعية في اللجان التي ألفتها لمعالجة كل ناحية من نواحي العمل الخاص بنهضة الشرق . وهذه اللجان هي : اللجنة العربية ، وتبحث في شئون بلاد العرب وسوريا والعراق ، واللجنة التركية ، وتبحث في شئون تركيا الحديثة وأقاليم آسيا الوسطى . واللجنة الفارسية ، وتبحث في شئون إيران وأفغانستان وبلوخستان . واللجنة الهندية وتبحث في شئون بلاد الهند والهند الصينية . ولجنة الشرق الأقصى ، وتبحث في الهند الشرقية وسيام والصين واليابان . واللجنة المغربية ، وتبحث في شئون شمال أفريقيا ، واللجنة الأفريقية ، وتبحث في شئون السودان والحبشة وباقي البلاد الأفريقية (١١) .

ونلاحظ فيما يختص بمجلس إدارة هذه الجمعية ، أنه أول مجلس إدارة من هذا النوع يتكون في مصر من كل هذه العناصر والاجناس . ففيه يعمل المصري الى جانب التركي الى جانب الفارسي الى جانب السوري . وفيه يعمل المسلم الى جانب المسيحي . فاذا أردت ان تجد الخيط الاسلامي للربط بين هذه العناصر ، اكتشفت وجود العنصر المسيحي الذي يمثله اميل زيدان والأمير حبيب لطف الله في المجلس ، واذا أردت ان تجد الخيط العربي للربط بين هذه العناصر ، اكتشفت وجود العنصر التركي والعنصر الفارسي . وفي الوقت الذي تجد فيه عناصر اسلامية قوية يكفي وجودها لصنع الجمعية بالصيغة الاسلامية الخالصة ، مثل السيد عبد الحميد البكري والشيخ محمد بخيت والسيد محمد رشيد رضا والشيخ محمد الغنيمي التفتازاني ، فانك تجد ، في الجانب الآخر ، عناصر علمانية تكفي لاضفاء الصبغة العلمانية عليها ، مثل اميل زيدان والدكتور محجوب ثابت وأحمد شفيق باشا وأحمد زكي باشا . وبينما نجد عناصر عربية تكفي لاضفاء الصفة العربية على أهداف الجمعية ، مثل

أحمد زكي باشا وامليل زيدان ، فانك تجد في اللجان التي ألفتها الجمعية لمعالجة شئون الشرق ما يدل على غموض الفكرة العربية في أذهان أعضائها وعدم اتضاح حدود العالم العربي بالمعنى الذي نفهمه الآن . فإن اللجنة المسماة باللجنة العربية قد نيط بها معالجة شئون بلاد العرب وسوريا والعراق فقط، دون بقية أجزاء العالم العربي ، بينما نيطت شئون الجناح الغربي من العالم العربي بلجنة أخرى هي اللجنة المغربية، كما نيطت شئون السودان بلجنة ثالثة هي اللجنة الافريقية . ومعنى ذلك ان العالم العربي كان مقسما الى ثلاثة أقسام في مفهوم الجمعية !

لم تكن فكرة الجامعة الاسلامية اذن وراء تأسيس هذه الجمعية — كما يعتقد الدكتور محمد حسين في كتابه الهام : « الاتجاهات الوطنية في الأدب المعاصر » (١٢) . ولم تكن الفكرة العربية أيضا — بل كانت الفكرة الشرقية ذاتها ، وهو ما يبدو واضحا في هدف الجمعية التي حددته وهو : « التضامن بين الأمم الشرقية على اختلاف اجناسها واديانها » .

وفي الحق أن الفكرة الشرقية كانت تلقى ارتياحا من قطاعات كبيرة من المثقفين الذين رأوا فيها حلا وسطا بين الفكرة الاسلامية والفكرة العربية . وقد شرح الدكتور محمد عزمي هذه النقطة الهامة فقال : « المصريون في عموم مفكريهم لا يعتبرون أنفسهم عربا . وهم في الوقت نفسه يحلو لهم ان يتداعبوا بأنهم زعماء بلاد العربية جميعا . . . وهم من ناحية أخرى يذكرون لك في كل مناسبة أنهم يتزعمون الاسلام بأزهرهم العتيد ، واذن فهم يعنون الوحدة الاسلامية الواسعة التي تنتظم العروبة والایرانية والتركية وما إليها حتى بلاد الصين . ثم هم في الوقت عينه يقولون لك انهم يخشون ان نعت الوحدة بالاسلامية قد يثير شيئا من الأشباح أمام اخوانهم الأقباط ، ولذلك يؤثرون استبدال « الشرقية » بالاسلامية وبالعروبة أيضا » (١٣) .

وفي الواقع ان الاتجاهات العلمانية قد أخذت تسيطر على جمعية «الرابطة الشرقية» ، على الرغم من وجود شيخ مشايخ الطرق الصوفية في رياستها، ووجود الشيخ رشيد رضا قائد التيار الاسلامي نائبا للرئيس . فقد أخذت تتكاثر فيها عناصر «الأحرار الدستوريين» الذين كانوا يتحمسون لفكرة الرابطة الشرقية بالذات ويفضلونها على الفكرة العربية وعلى الفكرة الاسلامية . وقد استطاع هؤلاء عن طريق وجود الشيخ مصطفى عبد الرازق في مجلس ادارة الجمعية التسلل اليها ، وأصبحوا يسيطرون على اتجاهاتها ويقودون التيار الشرقي . وقد ظهر ذلك عندما أصدرت الجمعية في ١٥ أكتوبر ١٩٢٨ مجلة باسم مجلة «الرابطة الشرقية» ، بعد ست سنوات من تأليفها ، فبدت هذه المجلة كما لو كانت إحدى مجلات حزب الأحرار الدستوريين ، فقد كان رئيس تحريرها الأستاذ علي عبد الرازق، صاحب كتاب «الاسلام وأصول الحكم» ، وكانت الأقلام التي تكتب فيها هي نفس الأقلام التي تكتب في جريدة السياسة، الأمر الذي دفع الشيخ رشيد رضا الى مهاجمتها علنا على صفحات جريدته المنار ، على الرغم من كونه نائب رئيس الجمعية ! فقد وصفها بأنها « تؤيد ما يسميه ملاحدة العصر بالتجديد اللاديني وتحرير المرأة المسلمة ، وتدافع عن الترك والفرس والأفغان فيما يحاولونه من تجديد مفهوم الاسلام على احتراس قليل من التعبير هو أقرب الى الدفاع عن مصطفى كمال وأمان الله خان منه الى الهجوم عليهما » . واذا بنا نرى فيه مقالة للدكتور طه حسين الذي اشتهر بالطعن في الاسلام وتكذيب القرآن ، ومقالة أخرى لأستاذه الدكتور منصور فهمي داعية التجديد من ناحية الفلسفة ، ومقالة للأستاذ الشيخ مصطفى عبد الرازق شقيق الأستاذ علي عبد الرازق رئيس تحرير المجلة . ثم ظهر العدد الثاني من المجلة ، فاذا هو أصرح من العدد الأول فيما ذكر، واذا بنا نرى من محرريه الدكتور طه حسين الذي تعبر عنه المجلة بكلمة «صديقنا» ، وسلامة موسى عدو الأديان

كافة والاسلام خاصة وعدو الآداب والفضائل الروحية وعدو الروابط الشرقية من وطنية وجنسية ولغوية .. والدكتور هيكل بك رئيس تحرير جريدة السياسة داعية الثقافة اللادينية .. فمن ذا الذي جعل هذه المجلة ميدانا لسباق أشهر فرسان الثقافة الالحادية ، وجعلها لسان حالهم؟ (١٤) . كان من الطبيعي ، بعد أن انتشرت فكرة الرابطة الشرقية في مصر . ان ينبري بعض دعايتها ومؤيديها، لشرح مضمونها وتحديد مقوماتها وصوغ نظريتها - كما جرى الحال فيما بعد بالنسبة للقومية العربية - وتعتبر الاجتهادات التي قدمها أصحابها في هذا المجال على جانب عظيم من الأهمية الأيديولوجية ، نظرا لأنها تعتبر علامة على طريق تطور الفكرة العربية في مصر . ففي اكتوبر ١٩٣٢ ، وبمناسبة عقد مؤتمر الطلبة الشرقيين في مصر ، كتب الدكتور منصور فهمي يقول :

« عندما تتردد حول الأسماع كلمات الشرق والترابط الشرقي ، يصدر اذ ذاك عن يسمعون تلك الكلمات رجعان متنافران : ففريق من الناس ينقبضون ويخيل اليهم أن تلك الكلمات ليس الا هياما وراء أوهام لا تساير نوااميس الوجود، ولا تقوى على تحقيقها الأيام، وفريق آخر تقر نفسه عند تلك العبارات وتنشط لها كأنها نعمات مطربة تنم عن الأمل المشرق في اسعاد شعوب لا تلبث، ييسير من الهمة والعمل ، أن تحقق لنفسها بتلك الروابط حياة زاهية . وكلا الفريقين مسرف في انقباضه، ومسرف في انبساطه .. فليس ينبغي لمن يدعو للترابط الشرقي أن يتقيد عند هذه العبارة بمدلولها في الوضع واللغة ، فيتصور منبسطا من شتى الأقاليم قد تجمع وتآلف ، ولا أن يتسمع معنى الوحدة فيما تكاثر وتعدد من أصول ولغات وافكار .. انما يراد بعبارة الترابط الشرقي اصطلاحا معنويا يدل على علاقة تبدو في تيقظ من يستفيقون بعد أن طال سباتهم، وقد يراد من تلك العبارة سور يحيط بمتسع من الأرض تتوقد بين أهلها أطيّب الأمانى والأمال . وقد تفيد العبارة عند تفقد دقائقها صورة من

صور التوثب النفسي الكمين لتكوين حضارة طريفة ذات طابع مميز ..
إذا فهم مدلول الروابط الشرقية على نحو ما ذكر، فليس من شك أن القول
بتلك الكلمات يصبح في أفواه الصائحين به اعلاما يتعرف بها الشرق نفسه
ويتعرف موقفه من الغرب » (١٥) •

وقد كتب فريد وجدي يقول : « الشرق جسد واحد مهما اختلفت
لغاته وملله ، وتباينت أجناسه ونحله ، وبين هذه الأعضاء من قبول التكافل
من الناحية الطبيعية ما يجعل ترابطها أمرا واقعا بمجرد العلم به : فان
جميعها تتشابه في أمور الحياة وفي الميول الاجتماعية وفي المرامي
القومية .. فهل من المعقول أن تتم هذه الوحدة الوشيجة لأهل الغرب ،
والشرق لا يزال كالجسم المصاب بالشلل ينكر بعضه بعضا ، ولا تتحرك
أعضاؤه نحو غاية واحدة هي غاية الكافة ؟ » (١٦) •

ثم كتب الشيخ علي عبد الرازق بحثا حاول فيه تلمس مقومات للفكرة
الشرقية، ولكنه عجز عن ذلك، وان رأى أن ذلك لا يؤثر في حقيقة الرابطة
التي تربط الشرقي بالشرقي ! وقد بدأ بحثه بالقول بأنه لا يعرف على
وجه يقيني تاريخا مفصلا للفكرة الشرقية « التي أخذت في السنين الأخيرة،
وخصوصا بعد الحرب الكبرى، تحيا بين الشرقيين وتملا أذهانهم ، والتي
أخذت تتطور في صور شتى وأدوار مختلفة ، وتنتقل من قطر الى قطر
ومن جماعة الى جماعة ، حتى صارت أو كادت تصير حقيقة عملية لا مجرد
عقيدة وفكرة ! » ثم عرض رأيا يرجع بأصول هذه الفكرة الشرقية الى أيام
الحروب الصليبية ، « حينما تألب ملوك أوروبا تحت راية الصليب يشنون
على الاسلام تلك الحروب الصليبية، فنشأت الفكرة الشرقية أيامئذ قاصرة
على المسلمين ، وكان ذلك في مقابلة الفكرة الغربية التي تعني رجال
الصليب » ، فلما اتسعت مساحة الدنيا وانكشفت أمام أوروبا المتألبة بلاد
جديدة غير بلاد الاسلام، ظهرت الفكرة الشرقية « في معناها الحديث
الواسع ويشمل آسيا وأفريقيا ، وذلك في مقابلة الفكرة الغربية التي تعني

اوروبا وامريكا ! » • ثم مضى يقول : « ان كل شرقي تغرب عن بلاده
يترجح عنده أن الفكرة الشرقية ليست معنى متكلفا ولا شعورا عارضا ،
ولكنها فطرة وطبع • فان الشرقي اذا كان في أوروبا ، وجد في نفسه عطا
خاصا على كل من يرى من الشرقيين وانجذابا اليهم ، وان لم يكن بينه وبينهم
رباط من لغة أو دين أو غيرهما ! • • كما أن الأوروبي ينجذب الى الأوروبي
من غير أن يكون بينهما احساس مشترك بحاجتهما الى الدفاع عن النفس ،
ولكنه تجاذب بينهما فطري وتعاطف ليس فيه صنعة ولا تكلف • لست
تستطيع أن تعرف على وجه التحديد تلك العوامل التي تثير فسي نفوس
الشرقيين عواطف الاخاء ، ولكن عجزنا عن ادراك ذلك لا يؤثر بشيء في
تلك الحقيقة الثابتة التي لا مجال فيها للشك ، وهي أن الشرقي يشعر أنى
كان بأن بينه وبين الشرقي عروة وثيقة وتجاذبا غير مكذوب ، ولقد يكون
عجزنا عن ادراك السر في هذه العاطفة الشرقية من أقوى الأدلة على أنها
عاطفة طبيعية ليست وليدة الحاجة أو الظروف العارضة • • ولعل ذلك
الرباط الشرقي نوع من المعاني الروحية التي لا يسهل أن تحددتها العقول
وتحيط بها العبارات ، وكالرباط الذي يؤلف بين الأقارب وذوي
الأرحام » (١٧) •

وقد ربط عبد الوهاب عزام بين ظهور فكرة الرابطة الشرقية وسلسلة
النزاع الممتد عبر العصور بين الشرق والغرب • فاستعرض تاريخ الصراع
بين الشرق والغرب منذ القدم : صراع روما وقرطاجة ، وحروب الفرس
واليونان ، وتنازع الروم الشرقيين والأكاسرة على غربي آسيا ، ووقائع
الفتح الاسلامي ، والحروب الصليبية ، وفتح الترك لشرقي أوروبا !
واستطرد يقول : « ثم طلعت العصور الحديثة ، فتبدلت الأحوال ، وتغيرت
قوانين العمران ، وبرز أهل الغرب بحضارة وعدد لم يعهداها الناس من
قبل • نظر الشرق فاذا الغرب يشن غاراته ويوالي هجماته ، واذا بالنصر
يؤتيه في كل معترك • ومال الميزان على الشرق كل مميل ، ثم نظر فاذا

أسباب القوة والفتنة مجتمعة للغرب بسلاح مدمر .. البر والبحر سخر
بالبخار ثم بالكهرباء ، وإذا سلسلة من المعجزات يحار فيها العقل والبصر،
فجاهد الشرق جهد قوته، ثم عيي بالجهاد فاستكان .. ، فما دواء هذه
الأدواء أن أردنا لأنفسنا السلامة والعافية ؟ أول عنصر في هذا الدواء أن
نجد أنفسنا ، نجد أنفسنا بعد أن فقدناها وضللنا عنها .. فإذا أحسنا
في أنفسنا كرامة الإنسان وأتفه الحر، فكرنا ، فعرفنا الذي نأخذ من
أوروبا والذي ندع . ثم رجعنا الى تراث آبائنا نحفظ فيه كل مفخرة،
ونعتز فيه بكل مآثرة ، وخططنا لأنفسنا في معترك الحياة خطة من عمل
عقولنا وأيدينا ووحى تاريخنا وآدابنا ، نصل ماضيها وحاضرنا بالمستقبل
الذي هو أشبه بنا وبأخلاقنا وآدابنا وعقائدنا وتاريخنا » (١٨) .

• • •

على هذا النحو كانت الفكرة العربية تائهة في متاهات الفكرة
الشرقية . وفي ذلك الحين أخذت تتجمع الظروف والعوامل التي ساعدت
على تضيق مدلول كلمة «الشرقية» ليصبح قاصرا على الشرق العربي
وحده، ثم اختفت هذه الكلمة لتحل محلها الفكرة العربية . أما هذه
العوامل والظروف فهي : نمو الاتصالات بين مصر والبلاد العربية الأخرى،
وتضاعف الصحف والمجلات والكتب والنشرات والاذاعات التي كانت
تصدر كلها بالعربية ، وخروج المثقفين المصريين من عزلتهم وذهابهم في
رحلات مدرسية وثقافية الى الأقطار العربية أو للعمل في بعض المعاهد
الجامعية والحكومية ، وتحسن سبل المواصلات بين مصر والشرق العربي
برا وبحرا وجوا ، ثم ظهور المشكلة الفلسطينية التي استقطبت اهتمام
جميع الدول العربية . ومع ان الاهتمام بها في مصر نشأ أولا بين الفئات
الدينية التي ارتاعت على الأماكن المقدسة، الا أن هذا العامل الديني لم
يلبث أن اسلم قيادة الى عامل قومي وطني، وظهر هذا الاهتمام على

المستوى الشعبي أولا ، ثم أتنقل الى المستوى الرسمي ، خصوصا بعد حصول مصر على معاهدتها مع بريطانيا سنة ١٩٣٦ .
وكانت لفظة «العرب» في تلك الأثناء قد أخذت تنتقل شيئا فشيئا من معناها الكلاسيكي السائد في مصر قبل الحرب العالمية الأولى ، والمرادف لكلمة الأعراب، الى مدلولها الحديث . وسار ذلك عبر محاولات واجتهادات من المفكرين المصريين، شغلت صفحات كثيرة من الصحف والمجلات في تلك الفترة . ففي أكتوبر ١٩٢٢ نشرت مجلة «الهلال» استفتاء عن « نهضة الشرق العربي، وموقفه بازاء المدنية الغربية»، فرد محمد لطفي حسونة قائلا : « هل المقصود الأقطار العربية بالمعنى الصحيح، أي بلاد العرب بحجازها ونجدها ويمناها وحضرموتها ؟ أم البلاد التي فتحها العرب في صدر الاسلام وبقيت الى الآن سائرة على أنظمة العرب كإيران ؟ أم البلاد التي يتكلم أهلها باللغة العربية بقطع النظر عن تابعيتهم ودينهم ؟ أم البلاد التي تدين بالاسلام وتخضع للمدنية العربية بحكم لغة القرآن ؟ (١٩) » .

وفي ديسمبر ١٩٢٦ كتب محمود عزمي مقالا تحت عنوان : «جاراتنا الشرقية وما بين مصر وبينها من علاقات » قسم العالم العربي فيه الى ثلاث وحدات منفصلة : بلاد المغرب، وقد ذكر عنها أنها تسير بفعل النفوذ الفرنسي المشترك سيرا اجتماعيا متشابها يجعل منها كتلة لا تفصلها حدود الا اسما ، ولا تعوق تبادل حاصلاتها حواجز جمركية ، وتغلب فيها الثقافة الفرنسية البحتة من حيث التعليم وغير التعليم . أضف الى ذلك بعد تلك الأقاليم عن « المصدر السامي ، وبقاء مميزات القرطاجيين والبرابرة وغيرهم من الحاميين في أهلها » . اما الوحدة الثانية في شبه الجزيرة العربية . وقد ذكر أنها وان كانت مهد الحادث التاريخي والاجتماعي العظيم الذي ربط بين كل بلاد الاسلام زمنا غير قليل، « الا أنها لم تكن على اتصال وثيق ببلاد الاسلام هذه التي فتحها العرب وغلبوا فيها لغتهم العربية » ،

فهي على هذا النحو تعتبر «كتلة منفصلة كذلك» • أما الوحدة الثالثة فهي التي تتكون من بلاد العراق والشام ومصر • وقد اعتبرها محمود عزمي كتلة متماسكة تماسكا تاما من جهة الاتصال التاريخي الذي لا يتوافر مع غيرها من البلاد الأخرى التي تتكلم العربية » (٢٠) •

وفي نوفمبر ١٩٢٧ كتب الدكتور محمد حسين هيكل يشيد بازدياد الروابط المادية والمعنوية بين مصر و «أمم الشرق العربي» ، فأدخل بلاد الحبشة بين هذه الأمم ! فقد ذكر من صور التعاون والتضامن بين مصر وهذه الأمم « ما تبذله صحافتها من جهود في توحيد وحدة الرأي والنظر في المسائل الاجتماعية والاقتصادية ، وما قررتة الحكومة مثلا من انشاء قنصلية فخمة في بلاد الحبشة » ! وقد عاد الدكتور هيكل ليؤكد هذا الخط العجيب في نفس المقال حين أثار مسألة حاجة «البلاد العربية» الى موظفين ، فقال : « على انه مما يستوقف النظر ويستدعي التفكير حاجة البلاد العربية الى موظفين في فروع العمل المختلفة ، وطلبها الى مصر أن توفد اليها من رجالها من يملأ هذه المناصب ، وعدم حصولها في أحيان كثيرة على ما تطلب من هؤلاء • وقد نشرت السياسة اليومية أخيرا ما حدث من طلب بلاد الحبشة لمعلمين يدرسون اللغة الانجليزية والفرنسية ، ومن طلب بلاد الحجاز مهندسين وأطباء • الخ » (٢١) •

مع ذلك فنلاحظ أمرين : الأول، أن الأشادة بالروابط التي تربط مصر بغيرها من البلاد العربية اخذت تزداد في كتابات الكتاب المصريين ، حتى في الكتاب الذين تختلط في اذهانهم الفكرة العربية بالفكرة الشرقية • ثانيا ، أن مصطلح الأمم الشرقية أخذ يتخذ معنى مرادفا للأمم العربية ، حتى ان البعض تحدث عن «الشرق» وكان يعني به العالم العربي ليس غير (٢٢) • ففي عدد ١٧ ديسمبر ١٩٢٧ كتب الدكتور هيكل يصف الاستقبال الذي أعد في مصر للملك فيصل ملك العراق عند مروره بها عائدا من أوروبا وأمريكا ، فأشاد في حرارة بحرص مصر الدائم على

« علاقات المودة والالفة والتضامن مع بلاد الشرق العربي المرتبطة وإياها بأواصر قربى غاية في المتانة، وترجع في التاريخ الى أزمان بعيدة » ، وأخذ يعدد مظاهر التقارب التي تمت بين مصر والبلاد العربية الى ذلك الحين، فقال : « كانت في هذا الأسبوع فرصة أخرى أتاحت لمصر أن تظهر ما في نفسها من هذه العاطفة القوية : عاطفة الارتباط المتين بأمم الشرق العربي كافة . ذلك أن طائفة من خير رجالات لبنان وزعمائه ألفوا لجنة للاحتفاء بيوبيل جريدة «لسان الحال» التي أنشأها المرحوم خليل سركيس ، وأن هذه اللجنة بعثت الى نقابة الصحافة المصرية كيما تشاركها في هذا اليوبيل . . . وبالأمس أقامت مصر احتفالها بيوبيل المقتطف، فشاركها أمم الشرق العربي فيه . كما أقامت حفلة تكريما لشاعر الشرق شوقي بك ، فخفت وفود العرب الى حفلة التكريم سراعاً لاجابة دعوة الداعي . . ومهما يكن من سعي بعض ذوي المآرب أو ضيقي الصدور للفت في عضد هذا التعاون بين أمم الشرق العربي، ومهما يضع ساعاتهم لاثارة مسائل تافهة يحسبون بها أنهم يوقدون نار البغضاء ، فان كل حادث من الحوادث يمر، يثبت ان التفاهم بين هذه الشعوب الشرقية أمتن وأقوى من أن تعصف به عاصفة او ان تزعزعه الاعاصير . وكيف ترى أهل هذه الشعوب الشرقية تنفع فيهم سعاية، وهم يرون جميعاً، في أجيال التاريخ كلها، روابط تربطهم بأمتن الاسباب، وتجعلهم وكأنما هم أمة واحدة ان فصلت بين أجزائها الحواجز السياسية ، فلن تفصل بين نفوس أبنائها أية قوة من القوى » .

وفي عدد ٣١ ديسمبر ١٩٢٧ كتب محمود عزمي مقالا متقدما جدا في الفكرة العربية ، فتحدث عن سياسة جريدة « السياسة » قائلاً انها جريدة جرت منذ انشائها على « تقلد السعي الحثيث في سبيل توثيق العرى بين مصر وجاراتها الشرقية ، داعية الى زيادة تسهيل طرق المواصلات بين هذه البلاد جميعاً ، والى رفع الحواجز الجمركية من بين

تخومها ، والى توحيد برامج التعليم فيها ، وبخاصة الى توحيد النقد المتداول من حيث قيمة الوحدة الذهبية ، ومن حيث الأقسام التي توزع عليها » • ثم تبنى رأيا للأستاذ بارتلمي عميد كلية الحقوق بجامعة باريس بأن تستعير سوريا القوانين المصرية لتطبيقها في بلاد الشام كافة بدلا من القوانين العثمانية القديمة التي ألغيت في بلادها الأصلية • وقال انه اذا حقق المسئولون السوريون هذا الاقتراح ، فسيسجلون لهم « فخرا لا يدانيه فخر في سبيل العمل على توثيق الروابط وتمكين العلاقات بين مصر وشقيقاتها الشرقية ، وهو هذا التمكين ، وهو ذلك التوفيق اللذان يرغب فيهما أهل مصر وأهل تلك الشقيقات رغبة قائمة على أواصر القربى بينهم جميعا ••• فان ذلك كله مما يحقق الأمنية التي تجيش في صدور الكتلة الشرقية العربية المتقاربة المتفاهمة » •

وفي ٢٩ يونية ١٩٢٩ كتب محمد زكي عبد القادر يصف مصر بأنها « نبض التفكير في الشرق » ، ويقول انها تربطها بجاراتها « روابط أخرى لا تقل متانة وقوة ، فهي قد غمرتها جميعا محن سياسية واحدة وخضعت لتاريخ مشترك ، ووصلت بينها منذ قرون التاريخ الأولى صلات بقيت على الأيام أشد ازدهارا ، وجعلت من هذا الشرق العربي ما يكاد يشبه وحدة ، ان فصلتها الحدود فقد قربت بينها روابط الجنس والدين واللغة » • ثم أبدى محمد زكي عبد القادر ادراكا واضحا لحركة التاريخ المتجهة بالبلاد العربية نحو الوحدة فقال : « بلاد الشرق العربي اذن يقترب أحدها من الآخر ، وتخضع ، أن طائفة أو غير طائفة ، الى ما رسمته القرون وجعلته طابعا مشتركا بين بلاد كانت وما تزال صورا متقاربة لتفكير واحد » (٢٣) •

• • •

في ذلك الحين وقعت المذابح بين عرب فلسطين واليهود على الجدار

المعروف بالبراق ، وسقط مئات القتلى والجرحى من الطرفين في أغسطس ١٩٢٩ . وتحركت الصهيونية في العالم من أقصاه الى أقصاه ، وتحركت الشعوب العربية أيضا بسيل من العطف تغدقه على فلسطين . وفي مصر ، تلاقى في الاهتمام بفلسطين كل الفرق الدينية والقومية ، ولكن بينما كانت تحكم الفرق الأولى العواطف الدينية الجامحة ، فقد كان الفريق الثاني تحكمه المناقشة الهادئة والتفكير المنطقي . فقد كتب محمد عبدالله عنان في جريدة السياسة الأسبوعية يقول : « مهما كانت أسباب هذه الحوادث الدامية ، ومهما كانت المسؤولية في إثارتها ، فانه لا يمكن ان تتجاهل اليهودية هذه الحقيقة ، وهم أن الوطن اليهودي لا يمكن ان يقوم على سياسة العنف في قلوب شعرب تجمعها روابط جنسية ودينية وتاريخية لا يمكن أن يغفل أثرها ! » . ولكنه من ناحية اخرى شجب سياسة العنف التي يسلكها الشعب الفلسطيني قائلا انه « لا يعتقد ان سياسة العنف طريق صالح يستطيع أن يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانيه ، لأن سياسة العنف أصبحت اليوم طريقا خطرا لا يأمن سلوكه الأقوياء انفسهم ، فضلا عن الضعفاء » ! (٢٤) . وفي ٢١ سبتمبر ١٩٢٩ نصح كلا من العرب واليهود بالاعتدال ! قائلا : « ان في وسع العرب أن يغموا أكثر بالاتحاد والجهاد السلمي المستمر ، وأن يحولوا في المستقبل دون اراقة الدماء . واذا كان للعرب أن يعتمدوا على الجهاد السلمي ، كان على اليهودية من جانبها أن تذكر دائما هذه الحقيقة ، وهي ان الحكمة لا تعني الخضوع ، وأن الاعتدال لا يعني التسليم ، وان الوطن القومي انما يقوم في قلب العالم العربي ، فعلى اليهودية ، اذا أرادت سلاما ، أن تقنع الأمم العربية ، بأنها لا تفهم فكرة الوطن القومي الا في معنى متواضع ، وفي دائرة محدودة ، وانها لا تنوي افتتاحا على حقوق العرب أو أوطانهم ، وأنها لا ترى الا أن تقيم في وئام وتفاهم مع أصحاب البلاد ، رمزا فقط لليهودية وملاذا أو ملجأ ليس غير لتراثها وتقاليدها » .

وقد سر هذا الاعتدال جريدة « ها آرتس » الصهيونية التي كتبت مقالا تشيد فيه بهذا « الصوت الواحد » في العالم الاسلامي الذي يطالب بالروية والانصاف . ثم لبست الجريدة مسوح الورع والتقوى فقالت : « اتنا لم نلجأ قط الى سياسة العنف ، ولذا ترانا نأسف جد الأسف اذ لم يقم بين المسلمين المتنورين من يخاطب الجمهور الثائر بمثل هذه الكلمات الواضحة البسيطة التي وجهها محرر السياسة : « ان سياسة العنف ليست طريقا صالحا يسلكه الشعب الفلسطيني لتحقيق أمانه » (٢٥) .

على أن الفكرة العربية ، مع ذلك ، قد تلقت بقضية فلسطين دفعة قوية الى الامام في مصر . فقد خطب محمد علي علوبة باشا ، الذي تولى الدفاع عن حقوق العرب في جدار البراق الشريف أمام لجنة التحقيق الدولية ، خطابا هاما هاجم فيه الفرعونية هجوما شديدا ودعا لعروبة مصر في حرارة فقال : « واني ليحزني أيها السادة أن أرى وأسمع ، بعد أن ذهبت الى فلسطين ودافعت بضعفي عن قضيتها ، وعلمت أن الأمة العربية أمة واحدة يربطها رباط واحد - نعم يحزني أن افكر أنه يوجد في بلادي فريق مهما كان وكان شأنه ، يث فكرة الفرعونية . انا لا ادري ما الحافز الذي حدا ذلك النفر الضئيل في مضر الى أن يصرح بقوله : « حذار يا مصر أن تكوني واسطة عقد الأمم العربية وأختها الكبرى ، لأنك لست منها بل أنت فرعونية . ان الفرعونية ليست جنسا من أجناس البشر ، ولكنها عصر من عصور الحكم . . على أنني لو فرضت أن هنالك جنسا فرعونيا لحما ودما وعظما ، فان فوق هذا الجنس جنسا آخر ورابطة أخرى ، هي أن هذه الأمم العربية تجمعها لغة واحدة وتقاليدها واحدة وعادات واحدة وآلام واحدة وآمال واحدة . فهل يظن ظان أنه يوجد اعتبار فوق هذه الروابط الوثيقة التي لا تنفصم روابطها ، وان للحم والدم والعظم قيمة كقيمة التفكير الواحد واللغة الواحدة والتقاليد

الواحدة والآمال الواحدة والآلام الواحدة ؟ .. ما مصر العربية ، ولا تقوم الا على أنها عربية ، ولا يرضى المصريون بغير العربية » (٢٦) •

• • •

وفي الثلاثينيات برزت جملة عوامل ساعدت على نمو الايديولوجية العربية في مصر : أولها ، نمو الحركات الفاشية الاسلامية في مصر (الاخوان المسلمون ومصر الفتاة) • وبالنسبة للاخوان المسلمين ، فان الفكرة العربية كانت تدور في اطار الوطن الاسلامي وفكرة الجامعة الاسلامية ووحدة الأمة الاسلامية وما أطلق عليه حسن البنا اسم « قومية الاسلام » (٢٧) • وقد دعا البنا الى القومية العربية في مواجهة القومية المصرية التي كان يتحمس لها الدكتور طه حسين وسلامة موسى ، ولذلك كان الذين أهم مقومات القومية العربية في نظر البنا • ففي عام ١٩٣٢ كتب مقالا يهاجم فيه طه حسين لانه أدرج العرب في صف الأمم الغازية لمصر التي اهتمسها المصريون فيمن اهتمسوا من فرس ويونان وترك وفرنسيين وانجليز وغيرهم ، وقال : « تلك فكرة لا ينفرد بها الدكتور طه وحده ، بل نادى بها من قبله الأستاذ سلامة موسى ، وحمل لواءها كل من يحمل ضغنا على العربية وحفيظة على الاسلام » • ثم اخذ يفند هذه الفكرة فقال إنها « خطأ محض - خطأ تاريخي وخطأ اجتماعي وخطأ في جانب القومية المصرية لا يغتفر ، وهي فكرة غرسها الاجانب للقضاء على قوة الشرق ووحدته » • أما ان الفكرة خطأ تاريخي ، فلان « التاريخ يحدثنا بوحدة في الدماء واللغات بين سكان جزيرة العرب وسكان وادي النيل في القديم والحديث • ولا تنسى أن كثيرا من سكان الصعيد وسكان الشرقية والبحيرة والفيوم يعلمون الى الان أنسابهم العربية وينتمون الى قبائل عريقة في العروبة » • وأما أن هذه الفكرة خاطئة اجتماعيا ، فلأن الأمة انما تتكون قوميتها من لغتها ودينها وعاداتها

وثافتها وما الى ذلك من مظاهر الحياة ، « فهل يرى الدكتور طه وغيره أن لمصر لغة غير اللغة العربية ، وأن لها ديناً غير الدين الذي حمل لواءه العرب ؟ وهل يرون أننا نستطيع ان نتخلى عن اللغة العربية والقرآن العربي والشعور العربي ، ونحل محل ذلك كله لغة وديناً وثقافة تختص بمصر والمصريين ؟ وما هي يا ترى هذه اللغة ، وما هذا الدين ، وما تلك الثقافة ؟ » . لعل القوم يقصدون الهيروغليفية ودين أيسس وآمون وحورس وفتاح ؟ » . وأما خطأ الفكرة من ناحية القومية المصرية ، فلأن تمسكنا بالقومية العربية يجعلنا أمة تمتد حدودها من الخليج الفارسي الى المحيط الاطلسي ، بل الى أبعد من ذلك ، ويبلغ عددها أضعاف اضعاف الملايين المحصورة في وادي النيل . فأني مصري يكره أن تشاطره هذه الشعوب التي تظلمها العربية شعوره وآماله وأفراحه وآلامه ؟ » (٢٨) . وقد اتفق الاخوان المسلمون وجماعة مصر الفتاة في الاهتمام بقضية فلسطين . ولكن بينما نبع الاهتمام في حالة الاخوان المسلمين من « شعور دفاق يحق العروبة ورابطة الاسلام » — كما يقول البنا (٢٩) — ، فإن اهتمام مصر الفتاة كان نابعا بالدرجة الأولى من مصدر فاشي مبعثه كراهية اليهود . ولذلك لم يكن حزب مصر الفتاة يفرق بين الصهيونية واليهودية ، بل كان يهاجم اليهود في عنف ويدعو لمقاطعتهم على صفحات جريدته . وقد أثار اشتغال هاتين الحركتين بالقضية الفلسطينية المتسم بالتهيج والتطرف اهتماما كبيرا في الرأي العام المصري ، نشأ اسلاميا في البداية ، ثم تحول الى قومي عربي بعد ذلك .

أما العامل الثاني في نمو الفكرة العربية في مصر في الثلاثينيات ، فهو عقد المؤتمرات العربية والاسلامية لبحث قضية فلسطين . ففي عام ١٩٣١ التأم في القدس مؤتمر اسلامي للبحث في انقاذ فلسطين واشتركت فيه مصر . وقد اجتمع المندوبون العرب أثناء انعقاده وحدهم ، وقرروا الدعوة الى مؤتمر عربي قومي لم يتيسر عقده (٣٠) . وفي عام ١٩٣٧

اشتركت مصر في المؤتمر العربي العام بدعوة من لجنة الدفاع عن فلسطين في سورية ، الذي عقد في بلودان وحضره اربعمائة مندوب عربي للنظر في تقرير اللجنة الملكية وتحديد موقف العرب من قرار التقسيم . وفي صيف ١٩٣٨ انعقد في القاهرة مؤتمر برلماني عربي اسلامي للتشاور في العمل في سبيل انقاذ فلسطين . وانعقد في نفس العام مؤتمر عام لنفس الغاية (٣١) .

ثالثا - صدور الصحف ، وتكوين النوادي والمنظمات الشعبية التي تعمل للوحدة العربية . ففي ٢٧ مايو ١٩٣٦ أصدر أمين سعيد مجلة « الرابطة العربية » التي قصد بها - حسب قوله - أن تكون صلة وصل بين مصر والأقطار العربية تحمل اليها ما يجب أن تطلع عليه من اخبار تلك الأقطار وتحولها السياسي والاجتماعي والاقتصادي وبالعكس . وتعالج قضايا العالم العربي وترفع صوته وتدافع عن مصالحه . الخ (٣٢) . وفي عام ١٩٣٨ تكونت « جمعية الوحدة العربية » ، ومن مؤسسيها أسعد داغر . وقد خدمت الجمعية هذه القضية بواسطة المهرجانات والمحاضرات التي كانت تعقدها . ثم تألفت « رابطة العروبة » ، وكان أغلب أعضائها من طلاب كلية الحقوق في جامعة فؤاد الاول . وفي الوقت نفسه تأسست « اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب الجامعي والمدارس العليا في مصر » ، ورئيسها عبد الرازق محمود . وقد دعت اللجنة أفراد الشعب الى الوعي بمسئولياتهم العربية وتحسيسهم بالواقع العربي . وفي مايو ١٩٤٢ تأسس « الاتحاد العربي » ، ومن كبار شخصياته محمد علي علوبة وعلي ماهر وتوفيق دوس وموريس أرقش وفؤاد أباطة و خليل ثابت واسعد سلهب . وقد تأسس هذا الاتحاد في مايو ١٩٤٢ على أثر بيان نشره فؤاد أباطة في جريدة المقطم في عدد ١٦ سبتمبر ١٩٤١ دعا فيه الى حلف عربي يضم مصر وسورية ولبنان وفلسطين والأردن والعراق والسعودية واليمن وليبيا وتونس والجزائر ومراكش ، والى تأسيس جمعية تعمل لهذا

الحلف • وكانت أهداف الاتحاد تنمية العلاقات وتقوية الروابط بين الدول العربية ، وانشاء أندية للاتحاد العربي في مختلف الأقطار العربية ، واصدار مجلة تبشر بالقومية العربية وعقد مؤتمرات سنوية • وقد استمر الاتحاد في عمله عشر سنوات ، وكون لنفسه فروعاً في بغداد وعمان وبيروت والمهجر • وأشرف على عدد من الزيارات المتبادلة بين المسئولين العرب في مختلف أقطارهم • ومن أعماله أنه قرب بين مصر والسعودية أيام فاروق وابن سعود ، واحتج على سياسة فرنسا في لبنان عام ١٩٤٣ ، وأمد اللبنانيين بالمال والأدوية ، وغير ذلك من الأعمال (٣٣) •

أما العامل الرابع في نمو الفكرة في مصر في الثلاثينيات ، فهو تبني حزب الوفد لهذه الفكرة واهتمامه بقضية فلسطين • ففي عام ١٩٣١ زار مكرم عبيد في رحلة صيفية سوريا ولبنان وفلسطين • وقد تحدث في ذلك الحين عن الوحدة العربية وقال ان « المصريين عرب » ، وعزز رأيه بأن النظرية يؤيدها التاريخ ، لأن المصريين جاءوا من آسيا ، وهم أدنى الى العرب منذ القدم من حيث اللون والخصائص السامية والقومية (٣٤) • ويقول أنيس صايغ ان من يقرأ خطب مكرم عبيد في بيروت ودمشق وشتورة والقدس وعكا ويافا يعجب لبراعة صاحبها في مهاجمة الآراء الفرعونية ومهاجمة أصحابها من مسلمين ومن اقباط (٣٥) • وفي عام ١٩٣٦ ، وعلى يد الوفد ، انتقل الاهتمام بقضية فلسطين من الصعيد الشعبي الى الصعيد الرسمي • فقد نشبت ثورة العرب الفلسطينيين في ابريل ١٩٣٦ ، بينما كانت المفاوضات المصرية البريطانية تجري لحل القضية المصرية ، وقد عقد النحاس باشا مع المستر ايدن جلسة خاصة ناقش فيها المسألة الفلسطينية ، وبين له أن مشروع التقسيم لا يمكن أن يكون حلاً مرضياً ، كما أوضح أن « موطن الحرج في موقف الأمم المجاورة لفلسطين هو أنها لا يمكن أن تغفل عن المحنة التي يعانيها القطر الشقيق • ثم ترك النحاس باشا للصحف المصرية الحرية في نشر

الأنباء عن الوطنيين الفلسطينيين والاشادة بدعوتهم وحركتهم واطهار
عطف المصريين البالغ على محنة فلسطين (٣٦) . وفي يوم ١٢ اغسطس ١٩٣٧
ألقى النحاس باشا بيانا في مجلس الشيوخ أوضح فيه سياسة حكومته
بازاء البلاد العربية وفلسطين ، فقال ان الحكومة المصرية « تحرص كل
الحرص على توطيد صلات الود والاخاء وتبادل المنافع التي تربط بين
مصر والشعوب العربية والشعوب الشرقية والاسلامية ، وتعمل دائما
على اعلاء قدر مصر عندها ومكاتها بينها ، أما من حيث شعور الحكومة
المصرية نحو القضية الفلسطينية ، فيسرنى أن أعلن أن اهتمامي بهذه
القضية لا يرجع الى الوقت الحاضر ، بل كان لي في هذا الصدد أبحاث
ومناقشات مع الحكومة البريطانية الصديقة بواسطة ممثلها في مصر أولا ،
ثم بطريق الاتصال المباشر بلندرة في صيف سنة ١٩٣٦ . ولم ينقطع
اتصالي بالحكومة البريطانية مع مغادرتي لندرة بالوسائل الدبلوماسية
المختلفة . وبعد ظهور تقرير اللجنة الملكية البريطانية (الذي اقترح
التقسيم) بادرت الى استئناف الاتصال بالحكومة البريطانية في هذا
الشأن بالوسائل الدبلوماسية . ويهمني أن يتيقن المجلس الموقر بشديد
عنايتي بالعمل على صيانة حقوق العرب ومصالحهم في هذه البلاد التي
تشمل الأماكن المقدسة التي تربطنا بها ذكريات دينية وتاريخية
مجيدة » (٣٧) .

ومن المثير أن قضية فلسطين كانت أول مجال مارست فيه مصر
استقلالها الخارجي بعد معاهدة ١٩٣٦ . فقد وقف وزير الخارجية الوفدي
واصف بطرس غالي باشا في عصبة الأمم ، معارضا مشروع التقسيم
البريطاني ، ومطالباً بعقد معاهدة بين انجلترا وفلسطين على غرار
المعاهدات المعقودة مع البلاد العربية الأخرى ، تستهدف تأمين استقلال
البلاد وضمان جميع المصالح فيها ، « والمحافظة بنوع خاص على حقوق
اليهود المقيمين في فلسطين ، والذين يصبحون حينئذ فلسطينيين كغيرهم

من المسلمين والمسيحيين القاطنين في تلك البلاد » (٣٨) • وقد تفاخرت جريدة الأهرام بهذا الموقف قائلة ان مصر « عرفت كيف تنتهز الفرصة فترفع صوتها مدويا ، مجاهرة برأي راعت فيه ظروفها الخاصة ، ولم تتقيد فيه برأي حليفتها ومصلحتها في انجاح مشروع فلسطين » • وقالت : انه بعد هذا الموقف فلا موجب لخوف بعض المتخوفين من القيود الواردة في المعاهدة ، لأن هذه القيود « لا تمنع مصر من أن تكون لها سياسة خارجية خاصة بها وتبعا لظروفها (٣٩) • بينما قالت جريدة « جورنال دي ناسيون » أن مصر وضعت بهذا الخطاب عطفها على العرب فوق صداقتها لحليفتها انجلترا صاحبة مشروع التقسيم (٤٠) •

وكان النحاس باشا قد أعرب عن نفوره من مشروع التقسيم للسفير البريطاني السير مايلز لامبسون يوم ٢٤ يولية ١٩٣٧ ، وقال انه « لا يستطيع ان يحس بالاطمئنان وهو يفكر في قيام دولة يهودية على حدود مصر • اذ ما الذي يمنع اليهود من ان يدعوا لهم حتى حقا في سيناء فيما بعد » (٤٠م) واهمية هذا الحديث أنه يوضح بأن الوفد كان يدرك أبعاد الخطر الصهيوني تماما ، ويعرف بأنه لا يقتصر على فلسطين وحدها ، وانما يهدد مصر أيضا •

• • •

وفي العام التالي ، وحينما كان الوفد خارج الحكم ، هاجمت الصحف الوفدية حكومة محمد محمود باشا هجوما شديدا لأنها لا تصنع شيئا من أجل فلسطين • وبادر الوفد فافتتح اكتبابا لمساعدة عرب فلسطين (٤١) • وفي عام ١٩٣٩ كتب مكرم عبيد مقالا هاما أكد فيه موقفه السابق من عروبة مصر ، وندد « بالوسائل التي تتذرع بها الأطماع السياسية لقطع العلاقات بين الأقطار العربية والعمل لقتل الروح العربية

بين أبنائها ، والسعي للتفرقة، واضطهاد العاملين لتحقيق الوحدة العربية التي لا ريب في أنها من أعظم الأركان التي يجب أن تقوم عليها النهضة الحديثة في الشرق الغربي » • ثم استطرد قائلاً ان « الوحدة العربية حقيقة قائمة ، هي موجودة ، ولذنها في حاجة الى تنظيم ، والغرض من التنظيم ايجاد جبهة تناهض الاستعمار ، وتحفظ القوميات ، وتوفر الرخاء ، وتنمي الموارد الاقتصادية ، وتشجع الانتاج المحلي ، وتزيد في تبادل المنافع ، وتنسيق المعاملات » • وتنبأ بأن العرب سوف ينول أمرهم الى أن يصيروا « كتلة واحدة ، وتصير أوطاننا جامعة وطنية واحدة ، أو وطناً كبيراً يتفرغ منه عدة أوطان » • وتساءل : « لم لا يكون ممكناً تنظيم الوحدة العربية على هذه القاعدة ، والأدوات اللازمة للتنظيم موجودة ؟ » ، وقال « ان هذا التنظيم قد بدأ في السنوات الأخيرة، فان العمل لتوحيد الثقافة وتبادل المتاجر والمنافع وعقد المؤتمرات وتبادل الآراء - كل ذلك يؤدي الى توحيد الجهود والتضامن العربي العام القوي الأركان المتين البناء ، ويؤدي كذلك الى الاستفادة من الجهاد المشترك الذي يقوم به العرب في كل قطر من الأقطار العربية في سبيل الحرية وتوطيد دعائم الاستقلال » (٤٢) •

خامساً - ازدياد التقارب ، على الصعيد الرسمي ، بين الحكومات العربية • ففي ٢٣ مايو ١٩٣٤ وقعت معاهدة الطائف بين العربية السعودية واليمن ، عقب الحرب التي قامت بينهما • وقد أشير فيها الى روابط الأخوة الاسلامية والعنصرية العربية وان أمتها أمة واحدة • وفي ٢ ابريل ١٩٣٦ وقعت في بغداد معاهدة « أخوة عربية وتحالف » بين العربية السعودية والعراق ، وتنص على الروابط الاسلامية والوحدة القومية والوحدة العربية • وفي ٦ مايو ١٩٣٦ وقعت معاهدة صداقة بين مصر والعربية السعودية • وفي ابريل ١٩٣٧ انضمت اليمن الى معاهدة الصداقة والتحالف التي عقدت بين العربية السعودية والعراق في

٢ أبريل ١٩٣٦ • وفي ٢٣ أبريل ١٩٣٧ عقدت بين سوريا والعراق معاهدة حسن جوار (٤٣) •

وفي أوائل ١٩٣٩ قررت الحكومة البريطانية دعوة الدول العربية المستقلة حينذاك الى مؤتمر المائدة المستديرة لبحث قضية فلسطين • فكان هذا أول اعتراف دولي بالجامعة العربية التي لاحت في الأفق السياسي الدولي قبل أن تبرز الى الميدان حقيقة واقعة ، كما أن اشتراك هذه الحكومات في المؤتمر كان أول اختبار دولي لقوتها ، وقد اشتركت فيه مصر والعراق والمملكة العربية السعودية وشرق الأردن واليمن • وقد أوضح علي ماهر باشا فيما بعد ، وكان عضوا في الوفد المصري ، أن المؤتمر كان فرصة لمصر المستقلة تظهر تأثيرها للدول العربية وتكسب مركزا ممتازا ، « لأنها أثبتت لجميع الدول العربية أنها لم يكن لها مآرب خاص ، ولا مصلحة خاصة ، وإنما عملت بدافع من الروابط القديمة التي تربطها بهذه البلاد » • وقال ان العلاقات استمرت بعد ذلك بين مصر وبين هذه الدول العربية جميعها على أحسن حال (٤٤) •

في تلك الظروف ، برز حديث الوحدة على أكثر من لسان عربي • فقد دعا مكرم عبيد الى الوحدة العربية على النحو الذي مر بنا • وفي نفس الوقت طرح فؤاد حمزة ، وكيل وزارة الخارجية السعودية مسألة الوحدة على الرأي العام قائلا : « كيف السبيل الى تحقيق المطامع والآمال ؟ هل يتأتى ذلك عن نشوء محالفات تدريجية بين الأقطار التي تبلغ مرتبة الاستقلال ؟ أم هل يتحقق ذلك عن طريق الفتح والغلبة ووسائل العنف ؟ أم الانضمام بمحض الارادة ؟ وهل هناك من يحلم بإيجاد جمعية أمم عربية ؟ » (٤٥) • وكتب عبد الرحمن شهنيدر يتساءل : « الامبراطورية العربية : هل يقدر لها العودة الى الوجود ؟ » (٤٦) • وفي عام ١٩٣٨ عقد المؤتمر الأول للطلاب العرب في أوروبا في بروكسل من ٢٧ — ٢٩ ديسمبر ، واتخذ ميثاقا قوميا مقتبسا من البحوث التي

أقرها ومن مقرراته ، وينص على أن العرب أمة واحدة حقها المقدس أن تكون كاملة السيادة في تصريف شئونها ، تدفعها قوميتها المتحفزة الى تحرير الوطن العربي واتحاده بكافة أجزائه ، والى تأسيس نظم سياسية واقتصادية واجتماعية أعدل وأصلح من النظم الراهنة فيه » . وقد ناقش المؤتمر أنواع التكتل السياسي ورأى أن الاتحاد Fédération هو التكتل المناسب للبلاد العربية (٤٧) .

بريطانيا ودورها في قيام جامعة الدول العربية

على هذا النحو ، فعندما قامت الحرب العالمية الثانية كانت هناك قضيتان تشغلان بال الوطنيين العرب في جميع البلاد العربية بدرجات متفاوتة : القضية الأولى ، هي فلسطين ، والقضية الثانية هي الوحدة العربية . وبالنسبة لقضية فلسطين ، فإن موقف إنجلترا منها كان يدفع الوطنيين الى أحضان ألمانيا وإيطاليا . ففي السعودية ، استطاع عدد من زعماء الحركات الوطنية في فلسطين وسورية ولبنان ، ممن لجأوا الى حمى الملك عبد العزيز آل سعود هربا من الملاحقة البريطانية والفرنسية ، أن يقنعوا الملك بمزايا الخروج قليلا من عزلة بلاده العربية والعالمية ، وأن يجري اتصالات مع ألمانيا النازية لعقد اتفاق معها تحصل السعودية بمقتضاه على سلاح ينفع المملكة في حماية نفسها وفي مساعدة عرب فلسطين عند الحاجة وعرب سوريا أيضا الذين كان يتزعم حركتهم الوطنية كبير وكلاء الملك عبد العزيز في سوريا . ومع أن المحاولة لم تثمر كثيرا ، واقتصر اتصال مندوبي الملك مع السلطات الألمانية على مفاوضات مبدئية لم تتطور فيما بعد الى نتائج ايجابية ، فإنها قد فتحت في حد ذاتها للسعودية بابا على العالم لم يستطع الملك أن يسده فيما بعد .

أما الملك يحيى ، فقد خرج من عزلته هو الآخر تحت تأثير الوطنيين السوريين

اللاجئين الى اليمن هربا من أحكام الاعدام والسجن التي أصدرها الفرنسيون ضدهم غايبا ، واتجه الى ايطاليا التي كانت أقرب دول أوروبا اليه لوجودها في الحبشة والصومال وتوسعها في شرق افريقية في أواسط الثلاثينيات . ومع أن اتصالاته أيضا لم تثمر كثيرا ولم تتطور ولم تؤد الى أكثر من ارسال عدد محدود من الأطباء الى بلاده الفقيرة ، الا انه لم يستطع ان يتصل من واجباته العربية كلية (٤٨) .

وفي العراق ، تجمع في بغداد ، منذ أواسط ١٩٣٩ ممثلون عن كافة الحركات القومية في المشرق العربي ، وكان أكثرهم من الفلسطينيين من رجال الثورة والعمل السياسي والأحزاب ، ممن هربوا الى دمشق وبيروت ومنهما الى العراق . واعترافا من العراقيين بفضل ثورة فلسطين وبحق شعب فلسطين في التحرير ، وإيمانا منهم بوحدة النضال العربي ، لم يكتفوا باكرام وفادة الوطنيين الفلسطينيين ، بل شكلوا وإياهم لجانا وطنية قامت بالاشراف على العمل العربي اشرافا مباشرا ، فعبأت الشعب، وكونت امتدادات لها في الأقطار العربية (٤٩) . وفي الوقت نفسه أخذت الاتصالات تجري بين ناجي شوكت وفون بابن في أنقرة ، وبين عثمان كمال حداد في وزارة الخارجية الألمانية في برلين (٥٠) .

أما في مصر ، فإن موقف انجلترا من قضية فلسطين كان أحد العوامل الهامة في الموقف العدائي الذي وقفته جماعة الاخوان المسلمين وحزب مصر الفتاة والعناصر الاسلامية الأخرى . كما كان له أثره في تعاطف الشعب المصري نحو المحور .

في ذلك الحين لم يكن في وسع السياسة البريطانية أن تعطي للعرب تنازلات جوهرية بالنسبة لقضية فلسطين بالمقارنة الى ما كان يمكن للألمان أن يعطوه . ففي الوقت الذي كان الكتاب الأبيض يلقي المعارضة الشديدة في بريطانيا على الرغم من انه لم يرض العرب تمام الارضاء ، فإن انتصار النازية كان معناه بالنسبة للعرب حل القضية الفلسطينية بصفة نهائية .

وعلى ذلك فقد بدا ان ميدان التنازل الوحيد هو في الوحدة العربية .
في ذلك الوقت نشأت عدة عوامل ساعدت بريطانيا على اتخاذ
قرار في هذا الشأن . ففي ابريل ومايو ١٩٤١ أصيبت بضربات متلاحقة
في يوغوسلافيا واليونان وكريت ، كما اخترقت قوات الجنرال روميل
الحدود المصرية واحتلت السلوم . وفي تلك الأثناء تأزمت العلاقات بين
حكومة الكيلاني والانجليز على النحو الذي تفجر عما عرف بثورة
رشيد عالي الكيلاني ، وقد بدت هذه الحركة أشبه ببدء للدول العربية
الأخرى لتحذو حذوها . وأخذت بريطانيا تعد حملتها على سوريا ولبنان
بالاشتراك مع قوات فرنسا الحرة . وعندئذ بدا أن الوقت قد حان لاتخاذ
موقف صريح في موضوع الوحدة العربية ، فألقى وزير الخارجية
البريطانية خطابا في مانشون هاوس Mansion في ٢٩ مايو ١٩٤١
أشاد فيه بالصدقة التي تربط العرب ببريطانيا ، وقال ان العالم العربي
قد خطا خطوات عظيمة بعد التسوية التي تمت عقب الحرب العظمى ،
ويرجو كثير من مفكري العرب للشعوب العربية درجة من الوحدة أكبر
مما تتمتع به الآن . وان العرب ليتطلعون الى نيل تأييدنا في مساعيهم
نحو هذا الهدف ، ولا ينبغي أن نفعل هذا الطلب من جانب أصدقائنا ،
ثم أضاف : « ويبدو لي من الطبيعي ومن الحق وجوب تقوية الروابط
الثقافية والاقتصادية بين البلدان العربية وكذلك الروابط السياسية
أيضا ، وحكومة جلالة الملك من ناحيتها سوف تبذل تأييدها التام لاية
خطة تلقى موافقة عامة (٥١) » .

من ذلك يتضح أن التصريح البريطاني قد صدر في لحظات حرجة
من تاريخ بريطانيا ، وحين كانت أخطار الهزيمة تحدق بها . وهذا ما
أفقده في الحقيقة فاعليته المطلوبة . وفي الوقت نفسه ، فان الظروف التي
كانت تمر بها بعض البلاد العربية كانت تصرفها عن النظر فيه : فمن ناحية
مصر ، فقد كانت مشغولة بالغزو الألماني المقيم في السلوم ، بالإضافة

الى أن الحكومة القائمة لم تكن ذات سياسة مرسومة بازاء الوحدة العربية ، اذ كانت خليطا من المستقلين والأحرار الدستوريين • أما من ناحية العراق ، فقد كان في ذلك الحين مشغولا باعادة ترتيب بيته بين فشل ثورة الكيلاني ، ولذلك لم يتخذ خطوات ايجابية بالنسبة للتصريح • وفي الحقيقة أن الاستجابة للتصريح قد صدرت من شرق الأردن وحده • فقد اعتبر التصريح ، مضافا اليه التصريحين اللذين صدرا عن الجنرال كاترو والسير مايلز لامبسون لسوريا ولبنان قبل الحملة في ٨ يونية ١٩٤١ « اعترافا بجدارة البلاد العربية التي تتألف من سوريا ولبنان وشرقي الأردن وفلسطين ، وتمثل المجموعة السورية العربية التقليدية - بالاستقلال والوحدة » • وتقدم مجلس وزرائه في أول يولية ١٩٤١ ، وبايعاز من الأمير عبد الله ، باقتراح لاجراء الاتصال بالحكومات الوطنية في البلاد السورية من أجل هذا الهدف ، على أساس أن البلاد السورية « بحكم وضعها الجغرافي ومواردها الطبيعية لا تتحمل ، وعلى الأخص من الناحية الاقتصادية ، أن تعيش الا كيانا واحدا » • ولكن الحكومة البريطانية ردت على هذا الاقتراح بوجوب « الإرجاء ريثما تغدو الحالة أكثر استقرارا » ، وقالت ان القضية يرجع أمرها الى تبصر العرب أنفسهم عندما يكون الميدان أكثر جلاء مما هو عليه في الوقت الحاضر » (٥٢) • وفي ديسمبر ١٩٤٢ ، وكان الخطر الفاشي قد ابتعد عن الشرق الأوسط بعد معركة العلمين ، وانهى النظام في العراق من توطيد أقدامه ، تقدم نوري السعيد الى المستر كيزي بمشروع يعبر عن مطامح الطبقة الحاكمة في العراق ، وهو المعروف باسم مشروع الهلال الخصيب، ويقوم على انشاء اتحاد فدرالي من العراق وسوريا الكبرى التي تضم سوريا ولبنان وامارة شرق الأردن وفلسطين ، مستبعدا مصر التي ذكر أن مشاكلها الخاصة في السودان لن تجعلها تميل الى الانضمام الى الجامعة أو اتحاد عربي ، وقد أطلق نوري السعيد على هذا المشروع اسم

«الجامعة العربية» وضمنه كتابه الذي عرف باسم «الكتاب الأزرق» (٥٣) • على أن الحكومة البريطانية لم تبد موافقتها على هذا المشروع ، على الرغم من أن نوري السعيد قد أتبعه بإعلان الحرب على المحور في يناير ١٩٤٣ • فعندما وجه أحد النواب الانجليز في مجلس العموم سؤالاً الى المستر ايدن عن هذا المشروع ، أجاب المستر ايدن في ٢٤ فبراير بأن الحكومة البريطانية « تنظر بعين العطف الى كل حركة تنشأ بين العرب لتعزيز الوحدة الاقتصادية والثقافية والسياسية ، ولكن من الجلي أن الخطوة الأولى لتحقيق أي مشروع يجب أن تأتي من العرب أنفسهم ، والذي أعرفه أنه لم يوضع حتى الآن مثل هذا المشروع الذي ينال استحساناً عاماً » (٥٤) • وكان واضحاً أن هذا التصريح موجه الى مصر ، بعد أن رفضت الحكومة البريطانية النظر في كلا المشروعين الأردني والعراقي • ومعنى ذلك ان الحكومة البريطانية كانت تريد مشروعاً للوحدة العربية على مستوى أوسع من مستوى مشروع سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب ، وهذا ما أكدته في كلا التصريحين اللذين اصدرتهما في هذا الصدد ، اذ اشترطت موافقة او استحسان الجميع • وعلى كل حال ، فإن هذا الرفض من جانب الحكومة البريطانية للمشروعين الأردني والعراقي ، يعتبر رداً على جمهرة المؤرخين العرب ، ومنهم الدكتور أنيس صايغ (٥٥) الذين يعتقدون أن هذين المشروعين من وحي السياسة البريطانية ، استناداً الى ولاء السلطات الحاكمة في كل من شرق الأردن والعراق لبريطانية • ومن الغريب أن الدكتور انيس صايغ قد أورد نص ما أسماه خطأ : « البرقية المشهورة التي أرسلها الأمير عبد الله في الرابع والعشرين من يونيو ١٩٤١ الى نوري السعيد » ، وقد عارض فيها مشاورات الوحدة العربية ، وقال « ان مسألة ايجاد وحدة عربية او اتحاد عربي مسألة موهومة خطيرة ، ولذلك فمن واجب بغداد وعمان السعي للسير على سياسة هاشمية موحدة مع صرف

المساعي للقضاء على من يريد اخراج القضية العربية عن مبادئ النهضة الأولى بالأخص في القطر السوري الذي قام به تفاهم سعودي سوري لبناني خطير ، وبذل الجهد لاهياء أنصار الثورة مرة أخرى بهذه الديار واعادة الدعوة الهاشمية » (٥٦) •

وفي الواقع أن اغفال الدوافع العربية الذاتية في المشروعات التي لا تتفق مع المصلحة العربية العامة، والاصرار على اتهام الاستعمار البريطاني بتدبير هذه المشاريع ، مما يجافي الموضوعية في البحث العلمي • وفي مثل مشروع سوريا الكبرى أو الهلال الخصيب، فلم يكن ثمة ما يمنع انجلترا من تحقيق أحدهما في اطار الدول العربية الواقعة تحت نفوذهم : العراق وشرق الاردن وفلسطين ، لو أن هذين المشروعين كانا حقا من وحيهم وبايعازهم • وفي الوقت نفسه، فقد رأينا أن طرح فكرة الوحدة العربية من جانب الانجليز على مستوى الدول العربية كلها ، لم يلق ارتياحا من الدولتين صاحبتي المشروعين، كما هو واضح من برقية الأمير عبدالله السالفة الذكر • وقد ذكر «كيرك» أن الرأي العراقي لم يكن ميالا بأي حال ليقبل الزعامة المصرية، وقد وضعت الصحافة العراقية مصر على قدم المساواة مع الدول العربية الأخرى (٥٧) • وفي الحق أن الأمير عبدالله لم يلبث أن اصدر في يوم ٨ ابريل ١٩٤٣ ، أي بعد التصريح البريطاني بشهر ونصف تقريبا ، نداء الى « أهل الشام : حاضرة وبادية ومن خليج العقبة الى البحر الابيض المتوسط الى أعالي الفرات » ، أعلن فيه أنه « أما والدعوة الى اتحاد الأقطار العربية هي اليوم قول فصل ، فإن من صلب هذه الدعوة المباركة أن نجهز بوجوب اتحاد الأقاليم السورية » • ثم تحدث عن الدعوة التي وجهتها مصر حينذاك لعقد مؤتمر عربي رسمي، فقال انه « يتوسم أن تؤيد ميثاق اتحاد بلاد الشام لتتمكن سوريا الكبرى من وقوف أمثل الى جانب اتحاد عربي عام » • ثم دعا بدوره « أهل الحل والعقد في بلاد الشام الى مشروع وحدة أو اتحاد سوري شامل

ووطن كامل يناقشون أمره في مؤتمر سوري خاص نرحب بعقده في
عاصمة بلادنا». (٥٨) •

والسؤال الآن هو : كيف ، وسياسة بريطانيا التقليدية تقوم على
مبدأ «فرق تسد» ، تقبل بهذه المخاطرة ، وهي توحيد الدول العربية ، ومن
بينها مصر واسطة العقد، على الرغم من دور بريطانيا السابق في التقسيم
بعد الحرب العالمية الأولى ؟•

في الواقع أن سياسة بريطانيا كانوا يدركون ، بحكم خبرتهم في هذه
الشئون ، أن عوامل التفرقة التي بثروها في البلاد العربية قد أصبحت
أقوى بكثير من صيحات التوحيد • ففي خلال العشرين سنة السابقة كانت
قد نشأت في هذه الدول أنظمة مالية واقتصادية وسياسية متباينة، وتكونت
قوى سياسية محلية ترتبط مصالحها بالبقاء على التمزيق، ولم يكن من
اليسير على هذه القوى أن تتنازل طواعية عن مصالحها الخاصة وتقبل
بوحدة حقيقية تزول فيها الحواجز والحدود ، وإنما كان قصارى جهد
هذه القوى أن تردد صيحات الوحدة التي كان الوعي يزداد بها في صفوف
الجماهير العربية، في نفس الوقت الذي كانت تتحول فيه الحواجز الورقية
الى حواجز من فولاذ •

وهناك أسباب أخرى هامة أوردها الكتاب البريطانيون • فقد ذكر
«كيرك» أن الحرب العالمية الثانية بما أوجدته في المنطقة العربية من قوات
جسارة للحلفاء، كانت قد جمدت التطور السياسي فيها، وقد أدرك السياسة
البريطانيون المسؤولون عن ابداء النصح فيما يختص بالسياسة البريطانية،
وبخاصة البريجادير كلايتون Brigadier Clayton مستشار الشؤون العربية
لوزير الدولة البريطاني في الشرق الأوسط ، أن مثل هذا التجمد هو
أمر موقوت، وأنه من الضروري السيطرة على الثورة الطبيعية التي تضطرم
بها النفوس في العالم العربي منذ البداية، والابقاء على الحركة الوطنية
بعد الحرب في مستوى معتدل معقول • وكان المقصود بالتشجيع الذي

بذل لإنشاء جامعة الدول العربية هو تذويب الجليد تدريجيا، أملا في أن تتولى القوى المحافظة في الجامعة فيما بعد أمر الحفاظ على «الحساء» الوطني في درجة الحرارة المناسبة (٥٩) •

ويكشف «كيرك» سببا آخر يتصل بالخطر الشيوعي الذي كانت تتعرض له المنطقة في ذلك الحين وتتوقعه السياسة البريطانية ، فيقول انه طوال فترة شهر العسل الانجليزي السوفيتي فيما بين عامي ١٩٤١ و ١٩٤٥ ، كان الساسة البريطانيون مدركين مدى التحدي الذي كان من المتوقع أن تواجه به السياسة السوفيتية مصالح بريطانيا في منطقة الشرق الاوسط ، ولذلك فان نصيحة كلايتون لإنشاء جامعة الدول العربية ربما كانت وثيقة الصلة بعودة السيد زياد الدين طباطبائي الى ايران في عام ١٩٤٣ لمحاولة تنظيم جبهة مناوئة لحزب تودة الذي كان يتمتع بتأييد السوفييت ، والذي بدا في ذلك الحين أنه يهيمن على مصائر ايران (٦٠) • ومعنى هذا الكلام أن الغرض من تشجيع العناصر المحافظة في العالم العربي على تأسيس جامعة الدول العربية كان ، الى جانب تدعيم المصالح البريطانية ، أن تصبح هذه الجامعة فيما بعد معقلا ضد «الحركات الجماهيرية الشعبية» • وهو ما أدركه المراقبون السوفييت في وضوح في ذلك الحين (٦١) •

• • •

وعلى كل حال، فمن المحقق أن المبادرة التي قام بها النحاس باشا لتكوين جامعة الدول العربية ، انما كانت استجابة للتصريح البريطاني في ٢٤ فبراير ١٩٤٣ • وهذا ثابت من البيان الذي أعلنه يوم ٣٠ مارس ١٩٤٣ على لسان محمد صبري أبو علم في مجلس الشيوخ، فقد ورد فيه : «منذ أعلن مستر ايدن تصريحه، فكرت فيه طويلا، ولقد رأيت أن الطريقة المثلى التي يمكن أن توصل الى غاية مرضية هي أن تتناول هذا الموضوع الحكومات العربية الرسمية • وانهت من دراستي الى أنه يحسن

بالحكومة المصرية أن تبادر باتخاذ خطوات رسمية في هذا السبيل، فتبدأ باستطلاع آراء الحكومات العربية المختلفة فيما ترمي اليه من آمال كل على حدتها، ثم تبذل جهودها للتوفيق والتقريب بين آرائها ما استطاعت الى ذلك سبيلا، ثم تدعوهم بعد ذلك الى مصر معا في اجتماع ودي لهذا الغرض، حتى يبدأ المسعى للوحدة العربية . فاذا تم التفاهم أو كاد، وجب أن يعقد في مصر مؤتمر برئاسة رئيس الحكومة المصرية لاكمال بحث الموضوع واتخاذ ما يراه من القرارات تحقيقا للأغراض التي تنشدها الأمم العربية » (٦٢) .

والسؤال الهام الآن هو : هل كان الوفد وهو يعمل للوحدة العربية يقوم بذلك لحساب الانجليز ، أم أنه كان يعمل لحساب قضية الوحدة ؟ . لقد رأينا أن الوفد كان قد أخذ يعترف بوجه مصر العربي منذ مطلع الثلاثينيات على لسان مكرم عبيد ، وأنه نادى بالوحدة العربية عام ١٩٣٩ ، وكان في أثناء حكمه عام ١٩٣٦ - ١٩٣٧ أول من نقل الاهتمام بقضية فلسطين من الصعيد الشعبي الى الصعيد الرسمي، وظل اهتمامه بهذه القضية قائما ومناصرته لها تشتد بعد خروجه من الحكم في شكل فتحه باب الاكتتاب لمنكوبي فلسطين وفي شكل مطالبة حكومات الانقلاب بمساندة الفلسطينيين . ولما تولى الحكم في فبراير ١٩٤٢ ، أفرج عن محمد علي الطاهر ، صاحب جريدة الشورى وجريدة الشباب، وكلاهما، وخاصة الأولى كانت من أكبر المنابر العربية في مصر - على الرغم من أن القبض على الطاهر كان بأمر الانجليز . ومعنى ذلك أن الوفد كانت له سياسة عربية مقررة من قبل صدور التصريح البريطاني . فهل كان الوفد مطالباً بنبذ سياسته ورفض العمل من أجل الوحدة العربية عندما سنحت الفرصة لذلك ، لمجرد أن مصلحة الانجليز قد اتفقت في تلك الفترة مع المصلحة العربية في قيام الوحدة ؟

هذه هي القضية . ولقد دار حديث هام بين محمد علي الطاهر

والدكتور محمد صلاح الدين وكيل وزارة الخارجية في حكومة الوفد حول هذا الموضوع يلقي الضوء على ما كان يدور في خلد الحكومة الوفدية في ذلك الحين . فعندما أبدى محمد علي الطاهر للدكتور صلاح الدين تشككه في الانجليز واستراسته في السياسة البريطانية ، رد الدكتور محمد صلاح الدين قائلا : « ان الحكومة المصرية وجدت اعترافا انجليزيا ، فهي تريد أن تأخذه على منطوقه وتقوم بالمشروع فعلا ، بدون أن تقيم وزنا لنوايا الحكومة البريطانية » . وعندما قال محمد علي الطاهر : ان شعوب العالم العربي لا تثق بحكوماتها القائمة ، فكلها مؤلفة على هوى الانجليز وباشرافهم وتدريبهم ما عدا الحكومتين السعودية واليمينية ، قال محمد صلاح الدين : « نحن أمامنا حكومات عربية ، فلا بد لنا من دعوتها بقطع النظر عن كونها موجودة برضاء الشعوب أم لا ؟ لأننا لا نستطيع كحكومة أن نقول للحكومات الأخرى انت موثوقة ، ونقول لتلك انت غير موثوق بك - ولكن الأيام ستصحح هذه الأوضاع ، وتتداول المسألة حكومات كثيرة ، الى أن تتولاها الحكومات التي ترضى عنها الشعوب ، ونكون نحن على كل حال قد كسبنا هذه الجامعة التي ستصبح مع الأيام حقيقة واقعة يحسب حسابها » (٦٣) .

لا نوافق اذن الدكتور انيس صاينغ على ما ذكره من أن « مسرحية الجامعة العربية قد تكون ملهامة وقد تكون مأساة » (٦٤) . لأن الدور الذي قامت به ، ويعترف به هو نفسه ، في تطور الفكر والحس العربي في مصر ، بعد أن أصبحت القاهرة مقر الجامعة ، وفي المشاريع السياسية وغير السياسية في خدمة قضية الوحدة العربية ، تشير الى أن قيام جامعة الدول العربية لم يكن لا ملهامة ولا مأساة ، لأن الملهامة أو المأساة نشأت في أعقاب الحرب العالمية الأولى ، وليس في أثناء الحرب العالمية الثانية - حين أقام الاستعمار البريطاني الحواجز والفواصل والحدود السياسية بين أجزاء بلاد الشام ، فتكونت داخل كل وحدة سياسية من المصالح والنظم ما ظل

يؤثر على تكوين جامعة الدول العربية وعلى قضية الوحدة العربية نفسها بوجه عام حتى وقتنا هذا .

والمعالجة الموضوعية لموضوع جامعة الدول العربية تؤكد انها، وان ولدت في رعاية الانجليز، الا أنها لم تعمل في خدمة الاستعمار البريطاني ولم تكن تابعا له، وانما عملت في خدمة القضايا العربية، واذا كان دورها في هذا المجال قاصرا أو عاجزا، فان هذا القصور او العجز ليس مستمدا من ظروف مولدها، وانما هو مستمد من بذور الفرقة والتقسيم النامية مع المصالح المحلية داخل كل موطن عربي .

وليس من شأن هذا البحث تتبع المراحل الطويلة التي مرت بها مباحثات الوحدة، منذ صيف عام ١٩٤٣ الى توقيع بروتوكول الاسكندرية يوم ٧ أكتوبر ١٩٤٤ ، وهو الوثيقة الأولى لجامعة الدول العربية ، أو اقرار ميثاق الجامعة يوم ٢٢ مارس ١٩٤٥ ، وهو وثيقة الميلاد الرسمية . ولكن الحقيقة الهامة التي تبرز من خلال المباحثات، هي ان نزول مصر الى حقل العمل العربي من أجل الوحدة العربية كان هو العنصر الأساسي في ميلاد جامعة الدول العربية ، وهي التي تعد حتى الآن التجسيد الرسمي لفكرة القومية العربية .

واذا كان الامر كذلك، فكيف نقيم دور النحاس باشا في قضية الوحدة العربية ؟ ان دور النحاس باشا التاريخي هو أنه وضع مصر على بداية الطريق الذي تسير فيه الآن : طريق العروبة، طريق القومية العربية . ومع أن الفكرة العربية في مصر قد تعرضت بعد الحرب الفلسطينية لردة عادت بها الى مراحلها الأولى، الا أن مصر، مع ذلك، لم تتنكب الطريق : طريق العروبة، طريق القومية العربية . حتى جاءت ثورة ٢٣ يوليو التي نقلت العمل من أجل الوحدة العربية الى مستوى جديد . لقد كانت القومية العربية قدر مصر ومصيرها ، وكان ميلاد جامعة الدول العربية أخطر المنعطقات التاريخية في حياة مصر .

حواشي الفصل الخامس

١ - لمزيد من التفاصيل : انيس صايغ : تطور المفهوم القومي عند العرب (بيروت : دار الطليعة ١٩٦١) ، برنارد لويس : العرب في التاريخ (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٥٤) ترجمة نبيه امين فارس ومحمود يوسف زايد ، بعض اعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب - جامعة فؤاد الاول : المجلد في التاريخ المصري ، الباب الاول والثاني (القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٤٢) ، دكتور حسن محمود ، تكوين المجتمع العربي (الباب الثاني من كتاب : المجتمع العربي ، تأليف الدكتور السيد الباز العريني وبعض اعضاء هيئة التدريس بكلية الآداب) ، دكتور عبد الملك عودة : معالم المجتمع العربي (القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٦٦) .

٢ - المعلم يعقوب ، او الجنرال يعقوب ، اول مصري فهم القضية المصرية بمعناها الحديث . اذ ادرك معنى الصراع الفرنسي - الانجليزي على البلاد ، وانه لكي يكتمل استقلال البلاد يجب ان تضمنه الدول الكبرى . وكان اول من خرج على روابط التبعية العثمانية وطالب باستقلال البلاد عنها ، وبرر طلب الاستقلال بالتنويه بمجد مصر ، وبان عظمة الماضي تبعث على الامل في عظمة المستقبل ، وبان مصر بها من الموارد ومن المال والرجال ما يكفي لقيام الدولة المستقلة . وقد تأثر المعلم يعقوب بالفرنسيين وحارب في صفوفهم وآمن بمبادئ الثورة الفرنسية ، فرحل من مصر بعد جلاء الحملة مزمعا عرض قضية الاستقلال عن تركيا على العواصم الاوروبية ، ولكنه مات في الطريق ، فقبر مشروعه (دكتور احمد عبد الرحيم مصطفى : الثورة العربية

ص ٢١ - ٢٢ (سلسلة المكتبة الثقافية فبراير ١٩٦١) ، دكتور
صبحي وحيدة : المرجع المذكور ص ١٣٠ .

اما رفاعة الطهطاوي ، فهو اول من كتب من المصريين المحدثين
داعيا الى احياء التاريخ المصري القديم ، ومفاخرا بأمجاد مصر التي
كان يسميها « ام الدنيا » ، و « اشرف الامكنة » ، و « ارض الشرف
والمجد في القديم والحديث » . وقد تحدث عن الوطن والوطنية ،
داعيا الشعب الى ممارسة « الحمية الوطنية » اما علي مبارك فقد
كتب الخطط التوفيقية التي تحدث فيها عن تاريخ الفراعنة وعلمهم
وديانتهم بلهجة مفاخرة تناقض عادة ترتيب العصر .

اما الشيخ حسين المرصفي فله كتاب بعنوان « الكلم الثمان »
طبعه سنة ١٨٨١ ، وهو دراسة في بعض الالفاظ التي ظهرت على
بساط البحث لاول مرة في تاريخ مصر منذ النصف الثاني من القرن
الماضي : الوطن والحرية والامة والعدالة والظلم والسياسة والحكومة
والتربية . وقد برهن على ايمانه وفهمه للقومية المصرية خلال تعريفه
للفظة امة « ، فقد ذكر ان الامة « بحسب المكان هي جملة من الناس
تتخذ قطعة ارض محدودة بحدود اربعة تعرفها من علم تخطيط الارض
وتسميها اسما يميزها عن غيرها ، كمصر والحجاز ، فيقال الامة
المصرية والامة الحجازية . . » (انيس صايغ : الفكرة العربية في
مصر ص ٦٢ - ٦٦ ، بيروت : مطبعة هيكل الفريب ١٩٥٩) .

٣ - مصطفى كامل : المسألة الشرقية ص ٤ (مطبعة الاداب بمصر ١٨٩٨)

٤ - الاستاذ عدد ١٧ يناير ١٨٩٣ ص ٥١٣

٥ - دكتور محمد محمد حسين : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر
ص ٢٤ نقلا عن ديوان شوقي ج ١ ص ٢٦٣ - ٢٦٦

٦ - نفس المصدر ص ٢٦ نقلا عن ديوان محرم ج ٢ ص ٥٩ .

٧ - مصطفى كامل : المرجع المذكور ص ٢٠ - ٢٣ .

٨ - الجريدة في ٣ أغسطس ١٩١١ .

٩ - احمد لطفي السيد : قصة حياتي ص ١٣٧ - ١٣٩ .

١٠ - الاستاذ ، السنة الاولى ، ج ٢٢ عدد يناير ١٨٩٣ ص ٥٣٢ - ٥٣٣ .

١١ - الرابطة الشرقية ، العدد الاول ١٥ اكتوبر ١٩٢٨ ، الهلال ج ٦ سنة

٣٠ اول مارس ١٩٢٢ ص ٥٦٩ .

١٢ - دكتور محمد محمد حسين : المرجع المذكور ص ١٠٠ - ١٠٢ ،

١١٤ - ١١٥ .

- ١٣ - الهلال ج ١ سنة ٤٧ نوفمبر ١٩٣٨ ، مقال للدكتور محمود عزمي بعنوان : « جبهة من الشعوب العربية ، ضرورة خلقها وكيفية تأليفها » .
- ١٤ - المنار ، مجلد ٢٩ ج ٨ عدد ١٢ ديسمبر ١٩٢٨ .
- ١٥ - ملحق السياسة الادبي الصادر في ١٤ اكتوبر ١٩٣٢ ، ملحق خاص بمؤتمر الطلبة الشرقيين .
- ١٦ - نفس المصدر ، مقال لفريد وجدي بعنوان : « مؤتمر الطلبة الشرقيين ، آثاره في بناء وحدة الشرق » .
- ١٧ - نفس المصدر ، مقال لعلي عبد الرازق بعنوان : « الفكرة الشرقية » .
- ١٨ - نفس المصدر ، مقال لعبد الوهاب عزام بعنوان : « واجب الشرقيين اليوم » .
- ١٩ - الهلال في اول اكتوبر ١٩٢٢ (٢٠) السياسة الاسبوعية في ١٩ ديسمبر ١٩٢٦ .
- ٢١ - نفس المصدر في ١٩ نوفمبر ١٩٢٧ مقال للدكتور محمد حسين هيكل بعنوان : « مصر وجاراتها الشرقية » .
- ٢٢ - مقال لجمال الدين حسين بعنوان : « جماعة الرابطة الشرقية ، الدعوة لوحدة الشرق » (السياسة الاسبوعية في ١٣ سبتمبر ١٩٣٠)
- ٢٣ - مقال لمحمد زكي عبد القادر بعنوان : « توثيق الصلات الطمعية بين مصر وجاراتها الشرقية » (السياسة الاسبوعية في ١٧ ديسمبر ١٩٢٧) .
- ٢٤ - السياسة الاسبوعية في ٧ سبتمبر ١٩٢٩ .
- ٢٥ - نفس المصدر في ٢٨ سبتمبر ١٩٢٩ ، وقد ارسل المستر مدزيني ، محرر جريدة « ها ارتس » ، هذا المقال الى جريدة السياسة الاسبوعية التي نشرته على صفحات العدد المذكور .
- ٢٦ - السياسة اليومية ٥ اكتوبر ١٩٣٠ .
- ٢٧ - جريدة الاخوان المسلمين في ٨ من ذي القعدة ١٣٥٢ (١٩٣٣) مقال لحسن البنا بعنوان : « قومية الاسلام » .
- ٢٨ - نفس المصدر في غرة جمادى الاخر ١٣٥٢ (١٩٣٣) .
- ٢٩ - حسن البنا : مذكرة الدعوة والداعية ص ٢٢٢ .
- ٣٠ - المؤتمر الاول لطلاب العرب في اوربا : القومية العربية ، حقيقتها ، اهدافها ، وسائلها ، كما وضعها المؤتمر الاول للطلاب العرب في اوربا المنعقد في بروكسل من ٢٧ - ٢٩ ديسمبر ١٩٣٨ (بيروت :

دار الاحد) .

- ٣١ - نفس المصدر ، انيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ص ٢٤٢-٢٤٣ .
- ٣٢ - مجلة الرابطة العربية ، العدد الاول ٢٧ مايو ١٩٣٦ .
- ٣٣ - انيس صايغ : المرجع المذكور ص ٢٠٢ - ٢٠٤ ، ولزيد من التفاصيل عن «الاتحاد العربي» ينظر كتاب جلال الاورفلي المحامي : الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي ، الجزء الاول (بغداد : مطبعة النجاح ١٩٤٤) . وجلال الاورفلي كان عضو نادي الاتحاد العربي في مصر في بغداد ، ولذلك فقد عني بتسجيل نشاط الاتحاد العربي في كتابه .
- ٣٤ - الهلال : ابريل ١٩٣٩ .
- ٣٥ - انيس صايغ : المرجع المذكور ص ١٧٣ .
- ٣٦ - المصور في ٣٠ اكتوبر ١٩٣٦ ، وقد ذكرت المصور ان هذا هو الموقف الرسمي للحكومة المصرية ازاء محنة فلسطين كما تحرته . ينظر ايضا خطاب النحاس باشا في مؤتمر الجزيرة في اول يولية ١٩٣٨ (المصري في ٢ يولية ١٩٣٨) .
- ٣٧ - الاهرام في ١٣ اغسطس ١٩٣٧ .
- ٣٨ - نفس المصدر في ١٩ سبتمبر ١٩٣٧ .
- ٣٩ - نفس المصدر في ٢٣ سبتمبر ١٩٣٧ .
- ٤٠ - نفس المصدر في ٢٠ سبتمبر ١٩٣٧ .
- The Killern Diaries, July 24, 1937 - م٤٠ .
- ٤١ - المصري في ١٤ سبتمبر ١٩٣٨ .
- ٤٢ - الهلال في ابريل ١٩٣٩ عدد خاص عن العرب والاسلام ص ٣٢ - ٣٣
- ٤٣ - محمود كامل المحامي : عربتنا ص ١٣٦ - ١٤٤ (كتاب الهلال سبتمبر ١٩٦٤) ، فؤاد حمزة : الروابط السياسية بين الاقطار الغربية (الهلال ابريل ١٩٣٩ عدد العرب والاسلام) .
- ٤٤ - محمد رفعت : قضية فلسطين ص ٨٠ - ٨١ (كتاب الهلال اغسطس ١٩٤٧) ، بيان علي ماهر باشا في مجلس النواب يوم ٢٢ ابريل ١٩٤٠ (الاهرام في ٢٣ ابريل ١٩٤٠) .
- ٤٥ - فؤاد حمزة : المقال المذكور .
- ٤٦ - نفس المصدر .
- ٤٧ - المؤتمر الاول للطلاب العرب في اوروبا : المرجع المذكور ص ٣ - ١٤ ، ٥١ - ٥٤ .
- ٤٨ - انيس صايغ : فلسطين والقومية العربية ص ٨٠ - ٨١ (بيروت :

مركز الابحاث ، منظمة التحرير الفلسطينية اكتوبر ١٩٦٦) ،
ويعتبر انيس صايغ المصدر الاول - فيما اعلم - لهذه الاتصالات
السعودية واليمينية بالمحور . ولم اتمكن من معرفة مزيد من
التفاصيل عن هذه الاتصالات . اما اسم كبير وكلاء الملك عبد العزيز
آل سعود الذي كان يتزعم الحركة الوطنية في سوريا ، فلعله شكري
القوتلي .

٤٩ - نفس المصدر ص ٧٣ .

٥٠ - رشيد عالي الكيلاني : اسرار الثورة العراقية ومذكرات رشيد عالي
الكيلاني ص ١٤٥ وما بعدها ، عثمان كمال حداد : المرجع المذكور
ص ٢٤ وما بعدها .

٥١ - كيرك : المرجع المذكور ص ٣٣٤ .

٥٢ - الكتاب الابيض الاردني : سوريا الكبرى ، الوثائق القومية في الوحدة
السورية الطبيعية ص ٣٣ - ٣٦ ، وكان الجنرال كاترو قد اصدر
بالنيابة عن الجنرال ديجول يوم ٨ يونية ١٩٤١ تصريحاً اعلن فيه انه
قادم « لانهاء عهد الانتداب ، ولاءن حريتك واستقلالكم » . و صدر
تصريح آخر من السير مايلز لامبسون اعلن فيه ان حكومته « تؤيد
ضمان الاستقلال الذي اعطاه الجنرال كاترو بالنيابة عن الجنرال
ديجول لسوريا ولبنان ، وتشترك فيه » (نفس المصدر ص ٢٧-٢٩)
٥٣ - وقد وجدت نص الكتاب الازرق في كتاب الدكتور حسين فوزي
النجار : مع الاحداث في الشرق الاوسط ١٩٤٦ - ١٩٥٦ ص
٣٠١ - ٣٢٧ (القاهرة : مكتبة القاهرة الحديثة ١٩٥٧) وقد عني
الدكتور حسين فوزي النجار في كتابه المذكور بتذييله ب ١٥ وثيقة
تتضمن بعض الكتب الملونة والمشروعات والاتفاقيات العربية .

٥٤ - كيرك : المرجع المذكور ص ٣٣٦ .

٥٥ - انيس صايغ : الفكرة العربية في مصر ص ١٤٣ .

٥٦ - نفس المصدر والمكان ، وليس صحيحاً ما ذكره انيس صايغ من ان
النص الوارد في المتن هو نص برقية مشهورة أرسلها الامير عبدالله
الى نوري السعيد في ٢٤ يونية ١٩٤١ . فلم تكن برقية ، ولم تكن
مشهورة ، ولم يكن تاريخها ٢٤ يونية ١٩٤١ ، وانما ورد هذا النص
في مذكرات الامير عبدالله تحت عنوان : « استعراض الموقف
الحاضر في البلاد العربية » ، ويستغرق قراءة عشر صفحات ، وقد
صدر له بتمهيد ذكر فيه انه « بالنظر لما يجري اليوم من احاديث

ومحاولات .. فمن واجب الامانة وضع مبادئ الثورة العربية الكبرى ومبادئها في هذا البيان لاطلاع صاحب السمو الملكي الوصي المعظم ورئيس وزراء العراق ووزير خارجيته ورئيس وزارته السابقة » . وقد التبس الامر على انيس صايغ بالنظر الى ان هذا البيان قد أعقب ، في مذكرات الامير عبدالله ، برقية ارسلها الامير عبدالله لنوري السعيد في التاريخ المذكور ، وظن انه تابع للبرقية، وبالتالي اطلق عليه اسم « البرقية المشهورة » . ومن الواضح انه في ذلك التاريخ لم تكن ثمة مشاورات للوحدة العربية وانما بدأت هذه المشاورات في صيف عام ١٩٤٣ ، ولو مضى انيس صايغ في قراءة البيان قليلا لراى الامير عبدالله يتحدث عن وجوب « لفت نظر النحاس باشا » الى ان يطلب من الحكومة العربية السعودية ايجاد ادارة دستورية .. الخ ، ولم يكن النحاس باشا رئيسا للحكومة في يوم ٢٤ يونية ١٩٤١ (انظر عبدالله بن الحسين : مذكراتي ص ٢٣٧-٢٤٦) وقد ورد في نفس الصفحة من كتاب انيس صايغ خطأ في تاريخ برقية الامير عبدالله الى المستر تشرشل بعد سقوط دمشق في ايدي الحلفاء ، فأوردها سنة ١٩٤٠ وصحتها ١٩٤١/٦/٢٢ (انظر الكتاب الابيض الاردني ص ٢٩ - ٣٠) .

٥٧ - كيرك : المرجع المذكور ص ٣٣٦ .

٥٨ - الكتاب الابيض الاردني ص ٧٧ .

٥٩ - Kirk, George, Contemporary Arab Politics, PP. 21, 23

٦٠ - نفس المصدر، وغير ما كتبه كاتب معاصر في تحليل الدوافع البريطانية في تشجيع قيام جامعة الدول العربية، هو ان بريطانيا قد ادركت ان وقوفها في وجه تيار الوحدة العربية سوف يكون اشد خطرا من تشجيعها له، وان معارضتها لهذا التيار سوف تقويه بأكثر مما قد يقويه التأييد المعتدل، فضلا عن ان العالم العربي المنقسم يكون عرضة للوقوع في يد السوفييت قطعة قطعة، على العكس من العالم العربي الموحد. لذلك فقد ارادت بريطانيا ان «توحد وتسود» ، او تحاول ان تسود ، بعد ان كانت سياستها تقوم على سياسة « فرق تسد» (كيرك : الشرق الاوسط في الحرب ص ٣٤٤ حاشية ٥ نقلا عن Hal deKram, The Nation 14 April 1945, PP. 413-14

- ٦١ - ولتر لاکور : الاتحاد السوفيتي والشرق الاوسط ص ١٥٧ الترجمة العربية (بيروت : المكتب التجاري ١٩٥٩)
- ٦٢ - مجلس الشيوخ : المرجع المذكور جلسة ٣٠ مارس ١٩٤٣ ص ٣٤٥-٣٤٦ ، وقد علق الامير عبدالله على تحرك النحاس للوحدة العربية، في كتاب له الى الامير عبدالاله ونوري السعيد، فقال : « انا على جهل تام من درجة تحقيق امانى الوحدة او الاتحاد، وما يملكه رئيس وزراء مصر عن وعود سرية يعلمها هو من لدن انجلترا او امريكا (عبدالله بن الحسين : مذكراتي ص ٢٤٥-٢٤٦)
- ٦٣ - محمد علي الطاهر : المرجع المذكور ص ٥٦٥-٥٦٧ .
- ٦٤ - انيس صايع : الفكرة العربية في مصر ص ١٦٠

مراجع الكتاب

اولا - مصادر اصلية

١ - وثائق رسمية

- ادارة الشئون العامة : جمهورية مصر في عامها الاول (مطبعة التحرير ١٩٥٤)
الجمهورية العربية المتحدة : القوانين الاشتراكية
جمهورية مصر ، الاصلاح الزراعي : قانون الاصلاح الزراعي من سبتمبر
١٩٥٢ حتى ديسمبر ١٩٥٤ الجزء الاول (دار النيل للطباعة)
جمهورية مصر : المجلس الدائم لتنمية الانتاج القومي (مطبعة مصر ١٩٥٥)
الحكومة الملكية المصرية : الاتفاق الخاص بالغاء الامتيازات في مصر ، الوثائق
الموقعة بمونترو في ٨ مايو ١٩٣٧ (المطبعة الاميرية ببولاق ١٩٣٧)
الحكومة المصرية، وزارة العدل : مجموعة القوانين والمراسيم والاوامر الملكية
لثلاثة الاشهر الثالثة من سنة ١٩٣٩
دار الوثائق العمومية : دفتر تقاسيط ابعاد عشورية ، سجل ١٣١٣ ج ٨٩
(مخطوط)
رئاسة الجمهورية ، قصر القبة ، مكتب حسن يوسف ، ملف ٢٧ ، ملف
حادث ٤ فبراير
قصر عابدين ، مكتبة رئاسة الجمهورية : ملف تحت عنوان : «الحكومة
المصرية ، ٦١٣٣ ، الجيش - تقارير » ، وثيقة بعنوان : « بحث في
مجالس الجيش وهيئة اركان الحرب » (مخطوط)

الكتاب الابيض ، بيانات الحكومة وقرارات مجلسي البرلمان بشأن الاسئلة والاستجابات عما ورد في العريضة المرفوعة الى حضرة صاحب الجلالة الملك من حضرة النائب المحترم مكرم عبيد باشا، وما يتعلق بها من مسائل سبق اثارها في مجلسي البرلمان (القاهرة : المطبعة الاميرية ١٩٤٣)

الكتاب الابيض الاردني : سوريا الكبرى، الوثائق القومية في الوحدة السورية الطبيعية (عمان : المطبعة الوطنية)

لجنة الدستور : مجموعة محاضر اللجنة العامة (المطبعة الاميرية ١٩٢٤)
لجنة كتب سياسية : الثورة الاجتماعية، قوانين يوليو المجيدة ١٩٦١ (كتب سياسية عدد ٢٣٧)

اللجنة المركزية للاحصاء : مجموعة البيانات الاحصائية الاساسية ، اقليم مصر (المطابع الاميرية ١٩٦١)

لطفي عثمان : المحاكمة الكبرى في قضية الاغتيالات السياسية (دار النيل للطباعة ١٩٤٨)

مجلس النواب : مجموعة مضابط مجلس النواب من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٤٦

مجلس الشيوخ : (١) الدستور والقوانين المتصلة به (المطبعة الاميرية ١٩٣٨)
(٢) قانون رقم ٨٠ بالموافقة على معاهدة الصداقة والتحالف بين مصر وبريطانيا العظمى (القاهرة : المطبعة الاميرية ١٩٣٧)
(٣) مجموعة ملاحق دور الانعقاد العادي التاسع عشر ١٩٤٣-١٩٤٤
(٤) مجموعة ملاحق دور الانعقاد العادي الحادي والعشرون ١٩٤٦
(٥) مجموعة مضابط مجلس الشيوخ من سنة ١٩٣٦ الى سنة ١٩٤٦

محمد خليل صبحي : تاريخ الحياة النيابية في مصر، الجزء السادس الخاص بجميع اعضاء الهيئات النيابية منذ نيف ومائة سنة (القاهرة : دار الكتب المصرية ١٩٣٩)

مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر : النظارات والوزارات المصرية ، الجزء الاول (٢٨ اغسطس ١٨٧٨ - ١٨ يونية ١٩٥٣) جمع وترتيب فؤاد كرم، مراجعة واشراف مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر (القاهرة : مطبعة دار الكتب ١٩٦٩)

محكمة الشعب : المضبطة الرسمية لمحاضر جلسات محكمة الشعب،
المحاكمات التي تمت في المدة من ١٩ الى ١٣ نوفمبر ١٩٥٤
(سبعة اجزاء)

مصلحة الاحصاء والتعداد : الاحصاء السنوي العام ، السنوات الآتية :
١٩٤٥ - ١٩٤٦ ، ١٩٤٦ - ١٩٤٧ ، ١٩٤٧ - ١٩٤٨ ، ١٩٤٨ - ١٩٤٩ ،
١٩٤٩ - ١٩٥٠ ، ١٩٥٠ - ١٩٥١

مصلحة عموم الاحصاء والتعداد : (١) احصاء شركات المساهمة التي يوجد
استغلالها الرئيسي في مصر يونية ١٩٤٥ (المطبعة الاميرية ١٩٤٦)
(٢) تعداد سكان القطر المصري سنة ١٩٣٧ ، الجزء الثاني ،
جداول عامة .

وزارة الشؤون الاجتماعية: الادارة العامة للعمل: تقويم النقابات والاتحادات
العمالية في جمهورية مصر (دار الجمهورية للطباعة ١٩٥٦)
نيازي حسب الله : مجموعة قوانين الضرائب (الاسكندرية: مطبعة عابدين
١٩٥٠)

يوسف فخري ومحمد بدران ومحمد محمود مكرم : القوانين والقرارات
العمالية والاجتماعية في مصر (مطبعة سيد علي حافظ ١٩٤٩)

٢ - وثائق تاريخية

احمد حسين : (١) مذكرة بدفاع المتهمين من السابع الى الخامس عشر في
قضية اغتيال المرحوم محمود فهمي النقراشي باشا - الجناية
العسكرية رقم ٤٩/٥

(٢) مرافعات الرئيس احمد حسين في عهد حكومة الوفد، من
كفاح مصر الفتاة (الطبعة الثانية)

احمد قاسم جودة : المكرميات، خطب وبيانات حضرة صاحب المعالي مكرم
عبيد باشا من فجر النهضة الى اليوم .

احمد لطفي السيد : الانتخابات ، الجزء الثاني (القاهرة : مطبعة المقتطف
١٩٤٥)

البنك الاهلي المصري : مقالات علي صبري، الامين العام للاتحاد الاشتراكي،
التي نشرت في جريدة الجمهورية من ٢٣ ديسمبر ١٩٦٦ الى ٣١
مارس ١٩٦٧

لجنة تخليد ذكرى محمد طلعت حرب : محمد طلعت حرب في بعض خطبه
ومقالاته ومحاضراته (القاهرة : مطبعة مصر ١٩٥٧)

محاضرة معالي الاستاذ مكرم عبيد باشا في الجامعة المصرية، بحث مقارن
تحليلي للمعاهدة المصرية الانجليزية (القاهرة : دار النشر الحديث)

محمد ابراهيم ابو رواع : الشهيد احمد ماهر، المجلد الاول (القاهرة : مطبعة
كرارة بالحسين)

محمد خطاب : المسحراتي (المكتبة السعيدة)

محمد مندور : الدكتور : كتابات لم تنشر (كتاب الهلال، اكتوبر ١٩٦٥)

المؤتمر الاول للطلاب العرب في اوربا المنعقد في بروكسل من ٣٧ - ٣٩
ديسمبر ١٩٣٨ : القومية العربية، حقيقتها ، اهدافها ، وسائلها
(بيروت : دار الاحد للطبع والنشر)

المؤتمر الوفدي : مستقبل مصر كما رسمه الزعيم مصطفى النحاس واقطاب
الوفد المصري، عدد خاص عن المؤتمر الوفدي سنة ١٩٤٣ اصدرته
جريدة الحوادث

اليد القوية - خطب واحاديث حضرة صاحب الدولة محمد محمود باشا منذ
اسندت اليه رئاسة الوزارة (مطبعة الاسكندرية ١٩٢٩)

يوسف نحاس ، الدكتور : القطن في خمسين عاما (القاهرة : دار النيل
للطباعة ١٩٥٤)

٣ - احاديث شخصية

حديث شخصي مع الاستاذ محمد صبيح يوم ١٢ ديسمبر ١٩٦٨

حديث شخصي مع محمد كامل البنداري (باشا) بنادي الجزيرة يوم ١٥
١٧، ٢٠ ديسمبر ١٩٦٩

حديث شخصي مع محمود سليمان غنام باشا في لقاءات عديدة
اقوال فؤاد سراج الدين (باشا) لمركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر

٤ - مذكرات شخصية

احمد حسين : ايماني (القاهرة : مطبعة الرغائب ١٩٣٦) الطبعة الاولى
ايماني ، الطبعة الثانية
الدكتور خالد (القاهرة : دار القلم ١٩٦٤)
وراء القضبان (سلسلة كتب للجميع)

احمد لطفي السيد : قصة حياتي (كتاب الهلال فبراير ١٩٦٢)
انور السادات : اسرار الثورة المصرية، بواعثها الخفية واسبابها السيكولوجية
(كتاب الهلال يولية ١٩٥٧)

جلال الدين الحمامصي : معركة نزاهة الحكم، فبراير ١٩٤٢ - يوليو ١٩٥٢
(مطابع دار الكتاب المصري ١٩٥٧)

حسن البنا : مذكرات الدعوة والداعية (القاهرة : دار الكتاب العربي)
حسن عزت ، قائد السرب : اسرار معركة الحرية (القاهرة : ١٩٥٣)
رشيد عالي الكيلاني : اسرار الثورة العراقية ومذكرات رشيد عالي الكيلاني
(دمشق : دار مكتبة محمد حسين النوري)

عبد العزيز فهمي : هذه حياتي (كتاب الهلال ابريل ١٩٦٣)
عبدالله بن الحسين : مذكراتي (القدس : مطبعة بيت المقدس ١٩٤٥)
عثمان كمال حداد : حركة رشيد عالي الكيلاني (صيدا : المكتبة العصرية)
فخر الدين الاحمدي الظواهري ، الدكتور : السياسة والازهر، من مذكرات
شيخ الاسلام الظواهري (القاهرة : مطبعة الاعتماد ١٩٤٥)
قليبي فهمي باشا : مذكرات قليبي فهمي باشا، الجزء الاول (مطبعة المجلة
الجديدة ١٩٤٣)

كريم ثابت : مذكرات كريم ثابت (نشرت تباعا بجريدة الجمهورية ابتداء من
عدد ١١ يونية ١٩٥٥)

كمال الدين رفعت : مذكرات كمال الدين رفعت، حرب التحرير الوطنية بين
الغاء معاهدة ١٩٣٦ والغاء اتفاقية ١٩٥٤ ، اعداد مصطفى طيبة
(القاهرة : دار الكاتب العربي ١٩٦٨)

محمد التابعي : من اسرار الساسة والسياسة، مصر ما قبل الثورة (القاهرة:
مطابع دار القلم)

محمد حسين هيكل ، الدكتور : مذكرات في السياسة المصرية ، الجزء
الاول (القاهرة : مطبعة النهضة المصرية ١٩٥١) ، الجزء الثاني
(القاهرة : مطبعة مصر ١٩٥٣)

محمد زكي عبد القادر : اقدام على الطريق (دار الكاتب العربي ١٩٦٧)

محمد صبيح : صفحات من الحرب العالمية الثانية ، الكتاب الاول : من
العلمين الى سجن الاجانب
الكتاب الثاني : طريق الحرية (كتاب الشهر)

محمد علي الطاهر : ظلام السجن ، مذكرات ومفكرات (القاهرة : عيسى
البابي الحلبي ١٩٥١)

وسيم خالد : مذكرات وسيم خالد ، الكفاح المسلح ضد الانجليز (مطبعة
الشعب ١٩٦٣)

٥ - صحف ومجلات

الاثنين ١٩٤١

الاخبار ١٩٦٨

اخبار اليوم ١٩٤٧ ، ١٩٤٨

آخر ساعة ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٦٦

الاستاذ ١٨٩٣

الاهرام ١٩٣٩ ، ١٩٣٢ ، ١٩٣٥ ، ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ،

١٩٣٩ ، ١٩٤٠ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ، ١٩٤٤

البعث ١٩٤٦

البلاغ ١٩٣٧ ، ١٩٣٨

التجارة ١٨٧٩
جريدة الاخوان المسلمين ١٣٥٢ ، ١٣٥٤
الجهاد ١٩٣٣ ، ١٩٣٧
الجماهير ١٩٤٧
الجمهورية ١٩٥٦ ، ١٩٦٤ ، ١٩٦٣ ، ١٩٦٧ ، ١٩٦٩
الحوادث ١٩٤٣
الدستور ١٩٣٨
الرابطة الشرقية ١٩٢٨
الرابطة العربية ١٩٣٦
السياسة ١٩٢٥ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣٠ ، ١٩٣٦
السياسة الاسبوعية ١٩٢٦ ، ١٩٢٧ ، ١٩٢٨ ، ١٩٢٩
ملحق السياسة الادبي ١٩٣٢
الصرخة ١٩٣٠ ، ١٩٣٣ ، ١٩٣٤
الطلعة ١٩٦٥ ، ١٩٦٦ ، ١٩٦٩
العالم العربي ١٩٤٧
الفجر الجديد ١٩٤٥ ، ١٩٤٦
الفلاحة ١٩٤٣
الكاتب ١٩٦٥
كوكب الشرق ١٩٣٦ ، ١٩٣٧
مصر الفتاة ١٩٣٨ ، ١٩٣٩
المصري ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤١ ، ١٩٤٢ ، ١٩٤٣ ،
١٩٤٤ ، ١٩٤٥
المصور ١٩٣٦ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩ ، ١٩٤٤
المقطم ١٩٣٨
المنار مجلد ١ ، ٤ ، ١٤ ، ٢٧ ، ٢٨ ، ٢٩
الهلال ١٩٢٢ ، ١٩٢٩ ، ١٩٣١ ، ١٩٣٧ ، ١٩٣٨ ، ١٩٣٩
الوفد المصري ١٩٤١ ، ١٩٤٥

ثانياً - دراسات

١ - تراجم

ابراهيم عبده ، الدكتور ، وعلي عبد العظيم المحامي : تذكار محمد طلعت
حرب (مطبعة مصر ١٩٤٥)

سامي الكيالي : مع طه حسين ، جزءان (كتاب الهلال)

صالح علي عيسى السوداني : الاسرار السياسية لابطال الثورة المصرية ،
وآراء الدكتور محجوب ثابت (القاهرة : شركة فن الطباعة)

عباس محمود العقاد : سعد زغلول ، سيرة وتحية (القاهرة : مطبعة
حجازي ١٩٣٦)

عبد الرحمن الرافعي : الزعيم احمد عرابي (كتاب الهلال مارس ١٩٥٢)

: محمد فريد، رمز الاخلاص والتضحية (القاهرة : مصطفى البابي
الحلبي واولاده ١٩٤١)

: مصطفى كامل وباعث الحركة الوطنية (القاهرة : مطبعة الشرق
١٩٣٩)

الياس زخورا : السوريون في مصر ، الجزء الاول (القاهرة : المطبعة العصرية
١٩٢٧)

ماهر حسن فهمي ، الدكتور : قاسم امين (اعلام العرب عدد ٢٠)
الوليلى ، ابراهيم مصطفى : مفاخر الاجيال في سير اعظم الرجال (المطبعة
المحمودية ١٩٣٤)

٢ - نشرات اقتصادية

البنك الاهلي المصري، النشرة الاقتصادية، المجلد الاول، العدد الثالث اكتوبر
١٩٤٨ ، المجلد الثاني ، العدد الثالث ١٩٤٩

نشرة ادارة التعبئة العامة ، ابريل ١٩٦٢

٣ - دراسات وبحوث

ابراهيم عامر : الارض والفلاح (القاهرة : مطبعة الدار المصرية للطباعة
والنشر والتوزيع ١٩٥٨)

: ثورة مصر القومية (القاهرة : دار النديم ١٩٥٧)

الاتحاد العام للغرف التجارية المصرية : الاقتصاد المصري في عهد الثورة
١٩٥٢ - ١٩٥٧ (القاهرة : دار النشر للجامعات)

ابراهيم زكي : الحالة المالية والتطور الحكومي والاجتماعي في عهدي الحملة
الفرنسية ومحمد علي (المطبعة العصرية بمصر)

احمد تيمور باشا : الرتب والالقاب المصرية (القاهرة : مطابع دار الكتاب
العربي ١٩٥٠)

احمد الحتة ، الدكتور : تاريخ مصر الاقتصادي في القرن التاسع عشر
(القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٧)

احمد خير المحامي : كفاح جيل، تاريخ حركة الخريجين وتطورها في
السودان (القاهرة : دار الشرق ١٩٤٨)

احمد رشدي صالح : كرومر في مصر ، صفحات من تاريخ مصر الحديث
(القاهرة : دار القرن العشرين)

احمد صادق موسى : تاريخ الدين المصري العام المالي والسياسي (القاهرة :
المطبعة الفخرية ١٩٤٤)

احمد عبد القادر الجمال ، الدكتور : بحوث ودراسات في القانون الدولي
العام (القاهرة : النهضة المصرية ١٩٥٣)

احمد عزت عبد الكريم ، الدكتور ، ودكتور ابو الفتوح وضوان ودكتور امين
عبدالله : المتاريخ القومي (القاهرة، دار سعد مصر، الطبعة الاولى)

- احمد غنيم واحمد ابو كف : الحياة اليهودية والحركة الصهيونية في مصر
(دراسة نشرتها مجلة المصور في اعداد ٧، ١٤، ٢١ فبراير ١٩٦٩)
- آدمز ، تشارلس : الاسلام والتجديد في مصر، ترجمة عباس محمود (القاهرة :
لجنة ترجمة دائرة المعارف الاسلامية ١٩٣٥)
- ارتين ، يعقوب : الاحكام المرعية في شأن الاراضي المصرية، تعريب سعيد
عمون (القاهرة : المطبعة الكبرى الاميرية ببولاق ١٣٠٦ هـ)
- اسحق موسى الحسيني ، الدكتور : الاخوان المسلمون ، كبرى الحركات
الاسلامية الحديثة (بيروت : ١٩٥٢)
- البرت شقير : الدستور المصري والحكم النيابي في مصر، وتاريخ ذلك من
١٨٦٦ الى الآن (القاهرة : مطبعة المقتطف والمقطم ١٩٢٤)
- البرت عشم عبد الملك ، الدكتور : التفاوت في الدخول (القاهرة : دار الفكر
العربي ١٩٥٣)
- امين مصطفى عفيفي عبدالله ، الدكتور : تاريخ مصر الاقتصادي والمالي في
العصر الحديث (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية ١٩٥٤)
- انور عبد الملك : مصر، مجتمع جديد يبنيه العسكريون (بيروت : دار
الطلعة ١٩٦٤)
- انيس صايغ : تطور المفهوم القومي عند العرب (بيروت : دار الطليعة ١٩٦١)
- : الفكرة العربية في مصر (بيروت : مطبعة هيكال القريب ١٩٥٩)
- : فلسطين والقومية العربية (بيروت : مركز الابحاث، منظمة
التحرير الفلسطينية ١٩٦٦)
- برجر ، مورو : البيروقراطية والمجتمع في مصر الحديثة، ترجمة وتقديم
الدكتور محمد توفيق رمزي (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٩)
- جاد لبيب ، الدكتور : بناء الاقتصاد المصري والعلاقات الاقتصادية والمالية
بين مصر وانجلترا (القاهرة : مكتبة الانجلو المصرية)
- الجامعة الاميركية : الديموقراطية ، تاريخها ، تطورها ، اثرها في مختلف
نواحي الحياة . سلسلة محاضرات (القاهرة : ١٩٤٥)

- جلال الاورفلي : الدبلوماسية العراقية والاتحاد العربي ، الجزء الاول
(بغداد : مطبعة النجاح ١٩٤٤)
- جمال الدين محمد سعيد ، الدكتور : التطور الاقتصادي في مصر منذ الكساد
العالمي الكبير (القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٦)
- الجمعية المصرية للاقتصاد السياسي والاحصاء والتشريع : بحوث العيد
الخمسيني ١٩٠٩ - ١٩٥٩ (القاهرة : شركة الاعلانات الشرقية
١٩٦٠)
- جمعية المعلمين : ابحاث مؤتمر سياسة التعليم (القاهرة : مطبعة لجنة
التأليف والترجمة والنشر ١٩٤٥)
- حافظ عفيفي باشا : على هامش السياسة ، بعض مسائلنا القومية (القاهرة :
دار الكتب المصرية ١٩٣٨)
- حسن ابراهيم حسن : الجمل في التاريخ المصري ، ألفه بعض اعضاء هيئة
التدريس بكلية الآداب بجامعة القاهرة ونشره حسن ابراهيم حسن
(القاهرة : مكتبة مصطفى البابي الحلبي ١٩٤٢)
- حسن ربيع : مصر بين عهدين ، بحث اقتصادي واجتماعي وسياسي ، الجزء
الاول (القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٥٤)
- حسن محمود ، الدكتور : تكوين المجتمع العربي (الباب الثاني من كتاب :
المجتمع العربي ، تأليف الدكاترة : السيد الباز العريني ، وسعيد عاشور ،
ومحمد انيس ، وعبد العزيز كامل ، والسيد رجب حراز ومحمد
متولي) (القاهرة : الانجلو المصرية ١٩٦٠)
- حسين خلاف ، الدكتور : التجديد في الاقتصاد المصري الحديث (القاهرة :
مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٢)
- حسين علي الرفاعي ، الدكتور : الصناعة في مصر (القاهرة : مطبعة مصر
١٩٣٥)
- راشد البراوي ، الدكتور ، ومحمد حمزة عيش : التطور الاقتصادي في
مصر في العصر الحديث (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٤)
- راشد البراوي ، الدكتور : حقيقة الانقلاب الاخير في مصر (القاهرة : مكتبة
النهضة المصرية ١٩٥٢)

ريجين برنو : البورجوازية في شتى مراحلها، تعريب انعام الجندي (بيروت : منشورات حمد)

ساطع الحصري، ابو خلدون : حول القومية العربية (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٦١)

السيد صبري ، الدكتور : مبادئ القانون الدستوري (الطبعة الاولى)
: تحليل نتائج التعداد في مصر، اصدار مصلحة الاحصاء والتعداد
(المطبعة الاميرية ١٩٣٥)

سيد مرعي : الاصلاح الزراعي ومشكلة السكان في القطر المصري (كتب
قومية عدد ٢٥٨)

شركات بنك مصر (مطبعة مصر ١٩٤٢)

شهدي عطية الشافعي : تطور الحركة الوطنية المصرية ١٨٨٢ - ١٩٥٦
(الدار المصرية للكتب ١٩٥٧)

شوقي ضيف ، الدكتور : الادب العربي المعاصر في مصر (دار المعارف ١٩٦١
الطبعة الثالثة)

صادق سعد : مشكلة الفلاح (القاهرة : مطبوعات لجنة نشر الثقافة
الحديثة، دار القرن العشرين ١٩٤٥)

صبحي وحيدة ، الدكتور : في اصول المسألة المصرية (القاهرة : مكتبة
الانجلو المصرية ١٩٥٠)

صلاح العقاد ، الدكتور : العرب والحرب العالمية الثانية (القاهرة : معهد
الدراسات العربية ١٩٦٦)

عبد الحميد فهنى مطر : التعليم والمتعطلون في مصر (الاسكندرية : مطبعة
مدرسة محمد علي الصناعية ١٩٣٩)

عبد الرحمن البزاز : بحوث في القومية العربية (القاهرة : معهد الدراسات
العربية ١٩٦٢)

عبد الرحمن الزافعي : في اعقاب الثورة ، الجزء الاول (القاهرة : مكتبة
النهضة العربية ١٩٤٧)

- : في اعقاب الثورة ، الجزء الثاني (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٩)
- : في اعقاب الثورة ، الجزء الثالث (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٥١)
- عبد العزيز الرفاعي ، الدكتور : فجر الحياة النيابية في مصر الحديثة (القاهرة : المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ١٩٦٤)
- عبد العزيز علي جميع وعبد الفتاح عبد العزيز وحسين درويش : قانون الحرب (الانجلو المصرية ١٩٥٢)
- عبد العزيز فهمي : الاستعمار عدو الشعوب (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٥٣)
- عبد العزيز مرعي ، الدكتور ، وعيسى عبده ابراهيم : النقود والمصارف (القاهرة : مطبعة لجنة البيان العربي ١٩٦٢)
- عبد العظيم محمد رمضان : تطور الحركة الوطنية في مصر ١٩١٨-١٩٣٦ (دار الكاتب العربي ١٩٦٨)
- عبد المغني سعيد : العمال وثورة ٢٣ يولية (القاهرة : الدار القومية للطباعة والنشر ، الطبعة الثانية)
- عبد الملك عودة : معالم المجتمع العربي (القاهرة : دار النهضة العربية ١٩٦٦)
- عزيز خانكي : شئون مصرية (المطبعة العصرية، الطبعة الثانية)
- عزيز خانكي وجميل خانكي : المحاماة قديما وحديثا (القاهرة : المطبعة العصرية ١٩٤٠)
- عزيز محمد مصطفى، الرائد : موجز العمليات الحربية في شمال افريقيا (القاهرة : الانجلو المصرية)
- عمر طوسون ، الامير : مالية مصر من عهد الفراعنة الى الان (الاسكندرية : مطبعة صلاح الدين ١٩٣١)
- عيروط ، الاب هنري : الفلاحون ، ترجمة الدكتور محمد غلاب (القاهرة : مطبعة شركة الاعلانات الشرقية) الطبعة الثانية

- ميسى متولي : نهضتنا الاقتصادية (القاهرة : مطابع جريدة الصباح)
- فؤاد كرم : الاجانب في مصر : الجنسية المصرية ، الطوائف الدينية (القاهرة : مكتبة عبدالله وهبة)
- فؤاد محمد شبل : الدستور السوفيتي ، رسالة جامعية (القاهرة : مصطفى البابي الحلبي واولاده)
- فيجودسكي ، س : الاقتصاد الرأسمالي ، ترجمة فؤاد عبد الحليم (القاهرة : دار يوليوس للنشر)
- كارل ، بول : ثعالب الصحراء ، تعريب كما عصمت شريف ، ثلاثة اجزاء (القاهرة : مكتبة الانجلو)
- كوهن ، هانز : عصر القومية ، ترجمة عبد الرحمن صدقي ، (سلسلة الالف كتاب عدد ٥٢٢ سنة ١٩٦٤)
- كيرك ، جورج : موجز تاريخ الشرق الاوسط ، ترجمة عمر الاسكندري ، مراجعة الدكتور سليم حسن (سلسلة الالف كتاب ١١٤)
- لويس ، برنارد : العرب في التاريخ (بيروت : دار العلم للملايين ١٩٥٤)
- لويس عوض ، الدكتور : الجامعة والمجتمع الجديد (القاهرة : دار القومية للطباعة والنشر)
- مريت غللي : الاصلاح الزراعي (القاهرة : دار الفصول للنشر ١٩٤٥)
- : سياسة الغد (القاهرة : مطبعة الرسالة ١٩٣٨)
- محمد احمد انيس ، الدكتور : دراسة خاصة عن ٤ فبراير (الاهرام من ٥ الى ١ فبراير ١٩٦٧)
- : دراسة في المجتمع المصري من الاقطاع الى الاشتراكية (الكاتب ١٩٦٥)
- محمد البهي ، الدكتور : الفكر الاسلامي الحديث وصلته بالاستعمار الغربي (مكتبة وهبة ، الطبعة الرابعة)
- محمد خيرى حربى والسيد محمد العزاوي : تطور التربية والتعليم فى اقليم مصر في القرن العشرين (اصدار مركز الوثائق التربوية بوزارة التربية والتعليم - القاهرة ١٩٥٨)

- محمد رفعت بك : تاريخ حوض البحر المتوسط وتياراته السياسية (القاهرة : دار المعارف ١٩٥٩)
- : قضية فلسطين (سلسلة اقرا اغسطس ١٩٤٧)
- محمد زكي عبد القادر : محنة الدستور (كتاب روز اليوسف يناير ١٩٥٥)
- محمد شوقي زكي : الاخوان المسلمون والمجتمع المصري (القاهرة : مكتبة وهبة ١٩٥٤)
- محمد طلعت حرب : علاج مصر الاقتصادي ومشروع بنك المصريين، او بنك الامة (مطبعة الجريدة ١٩١١)
- محمد عبد الباري : الامتيازات الاجنبية (القاهرة : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٠)
- محمد عبد الرحيم عنبر : اصلاح اداة الحكم (القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ١٩٤٥)
- محمد عبد العبود الجبيلي وشهدي عطية الشافعي : اهدافنا الوطنية (القاهرة : مطبعة الرسالة ١٩٤٥)
- محمد كامل مرسي ، الدكتور : الملكية العقارية في مصر وتطورها التاريخي من عهد الفراعنة حتى الان (مطبعة نوري ١٩٣٦)
- محمد مصطفى صفوت، الدكتور : انجلترا وقناة السويس ١٨٥٤ - ١٩٥١ (مطابع ومسييس ١٩٥٢)
- محمد محمد حسين ، الدكتور : الاتجاهات الوطنية في الادب المعاصر ، جزءان (مكتبة الاداب ١٩٥٦)
- محمود صالح الفلكي : مذكرة عن مسألة رصيد مصر الاسترليني في مؤتمر النقد الدولي بالولايات المتحدة ، اصدار وزارة المالية (القاهرة : المطبعة الاميرية ١٩٤٥)
- محمود كامل المحامي : عروبتنا (سلسلة اقرا سبتمبر ١٩٦٤)
- : مصر الغد تحت حكم الشباب (القاهرة : دار الجامعة للطبع والنشر ١٩٣٩)

- مصطفى كامل : المسألة الشرقية (مطبعة الآداب بمصر ١٨٩٨)
- مصطفى مؤمن : صوت مصر (دار الكتاب العربي ١٩٥١)
- مليكة عريان : مركز مصر الاقتصادي (القاهرة : مطبعة رمسيس ١٩٢٣)
- المؤسسة المصرية العامة للبنوك : مجموعة المحاضرات التي أقيمت خلال
الموسم الثقافي الأول ١٩٦٢/٦٣
- نهضة الشعب المصري الشقيق (اسم المؤلف لم يرد) ترجمة إبراهيم الخطيب
- يوسف خليل ، الدكتور : تطور الحركة القومية في مصر من ١٨٨٢-١٩١٩ ،
بحث للدكتوراه في التاريخ الحديث (غير مطبوع ١٩٥٧)
- يوسف نحاس ، الدكتور : الفلاح وحالته الاقتصادية والاجتماعية (القاهرة
مطبعة المقتطف ١٩٢٦)

ثالثاً - مصادر ومراجع اجنبية

١ - وثائق غير منشورة :

Public Record office, F.O. 407/221 (1937), 407/222 (1938)
407/223 (1939)

٢ - دراسات ووثائق منشورة :

- Agar — Hamilton and Turner : Crises in the Desert, May —
July 1942 (London, 1952)
- Artin Bey, Yacoub : La Propriété Foncière en Egypte
(Cairo, Imprimerie Nationale de Boulaq 1883)
- Baer, G. : A History of Landownership in Modern Egypt
(1800-1953) (Oxford University Press 1962)
- Bilainkin, George : Cairo to Riyadh Diaries (London,
Williams and Norgate LTD 1950)
- Cambridge Medieval History Vol. VI (Cambridge at
The University Press 1929)
- Churchill, Winston : The Second World War, Vol. IV
(London, Cassell and Co. LTD. 1951)
: The Second World War (ABRIDGED EDITION)
(London, Cassell 1957)
- Ciano, Count Galeazzo : Ciano's Diaries (1939-1943)
ed Hugh Gibson (New York, Doubleday and Company,
Inc Garden City 1946)

- : Ciano's Diary (1939-1943)
 ed Malcolm Muggeridge
 London, William Heinemann LTD.)
- : Ciano's Diplomatic Papers
 ed Malcolm Muggeridge, Trans. Stuart Hood
 (London, Odhams Press 1948)
- : Les Archives Secrètes Du Comte Ciano (1939-1942)
 Traduction de Maurice Vaussard
 (Paris, Librairie Plon 1949)
- Colombe, Marcel : L'Evolution de L'Egypte (1924-1950)
 (Paris, G.P. Maisn Neuve 1951)
- Cromer, Earl of : Modern Egypt
 (London, Macmillan and Co. 1911)
- Crouchly, A.E. : The Economic Development of Modern Egypt
 (London, Longmans, Green and Co. 1938)
- Elgood. P.G. : Egypt and The Army
 (Oxford, Humphrey Milford 1924)
 : The Transit of Egypt
 (London, Edward Arnold 1928)
- Hurewitz, J. C. : Diplomacy in The Near and Middle East
 1914-1956 Vol. II
- Hammerton, Sir John : The Second Great War Vol. IV
 (London, The Amalgamated Press LTD.)
- Killearn : The Killearn Diaries, 1934-1946, ed. T. Evans
 (London, Sidgwick & Jackson 1972)
- Kirk, G. : The Middle East in The War 1939-1945
 (Oxford University Press 1953)
 : Contemporary Arab Politics, Aconcise History.
 (London, Methuen & Co. LTD. 1961)
- Laqueur, Walter : Communism and Nationalism in The Middle
 East (London, Routledge and Kegan Paul 1957)

- Lugol, Jean : Egypt and World War II Trans. from the French
By A. G. Mitchill
(Cairo, Société orientale de Publicité 1945)
- Marlowe, John : Anglo - Egyptian Relations 1800-1953
(London, The Cresset Press 1954)
- Pirenne, Henrie : Medieval Cities
(Princeton University Press)
- Rivlin, Hélén Anne B. : The Agricultural Policy of Muhammed
Ali in Egypt
(Harvard University Press, Cambridge Massachusetts 1961)
- Royal Institute of International Affairs : Great Britain and
Egypt 1914-1951
(London, 1957)
- Safran, Nadav : Egypt in Search of Political Community
Harvard University Press 1961)
- Sherwood, Robert E. : The White House Papers of Harry L.
Hopkins 2 Vol.
(London, Eyre and Spottiswoode)
- Shirer, William L. : The Rise and Fall of The Third Reiche,
A. History of Nazi Germany
(London, Secher and Warburg 1960)
- Storrs R. Orientations
(London, Nicholson and Watson 1949)
- Toynbee, Arnold and Veronica M. Toynbee : Royal Institute of
International Affairs 1939-1946 ; Hitler's Europe
(Oxford University Press 1954)
- Wilson, Lord : Eight Years Overseas 1939-1947
(London, Huchinson and Co. Second Impression)

☆ الكشافات ☆

- ١ - كشاف الأعلام
- ٢ - كشاف الهيئات
- ٣ - كشاف البلاد والأماكن
- ٤ - كشاف الحوادث
- ٥ - كشاف الدوريات

☆ قام بإعداد هذه الكشافات الأستاذ / سامي عزيز فرج
والسيدة / استيرة غالي تاوضروس

١ - كشف الأعلام

- أحمد سعودى: ١٤٠، ١٤١، ١٤٧، ١٤٨
- أحمد شاهين: ١٤٣
- أحمد شفيق «باشا»: ٣٣٧، ٣٣٨
- أحمد شوقى: ٣٣٣، ٣٤٧، ٢٧١
- أحمد عبدالرحيم مصطفى «الدكتور»: ٣٧٠
- أحمد عبدالغفار «باشا»: ٢٢١
- أحمد عبدالقادر الحمال: ٢٩٩
- أحمد عرابى: ٣٣١
- أحمد قاسم جودة: ١٥٨
- أحمد لطفى السيد: ٣٣٣، ٣٧٣
- أحمد ماهر «الدكتور»: ٢٩، ٥٨، ٥٩، ٧٥، ٨١، ٨٩، ١٠٢ - ١١٣، ١١٦
- ١١٧، ١٢٠، ١٢٥، ١٦١، ٢١٦، ٢١٧، ٢٢٢، ٢٦٥، ٢٧٣، ٢٨١
- ٢٨٥، ٢٨٩، ٣٠٧ - ٣٠٩، ٣١٧
- أحمد مرزوق: ١٥١
- أسعد داغر: ٣٥٣
- أسعد سلهب: ٣٥٣
- اسلام «باشا»: ١٣٥
- اسماعيل «الخدوى»: ٣٣١، ٣٣٤
- اسماعيل صدقى «باشا»: ٢١ - ٢٤، ٣٠، ٣٩، ٥٨، ٦٩، ٩٤، ١١١
- ١١٢، ١٢٠، ١٦٩، ١٧٠، ٢١٨
- ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٠٢
- أحمد حسن الباقورى «الشيخ»: ١٤٢
- أحمد حسنين «باشا»: ٧٦، ٨٣، ٨٤، ٩٣ - ٩٦، ١٨١، ١٩٢، ١٩٣، ١٩٨، ٢٠٩ - ٢١٦، ٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٥، ٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٥، ٢٨٤، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٩، ٢٩١، ٣١٥
- أحمد حسين: ٢٦، ١٢٩ - ١٣٣، ١٨٥ - ١٨٧، ٢٢٦، ٣١٠، ٣١١، ٣١٨
- أحمد حمزه: ٢٦٢
- أحمد خير «المحامى»: ٣٢٣
- أحمد زكى «باشا»: ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٣٩

٢٤٣، ٢٣٨ - ٢٣٥، ٢٣٣، ٢٣٢	٣٠٤
أوكونور «الجنرال»: ١٢٣، ٦٠	اسماعيل مرزوق: ١٣٤
إيتل «السفير الألماني»: ٣١٤، ١٥٥	أغاخان: ٢٠٨
إيدن، أنتوني: ٣٦٦، ٣٦٣، ٣٥٤	البنداري - محمد كامل البنداري
	الزيادي: ١٣٣
— ب —	الزیدی «باشا»: ١٣٥
يابن، فون: ٣٦٠	السيد الباز العريني «الدكتور»: ٣٧٠
ياجت، الجنرال: ٢٨٨، ٢٨٧	السيد عبدالهادي القصبي «بك»:
بارتلمی: ٣٤٨	٣٠٨
بالبو «المارشال»: ٣٠	الطاهر - محمد علي الطاهر
بترل «المستر»: ٢٠	العقاد «الدكتور» - صلاح العقاد
بروك «البريجادير»: ٦٤	العقاد - عباس محمود العقاد
بطرس غالي «باشا»: ٢٥٩	ألكسندر «الجنرال»: ٢٤٠
بلفور: ٣٣٥	الكيلاني - رشيد عالي الكيلاني
بليكن، جورج: ٣١٣، ٢٠٧، ١٧٥	المراغي - مصطفى المراغي
٣١٦	المعتصم العباسي: ٣٢٨
بونابرت، نابليون: ١٠٤	النحاس - مصطفى النحاس
بيتان: ٢٥١، ٢٥٠	النقراشي - محمود فهمي النقراشي
بيتمان «المستر»: ١٩	أميل زيدان: ٣٣٧ - ٣٣٩
بيزلي «المستر»: ١٠	أمين سعيد: ٣٥٣
— ت —	أمين عثمان «باشا»: ١٧٣، ٥٩
تشرشل، ونستون «المستر»: ١٦٦،	١٨٠، ١٩٦، ٢١١، ٢١٤، ٢١٥
١٧٩، ٢٣٢ - ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٣٩،	٣١٨، ٣١٥، ٢٨٩، ٢٦٥
٢٤٣، ٢٨٥، ٢٨٧، ٢٨٨، ٣٠٧،	أمين فارس: ٣٧٠
٣١٢، ٣١٣، ٣١٨، ٣١٩، ٣٧٥	أنطون الجميل: ١٦٧
تشمبرلين، أوستن «السير»: ١٠٨	أنور السادات - محمد أنور السادات
توفيق الملطى: ١٣٣، ١٣٢	أنيس صايغ: ٣٥٤، ٣٦٣، ٣٦٨
توفيق دوس: ٣٥٣	٣٧٠، ٣٧١، ٣٧٣ - ٣٧٦
	أوكنلك «الجنرال»: ١٧٧ - ١٧٩، ١٨٤

توفيق مرسى القاضى: ٢٦٥

تيرنر: ٣١٩

١٥٠ - ١٥٢، ١٨٩، ٢٤١، ٣٠٢،

٣٧٢، ٣٥٢، ٣٥١

حسن التهامى: ١٣٤

حسن جريو: ١٣٣

حسن سلومة: ١٣٣

حسن صبرى (باشا): ٣٧، ٦٢، ٧٣،

٧٦، ٨١، ٩٤، ٩٥، ٩٧ - ٩٩،

١٠١، ١١٢ - ١١٥، ١١٨، ١١٩،

١٢١، ١٢٢، ١٣٥، ١٣٦، ١٣٩،

١٤٠، ١٦٧، ١٨٠، ١٨٥، ١٨٦،

١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٥، ٢٢٧،

٣٠٩

حسن عزت: ١٤٠، ١٤٢ - ١٤٨،

٣١١

حسن فهمى رفعت (باشا): ١٤٨

حسن نشأت (باشا): ٨٤، ٨٦ - ٨٩،

٩٢، ٢٠٦

حسن يوسف: ٣٠٤، ٣١٧

حسنيين - أحمد حسنيين

حسين (الشرىف): ١٥٣، ٢٥٥

حسين أبو على: ١٤٧

حسين الجندى: ٥٢

حسين المرصفى (الشيخ): ٣٣١،

٣٧١

حسين توفيق: ١٣٤

حسين درويش: ٢٩٩

حسين ذو الفقار صبرى: ١٥٠، ٢٢٥

حسين سرى (باشا): ١٧، ١٨، ٢٠،

٣٩، ٧٣، ٨١، ١٢٩، ١٥٥، ١٦٥،

تطور الحركة الوطنية جاء

٤٠١

— ث —

ثروت عكاشة: ١٤٠

— ج —

جرازيانى (الماريشال): ١١٣

جرانت (الجنرال): ٢٣١

جلال الأورفى (المحامى): ٣٧٣

جلال الدين الحمامصى: ٢٦٦،

٢٧٢، ٢٧٤، ٢٧٦، ٢٨٢، ٣٢١

جمال الدين حسين: ٣٧٢

جمال الدين محمد سعيد (الدكتور):

٣١٨، ٣١٢

جمال عبدالناصر: ١٣٧ - ١٣٩

جورج (الملك): ٩٢

— ح —

حافظ رمضان - محمد حافظ

رمضان

حافظ عفيفى: ٧٣، ٨١، ٩٤، ٩٥

حامد جودة: ١٢٩

حامد محمود الدكتور: ١٧

حبيب لطف الله (الأمير): ٣٣٧،

٣٣٨

حسن ابراهيم (الطيار): ١٤٧

حسن البنا (الشيخ): ٢٧، ١٢٦ -

١٣٠، ١٣٢، ١٣٦، ١٤٣-١٤٥،

١٦٩، ١٧٣ - ١٧٦، ١٧٩ - ١٨٢، ١٦٥ و ١٦٦ و ١٧٢ و ١٧٣ و ١٧٨،
 ١٨٦ - ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٧، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٩، ١٩٠، ١٩٢،
 ٢١٤، ٢٢٥، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٠٢، ٢٢٤، ٢٣٠ - ٢٣٦، ٢٣٨،
 ٢٤٩، ٣٠٣، ٣١٣، ٣١٤
 حسين فوزى (الدكتور): ٣٧٤
 حمادة الناحل: ٢١١
 حمادة جودة: ١٧٠
 حورس: ٣٥٢

— خ —

خالد (الدكتور): ١٣١، ١٣٢، ٣١٠،
 ٣١٥
 خالد آل سعود: ١٣٥
 خالد محيى الدين: ١٤٠
 خليل ثابت: ٣٥٣
 خليل سر كيس: ٣٤٧

— د —

دف، كاترين: ٢٤٥، ٢٤٦، ٣٢٠
 ديجول (الجنرال): ٣٧٤
 ديل، جون (فيلدمارشال): ٢٣٨،
 ٣١٩

— ر —

راغب حنا: ٢٦٣
 رايدر (الاميرال): ٢٣٥، ٢٥١ -
 ٢٥٣
 رشاد مهنا: ١٤٢
 رشيد رضا — محمد رشيد رضا
 رفاعه رافع الطهطاوى: ٣٣١، ٣٧١
 روزفلت (الرئيس): ٢٣٤، ٢٣٨، ٢٨٥
 روميل (المارشال): ١٤٦، ١٥٩ و

٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥١ - ٢٥٤،
 ٢٩١، ٣٦١
 رؤوف أسعد: ١٣٤
 ريتشى (الجنرال): ٢٣٢، ٢٣٥
 ريبنتروب: ٢٤٤ - ٢٤٦، ٢٤٨،
 ٢٤٩ و ٢٥٠، ٢٥٤، ٣١٤

— ز —

زكريا حنفي: ١٣٣
 زياد الدين طباطبائي: ٣٦٦
 زينب الوكيل: ٢٦٤ - ٢٦٦، ٢٧٢،
 ٢٧٣

— س —

سابا حبشى (بك): ١٧
 سانسوم (الماجور): ٣٣٨
 ستون (الجنرال): ٢١٥
 سراج الدين — فؤاد سراج الدين
 سري عمر بك: ١٨٤
 سعد زغلول: ٢٥٧
 سعودى — أحمد سعودى
 سعيد عبدالمعطى (المحامى): ١٤٣
 سلامة موسى: ٣٤٠، ٣٥١
 سمارت، والتر (السير): ١٧٥
 سيف الاسلام الحسن (الأمير): ١٣٥
 سيف الله يسرى (باشا): ٨١، ٨٢

طه حسين والدكتور: ٣٤٠، ٣٥١

— ش —

شكرى العسلى: ٣٣٤

شكرى القوتلى: ٣٧٤

شوقى — أحمد شوقى

شون (المستر): ١٨٩

شيانو (الكونت): ٢٤٤ - ٢٤٧

٢٤٩، ٢٥١، ٣٢٠، ٣٢١

شيرر، ولیم: ٢٠٨، ٢٥٠، ٣٠٧

٣١٣، ٣١٦، ٣٢١

شيروود، روبرت: ٣١٩

شيك، شانج كاي (الماريشال): ٢٨٥

— ص —

صالح جودت: ٣٣٧

صالح حرب — محمد صالح حرب

صالح على عيسى: ١٧٤، ٣١٣

صبحى وصيده: ٣٧١

صدقى — اسماعيل صدقى

صلاح الدسوقي: ١٣٤

صلاح العقاد (الدكتور): ١٠٥، ١٠٦

٢٥٥، ٣٠٨، ٣١١

صليب سامى (باشا): ١٨١

— ض —

ضياء حسنين: ١٣٤

— ط —

طلعت يوسف: ١٣٤

طه أبوزيد (بك): ٣٠٢

— ع —

عايده (خطة عايدة): ٢٣٤

عباس حلمى (الخديوى): ١٨٤، ٢٠٨

عباس محمود العقاد: ٢٨

عبدالحكيم عابدين: ١٢٩

عبدالحميد البكرى: ٣٣٦، ٣٣٨

عبدالحميد الثانى (السلطان): ٣٣٢

٣٣٣

عبدالحميد بدوى (باشا): ١٢، ١٣

عبدالحميد حافظ (باشا): ٣١٧

عبدالحميد سليمان (باشا): ٣٠٢

عبدالرازق محمود: ٣٥٣

عبدالرحمن الرافعى: ٤٤، ١١٧

١٢٠، ١٢١، ١٢٩، ١٦٧، ٢٠٦

٢٦٨، ٢٨٦، ٢٩٨، ٣٠٣، ٣٠٧

٣٠٩ - ٣١١، ٣١٦، ٣٢١، ٣٢٢

عبدالرحمن شهنذر: ٣٥٨

عبدالرحمن عزام: ١٧ - ١٩، ١٨٧

٣٠٢

عبدالسلام الشريف: ١٥١

عبدالسلام عبدالغفار: ٥٠

عبدالسلام وفا: ١٧٤

عبدالعزيز آل سعود: ٣٥٩، ٣٧٤

عبدالعزيز على: ١٤٢، ١٤٥، ١٥٢

عبدالعزيز على جميع: ٢٩٩

عبدالعزيز فهمى (باشا): ١٥٧، ١٥٨

عبدالعظيم رمضان (الدكتور): ٣٢٣

- عبدالغنى سعيد: ٢٤١
عبدالغنى عابدين: ٣١٠
عبدالفتاح الطويل: ٢٥٨
عبدالفتاح عبدالعزيز: ٢٩٩
عبدالفتاح يحيى «باشا»: ١٣، ١٥، ٢٦٧، ٨١
عبدالقادر حمزه: ٤٨
عبدالقادر رزق: ١٥١
عبدالقوى أحمد «باشا»: ١٨٧، ١٨٨
عبداللطيف البغدادى: ١٤٠، ١٤١
عبد العزيز النديم: ٣٣٣، ٣٣٤
عبدالله بن الحسين «الأمير»: ٣٦٢ - ٣٦٤، ٣٧٤ - ٣٧٦
عبدالمجيد ابراهيم صالح «يك»: ١٠١
عبدالمجيد أحمد حسن: ١٢٨
عبدالمحسن الكاظمى: ٣٣٧
عبدالملاك عودة «الدكتور»: ٣٧٠
عبدالمنعم عبدالرؤوف: ١٥٠، ٢٢٥
عبدالمنعم فوزى: ٣١٢
عبدالواحد الوكيل «الدكتور»: ٢٨٣
عبدالوهاب طلعت «باشا»: ١٨، ٩٦، ١٨٢، ١٨٩، ١٩٢، ٢١٢
عبدالوهاب عزام: ٣٤٩، ٣٧٢
عثمان كمال حداد: ٢٤٩، ٣١١، ٣١٢، ٣٢٠، ٣٢١، ٣٦٠
عدلى يكن «باشا»: ٢٦٧
عزيز المصرى «باشا»: ٣٩، ٥٩ - ٦٢، ١٣٩ - ١٤١، ١٤٣ - ١٥٣، ٢٢٥، ٢٤١، ٣١٧
عزيز فهمى «الدكتور»: ٢١٨
عزيز محمد مصطفى «الرائد»: ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٨، ٣١٩
عطا عفيفى: ١٧٠
علوبة — محمد على علوبة
على أيوب: ٢١١
على عبدالرازق: ٣٤٠، ٣٤٢، ٣٧٢
على ماهر «باشا»: ٩ - ٢٠، ٢٧، ٢٩، ٣١، ٣٤، ٣٧ - ٤١، ٤٩، ٥٦ - ٩٣، ٩٥، ٩٦، ٩٨ - ١٠٠، ١١٤، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٩، ١٤٠، ١٥٤، ١٧٥، ١٧٦، ١٨٢، ١٨٥ - ١٩٠، ١٩٢ - ١٩٧، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٠٩ - ٢١٢، ٢١٤، ٢١٧، ٢٢٥ - ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٦٧، ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣١٦ - ٣١٨، ٣٥٣، ٣٥٨، ٣٧٣
على مبارك: ٣٣١، ٣٧١
عمرطوسون: ٣٥
عيسى البابى الحلبي: ٣١٨
- ف —
- فاروق الملك: ٩، ١٧، ٢٠، ٢١، ٥٨، ٦٠، ٦٨ - ٧٠، ٧٣، ٧٦، ٧٨ - ٨٠، ٨٢ - ٩٣، ٩٦، ١٢٩، ١٣٠، ١٣٤ - ١٣٨، ١٤٨، ١٥٤ - ١٥٦، ١٥٨، ١٥٩، ١٧٥، ١٧٦، ١٨١ - ١٩٠، ١٩٢ - ١٩٧، ٢٠١، ٢٠٣، ٢٠٥ - ٢٠٩، ٢١١، ٢١٢، ٢١٤ - ٢١٨، ٢٦٥، ٢٨٤ - ٢٩٠، ٢٩٦، ٢٩٧

كمال عصمت الشريف: ٣١٨	٣٥٤، ٣١٤
كمال كيره: ٣١٠	فتاح (الاله): ٣٥٢
كوبان، ألفريد: ٢٥٠	فتحى أبو الوفا: ١٣٣
كيرك، جورج: ٥٨، ٥٩، ٦١، ٦٣،	فريد وجدى — محمد فريد وجدى
١٠٧، ١٣٠، ١٦٨، ١٧٥، ١٧٦،	فريدة (الملكة): ٦٩، ١٨٣، ٣١٤
١٨٨، ١٨٩، ٢٠٨، ٢٣٦، ٢٤١،	فكرى أباطه: ١١٧، ١٣٦، ٣٠٣
٢٤٤، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٨٩، ٢٩٠،	فهيمى وبصا: ٢٥٩
٢٩٨، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٨ - ٣١٠،	فؤاد (الملك): ٢٠٦، ٢٩٠، ٣٥٣
٣١٣ - ٣١٦، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٣،	فؤاد أباطه: ٣٥٣
٣٦٤ - ٣٦٦، ٣٧٤، ٣٧٥،	فؤاد حمزه (بك): ٢٠٨، ٣٥٨، ٣٧٣
كيزى (المستر): ٢٣٧، ٢٤٣، ٣٦٢،	فؤاد سراج الدين (باشا): ١٧٤، ٢٥٧
كيسلرنج (الجنرال): ١٧٩، ٢٣٠،	- ٢٦١، ٢٦٣، ٢٦٤، ٢٦٦، ٢٧٣
٣٥٣، ٢٣٥	فؤاد كرم: ٣١٧، ٣٢١
كيلرن (السفير): ٢٨٤، ٢٨٧٢٨٥،	فورمان: ٣١٤
٢٨٨	فيصل (ملك العراق): ٣٤٦
	فيصل آل سعود (الأمير): ١٣٥، ٣٥٤

— ل —

لاكور، وولتر: ٣٧٦
لامبسون، مايلز (السير): ١٠، ١٩،
٢١، ٦٧ - ٩٦، ١١٠، ١١٥، ١٢٢،
١٢٣، ١٨١، ١٨٢، ١٩٢ - ١٩٩،
٢٠١، ٢٠٩، ٢١٣ - ٢١٦، ٢٤٣،
٢٨٩، ٣٠٠، ٣٠٥ - ٣٠٧، ٣٠٩،
٣١٠، ٣١٤ - ٣١٧، ٣٥٦، ٣٦٢،
٣٧٤
لانجر، وليم: ٣٥٠
للتون (السير): ١٦٥
لطفى عثمان: ٣٠٠، ٣٠٤، ٣٠٥،
٣١٣، ٣١٥ - ٣١٨

— ك —

كاترو (الجنرال): ٣٦٢، ٣٧٤
كادوجان، الكسندر (الير): ١٤٨،
٣١١، ٣١٤
كارل، بول: ٣١٨، ٣٢١
كامل سليم: ١٨
كريم ثابت (بك): ١٤٨، ٣١١، ٣١٤
كفاليرو (الجنرال): ٢٣٥
كلايتون (البرجاديير): ٣٦٥، ٣٦٦
كمال الدين رفعت: ١٣٤، ٣١١
كمال حداد: ٣٧٤
كمال حسنين: ١٣٤

- لويد، جورج (اللورد): ٢٠٦
لويس، برنارد: ٣٧٠
ماتزولينى (الكونت): ٢٤٨، ٦٨، ٣٠٤
مارشال (الجنرال): ٢٣٨
مارلو، جون: ٢٩٨، ٣١٠
مجدى حسنين: ١٤٠
محجوب ثابت (الدكتور): ٣١٣، ٣٣٧، ٣٣٤
محرم (الشاعر): ٣٣٣
محمد ابراهيم أبو رواع: ٣٠٧
محمد أبو سالم: ١٤٢
محمد التابعى: ٩٦، ١٥٩، ١٨٥، ٢٠٨، ٢٤٢، ٢٤٣، ٢٥٧، ٢٦٤، ٢٧٢، ٢٨٩، ٢٩١، ٣٠٧، ٣١٢، ٣١٤ - ٣١٩، ٣٢٣
محمد الغنيمى التفتازانى: ٣٣٦، ٣٣٨
محمد أنور السادات: ١٢٧، ١٣٧ - ١٤٨، ١٥٠، ١٥١، ١٧٣، ٢٤١، ٣١٠، ٣١١، ٣١٣، ٣٢٠
محمد أنيس (الدكتور): ١٣٦، ١٤٩، ١٨٣، ١٨٤، ٣١١، ٣١٤
محمد بخيت (الشيخ): ٣٣٦، ٣٣٨
محمد حافظ رمضان: ١١٧، ٢٨٦
محمد حسين هيكل (الدكتور): ٢٩، ٧٦، ٩٨، ٩٩، ١١٣ - ١١٦، ١٢١، ١٢٢، ١٨٠ - ١٨٢، ١٨٦، ١٩٠، ١٩١، ١٩٧، ١٩٩، ٢٠٠، ٢٢١
٢٢٢، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٧٣، ٢٧٦، ٢٧٧، ٢٨١، ٢٨٦، ٢٩٨، ٣٠٢، ٣٠٦، ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٠، ٣١٤، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٩، ٣٢٠، ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٤١، ٣٤٦، ٣٧١، ٣٧٢
محمد خطاب (بك): ٢٢٥
محمد خميس حميده: ١٢٨
محمد خيرى عثمان: ٢٦٥
محمد رشيد رضا: ٣٣٦، ٣٣٨، ٣٤٠
محمد رضا قزوينى: ٣٣٧
محمد رضوان (الصول): ١٤٧
محمد رفعت: ٣٠١، ٣٧٣
محمد زكى عبدالقادر: ٢٠٣، ٣١٦، ٣٤٨، ٣٧٢
محمد شوقى زكى: ١٢٦، ٣١٠
محمد صالح حرب (اللواء): ١٧ - ١٩، ٦٠ - ٦٣
محمد صبرى أبو علم: ٣٦٦
محمد صبيح: ١٩، ١٢٩ - ١٣١، ١٣٣، ١٥١، ٢٢٦، ٢٤٧، ٣٠٢، ٣١٠، ٣٢٠
محمد صلاح الدين (الدكتور): ٣٦٨، ٣٧٢
محمد عبدالرحمن حسين: ١٤٣
محمد عبدالله عنان: ٣٤٩
محمد عزمى (الدكتور): ٣٣٩
محمد على (الأمير): ٦٤، ٧٣، ٨٥، ٨٦، ٨٩، ١٥٥، ١٨٣، ١٨٤، ٢٠٨

- ٣٣١، ٢٣٦، ٢٠٩
 محمد علي الطاهر: ٢٢٦، ٢٢٥
 ٣١٧، ٣١٨، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٦
 محمد علي علوية (باشا): ١٧ - ١٩، ٣٥٠، ٣٥٣
 محمد فريد وجدي: ٢٤٢، ٣٧٠
 محمد فوزي (الدكتور): ٣١٨
 محمد كامل البندراي (باشا): ٩، ٣١، ١٢٦، ١٣٠، ١٨٩، ٢٤٩، ٢٥١، ٣٢٠
 محمد لطفى حسونة: ٣٤٥
 محمد محمد حسين (الدكتور): ٣٣٩، ٣٧١
 محمد محمود (باشا): ٦ - ٨، ٢٨، ٢٩، ٣١، ٣٦، ٣٧، ٥٣، ٧٨، ٨١، ٨٢، ١٢٧، ١٣٥، ١٣٦، ١٩٠، ٢٠٢ - ٢٠٤، ٢٦٧، ٢٦٨، ٣٥٦
 محمد محمود جلال: ٣١٨
 محمد محمود خليل: ١٩٢
 محمد مصطفى صفوت (الدكتور): ٣٠١
 محمد نجيب (اللواء): ١٤٩
 محمد نسيم: ٢٦٧
 محمود أبو الفتوح: ٢٢٠، ٣١٧
 محمود بسيوني: ١٦٧، ٢٨٠
 محمود سليمان غنام: ١٦٧، ١٧١-١٦٩
 محمود شكرى (اللواء): ٥٩
 محمود عبداللطيف: ٣١٠
 محمود عزمى: ٣٤٥ - ٣٤٧، ٣٧٢
 محمود غالب (باشا): ١٧
 محمود فهمى النقراشي (باشا): ١٧، ٢٠، ٢٩، ١٢٨، ١٤٨، ٢٦٥، ٣١٠
 محمود كامل (المحامى): ٣٧٣
 محمود لبيب (الصاغ): ١٢٧، ١٢٨
 محمود لطيف (بك): ١٦٨
 محمود يوسف زايد: ٣٧٠
 مدزيني (المستتر) (محرر جريدة (ها أرتس): ٣٧٢
 مراد غالب: ١٣٤
 مصطفى البابى الحلبي: ٣٧٠
 مصطفى الشوريجي (بك): ١٧، ١٧٤، ١٧٥، ١٨٨ - ١٩٠، ١٩٤، ٢٢٤، ٢٢٧
 مصطفى المراغى (الشيخ): ١٢٠، ١٨٩، ٣١٨
 مصطفى النحاس (باشا): ٦، ٢٢، ٢٣، ٢٩ - ٣٣، ٥١ - ٥٣، ٧٨ - ٨٢، ٩٠ - ٩٤، ١٥٥ - ١٦٠، ١٦٥، ١٧٣، ١٧٤، ١٧٦، ١٨١، ١٨٣، ١٩٥ - ٢٠٢، ٢٠٥ - ٢٠٧، ٢١٣ - ٢٢٨، ٢٣٧، ٢٤١ - ٢٤٣، ٢٥٧ - ٢٨٢، ٢٨٤، ٢٨٦ - ٢٩٨، ٣٠٢، ٣١٢، ٣١٣، ٣١٦ - ٣١٨، ٣٢٣، ٣٥٤ - ٣٥٦، ٣٦٦، ٣٦٩، ٣٧٣، ٣٧٥، ٣٧٦
 مصطفى الوكيل: ٢٥، ٢٦، ١٣٢، ١٣٣
 مصطفى أمين: ١٩٠، ٣٠٩، ٣١٥
 مصطفى عبدالرازق: ٣٣٧، ٣٤٠
 مصطفى كامل: ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٧١
 مصطفى كمال أتاتورك: ٣٤٠

- مصطفى مؤمن: ٣١٥، ٣١٦
مكرم عبيد: ٥، ١١٧، ٢٢٩، ٢٥٧ - ٢٦٩، ٢٧١ - ٢٨١، ٢٨٤، ٢٨٥
٣١٢، ٣١٨، ٣٢١، ٣٥٤، ٣٥٦
٣٥٨، ٣٦٧
مكريدى «الجنرال»: ٣٨، ٧٧، ٣٠٢، ٣٠٣
منصور فهمى «الدكتور»: ٣٤٠، ٣٤١
موريس أرقش: ٣٥٣
موسسولينى: ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٩٩، ٣٢١
موين «اللورد»: ٢٨٧
ميرزا مهدى رفيع مشكى «بك»: ٣٣٧
ميت، فرانك «الأميرال»: ٦٤
ن — ن —
ناجى شوكت: ٣٦٠
نسيم — محمد نسيم
نشأت — حسن نشأت
نوبار: ٣٣٢
نور الدين مصطفى بك: ٣٣٧
نورى السعيد: ٣٦٢ - ٣٦٥، ٣٧٤ - ٣٧٦
نيومان: ١٢٤
ه — ه —
هارود «الأميرال»: ٢٣٣
هاليفاكس «اللورد»: ٧، ٢٠، ٣١، ٥٠، ٥٢، ٦٧، ٦٩ - ٧٤، ٧٧ - ٩٣، ٩٥، ١١٠، ١١٥، ١١٧، ١٢٣، ٣٠٠، ٣٠٥ - ٣٠٧، ٣٠٩، ٣١٠
هامرتون، جون «السير»: ٣٢١
هتلر: ٩٨، ١٥٥، ١٧٧، ١٧٨، ١٨٣، ١٨٤، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٤٤، ٢٤٥
٢٤٨ - ٢٥٤، ٣٢١
هدى شعراوى: ٣٥
هرقل (خطة هرقل): ٢٣٤
هندرسن: ٢٠٥، ٢٩٠
هويكنز، هارى: ٢٣٨
هولمز «الجنرال»: ٢٣٩
هيرت «الجنرال»: ٦٠
هيكل — محمد حسين هيكل
و — و —
واصف بطرس غالى: ٣٥٥
وجيه أباطه: ١٤٠ - ١٤٣
وسيم خالد: ١٣٤، ٣١١
ولسن «اللورد»: ١٦، ٣٨، ٥٧، ٥٩ - ٦١، ٦٤، ٦٥، ٦٧، ١٣٨، ٣٠٣ - ٣١١، ٣٠٥
ولسن، ميتلاند «الجنرال»: ٢٤٠
وهيب دوس «يك»: ٥٠، ٥١
ويفل «الجنرال»: ٧٨، ٨٣، ١٠١، ١٦٦، ١٧٧، ١٨٩
ي — ي —
يحيى «الملك»: ٣٥٩
يعقوب «الجنرال»: ٣٣١، ٣٧٠
يوسف الجندى: ١٦٣، ١٦٤، ٢٩٩، ٣٠٣، ٣١٢
يوسف النحاس «الدكتور»: ٣٠٣، ٣١٢
يوسف ذو الغفار «باشا»: ١٥٥، ١٨٣
٤٠٨

٢ - كشف الهيئات

- ١ -

الاتحاد العربى: ٣٥٣، ٣٥٤، ٣٧٣	- ت -
الإدارة العثمانية: ٣٣٢	التنظيم السرى للاخوان: ١٢٨
الإدارة المصرية: ٣٣٤	
الأزهر: ٣١٨، ١٨٩	- ج -
الأسطول البريطانى: ١٧٧، ١٤٩	جامع الأزهر: ١٣٥
الأمم المتحدة: ٢٩٧	جامع قوصون: ١٣٥
	الجامعة الاسلامية: ٣٢٩، ٣٣٣، ٣٣٥، ٣٣٦، ٣٣٩، ٣٥١
الباناريزم — الجامعة العربية	جامعة أكسفورد: ٣٢٠
البحرية البريطانية: ١١	جامعة باريس: ٣١٨
البرلمان: ١١ - ١٣، ١٥، ٢٠، ٣٤، ٤٩، ٥٥، ٥٨، ٦٦، ٦٨، ٧١، ٧٣ -	جامعة الدول العربية: ٢٩٧، ٣٢٥، ٣٢٦، ٣٣٤، ٣٥٨، ٣٥٩، ٣٦٣، ٣٦٦، ٣٦٨، ٣٦٩، ٣٧٥
٩٣، ٨٨، ٧٦ - ٩٥، ١١١، ١١٨، ١٢٠، ١٢٦، ١٢٩، ١٥٦، ١٦٧، ١٧٢، ١٨٨، ٢٠٣، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٥، ٢٢٦، ٢٤٢، ٢٥٧، ٢٦٣، ٢٧٨، ٢٨٠، ٢٨١، ٢٩٠، ٣٠٩، ١٢١	جامعة فؤاد: ٣٥٣
البعثات الالمانية فى تركيا: ٦٠	الجمارك: ١٦٩، ١٧٠
البعثة العسكرية البريطانية: ٣٧ - ٣٩، ٣٠٣، ٣٠٢، ٦١	جماعة الاخوان المسلمين: ٢١، ٢٤، ٢٦، ٢٧، ٣٤، ١٢٦ - ١٣٠، ١٣٢، ١٤٠، ١٤٣ - ١٤٦، ١٥١، ١٥٢، ١٨٩، ٣٥٢، ٥٦٠
بنك درسندر: ١٨٨	جماعة الكيلانى: ١٥٣
البوليس المصرى: ٢٨٨، ٢٨٩	جماعة حسين توفيق: ١٣٤
	جماعة الرابطة الشرقية: ٣٧١، ٣٧٢

حزب الأحرار الدستوريين: ١٣، ٢٨،
٢٩، ٥٠، ٨١، ٨٢، ١١٧، ١١٨،
١٢٩، ١٥٨، ١٥٩، ١٨٧، ١٩٤،
١٩٥، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢١، ٢٢٤،
٣٠٩، ٣٦٢

حزب تودة: ٣٦٦

حزب السعديين: ٧، ١٣، ١٧، ١٨،
٢٨، ٢٩، ٥٠، ٨١، ٩٧، ١٠١،
١٠٢، ١١١، ١١٣ - ١١٩، ١٢٥،
١٢٩، ١٥٨، ١٥٩، ١٩٥، ٢٠٣،
٢٠٤، ٢٢٤، ٢٢٥

حزب الشعب: ٣٠٢

الحزب الشيوعي المصري: ٢٨٣

حزب المستقلين: ١٧، ١٨، ٩٧،
١٥٩، ٢٠٣، ٢٠٤، ٢٢٤، ٢٢٥،
٣٦٢

حزب مصر الفتاة: ٧، ٢١، ٢٤ -
٢٧، ٣٤، ١٢٦، ١٢٧، ١٢٩ - ١٣٣،
١٥١، ١٥٢، ١٨٩، ٢٢٦، ٣٥١،
٣٥٢، ٣٦٠

الحزب الوطني: ١١٩، ١٤٢، ١٥٢،
٢٨٦، ٣٣١

الحزب الوطني الاسلامي: ١٣١

حزب الوفد: ٥، ٧، ١٢، ١٣، ٢١،
٢٢، ٢٩ - ٣٣، ٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٧،
٥٣، ٥٥، ٥٩، ٧٨، ٧٩، ٨١، ٨٩ -

جماعة عبدالعزيز علي: ١٥٢

جماعة علي ماهر: ١٢٦

جماعة كمال الدين رفعت: ١٣٤

جمعية الرابطة الشرقية: ٣٣٦ - ٣٤٠

جمعية الكشف: ١٢٦، ١٢٧، ٣١٠

جواله الاخوان المسلمين: ١٢٧،
١٢٨، ٣١٠

الجيش الألماني: ٦١

الجيش الايطالي: ٥٧، ١١٣

الجيش البريطاني: ٣٥، ٣٦، ٣٨ -

٤٠، ٥٦، ٥٨، ٦١، ٦٥، ٧٠، ١٠١،

١٦٨، ٢٣٤، ٢٣٥، ٢٣٨

الجيش الثامن: ٢٣٤

الجيش الخامس: ١٠١

الجيش العاشر: ١٠١

الجيش العراقي: ١٣٣

الجيش المصري: ٣٤ - ٤٠، ٤٦، ٥٧،

٥٩، ٦٠، ٧٢، ٧٥، ٧٧، ٨٠، ١٠٥ -

١٠٧، ١٠٩، ١١٥، ١٢٢، ١٤٠،

٢٣٩، ٢٨٨

الجيش الفرنسية: ٦١

- ح -

حزب الاتحاد الشعبي: ٢٨، ٣٠٢

حزب الاتحاد والترقي: ٣٣٢

- ٩٣ - ٩٦ ، ١٠٠ ، ١٠٦ ، ١٠٨ ،
١١٥ ، ١١٧ ، ١٢٥ ، ١٣٠ ، ١٣٨ ،
١٥٤ - ١٥٨ ، ١٦٠ ، ١٦٣ ، ١٦٥ ،
١٧٢ - ١٧٧ ، ١٧٩ ، ١٨٠ ، ١٩٣ ،
١٩٦ ، ٢٠٤ - ٢٠٧ ، ٢١٢ ، ٢١٣ ،
٢١٨ - ٢٢٣ ، ٢٢٨ ، ٢٤٠ ، ٢٥٧ -
٢٦٠ ، ٢٦٢ - ٢٦٩ ، ٢٧٢ -
٢٧٤ ، ٢٧٧ ، ٢٩١ ، ٢٩٣ ، ٢٩٧ ،
٣٠٣ ، ٣٠٩ ، ٣٥٤ ، ٣٦٧
- حكومة الاتحاد السويسري: ٢٠٨
- حكومة احمد ماهر: ٢٧٣
- حكومة الكيلاني: ٣٦١ ، ٥٤
- حكومة النحاس: ٢٧٢ ، ٢٥٧
- الحكومة الأمريكية: ١٦٧
- الحكومة الانجليزية: ٦ - ٨ ، ١٢ ،
١٦ ، ٢٠ ، ٢١ ، ٣٦ ، ٣٧ ، ٤٤ ، ٤٥ ،
٤٨ ، ٥١ - ٥٣ ، ٥٨ ، ٦٧ ، ٧٤ ، ٨٤ ،
٨٩ ، ٩٢ ، ٩٣ ، ١٠٢ ، ١٢٢ ، ١٦١ ،
١٦٧ ، ١٦٩ ، ٢٠٨ ، ٢١٩ ، ٢٢٣ ،
٢٢٩ ، ٢٣٣ ، ٢٨٦ - ٢٨٨ ، ٢٩٢ -
٢٩٤ ، ٢٩٦ ، ٢٩٩ ، ٣٠١ ، ٣٠٣ ،
٣١٩ ، ٣٥٥ ، ٣٥٨ ، ٣٦٢ ، ٣٦٣ ،
٣٦٨
- الحكومة الايرانية: ١٦٧
- الحكومة الايطالية: ٣٠١ ، ١٠٣
- حكومة تركيا: ٢٠٨
- حكومة سنة ١٩٣٠: ٢٥٨
- حكومة سنة ١٩٣٦: ٢٥٨
- حكومة السودان: ٢٩٣ - ٢٩٥
- الحكومة العربية السعودية: ٣٧٥
- حكومة علي ماهر: ١٦ ، ١٩ ، ٥٦ ،
٦٧ ، ٧٨ ، ٨٧ ، ١٠٠ ، ١٢٠ ، ١٢٦ ،
١٥٤ ، ٢٠٣
- الحكومة الفرنسية: ١٥٠
- حكومة فيشي: ١٨٠ ، ١٩٢ ، ٢٠٨ ،
٢٥٠ ، ٢٥١
- حكومة محمد محمود: ٦ ، ١٣٥ ،
١٣٦ ، ٢٠٣ ، ٢٠٤ ، ٣٥٦
- الحكومة المصرية: ٦ ، ٨ ، ١٣ ، ١٦ ،
١٨ ، ٢٧ ، ٣٦ ، ٤٦ ، ٤٧ ، ٤٩ - ٥١ ،
٥٥ ، ٦٠ ، ٦١ ، ٦٥ - ٦٧ ، ٦٩ - ٧٧ ،
٨٤ ، ٩١ ، ١٠٢ ، ١٠٧ ، ١٢٣ ، ١٤٠ ،
١٦١ ، ١٦٢ ، ١٦٤ ، ١٦٥ ، ١٦٧ -
١٦٩ ، ١٧١ ، ١٧٢ ، ٢١٩ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ ، ٢٣٦ ، ٢٤٠ ، ٢٤٢ ، ٢٤٧ ،
٢٥٧ ، ٢٦٣ ، ٢٧٩ ، ٢٨١ ، ٢٩٣ ،
٢٩٨ ، ٣٣٧ ، ٣٣٥ ، ٣٦٧
- حكومة الوفد: ٥ ، ٣٤ ، ٣٥ ، ٨٠ ، ٨١ ،
٨٩ ، ٩٠ ، ١٣٣ ، ١٣٥ ، ١٩٧ ، ١٩٨ ،
٢٠٤ ، ٢١٤ ، ٢٢٣ - ٢٢٦ ، ٢٢٨ ،
٢٢٩ ، ٢٤١ ، ٢٥٩ ، ٢٦٦ - ٢٦٩ ،
٢٧٦ ، ٢٨٣ ، ٢٨٥ - ٢٨٧ ، ٢٩١

٢٩٢، ٢٩٤ - ٢٩٦، ٣٦٨

- خ -

خزان أسوان: ١١٤، ٢٣٦

- د -

دار الطليعة: ٣٧٠

دار العلم للملايين: ٣٧٠

دار القاهرة للطباعة: ٣٠٠

دار المعارف: ٣١٢

دار النهضة العربية: ٣٧٠

دار النيل للطباعة: ٣٠٠، ٣٠٣، ٣١٥

الدولة العثمانية: ٣٣١ - ٣٣٣

ديوان المحاسبة: ٢٨٤

الديوان الملكي: ١٧، ٩٦، ٢٧٥

- ر -

رئاسة الجمهورية: ٣٠٤

- س -

سجن الأجانب: ٣١٠

سراى الشناوى (بك): ٣٠٨

السفارة البريطانية: ١٣، ١٩، ٧٣،

٨٢، ٨٤، ٩٦، ١٧٥، ١٧٧، ١٩٤،

١٩٦، ٢٠٧، ٢٠٩، ٢١٦، ٢٨٥،

٢٨٧، ٢٨٩

السفارة المصرية بباريس: ٢٤٩

السفارة المصرية بطهران: ١٨٣

سلاح الاشارة: ١٤٣

سلاح الاشارة: ١٤٣

سلاح الطيران: ١٤١

السلطات الألمانية: ٣٥٩

السلطات البريطانية العسكرية: ١٠،

١١، ١٦، ٤٠، ٤٨، ٥٩ - ٦٤،

١٢٨، ١٢٩، ١٤٠، ١٦٥، ١٦٧ -

١٧١، ١٧٦، ١٧٩، ١٨٧، ٢٢٧،

٢٢٩، ٢٣٦، ٢٢٤، ٢٤٣، ٢٨٧،

٢٨٩

السلطات المصرية العسكرية: ٦٢،

٢٧٧، ٩٧، ١٤٧

السلطة القضائية: ٢٨٠

- ش -

شركة قناة السويس: ٢٤٤

شركة مصر الجديدة: ٢٧٩

- ض -

الضباط الأحرار: ١٣٤، ١٣٧، ١٤١،

- ١٤٤، ١٤٦، ١٤٧

- ع -

عصبة الأمم: ٢٢، ٣٥٥

- ف -

فرق القمصان الخضراء: ١٢٧
فرق القمصان الزرقاء: ١٢٧
الفرقة الرابعة الهندية: ١٠١
الفرقة السابعة المدرعة: ١٠١
فريق الرحلات: ١٢٦

- ق -

قصر عابدين: ١٩٩، ٢١٢، ٢٢٢،
٢٧٦

قصر القبة: ٣٠١، ٣٠٤

قصر وندسور: ٢٠٩

قلم المخابرات البريطانية بسويسرا:
٢٠٨

القنصليات الإيطالية: ٧٢

القوات الألمانية: ١١٠، ١٦٦، ١٧٧

القوات الإيطالية: ٧٤، ١٠٠، ١٠١،

١١٠، ١١١، ١١٤، ١٢٠، ١٦٦،

١٧٧

القوات البريطانية: ٦، ٩، ١٨، ٢٩،

٤٤ - ٤٦، ٦١، ٦٩، ٧٢، ١٠١،

١٠٦، ١٠٩ - ١١١، ١٢٢، ١٣٩،

١٤٠، ١٤٩، ١٦٦، ١٦٧، ١٦٩،

١٧١، ١٨٤، ١٩٨، ٢٢٣، ٢٣١،

٢٣٢، ٢٣٦، ٢٣٧

قوات روميل: ١٧٨

قوات الشرق الأوسط: ٩١، ١٢٣،
١٩٤

قوات فرنسا الحرة: ٣٦١

القوات المصرية: ١٨، ٦١، ٧٦، ٨٦،

٩٨ - ١٠٠، ١١٣، ١١٥

القيادة الألمانية العليا: ١٣١

القيادة البريطانية العليا: ٦٠، ١٢٢،

٢٣٢، ٢٣٩

- ك -

الكتلة الوفدية: ٢٧٦

الكشافة: ١٢٦

كلية الآداب: ١٤٣، ٣٧٠

الكلية الحربية: ١٣٧

كلية الحقوق بجامعة باريس: ٣٤٨

كلية المعلمين ببغداد: ١٣٣

- ل -

لجنة الأحكام العرفية: ٢٩٩

اللجنة الأفريقية: ٣٣٨، ٣٣٩

اللجنة التحضيرية للمؤتمر العربي:

٢٨٩

لجنة التحقيق الدولية: ٣٥٠

اللجنة التركية: ٣٣٨

مجلس الأمن: ١٤٨، ٣١١	اللجنة التنفيذية لمؤتمر الشباب
مجلس البلاط بقصر عابدين: ٣١١	الجامعى والمدارس العليا: ٣٥٣
مجلس الحرب: ١٩٨	لجنة الدفاع عن الشرق الاوسط:
مجلس الدفاع الأعلى: ٣٧	٢٨٧
مجلس الشيوخ: ١٢، ٤٨، ٥٢، ٦٠،	لجنة الدفاع عن فلسطين: ٢٥٣
١٧٤، ١٦٧، ١٦٥، ١٦٣، ١١٢، ٦٥	لجنة الشراء البريطانية: ٣٥٣، ٣٥٥
١٨٧، ١٩٩، ٢٢٤ - ٢٢٦، ٢٩٨،	لجنة الشرق الاوسط: ٣٣٨
٣٠٣، ٣٠٥، ٣١٠، ٣١٢، ٣١٣،	اللجنة العربية: ٣٣٨، ٣٣٩
٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٥٥، ٣٦٦،	اللجنة الفارسية: ٣٣٨
٣٧٦	اللجنة المالية: ٢٦٥، ٢٦٦، ٢٧٠،
مجلس العموم: ٣٦٣	٢٧١
مجلس المبعوثان باستامبول: ٣٣٤	اللجنة المركزية: ٣٣٨، ٣٣٩
مجلس النواب: ٢٢، ٢٨، ٣٦، ٦٤،	اللجنة الهندية: ٣٣٨
٨٦، ١٠١، ١١١، ١١٢، ١١٩، ١٢١،	
١٥٦، ١٥٧، ١٥٨، ١٦٨، ١٦٩،	
١٧١، ١٨٧، ١٩٣، ١٩٧، ١٩٩،	
٢٠٣، ٢٢٠، ٢٢١، ٢٢٣، ٢٢٤،	
٢٢٩، ٢٥٧، ٢٦٦، ٢٦٨، ٢٧٨،	
٢٨٠، ٢٨٢، ٢٨٨، ٢٩٣، ٢٩٨،	
٣٠١، ٣٠٤، ٣٠٥، ٣٠٧، ٣٠٨،	
٣١٣، ٣١٥، ٣١٧، ٣١٨، ٣٢٢،	
٣٢٣، ٣٧٣	
مجلس الوزراء: ١٧، ١٨، ٢٠، ٢٩،	
٧١، ١١٣، ١١٨، ١٨٠، ٢٤٢، ٢٦٢،	
٢٦٦، ٢٧٠، ٢٧١، ٣٢٢	
مجلس الوصاية: ٢٠٩	
	اللجنة المركزية: ٣٣٨، ٣٣٩
	مجلس إدارة جمعية الرابطة الشرقية:
	١٧٠
	المجلس الاستشارى الأعلى للزراعة:
	٣١٨
	المجلس الاستشارى لشمال السودان:
	٢٩٣ - ٢٩٥
	المجلس الأعلى للجوالة: ١٢٧

- محطة المأظلة: ١٤٧
 مكتبة القاهرة الحديثة: ٣٧٤
 محكمة الشعب: ٣١٠
 مكتبة النهضة: ٣١٦
 المحكمة العسكرية: ٣١٧
 منظمة التحرير الفلسطينية: ٣٧٤
 محكمة التقض والابرار: ٢٧٩
 - ن -
 المخابرات البريطانية: ١٨٨
 نادي الاتحاد العربي: ٣٧٣
 مخبرات القصر: ٢٤٣
 النادي السعدي: ٢٦٠، ٢٦٢، ٣٠٨
 مركز وثائق وتاريخ مصر المعاصر:
 نادي ضباط الجيش: ١٣٨
 ٣٢١، ٢٥٧
 نادي محمد علي: ٣٠٨
 مسألة توليد الكهرباء من خزان
 نقابات العمال: ٢٨٣
 أسوان: ٢٧٤
 النقابة الزراعية المصرية العامة:
 ٣٠٣
 مطابع دار الكتب المصرية: ٣٢١
 نقابة الصحافة المصرية: ٣٤٧
 مطابع رمسيس: ٣٠١
 نقابة المحامين: ٢٧٩
 مطابع الخطاطية: ١٤٩
 النيابة العمومية: ٦٢، ٢٨٠
 مطبعة الآداب: ٣٧١
 - ج -
 مطبعة الأميرية: ٣٢١
 مطبعة الشعب: ٣١١
 هيئة أركان حرب الجيش: ٥٩، ٦٠،
 ١٣٩
 معتقل الزيتون: ١٢٩
 هيئة أركان حرب الولايات المتحدة:
 ٣١٩
 المعسكرات البريطانية: ١٦٥ - ١٦٧
 معهد الدراسات العربية العالية: ٣٠٨
 الهيئة السياسية الوفدية: ٢٦٣
 المفوضية الإيطالية: ٧٢، ٨٤، ٨٧،
 ٩١
 هيئة المفاوضة في معاهدة ١٩٣٦:
 ١٩٩
 المفوضية البلغارية: ١٨٣
 الهيئة النيابية الثامنة: ٣١٧، ٣٢٣
 مكتبة الانجلو المصرية: ٢٩٩، ٣١٨
 الهيئة النيابية السابعة: ٣٠٤، ٣٠٥
 المكتبة المصرية: ٣١١

الهيئة النيابية السادسة: ٣٢٢

الهيئة الوفدية البرلمانية: ٤٥، ٤٧،

٢٥٩، ٢٦٠، ٢٦٢، ٢٦٣

وزارة الزراعة: ١٦١، ١٦٨، ١٧٠

وزارة حسين سرى باشا: ١٧٣،

١٧٦، ١٨٠ - ١٨٢، ١٩٤، ٢٠٤

وزارة الشؤون الاجتماعية: ١٢٦،

٢٦٢

- ج -

وزارة ٤ فبراير سنة ١٩٤٢: ٢١٨،

٢٥٨

وزارة العدل: ٢٩٨

وزارة القصر: ١٠٠

وزارة نوبار: ٣٣٢

وزارة الوقاية: ٢٦٢

وزارة الأشغال: ٣٤٧

وزارة الانقلاب: ٢٦٨

وزارة التموين: ٢٦٢

وزارة التموين البريطانية: ٤٤

وزارة الحرب: ٢٣٢

وزارة الحربية: ٣٥ - ٣٧، ٣٠٢

وزارة حسن صبرى: ٩٨، ١٠١،

٢٠٤

وزارة الخارجية الألمانية: ١٨٣،

١٨٤، ٢٠٨، ٢٤٩ - ٢٥١، ٢٥٤

وزارة الخارجية الأمريكية: ٢٥٠

وزارة الخارجية البريطانية: ٢٠، ٦٧،

٨٢، ٨٩، ٩٦، ١٩٦، ٢٠٩، ٢١٣ -

٢١٥، ٣١٦

وزارة الخارجية السعودية: ٣٥٨

وزارة الخارجية المصرية: ٦٦،

١٨٤، ٣١٤، ٣٦٨

وزارة الداخلية: ٢٥٨، ٢٦٥، ٢٧٠،

٢٧١

٣ - كشف البلاد والأماكن

- ١ -

٢٦، ٢٩، ٣٤، ٣٨، ٤١، ٤٢، ٥٣،

٥٥، ٦٠، ٦٧، ٧٥، ١٠٣، ١٠٤،

١٤٧ - ١٤٩، ١٦٧، ١٧٧، ١٨٤،

٢٠٨، ٢٣٨، ٢٤٥، ٢٤٩ - ٢٥٢،

٢٥٥، ٢٩٦، ٣١٤، ٣٥٩،

إمبابة: ٢٤١

أمريكا — الولايات المتحدة

انجلترا: ٩ - ١١، ١٤ - ١٦، ١٨،

٢٢ - ٢٩، ٣٣، ٣٦ - ٣٨، ٤١ -

٤٤، ٤٧ - ٥٠، ٥٥ - ٥٧، ٦٨، ٧٤،

٧٥، ٨٤، ٨٥، ٨٨، ٩٠، ٩٢، ١٠٣ -

١١٠، ١١٤، ١١٧، ١٢٠، ١٢١،

١٣١، ١٦١، ١٦٣ - ١٦٥، ١٦٧،

١٧٤، ٢٢٤، ٢٣٧، ٢٤٦، ٢٤٧،

٢٤٩ - ٢٥١، ٢٩٥، ٢٩٦، ٣٠٠،

٣٠١، ٣٠٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٥٥،

٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٠، ٣٦٤، ٣٧٦،

أنقرة: ٢٠٨

أوغندا: ١٠٧

إيران: ٢٩، ١٧٧، ١٨٤، ٢٤٠،

٣١٤، ٣٣٨، ٣٤٥، ٣٦٦،

إيطاليا: ٢٢ - ٢٤، ٢٦، ٣٠، ٤٢،

٥٥ - ٥٨، ٦٥ - ٧١، ٧٣ - ٧٥،

تطور الحركة الوطنية جاء

الآستانة: ٣٠١

أبو قير: ٦

الاتحاد السوفيتي: ١٧٧، ٢٣٨، ٢٥٢،

٢٥٥، ٣٧٦،

الأردن: ٣٥٨، ٣٦٢، ٣٦٤ -

أريتريا: ١٠٧، ٢٢٤،

أذربيجان: ٣١٤

إستانبول: ٢٠٨، ٣٣٤،

الإسكندرية: ٦، ١٠، ٣١، ٣٢، ٣٩،

٤٠، ٦٤، ٧٩، ٨٢، ١٢٧، ١٣٨،

١٦٥ - ١٦٩، ١٧٨، ١٨٧، ٢٣٣،

٢٣٩، ٢٤٠، ٢٤٢، ٢٤٨، ٢٥٤،

٢٧٤، ٢٨٩، ٢٩٧، ٢٩٩، ٣٠٨،

٣٦٩

أسوان: ١١٤، ٢٣٦، ٢٩٥،

أسوج: ٤٢

أسيوط: ١٣٢

أفغانستان: ٢٩، ٣٣٨،

ألماظة: ١٤٧

ألمانيا: ٩ - ١١، ١٦، ١٨، ٢٠، ٢٣،

٧٧، ٩٢، ١٠١، ١٠٣، ١٠٧، ١٠٩، ١٨٩، ٢٢٨، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٤،
 ١١٢، ١١٤، ١١٩ - ١٢١، ١٢٨، ٢٤٥، ٢٤٩، ٢٥٢، ٢٥٣، ٢٨٨،
 ١٣٩، ١٦٧، ٢٣٥، ٢٤٤ - ٢٤٩، ٢٩٢، ٢٩٤، ٢٩٦، ٢٩٨، ٣٠١،
 ٢٥١، ٢٥٢، ٢٥٤، ٢٥٥، ٣٠١، ٣٦٠، ٣٥٩، ٣٠٤

البصرة: ١٦٣، ٢٣٨

بغداد: ١٣٣، ٣٥٤، ٣٥٧، ٣٦٠،
 ٣٦٣، ٣٧٣

بلجيكا: ٤٠، ٥٦، ٥٧، ٢٥٥، ٢٩٩

بلغاريا: ١٨٤

بلوخستان: ٣٣٨

بنى غازى: ١٧٩، ١٩٢، ٢٢٤، ٢٣٠

بورسودان: ٦٤

بولندا: ١٠، ٢٥٥

بيت المغرب: ١٤٢

بيرحكيم: ٢٣٠ - ٢٣٢

بيرل هاربر: ١٧٧، ٣١٩

بيروت: ١٤٩، ٣٣٤، ٣٥٤، ٣٦٠

٣٧٠، ٣٧٢، ٣٧٣، ٣٧٦

- ت -

تركيا: ٢٩، ٤٢، ٤٣، ٥٠، ٦٠

٢٠٨، ٣٣٢، ٣٣٣، ٣٣٨، ٣٧٠

تشيكوسلوفاكيا: ٨، ٢٥٥

تونس: ٢٤٥

- ج -

- ب -

باريس: ١٠١، ٢٤٩، ٣٤٨

البحر الأبيض المتوسط: ٤٩، ٦١

٦٩، ٩٨، ١٧٨، ٢٣١، ٢٣٩، ٢٤٦

٢٤٨، ٢٥٣، ٢٥٤، ٣٠١، ٣٦٤

البحر الشمالى: ٤٩، ١٧٧

البحيرة: ٢٣٦، ٣٠٨، ٣٥١

بحيرة البرلس: ١٤٩

برقة: ١٠١، ١٧٥، ١٧٨، ١٧٩

١٨٤، ١٩٣، ٢٢٤، ٢٣٠، ٢٥٣

برلين: ٢٤٤، ٢٤٩، ٢٥٥، ٣٦٠

برن: ٢٠٨

بروكسل: ٣٥٨، ٣٧٢

بريطانيا: ٧، ٨، ١٤، ١٦، ٣٠، ٣١

٣٣، ٣٥، ٣٩ - ٤٢، ٤٥ - ٤٩

٥١، ٥٢، ٥٤، ٥٦ - ٥٩، ٦٧، ٧٠

٧٥، ٧٨، ٩٨، ١٠٠، ١٠٦، ١٠٨

١٠٩، ١١١، ١٢٤، ١٢٥، ١٣٠

١٣١، ١٣٦، ١٣٨، ١٤٦، ١٦٠

١٦٢ - ١٦٤، ١٦٨، ١٧٤، ١٧٧

جاردن سیتی: ۲۷۹

جبال الأورال: ۱۷۷

جبل رزه: ۱۵۰

جدار البراق: ۳۵۰، ۳۴۹

الجزائر: ۲۴۵

الجزر البريطانية: ۱۳۲

جزيرة سيشل: ۱۷۷

جسر الفرسان: ۲۳۲، ۲۳۱

جغوب (واحة): ۲۴۴

جنوب افريقيا: ۲۸۹، ۲۳۹

الجيزة: ۱۳۲

- ح -

الحبشة: ۲۲۴، ۱۰۷، ۱۰۳، ۶۸

۲۴۴، ۳۳۸، ۳۴۶، ۳۶۰

الحجاز: ۳۷۱، ۳۴۶

الحفاية: ۱۶۶

الحلمية: ۶

حلوان: ۶

- خ -

خط البراجيل: ۲۴۱

الخطاطبة: ۱۴۹

خليج العقبة: ۳۶۴

الخليج الفارسي: ۳۵۲، ۲۵۳

- د -

الدلتا: ۲۳۹ - ۲۳۶، ۲۱۲، ۱۸۵

۲۹۱

دمشق: ۳۷۵، ۳۶۰، ۳۵۴، ۳۳۴

- ر -

رأس البر: ۲۷۳، ۱۷۴، ۱۶۵، ۱۵۹

۳۱۲، ۲۷۵

روسيا: ۲۲۴، ۱۸۴، ۱۷۸، ۲۸

روض الفرج: ۱۶۹

روما: ۳۴۳، ۲۴۹، ۸۴، ۷۳، ۷۱

رومانيا: ۵۰، ۴۳

- ز -

الزقازيق: ۳۰۸

- س -

ستالجراد: ۲۹۷

السعودية: ۳۵۸، ۳۵۷، ۳۵۴، ۲۰۸

السلوم: ۱۰۱، ۹۹، ۹۸، ۷۶، ۷۴

۱۱۳، ۱۳۹، ۱۶۶، ۲۵۲، ۲۲۴

۳۶۱، ۳۰۶

سمنود: ۱۵۶

سنغافورة: ۲۳۸، ۱۷۷

السودان: ۶۴، ۶۳، ۵۵، ۴۶، ۲۵

۱۰۷، ۱۱۰، ۱۳۸، ۱۳۹، ۲۰۵

۲۴۴ - ۲۴۶، ۲۵۴، ۲۸۵، ۲۹۲

۲۹۵، ۳۰۱، ۳۰۹، ۳۲۳، ۳۳۸

۳۶۲، ۳۳۹

سوريا: ۲۳۸، ۱۷۷، ۱۳۸، ۳۲، ۲۵

۲۵۴، ۳۳۴، ۳۳۸، ۳۴۸، ۳۵۴

۳۷۴، ۳۶۳ - ۳۶۱، ۳۵۹، ۳۵۸

السويس: ۲۵۳، ۲۴۹، ۲۳۳، ۶۴، ۸

۲۸۵

سويسرا: ۲۹۹، ۲۰۸، ۱۲۱، ۴۲

- سيام: ٣٣٨
السيدة زينب: ١٤٣
سیدی برانی: ١١٣، ١٢٣
سیدی رزق: ١٧٨، ٢٣١
سیدی عمر: ٧٤
سيناء: ٣٥٦
سيوه: ٦٠، ١١٥، ١٤٧، ٣٠٤
شارع الأزهر: ١٨٩
شاطئ الاطلنطى: ١٧٧
الشام: ١١٠، ٣٣٤، ٣٣٥، ٣٤٦، ٣٤٨
شبه الجزيرة العربية: ١١٠، ٣٢٧ - ٣٧٥
٣٤٥، ٣٢٩
شتورة: ٣٥٤
الشرقية: ٣٥١
- ص -
الصحراء الغربية: ٣٩، ٦٤، ٩٨، ١٢٢ - ١٢٤، ١٧٧، ٢٣٦، ٢٤٩
الصومال: ١٠٧، ٣٦٠
الصومال البريطاني: ٣٠١
الصومال الفرنسى: ٢٤٥
صيدا: ٣١١
الصين: ٢٨، ٣٣٨، ٣٣٩
- ط -
الطائف: ٣٥٧
طبرق: ١٦٦، ٢٣٠ - ٢٣٤، ٢٥٣
طرابلس: ١٠١، ١٠٧، ١٧٩، ٢٣٥ - ٢٤٩، ٢٤٧، ٢٤٥، ١٨١، ١٣١ -
٢٤٩
- ٢٤٤
طنطا: ١٣٨، ٣٠٨
طهران: ١٥٥، ١٥٩، ١٨٣، ٣١٤
- ع -
عابدين: ٩٤، ١٥٤، ١٩٦ - ١٩٩، ٢١٢، ٢١٣، ٢١٥، ٢٢١، ٢٢٢، ٢٧٦
العباسية: ٦
العراق: ٢٩، ٥٣، ٥٤، ١١٠، ١٣٣، ١٥١، ١٥٣، ١٦٣، ١٧٧، ١٨٤، ١٨٩، ٢٤٠، ٢٥٤، ٣١٤، ٣٣٨، ٣٤٦، ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٣، ٣٦٤
عصم: ٢٣١
العقيلة: ١٧٨، ١٧٩
عكا: ٣٥٤
العلمين: ٥، ٦٠، ٦١، ١٤٥، ٢٣٠، ٢٣٦، ٢٣٧، ٢٣٩، ٢٩٧، ٣١٠، ٣٦٢
عمان: ٣٥٤، ٣٦٣
- غ -
الغزالة: ٢٣٠ - ٢٣٢
- ج -
فرنسا: ٢٥، ٢٨، ٣٢، ٣٧، ٣٨، ٥٧، ٧٦، ٧٩، ٨٣، ١٠١، ١٠٩، ١١٠، ١٣١، ١٨١، ٢٤٥، ٢٤٧، ٢٤٩ -
٢٤٩

٢٥١، ٢٥٥، ٢٩٩، ٣٥٤، ٣٥٨ ١٢٢، ٢٣٣، ٢٣٨، ٢٤٥ - ٢٤٧،

فلسطين: ١٧، ١٩، ٢٥، ٣١، ٣٢، ٢٥٣، ٢٩١، ٣٠١،

٥٦، ١٧٠، ٢٥٤، ٣٤٨ - ٣٥٠، القوقاز: ١٧٧،

٣٥٢ - ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٦٧، كاسل: ٣١٩،

٣٧٣ كركوك: ٣١٤،

فيشي: ١٩٢، ٢٠٨، ٢٥٠، ٢٥١، كريت: ١٧٧، ٢٥٣، ٢٥٥،

الفيوم: ٣٥١، كفر عشنا: ٩٤، ٩٦،

كوبرى القبة: ١٤١، كورسيكا: ٢٤٥،

كينيا: ٣٠١،

- ل -

لبنان: ٣٣٤، ٣٤٧، ٣٥٤، ٣٥٩، ٣٦١، ٣٦٢،

لندن: ٧، ٩، ٢٠، ٣١، ٥٠، ٦٧،

٨٤، ٨٦، ٨٨، ٨٩، ٢١٤، ٢٨٧،

٢٩٨، ٣١٣، ٣١٩ - ٣٢١، ٣٣١،

٣٣٢

لوكسمبرج: ٤٠، ٥٦، ٥٧،

ليبيا: ٢٩، ٦٨، ١٠٢، ١٠٣، ١٣٣،

١٩٤، ٢٢٤،

ليننجراد: ١٧٧،

- م -

مالطة: ١٧٨، ١٧٩، ٢٣٠، ٢٣٤،

٢٣٥، ٢٤٥، ٢٥٣،

المجر: ٤٢،

المحيط الأطلنطي: ٣٥٢،

قناة السويس: ٦، ٨، ٣٤، ١٠٢، مراكش: ٢٤٥،

٤٢١

٣٥٨، ٣٥٤، ٢٩٩، ٢٥٥، ٢٥١

فلسطين: ١٧، ١٩، ٢٥، ٣١، ٣٢،

٥٦، ١٧٠، ٢٥٤، ٣٤٨ - ٣٥٠،

٣٥٢ - ٣٥٦، ٣٥٩، ٣٦٤، ٣٦٧،

٣٧٣

فيشي: ١٩٢، ٢٠٨، ٢٥٠، ٢٥١،

الفيوم: ٣٥١،

- ق -

القاهرة: ٦، ٣٩، ٥٣، ٨٥، ٨٦، ٩١،

٩٦، ١٠١، ١٠٢، ١١٤، ١١٨، ١٢٢،

٢٦، ١٢٧، ١٣٤، ١٣٨ - ١٤٠،

١٤٧، ١٥٣، ١٦٧، ١٦٨، ١٧٦،

١٨١، ١٨٣ - ١٨٥، ١٨٧، ١٩٣،

٢١٢، ٢٢٦، ٢٣٢، ٢٣٩ - ٢٤٣،

٢٤٩، ٢٥٣، ٢٧٥، ٢٨٩، ٢٩٦،

٣٠١، ٣١٢، ٣١٣، ٣٢١، ٣٢٢،

٣٥٣، ٣٦٨، ٣٧٠، ٣٧٤،

قبرص: ٢٣٨،

قصر القبة: ٣٠٠، ٣٠٤،

القدس: ٣٥٢، ٣٥٤،

قرطاجة: ٣٤٣،

القصاصين: ٢٨٥،

قصر النيل: ٦،

القلعة: ٦، ٢٣٢،

قنا: ٢٥٧، ٢٩٥،

قناطر محمد على ٢٣٦،

قناة السويس: ٦، ٨، ٣٤، ١٠٢،

٤٢١

مرسى مطروح: ٦٠، ٦١، ٧٦، ٩٧	- ن -
١٠١، ١١٢ - ١١٤، ١٣٩	
١٤٠، ١٤٧، ٢٣٥، ٢٣٧، ٢٤٨	النرويج: ٤٢، ٥٦، ٥٧، ١٧٧
٣٠٦	نهر الفرات: ٣٦٤
مصر: ٥ - ٧، ٩ - ١٢، ١٤	نهر الفولجا: ١٧٧
٢٧، ٣٠ - ٣٨، ٣٥ - ٤٦، ٤٤	- ه -
٧٠، ٧٢، ٧٦، ٧٧، ٨٠، ٨٢، ٨٣	الهند: ١٠٢، ١٦٦، ١٧٧، ١٥٤
٨٦ - ٨٩، ٩١، ٩٨ - ١١٨، ١١٥	٣٣٨
١٢٥، ١٣٢، ١٣٣، ١٣٨ - ٢١٢	الهند الشرقية: ٣٣٨
٢١٩، ٢٢٠، ٢٢٧، ٢٢٨، ٢٣٠	الهند الصينية: ٣٣٨
٢٣٣، ٢٣٤، ٢٣٦، ٢٣٨ - ٢٤٩	هولندا: ٤٠، ٤٢، ٥٦، ٢٥٥
٢٥١ - ٢٥٣، ٢٥٦، ٢٥٧، ٢٧٤	- و -
٢٧٧، ٢٨٤ - ٢٩١، ٢٨٨ - ٢٩٧	الواحات البحرية: ١٥٠
٢٩٩، ٣٠٤، ٣٠٨، ٣٠٩، ٣١٢	وادي النطرون: ٢٣٩
٣١٤ - ٣١٦، ٣١٨، ٣٢٣، ٣٢٦	واشنطن: ٣١٩، ٣٣٣
٣٢٩ - ٣٣٥، ٣٣٧، ٣٣٨، ٣٤٥	الولايات المتحدة: ٢٠، ٢٨، ٤٢
٣٤٨، ٣٥١ - ٣٥٧، ٣٦٠	١٠٣، ٢٢٤، ٢٣٣، ٢٤٠، ٢٥١
٣٦٣، ٣٦٥، ٣٦٧ - ٣٧١، ٣٧٣	٢٥٥، ٣١٩، ٣٧٦
٣٧٦	
مصر الجديدة: ٦، ١٣٤، ٢٦٠، ٢٧٩	- ي -
المعادي: ١٤٣	اليابان: ١٧٥، ٣٣٨
المغرب: ٣٤٥	يافا: ٣٥٤
منخفض القطارة: ٦١	بقبق: ١١٣
منقباد: ١٣٩	اليمن: ٣٥٧، ٣٥٨، ٣٦٠
موسكو: ١٧٧	يوغوسلافيا: ٤٢، ١٧٧، ١٨٧، ٢٥٢
الموصل: ٢٣٨	٢٥٣، ٢٥٥، ٣٦١
مونتوار: ٢٤٩ - ٢٥١	اليونان: ١٧٧، ٢٥٣، ٢٥٥، ٣٠٤
ميدان الاوبرا: ١٤٢	٣٤٣، ٣٦١
ميونيخ: ٢٤٤	

٤ - كشف الحوادث

١٤٩، ٢٤٤، ٢٥٦، ٣٣٤، ٣٦٨	- أ -
احتلال السلوم: ١٥٥، ١٦٦، ٢٥٢، ٣٦١	إبعاد على ماهر من الوزارة والقصر: ١٠٠، ٩٦، ٩٥
إخراج عزيز المصرى من الجيش: ٦٢	إتفاق مونتوار: ٢٤٩ - ٢٥١
إخلاء سيوة: ٦٠	إتفاقيتا سنة ١٨٩٩: ٢٩٢، ٢٩٤
الأزمة بين حسين سرى وفاروق: ١٨١	إتفاقية الآستانة سنة ١٨٩٩: ٣٠١
أزمة التموين: ١٦٨، ١٧٢	أتفاقية الثكنات: ٧
أزمة سبتمبر سنة ١٩٣٨: ٢١، ٢٢، ٣٧، ٣٦، ٣٤، ٣٠، ٢٨، ٢٤	الاجتماع بين هتلر وبيتان سنة ١٩٤٠: ٢٥٠
أزمة مارس العالمية سنة ١٩٣٩: ٢٥، ٣٣	إجتماع عابدين: ٩٤، ١٥٤، ١٩٦
أزمة يونية سنة ١٩٤٠: ٥٥، ٩٦، ١٩٧	إجتماع عابدين: ٩٤، ١٥٤، ١٩٦
استرداد الحلفاية: ١٦٦	اجتماع لجنة الدفاع عن الشرق الأوسط: ٢٨٧
الاستعمار النازى والفاشى: ١٠٣، ١١٠	اجتياح ألمانيا النرويج وهولندا وبلجيكا ولوكسمبورج: ٤٠، ٥٦، ٥٧
استقاله حسن صبرى من الوزارة: ١٣٥	إجراء الانتخابات: ٢٢٠، ٣١٧
استقالة حسين سرى: ١٨٠	احتضان الانجليز للأمير محمد على: ١٥٥
استقاله وزارة على ماهر: ٩٢، ٩٣، ١٣٩	احتكار انجلترا شراء القطن المصرى: ١٦٠، ١٦١
	احتلال برقة: ١٧٥، ١٨٧، ٢٥٣
	الاحتلال البريطانى: ٩، ٤٤، ٥٥، ١٠٢، ١٠٣، ١٠٥، ١٠٨، ١٣٧، ١٣٩

استقاله وزارة الوفد: ١٣٥	اعلان القاهرة مدينة مفتوحة:
استيلاء ألمانيا على تشيكوسلوفاكيا: ٨	٢٤٣، ٢٤٢
استيلاء انجلترا على الحبشة واريتريا:	افتتاح كوبرى سمود: ١٥٦
٢٢٤	الافراج عن أعضاء مصر الفتاة:
استيلاء روميل على طبرق: ٢٥٣	٢٢٦
الاستيلاء على بنى غازى: ١٧٩	الافراج عن حسن البنا والسكرى:
اصدار قانون استعمال اللغة العربية:	١٢٩، ١٣٠
فى المكاتب: ٢٨٣	الافراج عن عزيز المصرى: ٢٢٥
الاضراب العام فى الجامعة: ١٩٤	إقاله الوفد: ٢٩٧
اعتقال أحمد حسين: ١٣٣	اقتحام الدبابات البريطانية قصر
اعتقال حسن البنا: ١٢٩، ١٣٠	عابدين: ١٩٨
اعتقال الرعايا الألمان فى مصر:	الاكتئاب لمنكوبى فلسطين: ٣٦٧
١١٤	إلغاء الأحكام العسكرية: ٢٧٨
اعتقال على ماهر: ٢٢٥	انتصارات اليابان: ١٧٥
اعلان الأحكام العرفية: ١٠ - ١٥،	الانذار البريطانى فى فبراير ١٩٤٢:
٢٠، ٤١، ٤٤، ٤٦، ٤٧، ٥٢ - ٥٥،	١٩٦ - ١٩٩، ٢٠٥، ٢٠٦، ٢١٢،
١٧٣، ٢٢١ - ٢٢٥،	٢١٣، ٢١٥، ٢١٨، ٢١٩، ٢٨٥
اعلان ايطاليا الحرب على انجلترا	انسحاب القوات البريطانىة من
وفرنسا سنة ١٩٤٠: ٥٧، ٢٤٤	العلمين: ٢٣٧
اعلان الحرب على ألمانيا: ٢٠، ٢١	الانسحاب من مرسى مطروح: ١٣٩،
اعلان الحرب على المحور: ٢٦٣	١٤٠
اعلان حياد مصر: ٢٤٧	انسلاخ مكرم عبيد من الوفد: ٥،
اعلان قانون الأحكام العسكرية	٢٥٧، ٢٦٦
البريطانية: ٨٧، ٨٨، ٩٠ - ٩٢،	انشاء ديوان المحاسبة: ٢٨٤
٩٧، ٩٥	انقلاب ٣٠ ديسمبر سنة ١٩٣٧: ٢٠٢

- انهيار الحكم الدستوري في مصر: ٢٠٣
٢٥٤ تعيين روميل حاكم عسكري لمصر:
- انهيار فرنسا: ٧٦، ٧٥
١٥٥ تقارب الوفد من الملك فاروق: ١٥٤،
١٣٩ ايطاليا تغزو مصر:
- ب -
بيان اسماعيل صدقي أمام مجلس
الشيوخ في ٢٢ يولية ١٩٤٦: ٣٠٤
بيان كنريم ثابت على اتهامات
بريطانيا في ٦ سبتمبر ١٩٤٧: ٣١١
- ت -
تأليف النحاس للوزارة في ٥ فبراير
١٩٤٢: ٢٥٧
- التبليغ البريطاني في يوليو سنة
١٩٤٠: ١٠٠، ١٣٠، ١٥٤، ١٨٥
تحديد إقامة عم الملكة فريدة: ٦٩
تخفيض الضرائب عن صغار الملاك
الزراعيين ٢٨٣
- التدخل البريطاني لفرض حكومة
وفدية: ٢١٤
تزيف الانتخابات سنة ١٩٣٨: ٢٠٢
تسليح الجيش المصري: ٣٤
تسوية لندن سنة ١٨٤٠: ٣٣١،
٣٣٢
- الثورة الأزهر: ٣١٨
ثورة رشيد عالي الكيلاني في العراق
سنة ١٩٤٠: ١٣٣، ٣١١، ٣٦١، ٣٦٢
ثورة سنة ١٩١٩: ١٨٢، ٢٠٣، ٢٠٦
الثورة العربية: ٣٣٢، ٣٧٠
الثورة العراقية: ٣٧٤
ثورة العرب الفلسطينيين سنة ١٩٣٦:
٣٦٠، ٣٥٤
الثورة العربية الكبرى: ٣٧٥
الثورة الفرنسية: ٣٣٠، ٣٧٠
ثورة يوليو سنة ١٩٥٢: ٣١٠، ٣١١،
٣٦٩
حادث ٤ فبراير سنة ١٩٤٢: ٥، ٩٦،
١٢٥، ١٢٦، ١٣٠، ١٣٨، ١٤٥
١٥٤، ١٧٢، ١٧٩، ١٨٣، ١٨٤،
٣٦٦، ٣٦٧، ٣٦٤
- التصريح البريطاني في مانشون
هاوس في ٢٩ مايو ١٩٤١: ٣٦١،
٣٦٤، ٣٦٧

حريق القاهرة: ٢٧٤	١٩٢ ، ٢٠٩ ، ٢١٣ ، ٢٢٢ ، ٢٢٤ ،
الحكم الثنائي للسودان: ٢٤٤	٢٣٠ ، ٢٦٥ ، ٣١٦ ، ٣١٧
حل مجلس النواب: ١٥٧ ، ٢٢٠	خادث انقلاب سيارة عزيز باشا:
الحملة الفرنسية على مصر: ٣٣٠	١٥٠
- خ -	حادث الدبابات: ٢٠٩ ، ٢١٠ ، ٢١٢ ،
خروج أحمد ماهر والنقراشي من	٢١٣ ، ٢١٥ ، ٢٢٢
الوفد: ٢٦٥	الحرب الدفاعية: ٥ ، ٦ ، ١٦ ، ٩٨ ،
خروج السعديين من الوزارة: ١١١ ،	١١١ - ١١٣
١١٥ ، ١١٨ ، ٣٠٩	الحرب العالمية الأولى: ٤٩ ، ١٥٣ ،
خطاب أحمد ماهر: ٣٠٧ - ٣٠٩	٢٥٥ ، ٣٢٦ ، ٣٣٥ ، ٣٤٥ ، ٣٦٥ ،
خطاب فكرى أباطة فى مجلس	٣٦٨ .
النواب: ٣٠٣	الحرب العالمية الثانية: ٥ ، ٦ ، ١٦ ،
خطاب يوسف الجندى: ٣٠٣	١٧ ، ٢٥ ، ٢٩ ، ٣١ ، ٤١ ، ٤٢ ، ٤١ ،
خطة عايده: ٢٤٣	٧٤ ، ٩٨ ، ١٠٤ - ١٠٧ ، ١٠٩ ،
خطة هرقل: ٢٣٤	١١٥ - ١١٩ ، ١٢٢ ، ١٢٣ ، ١٢٧ ،
الخلاف حول الاستثناءات: ٢٦٥ ،	١٣٠ ، ١٣٧ ، ١٤٩ ، ١٥٣ ، ١٦٠ ،
٢٦٨ ، ٢٦٩	٢٠٥ ، ٢٠٨ ، ٢٢٣ ، ٢٤٩ ، ٢٥٠ ،
خلع شاه ايران ونفيه الى سيشل:	٢٩٦ ، ٢٩٧ ، ٣٠٠ ، ٣٠٧ ، ٣٠٨ ،
١٧٧	٣١١ ، ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٤٢ ، ٣٥٩ ،
- د -	٣٦٨ ، ٣٦٥ ، ٣٦١ .
دخول أمريكا الحرب: ٢٢٤	الحرب الفلسطينية: ٣٦٩
دخول ايطاليا الحرب: ٥٩	
دخول مصر الحرب: ١٠٠ ، ١٠٢ ،	الحرب الهجومية: ٦ ، ١٦ ،
١٠٦ ، ١١٠ ، ١١١ ، ١١٣ - ١١٥ ،	الحركة الصهيونية: ١٠٦
١٢١ ، ١٢٤ ، ١٢٥ ، ١٢٩ ، ٢٣٣	حركة الفتوح الاسلامية: ٣٢٨
دخول اليونان الحرب: ١٧٧	الحركة الوطنية المصرية: ١٥١ ،
- ر -	٢٠٥ ، ٣٢٦ ، ٣٦٥
رفض التماس تأليف الوزارة سنة	الحروب الصليبية: ٣٤٢ ، ٣٤٣ ،

- ١٩٤٢: ٢١٧، ٢١٥، ٢٠٠ - الغارات الالمانية والايطاليه على مصر ٩، ١٢٢، ١٢٤، ١٦٥ - غرق سفن التموين الألمانية المتجهة الى روميل ٢٥٤ - غزو الجزر البريطانية: ٩٨ - غزو الحبشه: ١٠٣ - غزو هتلر للاتحاد السوفيتى: ١٧٧ - ف - فتح الترك شرق أوربا: ٣٤٣ - الفتح العربى لمصر: ٣٢٦، ٣٣٠ - فشل ثورة الكيلانى: ١٣٣، ١٧٧ - فصل مكرم عبيد وراغب حنا من الوفد: ٢٦٣ - فكرة الجامعة الاسلاميه: ٣٣٦، ٣٥١، ٣٣٩ - فكره الخلافة العربيه: ٣٣٣ - فكره الشرقية: ٣٣٩، ٣٤١ - ٣٤٤، ٣٤٦ - فكرة العربيه: ٣٢٥، ٣٤٤، ٣٤٦، ٣٥٠ - فكرة الفرعونيه: ٣٥٠ - فكرة القومية العربيه: ٣٢٦، ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢، ٣٣٦، ٣٥١، ٣٥٢ - ٣٦٩ - عزل نشأت باشا فى ديسمبر ١٩٢٥: ٢٠٦ - عملية بارباروسه: ٢٥٣ - غ - الغارات الالمانية على الاسكندرية ١١٦، ١٦٨
- ١٩٤٢: ٢١٧، ٢١٥، ٢٠٠ - ز - زوال الحكم الأموى العربى: ٣٢٨ - س - سقوط بنى غازى فى يد روميل: ١٩٢ - سقوط طبرق: ٢٣٢، ٢٣٣ - سقوط وزارة محمود محمود: ٣١ - سقوط وزارة النحاس سنة ١٩٤٢: ٢٩٠ - سياسة عدم الاشتراك فى الحرب: ٩٩، ١٠٠، ١٢٤، ١٣٩، ١٦٤ - ص - الصراع الفرنسى الانجليزى: ٣٧٠ - ط - طرد على ماهر من الحكم: ٦٢، ١٢٦، ١٣٠، ١٨٥ - طرد القوات الايطاليه من مصر: ٢٥٢ - طرد مكرم عبيد من الوزارة: ٢٦٧ - ع - عزل نشأت باشا فى ديسمبر ١٩٢٥: ٢٠٦ - عملية بارباروسه: ٢٥٣ - غ - الغارات الالمانية على الاسكندرية ١١٦، ١٦٨

- ٢٨٣
قانون بإنشاء مجلس استشارى لشمال
السودان: ٢٩٣
قانون التأمين الاجبارى ضد اصابات
العمل: ٢٨٣
قانون عقد العمل الفردى: ٢٨٣
قانون الكشافة: ١٢٧
القبض على حسن ابراهيم ومحاكمته
عسكريا: ١٤٧، ١٤٨
القبض على زعماء مصر الفتاه:
١٣١
القبض على الشيخ توفيق الملط: ١٣٢
قبول الوفد تأليف وزارة قومية:
١٥٤، ١٥٦، ١٥٧
قرار ١٢ يونيه سنة ١٩٤٠: ١١٢،
١١٣
قضية الاغتيالات السياسية: ٥٧،
٥٨، ٦٥، ١٧٣، ١٩٠، ٢٠١، ٢٠٩،
٣٠٠، ٣٠٥، ٣١٦، ٣١٧
قضية اغتيال النقراشى: ١٢٩، ٣١٠
قضية سيف الدين سنة ١٩٢٨: ٢٧٤
قضية فلسطين: ١٧، ١٩، ٥٦، ١٣٥،
٣٣٦، ٣٤٤، ٣٥٠، ٣٥٩، ٣٦٠،
٣٦٧
قضية الكتاب الأسود: ٢٨١، ٢٨٤
القضية المصرية: ٥٠، ١٠٦، ٢٠٤،
٢٠٥، ٢٨٦، ٣٣٢، ٣٥٤، ٣٧٠
- قضية مقتل أمين عثمان: ١٧٣،
٢١١، ٣١٨
قضية الوحدة العربية: ٣٥٩، ٣٦١ -
٣٦٤، ٣٦٧، ٣٦٨، ٣٧٥
قطع العلاقات السياسية مع ألمانيا:
١١، ٢٠
قطع العلاقات المصرية مع حكومة
فيشى ١٨٠، ١٨١، ١٩٢
القومية المصرية: ٣٢٧، ٣٢٩، ٣٣٢،
٣٥٢، ٣٧١
- ك -
كارثة الاسكندرية: ١٧٨
- م -
مجانبة التعليم الابتدائى: ٢٨٣
محاربة وزارة الوفد: ٢٨٦
محاكات الاخوان سنة ١٩٥٤: ١٢٨
محاكمة عزيز المصرى: ٣١٧، ٣١٨
محاكمة محمود عبداللطيف: ٣١٠
محنة الدستور: ٣١٦
محنة فلسطين: ٣٥٥
مذكرة المعارضة فى مصر إلى
السفارة البريطانىة فى أبريل ١٩٤٣:
٢٨٥
مذكرة الوفد فى أبريل سنة ١٩٤٠:
٤١، ٤٤، ٤٥، ٤٨، ٤٩، ٥٣، ١٠٦،
١١٧، ١٢٥، ١٥٤، ٢٩٢، ٢٩٩،

- ٣٠٣
مذكرة اللجنة المالية: ٢٦٦
مذكرة المعارضة في نوفمبر سنة
١٩٤٣: ٢٨٥
مرسوم رقم ٩٩ لسنة: ١٠
مرسوم رقم ٩٥ لسنة ١٩٣٩: ١٠
مرسوم رقم ٩٦ لسنة ١٩٣٩: ١٠
مسألة السودان: ٢٩٣
مشروع التقسيم: ٣٥٣ - ٣٥٦
مشروع الجامعة العربية: ٣٦٢، ٣٦٣
مشروع سوريا الكبرى: ٣٦٢ - ٣٦٤
مشروع الوحدة العربية: ٣٦٢، ٣٦٣
مشروع المجموعات الصحية: ٢٨٣
مشروع الهلال الخصيب: ٣٦٢ - ٣٦٤
مشكلة فلسطين - قضية فلسطين
مطامع إيطاليا في مصر: ٢٤٧
مظاهرات أول فبراير سنة ١٩٤٢:
١٧٦، ١٨٠، ١٨٢، ١٨٨ - ١٩٠،
١٩٤، ١٩٢
مظاهرات يناير ضد حسين سرى:
١٩٠
معاهدة التحالف والصداقة - معاهدة
سنة ١٩٣٦
معاهدة حسن الجوار بين سوريا
والعراق: ٣٥٨
معاهدة ١٩٣٦: ٦، ٩، ١٧، ٢٢ -
٢٥، ٢٧، ٣٠، ٣٤، ٣٨، ٤٥، ٥١،
٥٣، ٦٣، ٧١، ٩١، ٩٤، ٩٥، ١٠٤ -
١١٠، ١١٤، ١٢١، ١٢٦، ١٣٧،
١٥٩، ١٦٠، ١٨٠، ١٩٩، ٢٠٠،
٢٠٤، ٢٠٥، ٢١٤، ٢١٥، ٢١٩،
٢٢٠، ٢٢٨، ٢٤٤، ٢٤٦، ٢٤٧،
٣٤٥، ٣٥٥، ٣٥٦
معاهدة الصداقة بين مصر
والسعودية: ٣٥٧
معاهدة الطائف: ٣٥٧
معاهدة لندن - تسوية لندن
معركة ١٢، ١٣ يونية ١٩٤٢ بين
رومل والجنرال ريتشى: ٢٣٢
معركة العلمين: ٢٩٧، ٣٦٢
مفاوضات إلغاء الامتيازات: ٢٠٥
مفاوضات النحاس - هندرسون: ٢٠٥
مفاوضات سنة ١٩٣٦: ٨، ٢٠٥
المفاوضات المصرية البريطانية:
٣٥٤
مقاطعة المجلس الاستشارى في
السودان: ٢٩٤
المقاومة السرية أثناء الحرب: ١٢٥
مقتل أمين عثمان: ١٨٠
مهاجمة قوات فيشى في سوريا:
١٧٧
المؤتمر الاسلامى سنة ١٩٣١: ٣٥٢

المؤتمر البرلماني العربي الاسلامي في مصر سنة ١٩٣٨: ٣٥٣	١٩٧، ٢١٢
مؤتمر الخريجين: ٣٢٣	الهجوم الألماني على برقة: ١٩٣
مؤتمر الصلح: ١٢٣	هجوم ألمانيا على البلقان: ١٧٧
مؤتمر الطلاب العرب في أوربا: ٣٥٨	الهجوم الايطالي سنة ١٩٤٠: ١٠١
مؤتمر الطلبة الشرقيين: ٣٤١	الهجوم البريطاني بقيادة ويفل: ١٦٦
المؤتمر العربي بالاسكندرية: ٢٨٩، ٢٩٠	الهجوم الألماني على الاتحاد السوفيتي: ٩٨
المؤتمر العربي العام: ٣٥٣	الهجوم على المخابر: ١٧٢
مؤتمر القمة العالمي بالقاهرة سنة ١٩٤٣: ٢٨٥	هجوم روميل على مصر في ٣١ مارس ١٩٤١: ٢٥٦، ٢٥٢
مؤتمر المائدة المستديرة: ٩، ٣١، ٣٥٨	هجوم مكرم عبيد على الوفد: ٢٥٨
مؤتمر الوفد: ٢٩١، ٢٩٢، ٢٩٦، ٣٢٣	الهجوم الياباني على بيرل هاربر في ديسمبر ١٩٤١: ٣١٩
ميثاق الأمم المتحدة: ٢٩٧	هروب على ماهر من القاهرة: ٢٢٦، ٢٢٧
ميثاق الجامعة العربية: ٣٦٩	هروب الكيلاني ومفتي فلسطين: ١٣٣
ميثاق سعد أباد: ٢٩	هزيمة فرنسا سنة ١٩٤٠: ٣٨، ١٣١
- م -	هزيمة نابليون في ووترلو: ١٠٤
نظام الاحتكار: ٣٣١	- و -
نظام الالتزام: ٣٣١	وصول روميل الى العلمين: ٢٥١
نظام الملكية الخاصة: ٣٣١	وضع الممتلكات الألمانية في مصر تحت الحراسة: ١١
- ه -	وعد بلفور: ٣٣٥
الهجوم الألماني الأول بقيادة روميل يوم ٣١ مارس ١٩٤١: ١٨٣، ١٨٤	وفاة حسن صبرى «باشا»: ٢٠٣
	وقف حسن ابراهيم عن العمل: ١٤٧

٥- كشف الدوريات

- د -	ثد - أ -
الدستور: ٣٠٢	٣١٥، ٣١٤، ٣١١، ٢١
الديلى تلغراف: ٣٨، ٤٠	بين: ٣٧٢
- س -	١٢٠، ١١٩، ٥٧، ٤٠
السياسة الاسبوعية: ٣٧٢	٢٩٨، ٢٩٥، ٢٩٤ -
السياسة اليومية: ٣٤٠، ٣٤١، ٣٤٦،	٣١٧، ٣١٦، ٣١٤ -
٣٧٢، ٣٤٩، ٣٤٧	٣٧٣، ٣٥٦، ٣٢٢
- ش -	رومانو الايطالية: ٣٨
الشباب: ٣٦٧	٣١٢، ١٦٢، ١٣١
الشورى: ٢٦٧، ٢٢٥	١٦٥:
- م -	- ب -
الكرستيان ساينس مونيتور: ٣١٩	٣١١، ١٣٥، ٧٠
- ل -	- ت -
لسان الحال: ٣٤٧	٢٨، ٢٩٠، ٢٩٥، ٢٩٦،
- م -	- ج -
مصر الفتاة: ٨، ٢٥، ٢٩٨	٣٠
المصرى: ٨، ٢٣، ٢٤، ٣٢، ٣٣،	اسيون: ٣٥٦
٥٩، ١١٦، ٢٧٤، ٢٩٨ - ٣٠٢،	

- ٣٠٤ ، ٣٠٥ ، ٣٠٧ ، ٣٠٩ ، ٣١٢ ،
 ٣١٥ - ٣١٩ ، ٣٢١ ، ٣٢٣ ، ٣٧٣
 المقتطف: ٣٤٧
 المقطم: ٨ ، ٣٥٣
 المنار: ١٢٨ ، ٣٤٠ ، ٣٧٢
 المصور: ٣٩ ، ١١٨ ، ١١٩ ، ١٣٦ ،
 ٣٠٠ - ٣٠٣ ، ٣٠٥ ، ٣٠٩ ، ٣١١ ،
 ٣٧٣ ، ٣٢٣
- ن -
 الشجاع: ١٢٨
- م -
 النيوبيورك تايمز: ٣٧ ، ٣٩ ، ٤٠
- ه -
 ها آرتس: ٣٧٢
- و -
 الوفد: ١٥٦ - ١٥٨ ، ١٦٢ ، ٣١٦
 الوفد المصري: ٣١٢ ، ٣١٧
 ثانيا : المجلات
- أ -
 آخر ساعة: ٣٠٢ ، ٣٠٩
 الاثنين: ١٩٠
- ت -
 التعارف: ١٢٨
- ر -
 الرابطة الشرقية: ٣٣٧ ، ٣٤٠
 الرابطة العربية: ٣٥٣ ، ٣٧٣

من أهم الأعمال العلمية المنشورة للمؤلف

١ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) الطبعة الأولى -
(القاهرة: دار الكاتب العربى ١٩٦٨) .

- تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) - الطبعة
الثانية (مكتبة مذبولى ١٩٨٣) .

- تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩١٨ - ١٩٣٦) - الطبعة
الثالثة :

الجزء الأول - (١٩١٨ - ١٩٢٤)

الجزء الثانى - (١٩٢٤ - ١٩٣٦)

(الهيئة المصرية العامة للكتاب - ١٩٩٨) .

٢ - تطور الحركة الوطنية في مصر (١٩٣٧ - ١٩٤٨) - مجلدان -
الطبعة الأولى (بيروت : دار الوطن العربى ١٩٧٣) .

الطبعة الثانية :

- الجزء الثالث - (١٩٣٧ - ١٩٣٩)

- الجزء الرابع - (١٩٣٩ - ١٩٤٥)

(القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨)

- ٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى مصر من ثورة يوليو إلى أزمة مارس ١٩٥٤ - الطبعة الأولى . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٧٥) .
- الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨٩) .
- ٤ - عبد الناصر وأزمة مارس . (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٧٦) .
- ٥ - الجيش المصرى فى السياسة (١٨٨٢ - ١٩٣٦) (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٧٧) .
- ٦ - صراع الطبقات فى مصر (١٨٣٧ - ١٩٥٢) . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٨ - الطبعة الأولى) .
- الطبعة الثانية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧ (مكتبة الأسرة) .
- ٧ - الصراع بين الوفد والعرش (١٩٣٦ - ١٩٣٩) الطبعة الأولى . (بيروت : المؤسسة العربية للدراسات والنشر ١٩٧٩) .
الطبعة الثانية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .
- ٨ - الفكر الثورى فى مصر قبل ثورة ٢٣ يوليو . (القاهرة : مكتبة مدبولى ١٩٨١) .
- ٩ - المواجهة المصرية الاسرائيلية فى البحر الأحمر (١٩٤٩ - ١٩٧٩) :
الطبعة الأولى (القاهرة : دار روز اليوسف ١٩٨٢) .
الطبعة الثانية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة، ١٩٩٦) .
- ١٠ - الاخوان المسلمون والتنظيم السرى . الطبعة الأولى (القاهرة : دار روز اليوسف يناير ١٩٨٣) .
الطبعة الثانية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣)
- ١١ - الصراع بين العرب وأوروبا ، من ظهور الاسلام إلى انتهاء الحروب

الصليبية . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٣) .

١٢ - حرب أكتوبر في محكمة التاريخ . (الطبعة الأولى) - (القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٨٤) .

الطبعة الثانية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة، ١٩٩٥)

١٣ - مذكرات السياسيين والزعماء في مصر، ١٨٩١ - ١٩٨١ (الطبعة الأولى) (القاهرة : دار الوطن العربي ١٩٨٤) .

- الطبعة الثانية (القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٨٩)

الطبعة الثالثة مزيدة ومنقحة (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة، ١٩٩٨) .

١٤ - تحطيم الآلهة ، حرب يونيو ١٩٦٧ . (جزءان) (القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٨٤) .

١٥ - الغزوة الاستعمارية للعالم العربي وحركات المقاومة . (القاهرة : دار المعارف ١٩٨٥) .

١٦ - مصر في عصر السادات (الجزء الأول) (القاهرة : مكتبة مدبولي ١٩٨٦) .

١٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الأول (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٧) .

١٨ - مصطفى كامل في محكمة التاريخ:

الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين رقم ١ سنة ١٩٨٧) .

الطبعة الثانية (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب، سلسلة تاريخ المصريين سنة ١٩٩٤) .

تطور الحركة الوطنية ج٤

- ١٩ - أكذوبة الاستعمار المصرى للسودان :
الطبعة الأولى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ، سلسلة تاريخ
المصريين رقم ١٣ سنة ١٩٨٨) .
- الطبعة الثانية (القاهرة الهيئة المصرية العامة للكتاب ، مكتبة الأسرة
١٩٩٦) .
- ٢٠ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثانى . (القاهرة : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٨٨) .
- ٢١ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الثالث . (القاهرة : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٨٩) .
- ٢٢ - مصر فى عصر السادات ، الجزء الثانى . (القاهرة : مكتبة مدبولى
١٩٨٩) .
- ٢٣ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الرابع . (القاهرة : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٩٠) .
- ٢٤ - الاجتياح العراقى للكويت فى الميزان التاريخى (القاهرة : الزهراء -
١٩٩٠) .
- ٢٥ - حرب الخليج فى محكمة التاريخ . (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٠) .
- ٢٦ - العلاقات المصرية الاسرائيلية (١٩٤٨ - ١٩٧٩) (القاهرة : سلسلة
تاريخ المصريين ٤٩ سنة ١٩٩١) .
- ٢٧ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء الخامس . (القاهرة : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٩٢) .
- ٢٨ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك . (القاهرة : الهيئة
المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .

- ٢٩ - تاريخ الاسكندرية فى العصر الحديث . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣ ، سلسلة تاريخ المصريين عدد ٦١) .
- ٣٠ - تاريخ مصر والمزورون . (القاهرة : الزهراء - ١٩٩٣) .
- ٣١ - أوهام هيكل وحقائق حرب الخليج . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .
- ٣٢ - قصة بناء المواطنة الخليجية . (القاهرة : مركز المنار للنشر والدراسات الاعلامية ١٩٩٣) .
- ٣٣ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك ، الجزء الثانى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .
- ٣٤ - مذكرات سعد زغلول ، تحقيق ، الجزء السادس (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٣) .
- ٣٥ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك ، الجزء الثالث (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤) .
- ٣٦ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك ، الجزء الرابع ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٤) .
- ٣٧ - الصراع الاجتماعى والسياسى فى عصر مبارك ، الجزء الخامس ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥) .
- ٣٨ - جماعات التكفير فى مصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥) .
- ٣٩ - مصر قبل عبدالناصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥) .
- ٤٠ - أوراق فى تاريخ مصر (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥) .
- ٤١ - هيكل والكهف الناصرى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥) .

- ٤٢ - مصر فى عصر مبارك «الجزء السادس» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).
- ٤٣ - مصر فى عصر مبارك «الجزء السابع» (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٥).
- ٤٤ - رحلات مؤرخ (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).
- ٤٥ - مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء السابع (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).
- ٤٦ - تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الأول»، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الثورة الفرنسية [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].
- ٤٧ - تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثانى»، من تسوية مؤتمر فيينا إلى تسوية مؤتمر فرساي [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].
- ٤٨ - تاريخ أوروبا والعالم فى العصر الحديث، من ظهور البورجوازية الأوروبية إلى الحرب الباردة «الجزء الثالث»، من من قيام النازية فى ألمانيا إلى الحرب الباردة [القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦].
- ٤٩ - مذكرات سعد زغلول، تحقيق، الجزء الثامن (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٦).
- ٥٠ - الوثائق السرية لثورة يوليو الجزء الأول (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٧).
- ٥١ - حرب الاستنزاف (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب) سنة ١٩٩٧.
- ٥٢ - مصر والحرب العالمية الثانية (معركة تجنيب مصر ويلات الحرب) (القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب) سنة ١٩٩٧.

٥٣ - مصر فى عصر مبارك ، الجزء الثامن ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧) .

٥٤ - مصر فى عصر مبارك ، الجزء التاسع ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٧) .

٥٥ - الوثائق السرية لثورة يوليو ، الجزء الثانى (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٩٨) .

٥٦ - مصر فى عصر مبارك ، الجزء العاشر ، (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٩٨)

مع آخرين :

٥٧ - مصر والحرب العالمية الثانية ، مع الدكتور جمال الدين المسدى والدكتور يونان لبيب رزق (القاهرة : مؤسسة الأهرام ١٩٧٨) .

٥٨ - تاريخ أوروبا فى عصر الرأسمالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

٥٩ - تاريخ أوروبا فى عصر الامبريالية ، مع الدكتور يونان لبيب رزق ود . رءوف عباس . (القاهرة : دار الثقافة العربية ١٩٨٢) .

كتب مترجمة :

٦٠ - تاريخ النهب الاستعماري لمصر ، (١٧٩٨ - ١٨٨٢) تأليف جون مارلو . (القاهرة : الهيئة المصرية العامة للكتاب ١٩٨٦) .

فهرس

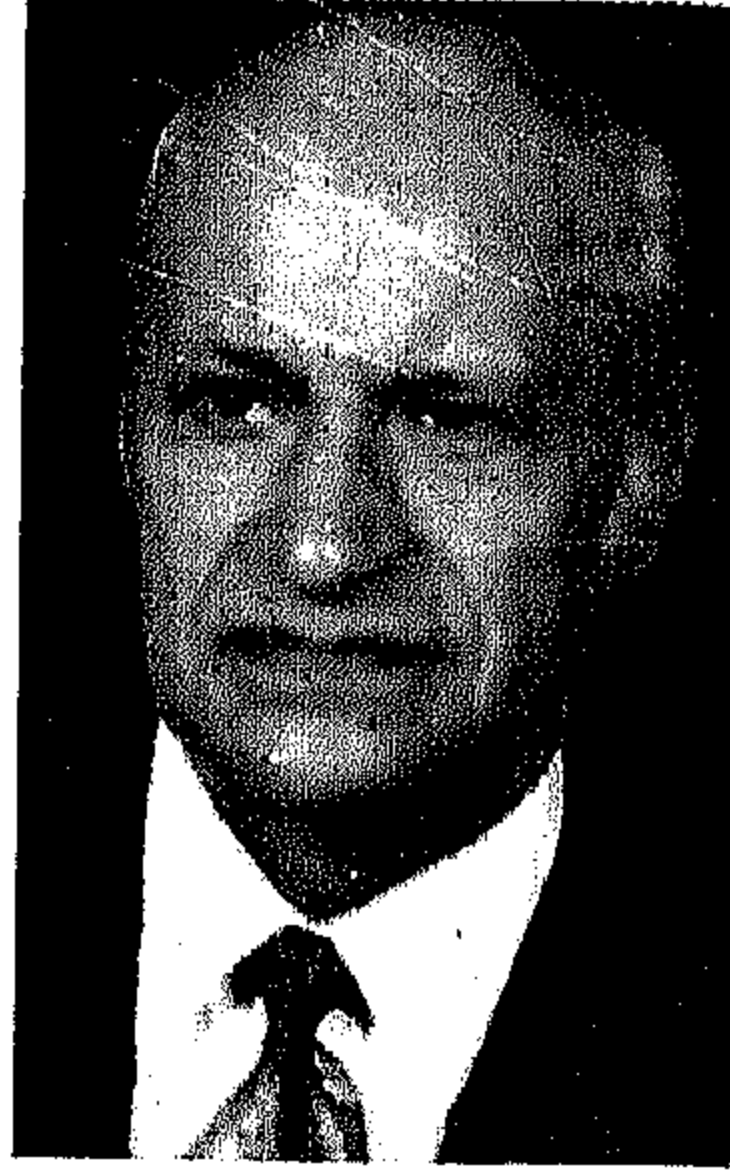
صفحة	صفحة
السيطرة البريطانية على	الفصل الرابع: مصر في الحرب
اقتصاديات البلاد ٤١	العالمية الثانية ٥
مذكرة الوفد المصري ٤٥	١ - مصر بين الحرب والحياة
اثر المذكرة في مصر	(سبتمبر ١٩٣٩ - ١٩٤٠) ٦
وبريطانيا ٤٨	(أ) مصر بين الحرب الهجومية
(ج) أزمة يونية ١٩٤٠ ٥٥	والحرب الدفاعية ٦
(هـ) مصر بين الحرب الدفاعية	وضع القوات البريطانية في
والحياة	مصر عند قيام الحرب ٦
الجدال حول تجنب مصر	معاهدة ١٩٣٦ في دور التطبيق ٩
ويلات الحرب ٩٨	الجدال في البرلمان حول
مراوغة حسن صيري باشا	اعلان الاحكام العرفية ١١
في خوض الحرب الدفاعية ٩٨	الحكومة المصرية بين الحرب
ترويج احمد ماهر باشا لفكرة	الهجومية والحرب الدفاعية ١٦
دخول مصر الحرب ١٠٠	موقف القوى السياسية من
الاقلاع عن خوض الحرب	الحرب ٢١
الدفاعية ، وخروج السعديين	تسليح الجيش المصري وبناءؤه ٣٤
من الوزارة ١١١	(ب) مذكرة الوفد المصري في
٢ - حادث ٤ فبراير ١٩٤٢ ١٢٥	في اول ابريل ١٩٤٠ ٤١

صفحة	صفحة
(ج) انسلاخ مكرم عبيد من	(أ) المقاومة السرية أثناء الحرب ١٢٥
٢٥٧ الوفد	١٢٦ الاخوان المسلمون
٢٧٤ الكتاب الاسود	١٣١ مصر الفتاة
(د) حكومة الوفد بين مؤامرات	١٣٣ الجماعات السرية
القصر ومؤامرات الانجليز ٢٨٣	١٣٤ ضباط الجيش
٢٩٨ حواشي الفصل الرابع	(ب) تطورات الموقف الداخلي ١٥٤
الفصل الخامس : تطور	قبول الوفد تأليف وزارة
الايدولوجية العربية في مصر	قومية ١٥٤
وميلاذ جامعة الدول العربية ٣٢٥	السياسة الاستغلالية البريطانية
بريطانيا ودورها في قيام	١٦٠ تجاه القطن المصري
جامعة الدول العربية ٣٥٩	١٦٥ الغارات الجوية على مصر
٣٧٠ حواشي الفصل الخامس	١٦٨ أزمات التموين
مراجع الكتاب	(ج) الى الامام يا روميل ١٧٢
٣٧٧ اولاً - مصادر اصلية	(هـ) حادث فبراير ١٩٤٢ ١٩٢
٣٧٧ ١ - وثائق رسمية	٣ - الحكم الدستوري : مصر في
٣٧٩ ٢ - وثائق تاريخية	مفترق الطرق ٢١٩
٣٨٠ ٣ - احاديث شخصية	(أ) الوفد في الحكم ٢١٩
٣٨١ ٤ - مذكرات شخصية	(ب) العلمين : مصر بين شقي
٣٨٢ ٥ - صحف ومجلات	الرحى ٢٣٠
٣٨٤ ثانياً - دراسات	١ - الهجوم الالماني المظفر
٣٨٤ ١ - تراجم	(٢٦ مايو - ٣٠ يونية ١٩٤٢ ٢٣٠
٣٨٥ ٢ - نشرات اقتصادية	الانجليز والانسحاب من مصر ٢٣٦
٣٨٥ ٣ - دراسات وبحوث	٢٤٣ سياسة المحور تجاه مصر
٣٩٣ ثالثاً - مصادر ومراجع	
اجنبية	

**مطابع
الهيئة المصرية العامة للكتاب**

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٩٨/١٦٢٧٤

I.S.B.N 977 - 01 - 6009 - 1



تعالج هذه الدراسة تاريخ حركة التحرر الوطنى فى مصر من إبرام معاهدة ١٩٣٦ إلى نهاية الحرب العالمية الثانية. وهى مرحلة تاريخية هامة تنفرد بخصائص وسمات تميزها عن غيرها. فهى مرحلة تهادن، أو شبه تهادن، بين مرحلتين ثوريتين: المرحلة الأولى، هى التى بدأت بثورة ١٩١٩ وانتهت بإبرام معاهدة ١٩٣٦، والمرحلة الثانية، هى التى بدأت بانتهاء الحرب العالمية الثانية، وانتهت بإلغاء معاهدة ١٩٣٦ وحريق القاهرة وقيام ثورة ٢٣ يوليو التى قوضت العهد القديم كله. وقد شهدت هذه المرحلة استنفاد معاهدة ١٩٣٦ لأغراضها، بتجربة المحالفة أثناء الحرب العالمية الثانية، وبزوال الخطر الفاشى الذى كان عاملاً رئيسياً فى إبرامها، ثم دخول العلاقات الدولية مرحلة جديدة يحكمها ميثاق الأمم المتحدة وتوازن القوى العالمى الجديد.